

صفحات من تاريخ مصر

٣١

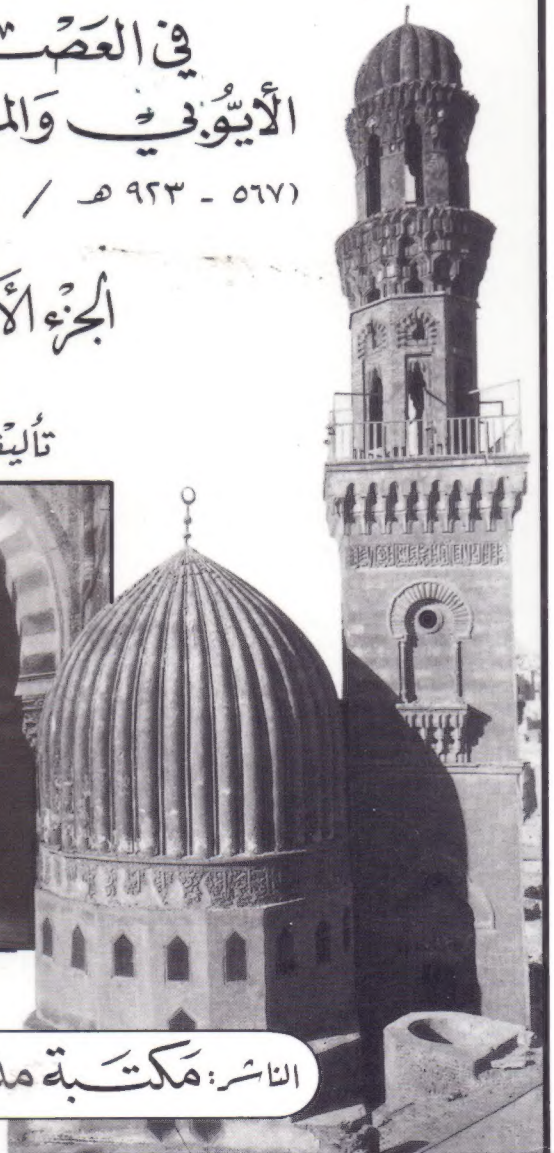
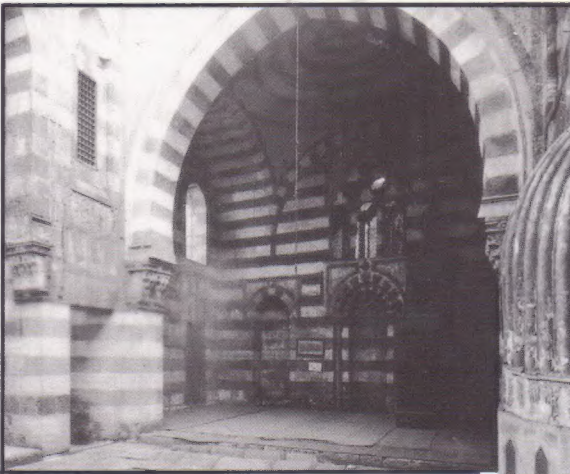
خانقار الصوفية في مصر

في العصرين
الأيوبي والملوكي

(٥٦٧ - ٩٢٣ هـ / ١١٧١ - ١٥١٧ م)

الجزء الأول

تأليف: الدكتور عاصم محمد زرق



الناسخ: مكتبة مدبولي - القاهرة

هذه السلسلة تضم :

- | | |
|--|---|
| ١٠ - فتوح مصر وأخبارها | ١ - فتح العرب لمصر |
| ١١ - تاريخ مصر الحديث مع فزلكة في تاريخ مصر القديم | ٢ - تاريخ مصر إلى الفتح العثماني |
| ١٢ - قوانين الدواوين | ٣ - الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي |
| ١٣ - تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث | ٤ - تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي |
| ١٤ - الحكم المصري في الشام | ٥ - تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل |
| ١٥ - تاريخ الخديوي محمد باشا توفيق | ٦ - تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر |
| ١٦ - آثار الزعيم سعد زغلول | ٧ - ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا |
| ١٧ - مذكراتي | ٨ - تاريخ مصر في عهد الخديو إسماعيل باشا (مجلد أول) |
| ١٨ - الجيش المصري في الحرب الروسية المروقة بحرب القرم | ٩ - تاريخ مصر في عهد الخديو إسماعيل باشا (مجلد ثاني) |
| ١٩ - وادي النطرون وربهانه وأديرته ومختصر البطارقة | |
| ٢٠ - الجمعية الأثرية المصرية في صحراء العرب والأديرة الشرقية | |
| ٢١ - الرحلة الأولى للبحث عن يتابع الب الأبيض (النيل الأبيض) | |
| ٢٢ - السلطان قلاوون (تاريخه - أحوال مصر في عهده - منشأته المعمارية | |
| ٢٣ - صفوة العصر | |
| ٢٤ - الممالك في مصر | |
| ٢٥ - تاريخ دولة المماليك في مصر | |
| ٢٦ - سلاطين بني عثمان | |
| ٢٧ - محمود فهمي القراشي | |
| ٢٨ - دور القصر في الحياة السياسية في مصر | |
| ٢٩ - مذكرات اللورد كيلرن | |
| ٣٠ - عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم | |
| ٣١ - خانقاوات الصوفية في مصر | |
| ٣٢ - فاروق وسقوط الملكية في مصر | |
| ٣٣ - تحفة الناظرين | |

MADBOULI BOOKSHOP

مكتبة مدبولي

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت : ٥٧٥٦٤٢١ 5756421 Tel. : 6 Talat Harb SQ.

خاتقاراك الصوفية في مصر

في القصص

الأيوني والمملوك

حقوق الطبع محفوظة لمكتبة مندوبوي

الطبعة الأولى

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

الناشر

مكتبة مندوبوي

ميدان طلعت حرب بالقاهرة - ج ٢ ع

تليفون ٥٧٥٦٤٢١

صَفَحَاتٌ مِنْ تَارِيخِ مِصْرَ

(٣١)

خَانَقَاوَاتُ الصُّوفِيَّةِ فِي مِصْرَ

فِي الْعَصْرِ
الْأَيُّوفِيِّ وَالْمَمْلُوكِيِّ

(٥٦٧ - ٩٢٣ هـ / ١١٧١ - ١٥١٧ م)

تَأَلَّفَ
الدُّكْتُورُ عَاصِمٌ مُحَمَّدٌ زُرَّو

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

مَكْتَبَةُ مَدْبُورِي
الْقَاهِرَةُ

إهداء

إلى أسرتي الصغيرة :

• زوجتي العزيزة المضحية

• وولدي المأمول محمد

• وابنتي الحبيبة علياء

أهدى هذا الكتاب

تحية عرفان وتقدير

لما ينالهم منى من تقصير

المؤلف

شكر

لقد بدأت ارهاصات هذا العمل العلمى منذ ما يقرب من عشرين عاماً مضت، ظلت جذوته خلالها وأن خفتت كثيراً غير منطفئة وكانت انجازاته طوال هذه السنين رغم ضآلتها أحياناً، وتوقفها أحياناً أخرى، كبصيص من النور لا ينقطع، حتى قدر لهذا العمل فى النهاية أن يولد بعد جهد للتحقيق غير قليل، ومثابرة على استيفاء تشعباته بغير ملل.

وهنا لابد من أذكر بالشكر والعرفان كل من ساعدنى فى انجازه من الآثاريين والرسامين والمصورين والنساخ، ممن كان لمساعدتهم كل الفضل فى إخراجهم بالصورة التى ادعها - بكل الامتنان لهم - بين يدي القارئ الكريم .

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

"فِي بَيْوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعُ وَيَذْكُرَ فِيهَا اسْمُهُ
يَسْبَحُ لَهُ فِيهَا بِالْخُدُوِّ وَالْأَصَالِ، رَجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ
تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَاقَامِ الصَّلَاةَ وَآتَاءَ
الزَّكَاةَ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ،
لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ
وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ"

صدق الله العظيم

فهرس الموضوعات

الصفحة

الموضوع

تمهيد:

الفصل الأول : دراسة تاريخية

- ٢١ - ١ - معنى الخانقاة ووظائفها .
- ٢٤ - ٢ - تاريخ الخانقاة وأوقافها .
- ٢٧ - ٣ - الدراسة والمكتبة فى الخانقاة .
- ٣٢ - ٤ - تصوف فى غير خانقاوات .

الفصل الثانى : دراسة صوفية

- ٣٩ - ١ - علم التصوف ونشأته .
- ٤٨ - ٢ - أصل كلمة صوفى .
- ٥٠ - ٣ - خرقة الصوفية وأزيائهم وعوائدهم .
- ٥٥ - ٤ - صفات الصوفية وأحوالهم وطرائقهم .
- ٥٩ - ٥ - أعلام الصوفية ومجاذيبهم .

الفصل الثالث : دراسة أثرية معمارية

- ٦٧ - ١ - عمارة الخانقاة وخصائصها .
- ٧٥ - ٢ - المنشآت التابعة للخانقاة .

٨٠ ٣ - الخانقاوات الدارسة .

٩٨ ٤ - الرباط والزاوية والتكية .

١٠٧ حواشى وتعليقات فصول الدراسات التاريخية والصوفية والأثرية المعمارية .

الفصل الرابع : خانقاوات القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ / ١٣ م)

١٢٧ ١ - الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء) .

١٥٩ ٢ - الخانقاة البند قدارية (أيدكين) .

١٧٢ ٣ - الخانقاة الجاولية (سلار وسنجر) .

الفصل الخامس : خانقاوات النصف الأول من القرن (٨ هـ / ١٤ م)

٢١١ ٤ - الخانقاة الجاشنكيرية (بيبرس) .

٢٤٧ ٥ - الخانقاة المهندارية (احمد) .

٢٥٨ ٦ - الخانقاة الجمالية (مغلطى) .

٢٧٥ ٧ - الخانقاة القوصونية .

٢٩١ ٨ - الخانقاة الناصرية خوند طغاي (ام انوك) .

الفصل السادس : خانقاوات النصف الثانى من القرن (٨ هـ / ١٤ م)

٣٠٧ ٩ - الخانقاة الدوادارية (يونس) .

٣١٥ ١٠ - الخانقاة الشيوخونية .

٣٦٨ ١١ - الخانقاة النظامية .

- ٣٧١ حواشى وتعليقات فصول خلتقاوات الأيوبيين والمماليك البحرية .
- ٤٣٥ مصادر ومراجع الكتاب
- ٤٦٤ فهرس الأشكال واللوحات
- ٤٦٩ ١ - الأشكال .
- ٤٧١ ٢ - اللوحات .

تمهيد

كانت اعتبارات الكتابة في موضوع خانقارات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والملوكي (٥٦٥ - ٩٢٠ هـ / ١١٦٩ - ١٥١٦ م) كثيرة ومتنوعة، أهمها أن ما كتب عن هذا الموضوع لذاته حتى الآن لا يتعدى كتاباً عربياً واحداً للدكتورة دولت عبد الله عنوانه «معاهد تزكية النفوس في مصر في العصرين الأيوبي والملوكي» نشرته مطبعة حسان بالقاهرة سنة ١٩٨٠ م، أما ما كتب عن بعضه مختصراً مع آثار أخرى فأهمه ما أورده الأستاذة الدكتورة سعاد ماهر في الجزئين الثالث والرابع من كتابها الكبير المسمى «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» الذي نشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة بين سنتي (١٩٧١ - ١٩٨٣ م) وما جاء عن بعضه الآخر بشكل أكثر اختصاراً في ثنايا كتب عربية أخرى لم يكن يقصد منها أن تكون كتباً علمية بقدر ما كان يقصد منها أن تكون أدلة للزائرين مثلما فعل المرحوم الأستاذ محمود أحمد في كتابه المسمى «دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة» الذي طبع في بولاق سنة (١٩٣٨ م) أو تخليداً لذكرى صلاة ميمونة أداها في هذه الخانقاة أو تلك ملك أو حاكم مثلما فعل المرحوم الأستاذ حسن عبد الوهاب في كتابه المسمى «تاريخ المساجد الأثرية» الذي طبعته دار الكتب المصرية سنة (١٩٩٠ م) أو مشاركة سطحية في الكتابة عن هذه الأبنية الأثرية مثلما فعلت وزارة الأوقاف في كتابها المسمى «مساجد مصر» الذي طبعته مصلحة المساحة المصرية سنة (١٩٤٨ م).

يضاف إلى هذه المراجع بطبيعة الحال ما ورد عن هذه الخانقارات في المصادر العربية لا سيما الخطط المقرنزية والخطط التوفيقية، رغم أن مادة كليهما كانت لا تعنى بعمارتها وفنونها بقدر ما كانت تعنى بتواريخها وترجمة منشئها مع ذكر بعض من أخبارها، وهي مادة لا تفي رغم أهميتها بعناصر البحث العلمي الاستقصائي المقارن الذي حاولنا تحقيقه في هذه الدراسة.

تلك هي أهم الكتب التي تناولت خانقارات الصوفية في مصر بالحديث، وإذا كانت غالبيتها - فيما عدا الكتابين الأولين - قد تناولت الموضوع - كما قلنا - بصفة الأدلة تارة، وتخليد الذكرى تارة ثانية، ورغبة في مجرد الكتابة تارة ثالثة، فإن لنا على الكتابين المذكورين

عدة ملاحظات تجعل إعادة الكتابة فى هذا الموضوع أمراً لازم الانجاز لاستيفاء كثير من النقاط الهامة التى أغفلتها الدراسة فى كل منهما.

ويأتى على رأس هذه النقاط بالنسبة للكتاب الأول مثلاً أنه إلى جانب ما تعرض له من الحديث عن معنى الخانقاة وتاريخها وعمارتها، والحديث عن الرباط والزاوية والتكية، فإنه لم يتعرض لكثير من النقاط الأخرى التى كان من الواجب بحثها مثل المنشآت المختلفة التى كانت تتبع الخانقاة، ووظائف الخانقاة وموظفيها وعلوم التدريس بها، والكتب والمكتبات التى كانت تشتمل عليها، والأوقاف المختلفة من الأراضى والعقارات التى كانت موقوفة على هذه الخانقاوات للصرف من ريعها على البنايات نفسها وعلى الموظفين فيها، والتصوف فى غير الخانقاوات، والخانقاوات التى درست، والترميمات الكثيرة التى أجريت فيها للمحافظة عليها، إلى غير ذلك من النقاط التى سيرد ذكرها فى المقدمة المعمارية.

كذلك فإن هذا الكتاب لم يتعرض لكثير من النقاط الأخرى وثيقة الارتباط بالموضوع مثل علم التصوف وأصل مذهبه، معنى التصوف ونشأته، أصل كلمة صوفى، خرقة التصوف أو عهده، صفات الصوفية، أحوال الصوفية ومراحلها واصطلاحاتها، طرق الصوفية وطوائفها وطبقاتها، زى الصوفية ولباسها، عوائد الصوفية، أعلام الصوفية، أرزاق الصوفية، خوارج الصوفية ومجازيهم، أهم مصادر الصوفية، وهى النقاط التى سيرد الحديث عنها - بما يخدم الموضوع فى المقدمة الصوفية.

أما بالنسبة للكتاب الثانى فإن أهم ما يجب الإشارة إليه أن الحديث فيه لم يشتمل على كل الخانقاوات القائمة وإنما اشتمل على بعضها دون البعض، لأنه لم يكن كتاباً عن عمارة الخانقاوات فقط وإنما كان كتاباً عن العمارة الإسلامية ككل، وكان ذلك سبباً فى أن ما ذكر فيه عن هذا البعض ينقصه الكثير، فالوصف المعمارى مثلاً لم يغط كل أجزاء الخانقاوات الموصوفة وإنما اكتفى فيه - وصفاً وقياساً - بذكر عناصرها الرئيسية دون الجزئيات، كذلك فإن هذا الوصف لم يغط الكثير من التفاصيل الزخرفية المختلفة التى تملأ جنبات هذه الخانقاوات رغم ما لهذه الزخارف من أهمية فى أى وصف أثرى كامل، يضاف إلى هذه وتلك أنه أغفل

ذكر الكثير من الكتابات القرآنية والانشائية والدعائية المنقوشة بكثير على أجزاء مختلفة من هذه الخانقاوات، وأن ما جاء فيه عن بعض هذه الكتابات لا يعد كاملاً لأنه أسقط نصوباً كاملة أحياناً، وكثيراً من الكلمات والجمل أحياناً أخرى، علاوة على اشتماله على بعض أخطاء في القراءات أحياناً ثالثة.

ليس هذا فقط بل أن التقديمين - الوارد أولهما في الصفحتين (٩، ١٠) من الجزء الثالث عن الخوانق في العصر المملوكي، والوارد ثانيهما في الصفحتين (١٤، ١٥) من نفس الجزء عن التصميم المعماري للخانقاة لم يوفيا الموضوع حقه من النواحي اللغوية والدينية والتاريخية والأثرية المعمارية، فلم يشر في ذلك من الناحية اللغوية مثلاً إلى شيء عن أصل الكلمة واشتقاقها وتطور معناها، ولم يشر فيه من الناحية الدينية إلى أن الإسلام لا يقر مبدأ أن تصبح الصوفية وظيفة ينقطع فيها المتصوف للزهد والعبادة دون عمل، ولم يشر فيه من الناحية التاريخية إلى أن صلاح الدين كان قد لجأ - كما هو معروف - إلى بناء المدارس في مصر لنشر المذهب السني رغبة في القضاء على المذهب الشيعي، وكان ذلك يتفق في نظرنا مع بدعة تخصيص الصلاحية للمتصوفة طمعاً في التغفل إلى نفوس الناس ولا سيما أهل الطبقات الدنيا التي كانت ولا تزال تعتقد في الكثير من الموروثات الشعبية الشيعية.

كذلك فقد أشير في هذا التقديم إلى أن صفة التدريس كانت قد أضيفت للخانقاوات اعتباراً من القرن (٨هـ / ١٤م) رغم أن أول الخانقاوات المعروفة كانت الخانقاة الصلاحية التي يرجع تاريخها إلى القرن (٦هـ / ١٢م) وكانت تشتمل على صحن وأربعة إيوانات خصصت لتدريس المذاهب الأربعة حتى قبل أن تختص الخانقاوات بتدريس هذه المذاهب، كذلك لم يرد فيما جاء عن هذه الخانقاوات بهذا الكتاب ذكر لأية ترميمات أو إصلاحات، رغم أن كثيراً من هذه الخانقاوات قد تناولتها لجنة حفظ الآثار العربية بالعديد من الأعمال الترميمية والإصلاحية التي أعادت بعضها إلى سابق عهده من الكمال والجمال، بينما تركت بعضها الآخر نهياً لعودى الزمن فأنت عليه ولم تبق منه إلا القليل.

ورغم اشتمال نصوص الكتابات المنقوشة على هذه الخانقاوات على العديد من الألقاب والوظائف الخاصة بمنشعبيها مثل المولى الأميرى الأجلى الكبيرى المخدمى الاستفهلارى

الأستاذار المهندار الذخرى العضدى المشيرى السفيرى . . الخ فإن ما ورد عن هذه النصوص فى الكتاب المشار إليه لم يتناول شرح أى من هذه الألقاب رغم أن تفسير ذلك يعد عنصراً هاماً مكملًا لما جاء عنها كترجمة صاحب المنشأة تماماً، وهناك الكثير من المصادر والمراجع التى تناولت هذا الجانب بالشرح والتفصيل مثل معالم الكتابة ومغائم الإصابة لابن شيت المتوفى سنة (٧٤٨هـ) وصيغ الأعشى فى صناعة الإنشا للقلقشندي المتوفى سنة (٨٢١هـ) والألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار للأستاذ الدكتور حسن الباشا الذى نشرته مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٧م، والفنون الإسلامية والوظائف لنفس المؤلف الذى نشرته دار النهضة العربية سنة ١٩٦٥م وغيرها.

ورغم الحديث عن الكثير من خانقاوات العصرين المملوكى البحرى والمملوكى البرجى فى هذا الكتاب بالصورة المشار إليها، فإن خانقاوات أخرى كثيرة قد أسقطت منه ولم يشر إليها مثل الخانقاة الصلاحية «سعيد السعداء» وخانقاة يونس الدوادار وخانقاة الأشرف برسباى بقرافة الممالك وخانقاة الأشرف إينال بصحراء قايتباى وخانقاة قوصون وخانقاة قرقماس السيفى بنفس الموقع، بالإضافة إلى ما ذكر منها فى فقرة واحدة مثل خانقاة سعد الدين بن غراب وخانقاة أيدكين البندقدارى.

ورغم أن التصوف لم يكن قاصراً فى الفترة موضوع البحث ولا قبلها ولا بعدها على الخانقاوات فقط، لأن وظيفة الخانقاة كانت قد أدتها - كما هو معروف - أبنية أخرى مثل الأربطة والزوايا والتكايا بل وبعض المدارس التى الحق بها منشعوها بعضاً من المتصوفة، فإن شيئاً من ذلك لم ترد له إشارة فى أى من الكتابين المشار إليهما.

وأخيراً فإنه لم يشر فى أى من هذين الكتابين بشيء عن أوقاف هذه الخانقاوات من الأراضى والعقارات التى أوقفت على بعضها باستثناء ما أورده الكتاب الأول عن وثائقها، رغم أن جانباً هاماً من ذلك كان من الممكن العثور عليه فى بطون بعض المصادر العربية مثل الإقتصار لواسطة عقد الأمصار لابن دقماق، والتحفة السنية بأسماء البلاد المصرية لابن الجيعان وغيرهما، وقد وجدت فى هذه الكتب كثيراً من الأراضى والنواحي التى أوقفت على بعض هذه الخانقاوات للصرف من ريع أوقافها على أبنيتها من ترميم وصيانة، وعلى القائمين عليها من

المشايع والمتصوفة والنظار ومدرسى المذاهب وكتاب الغيبة والخدم ونحوهم، مما أتاح لنا فرصة طيبة لاستخلاص الموقف المالى لما كان ينفق على المنقطعين فيها باسم الدين، وهو أمر لا خلاف على حرمة من الناحية الشرعية لأن الإسلام دين عمل لا دين رهينة وكلنا يعلم أنه لا رهبانية فى الإسلام، وأن من يعول المنقطع فى المسجد أعبد منه، ليس هذا فقط بل أن عمر بن الخطاب (ر) كان يسأل عن الرجل فيقول : أله حرفة ؟ فإن قيل له لا سقط من عينه.

لكل هذا كان من الضروري إعادة الكتابة فى هذا الموضوع بصورة تستدرك كافة النواقص المشار إليها، لتسد رمق الباحثين فيه بشكل أكثر تفصيلاً، وقد فرضت علينا المادة الوافرة التى أمكن جمعها من كل ما أتيج لنا الإطلاع عليه من المصادر والمراجع خاصا بموضوع خانقاوات الصوفية فى مصر فى العصرين الأيوبي والمملوكى، أن يكون مدخل هذه الدراسة مسرحاً لعرض كثير من النقاط الهامة الوثيقة الصلة بالموضوع مما لم يرد معظمه مع دراسة سابقة حتى الآن، وقد أمكن حصر هذه النقاط بعد تصنيف مادتها فيما يلى :

- ١- معنى الخانقاة ووظائفها .
- ٢- تاريخ الخانقاة وأوقافها .
- ٣- الدراسة والمكتبة فى الخانقاة .
- ٤- تصوف فى غير الخانقاوات .
- ٥- أصل التصوف ومعناه .
- ٦- خرقه التصوف وعهده .
- ٧- صفات الصوفية وأحوالهم وطرائقهم .
- ٨- أعلام الصوفية وخوارجهم .
- ٩- عمارة الخانقاة وخصائصها .

١٠- المنشآت التابعة للخانقاة .

١١- الخانقافات الدارسة .

١٢- الرباط والزاوية والتكية .

وقد رؤى تبعاً لهذا التنوع فى المعلومات المجموعة أن تقسم هذا النقاط إلى ثلاثة فصول تكون بمثابة أرضية خصبة ورحيبة لهذا الموضوع الكبير يختص الفصل الأول منها بدراسة تاريخية تتناول النقاط الأربع الأولى (من ١-٤) ويختص الفصل الثانى بدراسة صوفية تتناول النقاط الأربع الثانية (من ٥-٨) ويختص الفصل الثالث بدراسة أثرية معمارية تتناول النقاط الأربع الأخيرة (من ٩-١٢) .

ولكن يبقى مع ذلك ضرورة الاعتراف بأن كافة النواقص التى لوحظت على الكتب المشار إليها لا يمكن لها أن تقلل من قيمته العلمية شيئاً، لأنه لولا هذه الكتب ما كان لنا هذا الكم الهائل من المعلومات التى حاولنا من خلالها أن نعيد بحث الموضوع بهذه الصورة التى نرجو أن نكون قد وفقنا فيها، فإن كنا قد أصبنا ففضلاً من الله ونعمة، وإن كنا قد أخطأنا فما أردنا إلا الصواب ما استطعنا وما التوفيق إلا من عند الله، وفوق كل ذى علم عليم.

المؤلف

الفصل الأول

دراسة تاريخية

الفصل الأول

دراسة تاريخية

ينحصر حديثنا فى هذا الفصل عن دراسة الخاتقاوات من الناحية التاريخية فى أربع نقاط

رئيسية هى :

- ١- معنى الخاتقاة ووظائفها.
- ٢- تاريخ الخاتقاة وأوقافها.
- ٣- الدراسة والمكتبة فى الخاتقاة.
- ٤- تصوف فى غير خاتقاوات.

١- معنى الخاتقاة ووظائفها :

تحدث كثير من مؤلفى المصادر والمراجع العربية عن معنى الخاتقاة ووظائفها، فذكر ابن بطوطة فى القرن (٨هـ / ١٤م) أن أصل الخاتقاة هو الزاوية حين قال «وأما الزوايا فهى كثيرة وهم يسمونها الخوانق واحدها خانقة»^(١) وقال المقرئى فى القرنين (٨-٩هـ / ١٤-١٥م) أن «الخوانك جمع خانكاة» وهى كلمة فارسية معناها بيت، وقيل أصلها «خونقاة» أى الموضع الذى يأكل فيه الملك، والخوانك حدثت فى الإسلام فى حدود الأربعمئة من منى الهجرة وجعلت لتخلى الصوفية فيها لعبادة الله تعالى^(٢).

أما محقق كتاب السيوطى الذى يرجع إلى القرنين (٩-١٠هـ / ١٥-١٦م) فقد اتفق فى اللفظ مع ما ذكره ابن بطوطة واختلف فيه مع ما أشار إليه المقرئى حين قال تعليقا على ذكر السيوطى للخاتقاة أن «جمعها خوانق» وهى معاهد دينية أنشئت لايواء المنقطعين للعلم والزهاد والعباد، والخاتقاة لفظة فارسية معناها البيت، وهى حديثة فى الإسلام فى حدود الأربعمئة، وجعلت لتخلى الصوفية فيها للعبادة والتصوف^(٣).

ثم جاء على باشا مبارك في القرن (١٣هـ / ١٩م) وأعاد علينا ما ذكره المقرئى مختلفاً في ذلك مع ما أشار إليه كل من ابن بطوطة ومحقق السيوطى حين قال «الخوانك مفرداً خانكة بالكاف وهى كلمة فارسية معناها بيت، وقيل أصلها خونقاة بالقاف أى الموضع الذى يأكل فيه الملك»^(٤١).

أما ما ورد عن معنى الخانقاة في المراجع العربية فهو كثير، ومؤداة أن لفظ «خانقاة» هو لفظ فارسي معناه فى الأصل المائدة أو المكان الذى يأكل فيه الملك، ثم أطلق بعد ذلك على الخوانق أو الخانقاوات أو الدور التى قام على إنشائها الملوك والأمراء الراغبون فى عمل القرب والمبرات لأغراض كثيرة أهمها إيواء الغرباء من المسلمين الوافدين إلى ديارهم والقيام بمعيشتهم وتشقيفهم، ومع أن الصلوات الخمس المفروضة كانت تؤدى فى إيوان خاص للصلاة بهذه الخانقاوات إلا أن صلاة الجمعة لم تكن تقام فيها^(٤٢).

ويغلب على الظن أن المقرئى وعلى باشا مبارك كانا على حق دون كافة من أشاروا إلى تعريف هذه اللفظة عندما قال كل منهما أن هذه المنشأة المعمارية الدينية كانت تسمى «خانكة» وجمعها «خوانك» ففى بحث متخصص عن «الألفاظ الفارسية فى العامية المصرية» قيل أن لفظ «خانكة» مأخوذ من الكلمة الفارسية «خانكة» التى عربت إلى «خانقاة» بمعنى محل اجتماع الدواوين، وهى لفظة مركبة من مقطعين هما (خانة + كاة) ثم دخلت العامية بمعنى المستشفى الخاص بالمجانين^(٤٣).

ومن هنا نرى أن الخانقاة وهى بيت الصوفية كانت أشبه ما تكون بالمدرسة، لأنها كانت فعلاً مدرسة العامة ممن نذروا أنفسهم لحياة الزهد والتشقىف، سواء كانوا من أبناء الشعب أو من أرباب الحرف والصناعات الذين عملوا على حمل مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الطرق والأسواق، فتشابهت الخانقاة بذلك مع المدرسة من حيث الشكل والوظيفة.

ومن المعروف أن أهل الصوفية فى المغرب كانوا يسمون (بالمرابطين) أخذاً من الرباط الذى كانوا يرابطون فيه للجهاد فى سبيل الله حماية لحدود الدولة الإسلامية، وبذلك اختلفت الصوفية فى المغرب عنها فى المشرق، فهناك كانت عملاً إيجابياً يقره الدين تماماً، وهنا كانت عملاً سلبياً

لم يخرج عن مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٧).

ومن هنا أيضاً حدث الخلط بين المدرسة والرباط والخانقاة، لأن الرباط في الأصل كان كما قلنا - هو المكان الذي خصص للمرابطة في الشغور على حدود الدولة، وكان من الجائز أن يقوم الفقهاء بهذه المrabطة في الربط لأن معنى المتصوف موجود في الفقيه والعكس غير صحيح، ولذا كانت إقامة الصوفية في الربط وتناول راتبها وجرايتها أمر جائزاً بعكس المدارس التي لم يكن من الجائز للمتصوف الإقامة فيها أو أخذ جرايتها^(٨).

والخلاصة أن الخوانك في الإسلام كانت عبارة عن دور للعلم والعبادة قامت بأدوار دينية اجتماعية وثقافية هامة في حياة المجتمع الإسلامي منذ نشأتها في غالب الظن في القرن (٥هـ / ١١م)، فالثابت لدينا مما ورد في كثير من المصادر العربية أنها كانت أولاً معاهد للمذاهب الفقهية والحديث والقراءات والتصوف وغير ذلك من العلوم الشرعية وما يتصل بها، وكانت ثانياً مواقع إيواء لكل وافد إلى الديار من البلاد الإسلامية الأخرى ممن لم يكن لهم مأوى، وكانت ثالثاً مراكز إشعاع ثقافي بما احتوته بعض مكنتياتها من الكتب المصنفة في كثير من العلوم والمعارف، يدل على ذلك مثلاً أن خانقاة شيخو كانت تشتمل طبقاً لما ورد في وقفيتهما على أربعة دروس للمذاهب الفقهية إلى جانب درس للحديث النبوي ودرس لإقراء القرآن بالقراءات السبع، وجعل لكل درس من هذه الدروس مدرس وجماعة اشترط عليهم حضور الدرس وحضور وظيفة التصوف.

أما عن وظائف الخانقاة التي سيرد ذكرها بالتفصيل عند الحديث عن كل منشأة من هذه المنشآت فكانت كثيرة ومتعددة، منها شيخ الخانقاة وإمامها وناظر وقفها ومدرسو المذاهب ومعيدوهم والكحال والجرائحي والطبائعي وخازن الكتب وكتاب الغيبة والشاهد والمؤذن والمزملاني ومشرف الحمام ومشرف المطبخ والطباخ وخادم الشيخ وخادم الربعات الشريفة والبواب والفراش وسواق الساقية والوقاد ونحوهم، وإن دل هذا الكم الهائل من الوظائف على شيء، فإنما يدل على حجم ما كان في هذه الخانقאות من وظائف متنوعة كان كل واحد من أربابها يتقاضى نظير عمله بالخانقاة أجراً نقدياً راعى فيه الوقف أن يتناسب مع ثرائه المالى ومقامه الاجتماعي، علاوة على ما كانوا جميعاً يشتركون فيه من أجر عيني انحصر في المأكول من الخضروات واللحوم والأرز واللبن والعسل والحلوى ونحوها، وفي الملابس والصابون وغير ذلك من الأرزاق الوافرة التي كانت توزع

عليهم مما سيرد ذكره بالتفصيل كل فى موضعه.

٢ - تاريخ الخانقاة وأوقافها:

يقول المقرئى فى القرنين (٨ - ٩هـ / ١٤ - ١٥م) أن الخوانك فى الإسلام حدثت فى حدود الأربعمئة من سنى الهجرة، ثم أشار إلى أن زيد بن صوحان بن صبرة هو أول من اتخذ بيتا للعبادة فى عهد ثالث الخلفاء رضوان الله عليهم حينما عمد إلى رجال من أهل البصرة كانوا قد تفرغوا للعبادة وليست لهم تجارات ولا غلات، فبنى لهم درراً وأسكنهم فيها وجعل لهم ما يقوم بمصالحهم من ملبس ومطعم ومشرب، ثم جاء يوماً لزيارتهم فإذا عبد الله بن عامر عامل عثمان بن عفان رضى الله عنه على البصرة قد دعاهم، فأناه زيد وقال له يا ابن عامر ماذا تريد من هؤلاء القوم ؟ قال أريد أن أقربهم فيشفعوا فأشفعهم ويسألوا فأعطيتهم ويشيروا على فأقبل منهم، قال زيد أثنائى إلى قوم قد انقطعوا إلى الله تعالى فتدنسهم بدنياك وتشركهم فى أمرى، حتى إذا ذهبت أديانهم أعرضت عنهم فطاحوا لا إلى الدنيا ولا إلى الآخرة، ثم أشار إليهم بقوله قوموا فارجعوا إلى مواضعكم فقاموا فأمسك ابن عامر فما نطق بلفظه^(٩)، ومعنى ذلك أن هناك فارقاً زمنياً كبيراً بين إرجاع المقرئى لحدوث هذه الخوانك فى حدود الأربعمئة من سنى الهجرة وبين أول خانقاة عملها زين بن صوحان - على عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه فى القرن الأول الهجرى، وقد نقل على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ / ١٩م) هذه القصة كاملة عن المقرئى، إلا إنه أضاف أن اسم الخانقاة لم يكن مستعملاً فى مصر على عهده وإنما استعمل بدله لنفس الغرض لفظ التكية والزاوية^(١٠).

والواقع أن أول خانقاة فى مصر - طبقاً لما ورد فى كافة المصادر والمراجع بغير خلاف - هى الخانقاة الصلاحية التى كانت تعرف بدار سعيد السعداء، وهو الأستاذ قنبر أو عنبر عتيق الخليفة المنتصر بالله الفاطمى الذى قتل سنة (٥٤٤ هـ / ١٤٩م)، وقد حدث ذلك عندما استقل صلاح الدين بأمور مصر، فعمل هذه الدار يرسم الفقراء الصوفية - طبقاً لما سيرد ذكره تفضيلاً عند الحديث عن هذه الخانقاة - ووقف عليها أوقافاً كثيرة فكانت بذلك أول خانقاة عملت بديار مصر، وعرفت بدويرة الصوفية وكان أهلها يعرفون بالعلم والصلاح، ولا زالت بقايا هذه الخانقاة قائمة حتى الآن بحى الجمالية من القاهرة وتعرف بهجامع الخانقاة^(١١).

أما ما ورد عن تاريخ الخانقاة في المراجع العربية فإنه يعود إلى الوراء قليلا ليشير إلى أن الكرامية (أصحاب محمد بن كرام) كانوا قد شيدوا قبل القرن (٤٠٠هـ / ١٠م) عدد كبيراً من مجالس الذكر في إيران وما وراء النهر وبيت المقدس، وكانت لهم محلة بالفسطاط^(١٢) ومعنى ذلك أن ظهور الخوانق بمعناها المعروف في شرق العالم الإسلامي خلال العصر العباسي في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي كان قد سبقه ما شيدته الكرامية قبل ذلك بقرن من الزمان تقريباً^(١٣).

وصفوة القول أن أول ظهور حقيقي للخانقاة كان - على ما يبدو - في إيران خلال القرنين (٣ - ٤ هـ / ٩ - ١٠ م) حيث كانت هذه الأبنية قد وصلت إلى مرحلة متطورة التنظيم والتوجيه، فوضعت لها القوانين واللوائح المنظمة لأداء المهمة التي أنشئت من أجلها، وكانت الخانقاة في هذه الفترة تنقسم من الناحية المعمارية إلى قسمين رئيسيين خصص أولهما لاجتماع الشيخ بمريديه وسمى بالفارسية «جماعت خانة» أودار الجماعة، وخصص ثانيهما لخلوات الصوفية والمطبخ ونحو ذلك من الأبنية اللازمة للإقامة الدائمة، واستكمل هذا التنظيم بالأحباس التي خصصت لهذه الخانقאות فتطورت رسالتها في أواخر القرن (٥ هـ / ١١ م) وأضيفت إليها مهمة تعليمية استهدفت علوم الدين ومذاهبه.

أما في مصر فقد عرفت الخانقاة في زمن متأخر نسبياً خلال العصر الأيوبي في النصف الثاني من القرن (٦ هـ / ١٢ م)، وكان ذلك بفضل صلاح الدين الأيوبي الذي نقل الخانقاة بنظمها ولوائحها وأحباسها، واختصت الدار الفاطمية سعيد السعداء بها بعد أن عدل كيائها المعماري لتفى بالغرض الذي سعى إليه ولتؤدي من خلاله رسالتها التي أنيطت بها، إلى أن كان العصر المملوكي بشقية البحري والبرجي فأصبحت الخانقاة عمارة مستقلة لها تخطيط خاص تعددت جوانبه واكتملت مقوماته حتى بلغ ذروته عندما أصبحت الخوانق شبه جامعات كبرى يفد إليها طلاب العلوم ولا سيما الدينية من كافة الأقطار الإسلامية بالشروط التي كانت تتفق مع نظمها ولوائحها التي وضعت من خلال شروط واقفيها.

ورغم ما قد يتبادر إلى الذهن من ضرورة خلو هذه الخانقאות من أية مظاهر زخرفية بصفتها دور عبادة وزهد وتصوف، إلا أنها جاءت مشتملة على كثير من مظاهر العظمة المعمارية

والفنية التي تجلت في واجهاتها الداخلية والخارجية وفي محاريبها وقبابها وأرضياتها وسقوفها، وفي كل ما اشتملت عليه من منابر وكتيبات وكراسي وغيرها، فزخرت هذه الأجزاء جميعاً بشتى آيات النقش الفني ممثلاً في كافة عناصر الزخرفة النباتية والهندسية والكتابية التي عرفتها الفنون العربية الإسلامية بصفة عامة.

ويبدو أن صوفية هذه الخانقاوات - ولا سيما الرعيل الأول منهم - كانوا يشاركون مشاركة إيجابية في حياة المجتمع العلمية، فكان شيوخها الأوائل من حملة علوم الشريعة يمتازون بعلوم التزكية وتصفية النفس مما جعل الأقبال على هذه الخوانق كبيراً إلى أن انحط أمرها في آخر المطاف وسكنها الأراذل بعد الصفوة^(١٤).

أما عن أوقاف هذه الخانقاوات فإنه يمكن القول بإختصار أن سلاطين المماليك كانوا قد اهتموا بها كثيراً وأوقفوا عليها الأوقاف السخية من العقارات والأراضي، فإذا تم بناء إحداها وكانت للسلطان افتتحها السلطان بنفسه في حفل كبير يحضره رجال الدين والقضاة ومشايخ الصوفية، وقد حرصت معظم الحجج المتعلقة بهذه الأبنية على وضع الشروط الكفيلة بانقطاع الصوفية فيها للعبادة وعدم تغيبهم عنها أكثر من ثلاثة أيام في الشهر الواحد لا يقطع لهم فيها معلوم، فإن غاب أحدهم أكثر من هذه الثلاثة أيام انقطع معلومه ووفر لجهة الوقف.

على أن الملاحظ لهذا الجانب من حياة أى خانقاة يكتشف أمراً هاماً حرص عليه صوفية كل منها ودافعوا عنه كثيراً، فلم يكن من مصلحتهم ووقف الخانقاة ثابت لا يتغير أن يزداد عددهم حتى لا تؤدي هذه الزيادة العددية إلى نقص في رواتبهم وجراياتهم بما يؤدي بدوره إلى انخفاض مستوى معيشتهم، وكان من نتيجة هذا الحرص على ما يبدو أن ظهرت العصبية الطائفية بينهم، ليس هذا فقط بل إن عملية انتقال مريد من شيخ إلى شيخ أو من خانقاة إلى أخرى كثيراً ما كانت تترجم إلى نزوع هذا المريد إلى الدنيا وترك الدين، خاصة وأن بعض هذه الخانقاوات كانت تتمتع بأوقات كثيرة تجعل حياة صوفيتها أكثر ليونة وسعة^(١٥)، ومهما يكن من أمر فإن ادخال هذه المنشآت إلى مصر كان بمثابة انقلاب ثقافي فيها أدى إلى زوال صفة الهرطقة الشيعية منها وإلى تدفق الثقافات المختلفة عليها من جميع أنحاء العالم الإسلامي^(١٦). واسترد

الإشارة إلى هذه الأوقاف بالتفصيل عند الحديث عن كل خانقاة عثر لها على شيء من ذلك.

٣- الدراسة والمكتبة في الخانقاة :

يرجع أصل التدريس في الخانقاة إلى موضوع التدريس في الإسلام الذي نشأ - على ما يبدو - بنشأة المجتمع الإسلامي الأول، فقد روى الإمام الغزالي أن جماعة من الصحابة كانوا يمارسون ذلك في مسجد قباء على عهد الرسول ﷺ^(١٧). وكان من نتيجة ذلك أن استخدمت المساجد للدراسة منذ ذلك العهد. وكان مسجد الرسول بالمدينة هو أول جامعة للمسلمين، فيذكر ابن خلكان في القرنين (٦-٧ هـ / ١٢-١٣ م) أن أبا عثمان بن ربيعة كان يجلس في المسجد فيأتيه مالك والحسن وأشرف المدينة للأخذ عنه وكانت له فيه حلقة وافرة^(١٨).

ومن هنا جاءت حلقة التدريس في الإسلام فلا يكاد يخلو تاريخ شيخ من الشيوخ من الإشارة إلى حلقة كانت له بمسجد من المساجد، حتى انتشرت هذه الحلقات منذ العصور الإسلامية المبكرة في المساجد الجامعة بمصر والشام والحجاز والعراق والقيروان وقرطبة وغيرها، وقد سمى المؤرخون الدرس في هذه المساجد الجامعة «حلقة» لأن مريد العلم كانوا يتنظمون في حلقة تضيق وتتسع حول شيخها تبعاً لعدد الطلاب الدارسين عليه، ولعل خير ما ينقل في هذا الصدد ما ذكره السيوطي في القرن (١٠ هـ / ١٦ م) من أن أبا بكر النعالي أمام المالكية في مصر المتوفى سنة (٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) كانت حلقة في الجامع العتيق (يقصد جامع عمرو بن العاص) تدور على سبعة عشر عموداً لكثرة من يحضرها^(١٩).

وتأتى دورة الحلقة على الأعمدة لأن كل شيخ كما يقول ابن جبير في القرن (٦ هـ / ١٢) والمقرئ في القرن (٩ هـ / ١٥) كان يستند إلى سارية في المسجد أو إلى اسطوانة أو عامود فيه، حتى أن هذه الأسطوانة كانت تظل وقفاً عليه ما دام قائماً بالتدريس وهو على قيد الحياة وكثيراً ما تنسب إليه بعد وفاته^(٢٠)، وما لا شك فيه أن هذه الاسطوانة كانت موضع اعتبار كامل من الطلاب، وكان لها نظام مرعى منهم يدل على ذلك ما ذكره المقدسي في القرن (٤ هـ / ١٠ م) بقوله أن الشيخ إذا قدم لاسطوانته نادى أحد مريديه على الباقيين بقوله «دوروا وجوهكم نحو المجلس»^(٢١).

ومع ذلك فإن هذا النظام لم يمنع من أن يجلس بعض المدرسين فى محراب المسجد بدلاً من الجلوس إلى الاسطوانة أو العامود، بل لقد سميت الحلقة فى بعض روايات المؤرخين ولا سيما ابن جبير والمقرئى «زاوية»، يؤيد هذا ما ذكره ابن جبير فى القرن (٦هـ/١٢م) من أنه كان للملكية بجامع دمشق الأموى زاوية للتدريس فى الجانب الغربى منه^(٢٢)، وما ذكره المقرئى فى القرن (٩هـ/١٥م) من أنه كان بجانب عمرو بن العاص بالقسطاط «زاوية» يدرس فيها الفقه^(٢٣).

والواقع أن هذه الحلقات لم تكن مقصورة - على ما يبدو - على علوم الدين فقط، بل جلس للتدريس فيها مشايخ علوم اللغة وعلوم النحو وعلوم التاريخ وغيرها من العلوم الثقيلة، وظل التدريس فى المساجد الجامعة بهذا الشكل مستمراً منذ القرن الهجرى الأول (القرن الميلادى السابع) وما زال مستمراً فى بعضها حتى عصرنا الحاضر^(٢٤).

وهكذا كان أصل التدريس فى الإسلام، يستوى فى ذلك التدريس فى المدارس أو فى الخانقات، أما عن أجور المدرسين وسكن الطلاب، فتفيدنا المصادر والمراجع أن هذا التدريس كان مباحاً لكل من وجد فى نفسه القدرة عليه، تماماً كما كان الاستماع إلى الدرس مباحاً لكل من رغب فيه، فكان العلماء يعلمون والطلبة يتعلمون، كل على حسابه الخاص باستثناء ما كان يمنحه الخلفاء والأمراء ونحوهم من هبات، وكانت مسئولية حياة الشيوخ ومريديهم تقع فى تلك الحقبة المزهرة من تاريخ العلوم الإسلامية على عاتق جماعة المسلمين الذين اعتبروا بيت الله وما يدرس فيه مسئوليتهم، فقدموا للمدرسين والدارسين كل ما يعوزهم حتى يعينهم على هذا العمل الجليل من الدرس والتحصيل.

وظل الأمر على ذلك قروناً عديدة حتى كانت أول خطوة من خطوات تدخل الخلفاء والولاة وأولى الأمر فى شئون التدريس، فأنشأوا له دور العلم وبيوت الحكمة التى سرعان ما عينوا لها المدرسين لقاء راتب محدود، ويذكر المقرئى أن أول درس بديار مصر من هذا النوع كان فى خلافة العزيز بالله الفاطمى ووزارة يعقوب بن كلس سنة (٣٧٨هـ/٩٨٨م) عندما بنى العزيز داراً لجماعة الفقهاء بجوار الأزهر، وكان هؤلاء خمسة وثلاثون فقيهاً رتب الخليفة لكل منهم من المعلوم ما يكفيه^(٢٥)، ويغلب على الظن أن هذا المعلوم كان يجرى على المدرسين والطلاب على السواء، وفى هذا ما يثبت أن بناء الدور العلمية للشيوخ والمريدين، وجراية الأرزاق عليهم، كان قد

أصبح حقيقة واقعة في مصر منذ العصر الفاطمي على الأقل.

ثم جاءت الإشارة إلى الأجر المعلوم في شرق العالم الإسلامي في إيران فيما ذكره الإمام السبكي في القرن (٨٨٠هـ / ١٤م) من أن نظام الملك (الحسن بن علي الطوسي) وزير السلطان ألب أرسلان السلجوقي الذي توفي بعد العزيز بالله الفاطمي بقرن من الزمان كان يجري المعاليم على الفقهاء والطلبة^(٣٦)، وفي هذا يقول السيوطي في القرنين (٩-١٠هـ / ١٥-١٦م) أن هذا الوزير كان يحب الفقهاء والصوفية ويكرمهم ويؤثرهم فبنى لهم المدرسة النظامية في بغداد سنة (٥٩٠هـ / ١٠٦٦م)، واقتدى الناس به في بناء المدارس^(٣٧) ومع ذلك فقد عاد السيوطي إلى القول نقلا عن الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام أنه أنكر على من زعم أن نظام الملك كان أول من بنى المدارس مدلا على ذلك بكثير من المدارس التي بنيت قبل أن يولد نظام الملك نفسه، ومنها مدارس نيسابور الأربع (البيهقية والسعيدية والاستراباذية نسبة إلى إسماعيل بن علي الاستراباذي الصوفي ومدرسة أبي اسحاق)^(٣٨) وكانت هاتان الحالتان - على ما يبدو - سببا في شيوع التدريس بأجر معلوم في بقية أنحاء العالم الإسلامي منذ القرن (١١هـ / ١١م)، ويؤيد ذلك ما ذكره ابن جبير في القرن (٦هـ / ١٢م) من أنه شاهد عند زيارته للجامع الأموي في دمشق سنة (٥٨٠هـ / ١١٨م) فقيها إشبيليا عرف بالمرأوي كان يستند إلى سارية من سوارى المسجد وكان لهذه السارية وقف معلوم يأخذه المستند إليها للتدريس والمذاكرة^(٣٩).

ونعود إلى مصر لنجد المقرئ يقول أنه في سنة (٦٨٥هـ / ١٢٨٥م) رتب المنصور قلاوون في قبة درسا للحديث النبوي ودرسا للتفسير^(٤٠)، وفي سنة (٧٠٣هـ / ١٣٠٣م) رتب الأمير ركن الدين يبرس الجاشنكير دروسا للمذاهب الفقهية الأربعة ودرسا لاقراء الحديث في مسجد الحاكم وجعل لكل درس مدرسا وعدة كثيرة من الطلبة^(٤١)، وما لا شك فيه أن تحديد الرواتب للمدرسين وتعيين الجرايات لهم كان بمثابة الخطوة التي اتخذها الخلفاء والولاة - كما قلنا - ذريعة للتدخل في شئون التدريس بصفة عامة، إما تكريما لأحد أو تقريرا له دون أحد آخر، وإما تمييزا للبعض دون البعض لأسباب سياسية أو دينية، ويؤيد ذلك ما ذكره ياقوت في القرنين (٦-١٢هـ / ١٢-١٣م) من أن الشيخ يحيى بن علي الخطيب التبريزي كان قد أخرج من المدرسة النظامية التي رتب لتدريس النحو فيها لاتهامه بالتشيع^(٤٢).

وطبقاً لما أشار إليه القلقشندي في القرنين (٨ - ٩هـ / ١٤ - ١٥م) فقد اعتبرت مشيخة الخوانق (التي لم تكن تختلف كثيراً عن مشيخة المدارس) من الوظائف التي يصدر بها مرسوم من ديوان الإنشاء السلطاني، واختلفت مكانه كل شيخ من شيوخ هذه الخانقاوات تبعاً لأهمية الخانقاة التي يتولى مشيختها^(٣٣) واشترط فيه أن يكون من جماعة الصوفية ممن عرف بصحبة المشايخ، وألا يكون قد أخذ من التصوف حرفة^(٣٤)، كذلك كان الحال بالنسبة للمدرسين، فقد ذكر القلقشندي أيضاً أن وظيفة التدريس بالمدرسة (أو الخانقاة) كانت جليلة القدر، يخلع السلطان على صاحبها ويكتب له توقيعاً من ديوان الإنشاء يختلف باختلاف المادة التي سيقوم بتدريسها، وفي هذا التوقيع يقدم النصيح للمدرس بألا يخل بمكنون علمه على الطلاب، وأن يقوم على الدرس طلق الوجه منشرح الصدر ليستميلهم إليه ويريهم كما يرى الوالد ولده^(٣٥)، وجرت العادة كما يقول الذهبي أن يعين لكل مدرس معيد أو أكثر تكون مهمته أن يعيد للطلبة ما ألقاه الشيخ حتى يزيد فهمهم له ويحسنوه^(٣٦).

أما بالنسبة للطلبة فالراجع أنهم كانوا يتمتعون بحرية اختيار المواد التي يدرسونها، وكثيراً ما اعتمد هذا الاختيار على مكانة المدرس وشهرته العلمية، ويظل الطالب يدرس مع أحد المدرسين أو الشيوخ حتى يأخذ منه كفايته، ثم ينتقل إلى آخر وهكذا، فإذا أتم هذا الطالب دراسته وتأهب للفتيا والتدريس أجاز له شيخه ذلك وكتب له إجازة تشتمل على اسم الطالب وشيخه ومذهبه وتاريخ حصوله عليها إلى غير ذلك من التوثيق الذي يبيح له القيام بالفتيا والتدريس^(٣٧) وكثيراً ما نصت شروط الوقف بالنسبة للخانقاوات على تفضيل الأفقر والأحوج من طلاب أهل البلاد، ثم يليهم في الأفضلية الفقراء المغتربون، علاوة على تقديم الأعزب دون المتزوج للمبيت في خلوات الصوفية بها حتى يكون منقطعاً للعبادة متفرغاً لها^(٣٨).

ولم تخل هذه الدراسة كما يقول السخاوي في القرنين (٩ - ١٠هـ / ١٥ / ١٦م) من ضروب الترويح عن النفس أحياناً، فكثيراً ما أقيمت الحفلات في مختلف المناسبات الدراسية كختم البخاري أو تصنيف كتاب أو نحو ذلك، حيث يقوم صاحب الحفل بإحضار مالد وطلاب من المأكول، فيجلس أهل المدرسة ومعهم الأعيان والقضاة في مناقشات علمية خفيفة حتى ينتهي الحفل الذي غالباً ما كان على نفقة صاحبه ونادراً ما كان على نفقة المدرسة^(٣٩).

والحقيقة أن هذه الحياة العلمية لم تخل - على ما كان لها من حسنات ومزايا - من بعض الأمراض الاجتماعية التي زكاهها التباغض والتحاسد بين العلماء والطلاب على السواء نتيجة تفضيل البعض، ونتيجة تشوق بعض الشيوخ في ذلك العصر إلى المناصب، فبذلوا الأموال في سبيل الوصول إليها، الأمر الذي كان له أسوأ الأثر بين العلماء والطلاب على السواء.

أما بالنسبة للمكتبات في هذه الأبنية فقد أفادتنا بعض المراجع العربية أن غالبية هذه المدارس والخانقاوات كانت تلحق بها خزانة كتب تضم العديد من المؤلفات في مختلف العلوم والفنون، يرجع إليها المدرسون والطلاب للاستزادة من البحث والاستقصاء كل في مجال تخصصه، وكان يشرف على هذه الخزانة أمين للمكتبة يقال له خازن الكتب، كانت مهمته ترتيب هذه الكتب وتنظيمها وحفظها وحجبها وترميمها، بالإضافة إلى قيامه بإرشاد القراء إلى مايلزمهم منها، لذلك كان اختيار هذا الخازن أمراً تحدد له شروط أهمها أن يكون فقيها عالماً يراعى فيه سعة العلم والأمانة^(٤٠).

وقد وجدت خزائن هذه الكتب بالإضافة إلى المدارس في كثير من التربة والربط والخانقاوات، فيذكر ابن خلكان في القرن (١٣هـ/١٣م) أنه عثر في خزانة كتب التربة الأشرفية بدمشق على ديوان في مجلد كبير للشاعر اسعد بن يحيى^(٤١)، ويذكر ياقوت في القرنين (٦-٧هـ/١٢-١٣م) أنه شاهد المكتبة الضميرية في خانقاة بمرور^(٤٢).

وقد الحق بمعظم هذه الخزائن غرف للنسخ، يجلس فيها النساخ على مراتب مهيأة لهم ينسخون عليها الكتب التي يطلب منهم نسخها عن طريق موظف اختص بجلب هذه الكتب إليهم واعادتها إلى أماكنها بعد نسخها، كذلك كانت هذه الخزائن تزود بالبسط والسجاجيد والستائر وجميع ألوان الأثاث الذي يمكن رواد الخزانة من المطالعة المريحة، يؤيد ذلك ما ذكره المقرئى من أن دار الحكمة بالقاهرة لم تفتح للناس إلا بعد فرشت وزخرفت وعلقت الستائر على جميع أبوابها وعمراتها^(٤٣).

ويغلب على الظن أنه كانت هناك بهذه الخزائن غرف للمطالعة وأخرى للمناظرة والاجتماعات والمحاضرات، كما زودت الغرف المعدة لخزن الكتب بالأرفف الخشبية التي جعلت

فى بعض الخزائن مفتوحة دون مصاريع عليها، وذات مصاريع واقفال فى بعضها الآخر لحماية كتوزها من أن تعبت بها أيدي العابثين، وقد درجت أغلب المكتبات على تزويد روادها بالأقلام والأحبار والأوراق وكل ما يساعدهم على النسخ^(٤٤)، وكان يعهد بالإشراف على المكتبات الكبرى إلى ثلاثة أشخاص يأتى على رأسهم المشرف الأعلى ويسمى الوكيل، يليه أمين المكتبة ويسمى الخازن، يليه مساعد الأمين ويسمى المشرف، وقد ظلت المحافظة على هذا النظام الإشرافى الثلاثى قائمة مع مرور الزمن وإن تغيرت فيها المسميات.

٤- تصوف فى غير خانقاوات :

يذكر السخاوى وابن حجر وابن الغزى وغيرهم من مصنفى كتب التراجم العربية كثيراً من المعلومات التى يستفاد منها أن وظيفة التصوف كانت تباشر فى كثير من الأبنية الأثرية التى لم يرد لها ذكر فى أى من المصادر والمراجع التى تحدثت عن الخانقاوات ولا سيما المدارس والترب، وإن دل هذا على شىء فإنما يدل على أنه كان هناك تصوف فى كثير من المنشآت المعمارية المملوكية غير الخانقاوات، وقد أحصينا هذه الأبنية فوجدناها تزيد عن العشرة وهى المؤيدية ومسجد الطواشى علم دار والجامع الجديد الناصرى بمصر والصرغتمشية (بترية الصحراء وبمدرسة حارة الديلم) والفخرية وترية باب القرافة وترية قايتباى والسنقرية.

وقد ذكر السخاوى فى القرنين (٩-١٠هـ/١٥-١٦م) فيما يتعلق بالتصوف فى المؤيدية تراجم عديدة منها ترجمة إبراهيم بن حجاج بن محرز بن مالك الدهان أبو اسحاق الأبناسى ثم القاهرى الشافعى الذى ولد بعد الثمانين وسبعمائة بأبناس (وهى بلدة بالوجه البحرى) وقال «ولم يكن باسمه من الوظائف سوى التصوف بالمؤيدية»^(٤٥).

وترجمة سعد بن محمد بن عبد الله بن سعد بن أبى بكر بن مصلح النابلسى الأصل المقدسى الحنفى نزىل القاهرة الذى عرف بابن الديرى (نسبة إلى الدير الذى بحارة المرد او بين بيت المقدس) وقد ولد فى رجب سنة ثمان وستين وسبعمائة فحفظ واشتغل واجتمع بجماعة من مشايخ الصوفية كالشيخ محمد القرمى وعبد الله البسطامى وسعد الهندى وأبى بكر الموصلى ثم قال «ولى مشيخة المؤيدية تصوفاً وتدرسياً .. مات فى تاسع ربيع الآخر سنة سبع وستين وثمانمائة

بمصر العتيقة ودفن بترية الظاهر خشقدهم^(١٦).

وترجمة عبد القادر بن الشيخ عمر بن حسين بن علي بن شرف بن سعيد بن خطاب محيي الدين الزفتاوى الأصل القاهري المقدسى الشافعى الأحذب الذى ولد بالقاهرة ونشأ بها فحفظ واشتغل إلى أن تنزل فى صوفية المؤيدية وغيرها إلى أن مات فى شوال سنة ثلاث وثمانين (وثمانمائة)^(١٧).

وترجمة عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن هشام الجمال القاهري الحنبلى ويعرف بابن هشام الذى ولد بعد التسعين وسبعمائة بالقاهرة ونشأ يتيماً فحفظ القرآن وأخذ ولازم واشتغل إلى أن تنزل فى صوفية الحنابلة بالمؤيدية أول ما فتحت بتعيين شيخهم العز البغدادي إلى أن مات فى صفر سنة خمس وخمسين (وثمانمائة) ودفن عند أبيه وجده بترية سعيد السعداء^(١٨).

وبالنسبة للتصرف فى مسجد الطواشى علم دار فقد ذكر السخاوى ترجمتين أولاهما ترجمة داود بن سليمان بن حسن عبيد الله ابى زيادة أبو الجود بن ابى الربيع البنى ثم القاهري المالكي البرهاني الذى عرف بأبى الجود، ولد سنة (٧٩٢هـ) ببغداد من الغربية بالقرب من جزيرة بنى نصر، ثم انتقل إلى القاهرة فلازم الاشتغال إلى أن ولى مشيخة الصوفية بمسجد علم دار بدرب ابن سنقر بالقرب من باب البرقية .. مات فى ربيع الأول سنة ثلاث وستين (٨٦٣هـ)^(١٩).

وثانيتها ترجمة زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الزينى الأنصارى السنيكى القاهري الأزهرى الشافعى القاضى الذى ولد سنة (٨٢٦هـ) بسنيكة من الشرقية ثم تحول إلى القاهرة سنة (٨٤١هـ) وعرضت عليه إمامة المدرسة الزينية الأستاذار أول ما فتحت بشرط أن يكون ساكنها فأبى واستمر به العلم بن الجيعان فى مشيخة التصوف بمسجد الطواشى علم دار بدرب ابن سنقر بالقرب من باب البرقية عوضاً عن زينب ابنة شيخه ابى الجود^(٢٠) ولعل فى هذا خير دليل على أن مشيخة التصوف لم تكن قاصرة على مشايخ الصوفية من الرجال وإنما كانت متاحة المجال لأن تتولاها الشيوخات من النساء أيضاً.

وبالنسبة للتصوف فى الجامع الجديد الناصرى بمصر فقد ذكر السخاوى ترجمتين أولاهما ترجمة لرجل يقال له عبد الحميد لم يزد فيها على القول بأنه ولى مشيخة الصوفية بالجامع الجديد

بمصر إلى أن مات في صفر سنة ثمان وعشرين (وثمانمائة) ذكره المقرئى هكذا فى عقود^(٥١).

وثانيتها ترجمة عبد القادر بن عبد الرحمن بن عبد الوارث بن محمد بن يحيى المحيوى ابن النجم البكرى المصرى ثم الدمشقى قاضىها الذى عرف بابن عبد الوارث، ولد بمصر فى شعبان سنة (٨٢٤هـ) فحفظ واشتغل إلى أن «ولى مشيخة الصوفية بالجامع الجديد الناصرى ثم قضاء المالكية بدمشق وحمدت سيرته حتى مات فى جمادى الثانية سنة أربع وسبعين»^(٥٢).

وبالنسبة للتصوف فى الصرغتمشية فلم نعث على تراجم تشير إليه صراحة سوى ترجمة السخاوى لكافور الصرغتمشى الرومى الطواشى الزمام، احد عتقاء منكلى بغا الشمسى، أنشا تربة بالصحراء عرفت به «وعمل فيها خطبة وصوفية ووقف عليها عدة أوقاف، وكذا أنشا مدرسة بحارة الديلم من القاهرة وفيها أيضاً خطبة وصوفية»^(٥٣).

وبالنسبة للتصوف فى المدرسة الفخرية فقد ذكر السخاوى ترجمة واحدة هى ترجمة عبد اللطيف بن عبيد بن أحمد العقبى الطلخاوى ثم الصحرواى القاهرى الشافعى، كان أبوه بواب التربة الناصرية فرج بالصحراء، حضر واستمع وأجيز له حتى «استنزل محمد بن الشمسى بن المرخم عن مشيخة الفخرية تصوفاً وتديساً وباشرهما»^(٥٤).

وبالنسبة للتصوف فى تربة باب القرافة فقد أورد السخاوى ترجمة واحدة هى ترجمة برفوق الظاهرى جقمق الذى كان من خواص السقاة، ثم تأمر فى الأيام الإنالية ورقة الظاهر خشقدم وصار أحد المقدمين، جدد تربة بباب القرافة «وعمل فيها صوفية شيخهم ابن السيوطى بمسفرة الموقع ابنى الطيب السيوطى، ولى نيابة الشام ومات بحلب فى شوال سنة سبع وسبعين»^(٥٥).

وبالنسبة للتصوف فى تربة قايتباى فقد ذكر الشيخ نجم الدين الغزى ترجمة واحدة هى ترجمة زكريا بن محمد بن زكريا الشيخ الإمام شيخ مشايخ الإسلام الأنصارى السنيكى (نسبة إلى بلدة من الشرقية) المصرى الأزهرى الشافعى، ولد سنة (٨٢٣هـ) «جاء مرة رجل شريف أسود من صوفية تربة قايتباى فقال ياسيدى خطفت عمامتى مات فى جمادى الآخر سنة سبع وعشرين وتسعمائة»^(٥٦).

أما بالنسبة للتصوف في السنقرية فلم نجد إلا ترجمة واحدة ذكرها الغزى أيضاً هي ترجمة سنطباى الشيخ المتصوف الذى قال عنه «أخذ نظر السنقرية بالقرب من خانقاة سعيد السعداء وأخرج ما كان فيها من طلبية العلم والصلحاء ووضع فى خلاويها الجلابيقية وكانوا مريدون له يسجدون له ويقرهم على ذلك، فرسم السلطان القورى بنفية إلى القدس بعد أن زجره وقال له إنك تدعى إنك الصوفى المسلك وأنت زوكارى شيطان زغلى أخرج من مملكتى، وكان ذلك فى أوائل شوال سنة إحدى عشرة وتسعمائة» (٥٧).

الفصل الثاني

دراسة صوفية

الفصل الثانى

دراسة صوفية

كان من الضرورى ونحن نتكلم عن خانقاوات الصوفية فى مصر فى العصرين الأيوبي والملوكى أن نتحدث فى فصل من هذا الباب الذى خصصناه للدراسات التمهيدية وعرضنا فى فصله الأول لدراسة الخانقاوات من الناحية التاريخية أن يكون للناحية الصوفية فيه نصيب، لا سيما وأن هذه الناحية ذات علاقة لا تنفصم عمن عاشوا فى هذه الخانقاوات، وكان لهم من العموميات والخصوصيات ما لا يمكن فصله عن مذهب التصوف الذى اتخذوه منهجاً وسلوكاً ومعتقداً، فكان هذا المذهب رائدهم وموجه عاداتهم وإطار معتقدتهم، وسينحصر حديثنا فى هذا المجال فى خمس نقاط رئيسية هى :

١- علم التصوف ونشأته.

٢- أصل كلمة صوفى .

٣- خرقه الصوفية وأزيائهم وعوائدهم.

٤- صفات الصوفية وأحوالهم وطرائقهم.

٥- أعلام الصوفية وخوارجهم.

١- علم التصوف ونشأته :

التصوف لغة مشتق من الفعل الماضى «تصوف» أى لبس الصوف، على وزن تقمص إذا لبس «القميص»، وهو اصطلاحاً منهج مذهبى نهجته الحياة الروحية الإسلامية منذ بواكر نشأتها فى صدر الإسلام، وبهذا المعنى كان التصوف مرآة للحياة الروحية التى يخضع فيها المسلم نفسه لأنواع من الرياضة والمجاهدة، ويعد فيها قلبه لمعرفة الحقائق عن طريق الكشف والمجاهدة.

ويقوم هذا المنهج أصلاً على ما اقتدى فيه المسلمون الأوائل بالنبي ﷺ من زهد ونسك، ويرد

مصدره إلى تحتته صلوات الله وسلامه عليه فى غار حراء قبل البعثة، وإلى ما كان يأخذ به نفسه من عبادة وتهجد واعتكاف بعد البعثة، عندما كان يعتكف بمسجده فى المدينة المنورة فى العشر الأواخر من رمضان، وعندما كان يقيم الليل بالذكر والتعبد فى كل أوقات حياته حتى اعتبر الصوفية ذلك بأنه أعظم المنازل وأرفعها فى عشق الذات الالهيه وجعلوه ﷺ أول صوفى فى الإسلام.

ولكن هذا المنهج ما لبث بحكم دخول غير العرب فى الإسلام ولا سيما من الأمم ذات الحضارات القديمة أن اختلطت فيه عناصر دينية وفلسفية أحات معها التصوف الذى كان يمثل الحياة الروحية الإسلامية الحقة ممثلة فى تصفية النفس وتطهير القلب إلى علم لبواطن الأمور ثم إلى فلسفة روحية استقت من مصادر شتى هندية وفارسية ويونانية ومسيحية حتى أنكر بعض علماء النفس التصوف من أساسه لأنه يقوم فى قسط كبير منه على إحساس ووجدان وكشف، وكل هذه أمور لا يمكن إدراكها على نحو ما صورها الصوفية أنفسهم لأنهم كثيراً ما لجأوا إلى الرمز والمجاز حتى كانت لهم لغتهم المستقلة التى لا يفهمها إلا الخاصة ^(٥٨).

ومع ذلك فقد تمضى فترة من الزمن إلى أن يكون لدينا تصور دقيق للجهود المبكرة التى مهدت لتصنيف كتب مستقلة فى الزهد والتصوف منذ منتصف القرن الثانى للهجرة، فعلى الرغم من أنه كان هناك اتجاه للزهد والتصوف فى صدر الإسلام، إلا أن قضية تدوين أقدم نصوص هذا الزهد لم تأخذ حقها من البحث والتحقيق بعد، باستثناء ما كتبه ماسينيون ^(٥٩) وما أشار إليه ريتز من أقوال الحسن البصرى ^(٦٠) الذى كان واحداً من رواد التصوف الذين أطلق عليهم الزهاد الثمانية، وقد وصف أربعة من هؤلاء بالنسك والزهاد والعباد والبكاؤون بينما وصف الأربعة الآخرون بالفقهاء، ولم يذكر من هؤلاء وأولئك مؤلفاً إلا الحسن البصرى ^(٦١).

ورغم ما وصل إلينا من بعض صحائف الزهد والتصوف للجيل الأول من هؤلاء العباد ممثلاً فيما ألفه زين العابدين على بن الحسين (ت: ٩٢هـ / ٧١٠م) وما ألفه من الجيل الثانى الحارث بن أسد المحاسبى (ت: ٢٤٣هـ / ٨٥٨م) والحكيم الترمذى (ت: ٢٨٥هـ / ٨٩٨م) وغيرهما، فإن رسائل الحسن البصرى كانت ولا تزال هى أقدم ما نعرفه مما صنفه أولئك الصوفية الأوائل،

وكانت هذه الرسائل فى غالب الظن - عبارة عن مواعظ وخطب ووصايا وقصص ومسائل، ذكرها الجاحظ كمختارات من نصوص الزهد المبكرة فى فصل مستقبل من كتابه المعنون باسم «البيان والتبيين»^(٦٢) ثم كان بعد رسائل الحسن البصرى فيما يتعلق بنصوص الزهد المتأخرة ما ألفه عبد الله ابن المبارك (ت: ١٨١هـ / ٧٩٧م) بعنوان «كتاب الزهد» إلى أن كانت أكبر المصنفات فى هذا الصدد فيما ألفه أبو نعيم الأصفهاني بعنوان «حلية الأولياء» وما ألفه ابن العربى فى الفتوحات المكية وغيرهم^(٦٣).

أما فى العصور المتأخرة فيمدنا السخاوى فى القرن (١٠هـ / ١٦م) ببعض هذه المصنفات الصوفية ومنها «العباد والصوفية» لأبى عبد الرحمن السلمى «والرسالة» لأبى القسم القشيرى التى تشتمل على معظم أعلام الصوفية حتى زمانه، «الوحيد فى سلوك أهل التوحيد» (فى مجلدين) لعبد الغفار القوصى، «كتاب الصوفية» فى مجلد لابن الملقن الذى قال أنه جمع فيه طبقات الأعيان وأوتاد الأقطاب من كل قطر، طبقات الصوفية لابن الشرج اليمنى، بهجة الأسرار ولوامع الأنوار فى حكايات الصالحين العلماء والأخيار والصوفية الحكماء الأبرار لأبى الحسين بن جهضم وغيرها^(٦٤).

وقد أدت هذه الصورة غير الواضحة عن الزهد والتصوف فى عصوره المبكرة إلى إتاحة الفرصة لشطحات الفكر ببعض الكتاب الغربيين حتى قال أحدهم فيما نقله آدم متزان أقدم الكتب الصوفية التى وصلت إلينا وهى مصنفات الحارث بن أسد المحاسبى (ت: ٢٤٣هـ / ٨٥٨م) تدل على أنه تأثر بالنصرانية، وأن الحكيم الترمذى وهو من كبار شيوخ الصوفية الأوائل (ت: ٢٨٥هـ / ٨٩٨م) كان يقول أن عيسى عليه السلام هو خاتم الأولياء، وأن المملكة الإسلامية كانت فى ذلك العصر مملوءة بالكثير من المتصوفة الذين ادعوا الوصول إلى الاتحاد بالله^(٦٥).

وفى تعليق جيد مترجم هذا الكتاب على ما ذكره المؤلف فى هذا الصدد ولا سيما فيما يتعلق بعيسى عليه السلام يقول نقلاً عن ابن العربى فى الفتوحات المكية أن عيسى عليه السلام سينزل فى آخر الزمان ويحكم بشرية محمد ﷺ أو باطلاعه، وبهذه الصفة يكون عيسى فى رأى ابن العربى صاحباً أو تابعاً لخاتم النبیین محمد ﷺ وأفضل أمته^(٦٦)، وقد نبه الحكيم الترمذى إلى

ذلك أيضاً في كتابه «ختم الولاية» وشهد لعيسى عليه السلام بالفضيلة عن كبار الصحابة ثم قال المترجم «وقد ترجمت هنا كلام المؤلف لا ينصه بل بحسب الأصول العربية لأن ما يذكره من رأى الحكيم الترمذى في مكانة عيسى بالنسبة لمحمد غير صحيح الأصول»^(٦٧).

والغالب على الظن أن أول ظهور لطوائف الصوفية في مصر كان كما قال الكندى والمقرئى وغيرهما في نهاية القرن الثانى للهجرة حين ظهرت بالأسكندرية سنة (١٩٨هـ/٨١٣م) أول جماعة للصوفية كانت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ترأس عليهم رجل قيل له أبو عبد الله الصوفى^(٦٨)، ويبدو أن هذه الجماعة هى التى كانت تحيط بعيسى بن المتكدر الذى ولى قضاء مصر على عهد المأمون فى العصر العباسى، فكانوا يأتونه وهو فى مجلس الحكم يشكون من ضياع الإسلام فيترك المجلس ويمضى معهم لتفقد شكواهم ثم لم يزالوا به حتى جعلوه يكتب للمأمون بما لا يرضيه فخلعه^(٦٩).

كذلك فقد أضافت بعض المراجع العربية فى هذا الشأن أن قرب مصر من الحجاز كان قد جعلها مقصداً للثوار العلويين من ناحية، كما كانت مقصداً لفقهاء الإمامية الواردية من الكوفة أمثال أبو الفضل الصابونى، محمد بن الأشعث الكوفى أعظم فقهاء الإمامية وغيرهما من ناحية أخرى، وكان لهذا وذاك أكبر الأثر فى قيام مذهب الشيعة الإمامية فى مصر خلال القرن (٣ هـ/٩م) الذى كان من أبرز أئمة على بن سباط المصرى^(٧٠).

ومهما يكن من أمر فإن ما لدينا من مادة لا بأس بها فيما يتعلق بعلم التصوف ونشأته يقول كما ذهب البكرى أن هذا العلم علمان: أولهما «علم الظاهر» وهو معرفة الحقيقة عن طريق الرياضة والمجاهدة، والغرض من هذه الرياضة أن تغلب النفس على الحس فيتكشف لها الحجاب لتعرف الحقائق وتطلع على المغيبات، ولهذا قيل أن أبا القاسم الجنيد فى سؤال عن تعريف العارف قال: من يعلم ما فى نفسه من غير أن تتكلم، وقيل أن من يحصل له الكشف يطلع على كل شئ ما بطن منه وما ظهر، وما كان فى الماضى والحال أو كان فى المستقبل، فالشرعية شجرة والطريقة أغصانها والحقيقة أزهارها والمعرفة أثمارها^(٧١).

وفى هذا يقول ابن خلدون أيضاً أن علم التصوف من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة

الإسلامية وأصله العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الناس والانفراد عن الخلق في الخلوة للتعبد، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف رضوان الله عليهم، فلما أقبل المسلمون على الدنيا في القرن الثاني للهجرة وما بعده اختص المقبلون على العبادة بالصوفية وأصبح إدراك الإنسان للعلوم على نوعين: أولهما إدراك العلوم والمعارف من اليقين والظن والشك والوهم ونحوه، وإدراك للأحوال القائمة من الفرح والحزن والقبض والبسط والحب والغضب والصبر والشكر ونحوه، ومن هذا صار علم الشريعة على صنفين صنف اختص به الفقهاء وأهل الفتيا وتعلق بالأحكام العامة في العادات والمعاملات وسمى بعلم الظاهر، وصنف اختص به القوم (يعنى أهل الصوفية) وتعلق بالمجاهدات والمحاسبات والمراقبات والرياضيات وسمى بعلم الباطن، فلما كتب أصحاب العلم الأول في الفقه والأصول وعلوم الكلام والتفسير وغير ذلك كتب أصحاب العلم الثاني في المجاهدة والورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الأخذ والترك كما فعل القشيري في الرسالة والسهورودي في عوارف المعارف والغزالي في الإحياء ونحوهم، ومن هنا أصبح التصوف علما مدونا بعد أن كان طريقة عبادة فقط^(٧٢).

ومهما يكن من أمر فإن ما قيل عن التصوف بشكل يقبله العقل والمنطق أنه تخلق وتحقق وتعلق، فالذى يناسب العموم من ذلك هو الوقوف عند مرتبة التخلق فيكون الغرض منه في هذه الحالة هو تعليم الناس الآداب الشرعية وحملهم على العمل بها بالكيفية المرضية، وأما ما يناسب الخواص فهو الحصول على مرتبة التحقق والتعلق^(٧٣).

وإنه مبنى على ثلاث خصال هي التمسك بالفقر والافتقار، والتحقيق والبذل والإيثار، وترك التعرض والاختيار، وهو استرسال النفس مع الله سبحانه وتعالى على ما يريد، وهو ذكر مع اجتماع، ووجل مع استماع وعمل مع اتباع، وهو الدخول في كل خلق سنى، والخروج من كل خلق دنى، أوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة وكله آداب لكل وقت أدب، ولكل حال أدب، ولكل مقام أدب، فمن حفظ أدب الأوقات بلغ مبلغ الرجال من صنيع الأداب فهو بعيد من حيث يظن القرب، مردود من حيث يرجو القبول^(٧٤).

ويبدو أن مذهب الصوفية كان قد تأثر بمذهب المعتزلة حينما جعل الصوفية من مسألة

القدرية - وهى أهم النقاط عند المعتزلة - نقطة أساسية فى مذهبهم رغم قول المعتزلة بالقدر أو الجبر أو التوكل الذى لا اضطراب فيه، واعتماد القدر أو الجبر أو التوكل عند الصوفية على أنه ليس ذلك الاقتران الآلى بين الأسباب والمسببات، بل هو التوكل على الله والثقة المطلقة به وترك الأمر كله لمشيئته حتى أنهم قالوا أن العبد بين يدى الله عز وجل كالميت بين يدى الغاسل بقلبه كيف يشاء فلا يكون له حركة ولا تدبير، فكان مذهب الصوفية يقوم من ثم على أربعة أحوال هى التوكل والصبر والرضا والرجاء^(٧٥).

أما مسألة الولاية التى ادعى بعض المستشرقين فيما نقله آدم متزأنها مذهب نصرانى غنوسطى، فكانت من المسائل التى أدخلتها الصوفية فى الإسلام بشكل قوى ظاهر على يد أبو عبد الله محمد بن على الحكيم الترمذى المتوفى سنة (٢٨٥هـ / ٨٩٨م) وكان من جرائها أن قوى اعتقاد الناس بالأولياء، يستوى فى ذلك من تقدم منهم ومن تأخر، وإن كانوا قد وضعوا الحسن البصرى على رأسهم جميعاً، ويدور أن الصوفية بأصولها الثلاثة الكبرى ممثلة فى الاستسلام أو الجبر أو القدرية، وفى الولاية واجلال الأولياء والمزيدين والأتباع، وفى تعظيم النبى ﷺ والعمل بسنته، قد رسمت فى القرنين (٣-٤هـ / ٩-١٠م) اتجاه الحركة الإسلامية التى كانت ولا تزال حتى اليوم^(٧٦).

وفى هذا يقول ابن خلدون أن سلف الصوفية كانوا مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة القائلين بالحلول والهيئة الأئمة مما لم يعرض لأولهم، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر، واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم، وظهر عند المتصوف القول بالقطب وهو رأس العارفين لا يساويه أحد فى مقامه حتى يقبض فيرثه فى هذا المقام قطب آخر وهكذا، وهنا يقول ابن خلدون تعليقاً على ما ذكره ابن سينا فى الإشارات بقوله «جل جناب الحق أن يكون شرعة لكل وارد أو يطلع عليه إلا واحد بعد الواحد» أن هذا الكلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعى، وإنما هو نوع من أنواع الخطابة، وهو بعينه ما تقوله الرافضة بترتيب وجود الإبدال بعد هذا القطب وما يقوله الشيعة فى النقباء حتى أنهم لما أسندوا خرقة التصوف ليجعلوها أصلاً لطريقتهم وتخليهم رفعوها إلى على رضى الله عنه، والمعروف أن علياً رضى الله عنه لم يختص من دون الصحابة بتخليه ولا طريقة فى لباس ولا حال، وكان الصحابة كلهم أسوة فى الزهد والمجاهدة،

وحتى سلف الصوفية الصالح لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب وما يتعلق بهذا النوع من الإدراك، إنما كان همهم الاتباع والابتداء ما استطاعوا، ومن عرض له شيء من ذلك أعرض عنه فلا ينطق به وهكذا يكون حال المريـد^(٧٧).

على أن نقطة يجب ألا تغيب عن الذهن ونحن نتناول مفاهيم الصوفية وهي خلافهم مع العلماء والفقهاء ولا سيما فيما يتعلق بعلم الفقه، وفي ذلك يقول المكي المتوفى (١٣٨٦هـ/٩٩٦م) أن مثل علماء سوء كمثـل صخرة وقعت على فم نهر فلا هي تشرب الماء ولا هي تركته يخلص إلى الزرع، وكذلك علماء الدنيا قعدوا على طريق الآخرة فلا هم نفذوا ولا تركوا العباد يسلكون إلى الله عز وجل، ومثل علماء سوء كمثـل قناة الحسن ظاهرها حسن وباطنها نتن، ومثل القبور المشيدة ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى^(٧٨).

وقد كان ذلك رداً على اتهام الفقهاء لهم بالكفر وفساد العقيدة والخطر على الإسلام مما حدا بالصوفية بالرد عليهم معتمدين في ذلك على أصول العلم وفنون الجدل، فلجأوا إلى التأليف والتصنيف متخذين من العلم سلاحاً يردون به على أعدائهم ويدافعون من خلاله عن أنفسهم، كما اضطروا إزاء شدة اضطهاد الفقهاء ورجال الدين لهم إلى استعمال الرمز والإيحاء حتى لا يفهمهم إلا اتباعهم والراستخون في علمهم^(٧٩).

وقد فرق الصوفية بين المعرفة (أى علم الحقائق) وبين العلم (بمعنى العلوم المألوفة للناس)، يقول الحلاج المتوفى سنة (٣٠٩هـ/٩٢٢م) عجباً ممن لا يعرف شعرة من بدنة كيف تنبت سوداء أم بيضاء، كيف يعرف مكون الأشياء، من لا يعرف المحمل والمفصل، ولا يعرف الآخر والأول والتصاريـف والعلل والحقائق والجيل لا تصح له معرفة من لم يزل^(٨٠).

والذى لا شك فيه أيضاً أن مذهب الصوفية كان قد تأثر بمذهب الشيعة، يدل على ذلك ما أورده بعضهم من القول أن علياً رضى الله عنه كانت له من دون جميع أصحاب الرسول ﷺ خصوصية بمعان جليلة وإشارات لطيفة وألفاظ مفردة وبيان للتوحيد والمعرفة والإيمان والعلم، وخصال شريفة للتعلى والتخلق التزم بها أهل الحقائق من الصوفية^(٨١).

ليس هذا فقط بل لقد ورد فيما نقله الشعبي عن القاشاني المتوفى سنة (٧٣٥هـ/١٣٣٥م) أنه كان لعلي كرم الله وجهه مقاماً سابقاً في الزهد بين الخلائق، وكان ذلك سبباً في تسمية كثير من العلويين مثل محمد بن يحيى ابن عبد الله بن محمد بن عمر ابن علي ابن ابي طالب الذي قتله الرشيد محبوساً وأخوه إبراهيم النائر بمصر سنة (٢٥٦هـ/٨٧٠م) الذي عرف بابن الصوفي، وزيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب الذي عرف بالزاهد الناسك، عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب الذي لبس الصوف، محمد بن جعفر الصادق الذي كان يخرج للصلاة بمكة في مائتي رجل من الجارودية المتدثرين بثياب الصوف، بل لقد أخذ أوائل الصوفية عن أوائل الأئمة من العلويين، ومن ذلك إسلام معروف الكرخي المتوفى سنة (٢٠٠هـ/٨١٥م) على يد الإمام علي بن موسى الرضا المتوفى سنة (٢٠٣هـ/٨١٨م) (٨٢).

ومن هذا يتضح أن علم التصوف - كما يقول ابن خلدون فيما سبقت الإشارة إليه هو من العلوم الشرعية الحادثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل على سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين من العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة إلى أن نشأ الإقبال على الدنيا في القرن الثاني الهجري وما بعده فسمى المقلبون على الله باسم الصوفية أو المتصوفة. (٨٣)

فكان التصوف بذلك في أصله تعبير عن الرغبة في إيجاد الصلة بين الخالق والمخلوق بواسطة التقوى والورع والزهد والتقشف والإعراض عن الثورة والجاه مما يهتم به عامة الناس، والانطلاق من ثم إلى عالم الروح والفضيلة واتباع الهدى.

والواقع أن المناخ السياسي والديني الذي ساد الدولة الإسلامية منذ القرنين (٦-٧هـ/١٢-١٣م) كان واحداً من أهم العناصر الأساسية التي ساعدت على انتشار الصوفية، بعد ما ابتلى العالم الإسلامي كله في الشرق والغرب خلال القرنين المشار إليهما بنكبات متوالية يرجع السبب في معظمها إلى تدهور نظم الحكم وضياح هيبتها وبأس الناس منها، فنزلت بهذا العالم نكبات التتار من ناحية الشرق ونكبات المسحيين الغربيين من ناحية الأندلس، وظل الصليبيون قابعون في منطقة الشرق الأدنى يمثلون خطراً مباشراً على البلاد الإسلامية، وبحول

عدوانهم في الأندلس وبلاد الشام من غارات إلى غزو واحتلال، ومن ثم إلى تكوين ممالك نصرانية على أرض إسلامية، ووقفت دول الإسلام في المغرب عاجزة لاستطيع القيام بشئ يصون أنفس المسلمين ويحمي أموالهم، أما في المشرق فقد ضاع الحزم كلية ووقف السلاجقة أمام العدوان الصليبي موقف عاجز، وانضع أمر الخلافة حتى لم يعد لها في العالم السياسي وزن يذكر، حتى الفاطميين في مصر لم يدركوا حقيقة هذا الغزو إلا في وقت متأخر وخرجوا من ميدان هذا الصراع كلية بعد استيلاء الصليبيين على آخر معاقلهم في عسقلان ودخلت دولتهم في طور الاحتضار^(٨٤).

يضاف إلى ذلك كله كثرة الفتن والاضطرابات واختلال الأمن والمجاعات والأوبئة مما دفع الكثير من عامة الناس إلى الدخول في دائرة التصوف، وشجع على ذلك سلاطين الممالك الذين شاركوا عامة الشعب في الصوفية والعطف عليهم، وليس أدل على ذلك من كل هذه الخواص التي أنشأوها وأوقفوا عليها الأوقاف الكثيرة وأغدقوا منها الرواتب والجرايات على صوفيتها، مما كان له - على ما يبدو - أكبر الأثر في صبغ الحياة المصرية بصبغة الزهد في الدنيا والاتجاه للآخرة، وترتب على هذا الشعور في النهاية نشر روح الاستكانة والقناعة والتذلل بين عامة الناس مما لا تزال بقاياها في نفوس الكثيرين حتى اليوم^(٨٥)، وأن دل ذلك على شئ فإنما يدل على أن الصوفية وغيرها من الأنشطة الدينية التي اتخذت الصبغة الدينية في عصر المماليك مظهراً لها كانت في الواقع السترات التي أخفى وراءه حكام هذه الدولة ما كان قد عظم من أمورهم السيئة في شتى المجالات من السلب والنهب والمصادرة والرشوة والسخرة والعقوبات والزنا واللواط وغيرها من الجوانب التي لم تحظ بعد بكتابات هادفة جادة توفيقها حقها من البحث والدراسة.

فمن هذا المناخ العام لدولة الإسلام شعر المسلمون أنهم يقفون في عجز كامل أمام أعداء لا يرحمون، فالتجته قلوبهم ونفوسهم إلى الله سبحانه وتعالى يسألون الغوث للإسلام وأهله، والتفت قلوبهم حول طوائف الصوفية ونحوهم من الزهاد والعباد والأولياء، فازدادت أهمية هؤلاء

الناس وتتوعدت أشياءهم وأشكالهم، وكان لهم في ذلك ترتيب محكم أوله الأبدال (وهم اثنا عشر ولياً) كلما توفي أحدهم استبدل الله سبحانه وتعالى به غيره، وثانيه الأقطاب (وهم رؤوس المعرفة ومفاتيحها) وثالثه الأولياء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ونشأ من هذا العصر الذهبي للتصوف^(٨٦).

٢- أصل كلمة صوفى :

مما لا شك فيه أن هذه الكلمة كانت مصدر خلاف كبير بين الباحثين الذين تناولوا تلك النقطة في كتاباتهم بالبحث والدراسة واستوى في ذلك القدامى منهم والمحدثون.

يقول المقرئى في القرن (٩هـ/١٥م) نقلاً عن أبى قاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (٣٤٧هـ/١٤٠٥) أنه لم يكن للمسلمين على عهد رسول الله ﷺ من تسمية إلا «الصحابة» إذ لا فضيلة فوق صحبتته صلوات الله وسلامه عليه، فلما كان العصر الثانى سُمى من صحب الصحابة «بالتابعين» وهكذا، ولم ير هؤلاء وأولئك أشرف من هذه المسميات فاتخذوها^(٨٧).

فلما اختلف الناس وتباينت المراتب عندهم ولا سيما بعد أن اتسعت مملكة الإسلام وأقبل الناس على الدنيا قيل لخواصهم ممن عنوا كثيراً بأمر الدين «الزهاد والعباد»، ثم ظهرت البدع الدينية وحصل التداعى بين الفرق فادعى كل فريق أن منهم زهاداً وعباداً فانفرد خواص أهل السنة المراعون لأنفسهم مع الله سبحانه وتعالى الحافظون لقلوبهم عن ظواهر الغفلة باسم «الصوفية» واشتهر هذا الاسم لهؤلاء قبل المائتين من الهجرة^(٨٨).

وغلبت هذه التسمية على تلك الطائفة من خواص أهل السنة الذين انقطعوا للزهد والتقشف فقبل للرجل «صوفى» وللجماعة «صوفية» ومن يتوصل منهم إلى ذلك يقال له «متصوف» وللجماعة «متصوفة» ورغم أنه لا يشهد لهذه الصفة من حيث العريية قياس ولا اشتقاق، ورغم أن الأظهر فيه أنه كان كاللقب، إلا أنه يغلب على الظن أنه من الصوف من قولهم «تصوف» إذا لبس الصوف قياساً على قولهم تقمص إذا لبس القميص، وقد فصل البكرى المتوفى سنة (١٣٥١هـ/١٩٣٢م) في كتابه «نشأة التصوف والصوفية» القول في هذا المجال فذكر ما قيل

من أن هذه التسمية نسبت إلى أهل الصفة في مسجد رسول الله ﷺ وبين أن النسبة إلى الصفة لا تجيء على وزن «صوفى» وإنما تجيء على وزن «صفى» ثم أورد ما قيل من أنها نسبت إلى «الصف المتقدم» بين يدي الله سبحانه وتعالى فبين أن النسبة إلى الصف لا تأتي على وزن «صوفى» وإنما على وزن «صفى» وما قيل من أنها نسبت إلى «الصفوة» من خلق الله فأوضح أن النسبة في هذه الحالة لا تأتي على وزن «صوفى» وإنما تأتي على وزن «صفوى».

ليس هذا فقط بل لقد أورد ما قيل من أنها نسبت إلى صوفة بن بشر بن أذ بن طائجة (وهى قبيلة من العرب جاورت بمكة في الزمن القديم) ورد عليه بأن هذا السند ضعيف لأن هذه القبيلة لم تكن مشهورة ولا معروفة عند أكثر النساك، ولأنه لو نسب النساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين أولى، ولأن أغلب من تكلم في الصوفية لا يعرف من هذه القبيلة أحداً ولا يعقل أن تنسب الصوفية إلى قبيلة جاهلية لا وجود لها في الإسلام.

وانتهى البكرى في ذلك إلى القول بأنها نسبت إلى لبس الصوف، وكان أول ظهورها في البصرة لأن أول من بنى دويرة للصوفية هم بعض أصحاب عبد الواحد أبن زيد أحد صحابة الحسن البصرى، والمعروف أنه كان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ما لم يكن في سائر الأقطار الإسلامية، حتى قيل «فقه كوفى وعبادة بصرية»، وخلص البكرى من ذلك إلى أن التصوف مأخوذ من لبس الصوف رغم انكار القشيري نسبة الصوفية للصوف، ورغم عودته إلى القول بصواب ما قاله أبو الريحان البيروني من أن التصوف مأخوذ من الكلمة الأعجمية «سوفيا» ومعناها الحكمة^(٩٩).

ويغلب على الظن أن الجاحظ البصرى كان أول من استعمل هذه الكلمة عند حديثه عن النساك^(١٠٠) ثم عم استعمالها في أواخر القرن (٢٠٠هـ / ٨م) وأوائل القرن (٣٠٠هـ / ٩م) حين شاعت الكلمة في بلاد ما بين النهرين ولا سيما الكوفة، وسرعان ما عرف بها صوفية الإسلام بصفة عامة في بلاد ما بين النهرين وفي غيرها، حتى أصبحت هذه الكلمة صفة يميز بها السالكون طريق الله من خواص المسلمين عن غيرهم من عامة المتدينين وعلماء الظاهر^(١٠١).

وهكذا يتضح أنه رغم اختلاف الباحثين في أصل هذه الكلمة - كما أشرنا - إلا أن شبه

المتفق عليه أنها مشتقة من «الصوف» الذى اختص الصوفية بلبسه تمييزاً لهم عن يلبسون فاخر الثياب ممن فتنهم الدنيا، حتى قيل أن الصوفى هو من لبس الصوف على الصفا، وأطعم الهوى ذوق الجفاء، وكانت الدنيا منه على القفاء، وسلك منهاج المصطفى^(٩٢)، ومن هنا كان الصوف لباس المتقدمين من سلف الصوفية لكونه أقرب إلى التواضع والزهد من ناحية، ولكونه لباس الأنبياء عليهم السلام ومنهم موسى وعيسى ويحى ومحمد من ناحية أخرى، والتزم التابعون من الصوفية بلبسه، بل كانوا يحرسون على ترقيعه لما عرفوه من أن النبى ﷺ كان يرقع ثوبه، وكذلك كان يفعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى صارت المرقعة عنراً عليهم^(٩٣).

٣- خرقة الصوفية وأزياؤهم وعوائدهم:

يقول الشعرانى فيما يتعلق بخرقة التصوف أنه إذا ارتبط أحد من الصوفية بشيخ من مشايخها وأصبح من مريديه ألبسه الشيخ خرقة التصوف، ومن هنا تصبح العلاقة بين المريد وشيخه على صورة الميت فلا يقدر أن يتحدث بين يديه إلا بإذنه ولا يعمل شيئاً إلا بإذنه^(٩٤)، وليت الأمر كان قد اقتصر عند هذا الحد، بل لقد بالغ بعض مشايخ الصوفية فى عصر المماليك بما لا يقبله عقل فى هذا الشأن، يدل على ذلك ما ذكره ابن الحاج من أن هؤلاء الشيوخ كانوا يشترطون على مرديهم ألا يبقى لهم مع شيوخهم تصرف فى مال ولا زوج ولا نفس^(٩٥)، حتى أصبح إخلاص المريد لشيخه ينحصر كما يقول الشعرانى فى مداومته على حضور مجلسه فإذا انقطع المريد يوماً لزلة وقعت منه أو لى سبب من الأسباب عد هذا الانقطاع طلاقاً رجعيّاً بينه وبين شيخه، وللشيخ أن يقبله إذا رجع لأن حرمة لا تزال باقية^(٩٦).

ويبدو أن العلاقة بين المريد وشيخه بعد أخذ العهد واللباس الخرقة كانت قد تخطت المرحلة الدنيوية إلى المرحلة الأخروية أيضاً، يدل على ذلك ما ذكره كل من السخاوى وابن تغرى بردى من أن كثيراً من الصوفية كانوا قد حرصوا على أن يدفنوا بجوار مشايخهم وأوصوا إلى أهليهم بذلك ومنهم من اتخذوا قرافات خاصة بهم أحاطوها بأسوار حتى لا يشاركهم فيها غيرهم^(٩٧).

وقد فصل البكرى كيفية إعطاء العهد واللباس الخرقة فقال أن الطالب أو المريد إذا جاء ليأخذ العهد على شيخه كان يؤمر بالوضوء ثم بصلوة ركعتين لله تعالى بنية التوبة والإنابة

الخالصة، ثم جلس المرشد أو الشيخ على سجاده مستقبلاً القبلة جاثياً على ركبتيه بكل الأدب والخشوع، ويجلس الطالب أو المريد أمامه فيقرأ الشيخ الفتحة ثلاثاً ويأخذ بيد المريد ثم يقرأ قول الله عز وجل «إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً»،^(٩٨) ثم يقول للمريد قل «استغفر الله العظيم» «استغفر الله العظيم» «استغفر الله العظيم» الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، تبت إلى الله ورجعت إلى الله ونهيت نفسى عما نهى الله، ورضيتك شيخاً لى ومرشداً لطريقة سيدى القطب الولى (ويسميه) فهذا الطريق طريقي وهذا المنهج منهجى وهؤلاء الإخوان إخوانى والطاعة تجمعنا والمعصية تحول بيننا والعهد عهد الله واليديد سيدنا رسول الله ﷺ والبيعة بيعة شيخنا وسيدنا السيد العارف القطب (ويسميه) والله على ما نقول وكيل، فإذا ما انتهى الشيخ من ذلك والمريد يردده خلفه قال له وأنا أقمتك مريداً بهذه الطريقة فاسمع منى كلمة التوحيد بطريقة التلقين تتلقفها منى كما تلقفتها من مشايخى، وحينئذ يغمض الشيخ عينه ويقول (لا اله إلا الله) ثلاثاً ثم يقولها المريد بعده ثلاثاً أيضاً، فإذا أتمها دعى له الشيخ بالتوفيق والإخلاص والبركة بما يفتح الله عليه من دعاء الخير ويختتم دعاءه بالفاتحة^(٩٩).

والذى لا شك فيه أن عهد التصوف واللباس الخرقه لم يزل على الصلاح مازال السلف على جادة الطريق وصحته، ثم ما لبث أن انحدر من الحقائق إلى الظواهر حتى قال بعضهم نقلاً عن ابن الجوزى أن الزهد كان فى بواطن الأمور فصار فى ظواهر الثياب، وكان الزهد خرقه فصار اليوم خرقه، ويحك صوف قلبك لا جسمك وأصلح نيتك لا مرقتك^(١٠٠).

وقد امدنا كل من ابن بطوطة وابن حجر والسخاوى ببعض من لبسوا خرقه التصوف فيقول ابن بطوطة - فيما نقله الدكتور حسين مؤنس - بعد أن وصل إلى القدس الشريف ووصفه وصفاً مفصلاً وذكر مزاراته وأسماء من لقيهم فيه من الفضلاء ومنهم الشيخ الصالح العابد أبو عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن مصطفى من أهل أرزن الروم، وهو من تلاميذ تاج الدين الرفاعى الذى قال عنه «صحبته ولبست منه خرقه التصوف وكان ذلك على الطريقة الرفاعية»^(١٠١).

وذكر ابن حجر فى هذا الصدد مسعود بن عبد الرحمن بن صالح الجعبرى الذى لبس

خرقة التصوف من القطب القسطلانى وقال أنه عمر نحواً من تسعين سنة وليس الخرقة منه جماعة من شيوخنا ومات بالجيزة سنة (٧٥٥هـ/١٣٥٤م) (١٠٢).

أما من ذكرهم السخاوى فمنهم إبراهيم بن محمد بن داود بن شمس بن رستم بن عبد الله البرهان أبو اسحاق الشمبارى ثم المكى الشافعى الزمزمى (نسبة لبئر زمزم التى كان يلى أمرها كأبيه) ولد فى جمادى الأولى سنة (٧٩٧هـ/١٣٩٤م) بمكة وقرأ فى التصوف وليس خرقة من الزين الحافى والغزالى وأذن له فى لباسها (١٠٣)، ومنهم أحمد بن محمد بن محمد الجلال أبو الطاهر بن شمس المدنى الحنفى الأخوى، ولد فى جمادى الأولى سنة (٧١٩هـ/١٣١٩م)، كان يدخل الخلوة الأيام البيض من كل شهر مدة سنتين ... لبس من العفيف المطرى وابن جماعة الخرقة الصوفية وهى فرجية من صوف أزرق (١٠٤)، ومنهم أحمد بن موسى بن أحمد ابن على الشهاب اليمنى المشرع ولد سنة (٨٢٩هـ/١٤٢٥م) وتفقه قليلاً ثم صحب إسماعيل بن أبى بكر بن الشيخ إسماعيل الجبرتى ولبس منه الخرقة (١٠٥).

هذا فيما يتعلق بخرقة التصوف وعهده، أما فيما يتعلق بأزياء الصوفية وعوائدهم وأرزاقهم، فقد أمدتنا المصادر والمراجع العربية بكثير من المعلومات الهامة فى هذا الصدد ومنها فيما يتعلق بأزيائهم أنهم كانوا يعتمدون كما يقول ابن الجوزى إلى ثوبين أو ثلاثة كل واحد فيها على لون فيجعلونها خرقةً ويقطعون من كل ثوب قطعة ويخيطون هذه القطع بعضها مع بعض ويعملون منها ثوباً يسمونه مرقعة، ومنهم من كان يلبس الصوف تحت ثيابه ومن كان يلبسه فوق ثياب لينة على جسده، وبذلك تميزت طبقات الصوفية بلبس الثياب الصوفية المرقعة مع فوطة مدلاة على رؤوسهم، وكانوا يفضلون اللون الأزرق ربما لكونه لون حداد أو لكونه زياً يلائم الرجال أكثر من غيره من الألوان، أما الزهاد منهم فقد لبسوا الملابس الخشنة ذات الأشكال البسيطة واتخذوها من القماش الرخيص الثمن، وكان منهم من يجعل على رأسه خرقة مكان العمامة، ومنهم من لم يكن له سوى ثوب واحد زهداً فى الدنيا، وإن أمكن اتخذ ثوباً آخر للجمعة والعيدى، ومنهم من لبسوا الخفاف الأحمر شهرة، وإن كان ذلك كله لم يمنع بعضهم من أن يلبس الثياب المرتفعة الثمن كما فعل أبو العباس بن عطاء الذى لبس المرتفع من البز والديقى وسبح بمسبحة من اللؤلؤ (١٠٦).

ومنها فيما يتعلق بموائدهم أنه كانت لهم داخل زواياهم آداب خاصة وقواعد مرعية ولا

سيما في طعامهم وصلاتهم ومع الوافدين عليهم (من البلاد الخارجية) يوم الجمعة، وانحصرت هذه العوائد فيما يختص بطعامهم - وفقاً لما أشار إليه ابن بطوطة - في قيام خادم الزاوية أو الخانقاة بمقابلة الصوفية كل صباح ليعين له كل منهم ما يشتهي من الطعام، فإذا اجتمعوا للأكل جعلوا لكل منهم خبزاً ومرقه في إناء على حده، وطعامهم مرتين في اليوم ولهم الحلاوة من السكر في كل ليلة جمعة، وفيما يختص بصلاتهم أن يجلس كل منهم على سجادة مختصة به، وإذا صلوا صلاة الصبح قرأوا سورة الملك وسورة عم، ثم يؤتى بنسخ القرآن مجزأة فيأخذ كل صوفي جزءاً ويختمون القرآن ويذكرون، ثم يقرأ القراء على عادة أهل المشرق، ومثل ذلك يفعلون بعد صلاة العصر، وفيما يختص بالقادمين عليهم من البلاد الخارجية أن يأتي القادم إلى باب الزاوية أو الخانقاة فيقف به مشدود الوسط وعلى كاهله سجادة ويمناه العكاز ويسراه الإبريق فيعلم البواب بمكانه فيخرج إليه ويسأله من أى البلاد أتى وبأى الزوايا نزل في طريقه ومن شيخه، فإذا تأكد من صحة قوله أدخله الزاوية وفرش له سجادته في موضع يليق به وأراه موضع الطهارة فيجدد الوضوء ويأتى إلى سجادته فيحلق وسطه ويصلى ركعتين ويصافح الشيخ ومن حضر معه ثم يقعد مع الحاضرين، وفيما يختص بعوائدهم في يوم الجمعة أن يأخذ الخادم جميع سجاجيدهم فيذهب بها إلى المسجد ويقرشها لهم هناك، ثم يخرج الصوفية من خانقاتهم مجتمعين ومعهم شيخهم، وعندما يأتون المسجد يصلى كل منهم على سجادته فإذا فرغوا من الصلاة قرأوا القرآن على عادتهم ثم ينصرفون مجتمعين مع الشيخ إلى زائرتهم مرة أخرى^(١٠٧).

وقد لخص البكرى أعمال الصوفية في عملين جليلين: أولهما هداية المسلمين بمعنى تعليمهم وإرشادهم، وثانيهما هداية غير المسلمين للإسلام بمعنى إدخالهم في الدين، ولهذا وجب في رأيه أن يكون في الأمة رجال أقاموا أنفسهم معلمين ومرشدين، وهؤلاء هم الصوفية أصحاب هذا الشأن وفرسان هذا الميدان في سائر الأصقاع والبلدان، ولهم في ذلك على الخاصة والعامة الفضل والسلطان، وتراهم في إفريقيا وأواسط آسيا وفي الأقطار الهندية وجزر المحيط والبلدان الصينية يدعون للإسلام ويدخلون الناس فيه أفواجا^(١٠٨)، ليس هذا فقط وإنما كانت لهم داخل خانقاواتهم أعمال كثيرة منها التدريس والدراسة والنسخ والوعظ والقضاء والميقات والقراءة والشهادة ونحو ذلك^(١٠٩).

من الأوقاف المرصودة لهذه الخانقاة أو تلك، ومنها وضع من يقوم بالتدريس فيها من المشايخ والفقهاء، فقد شرط صلاح الدين مثلاً لنجم الدين الخبوشانى الذى تولى مشيخة الخانقاة الصلاحية ولمن يأتى بعده أربعين ديناراً عن التدريس وعشرة دنائير عن النظر فى الوقف شهرياً، بالإضافة إلى ستين رطلاً من الخبز وراوتين من ماء النيل يومياً حتى اضطربت الأوقاف فخفضت هذه الأرزاق إلى الربع^(١١٠).

كذلك فقد أشار المقرئى إلى أنه كان يصرف لكل صوفى فى اليوم رطلاً من لحم الضأن المطبوخ، وأربعة أرطال من الخبز النقى، علاوة على أربعين درهماً ورطلاً من الحلوى ورطلين من زيت الزيتون ومثله من الصابون فى كل شهر، ليس هذا فقط بل كان يصرف لكل منهم ثمن الكسوة فى كل سنة، وتوسعة فى رمضان وفى العيدين ومواسم رجب وشعبان وعاشوراء، وكلما ظهرت فاكهة صرف له مبلغ لشرائها، يضاف إلى ذلك كله أنه كان بكل خانقاة خزانة للأشربة والأدوية يصرف منها مرضى الصوفية ما يصفه لهم أطباؤها من الطبائعيين والجراثيمين والكحاليين^(١١١).

كذلك كان يفرق عليهم أول كل رمضان كيزان الماء الجديدة والأشنان لتنظيفها وتنظيف قدورهم بعد تبيضها، كما يعين لهم بالحمام حلاق لتدليك أبدانهم وقص شعورهم، فكان المنقطع بذلك لا يحتاج إلى شىء آخر، وكفى بذلك شاهداً على ما أحدثته الخانقاوات فى المجتمع باسم الدين، وزاد الطين بلة أن انتشار الفقر والفاقة بين الناس فى أواخر عهد الدولة المملوكية أن أقبل كثير منهم على التصوف فضمت الخوانق كثيراً من الدخلاء الذين أقبلوا على هذه الحياة ليس رغبة فى الانقطاع للزهد والعبادة وإنما فراراً من قسوة هذه الحياة ورغبة فى بسطة العيش دون عناء، وهنا ظهر بين الصوفية من شغلته الدنيا فأنصرفوا عن الذكر والعبادة إلى البحث عن المال والمتاع فى ظل الأوقاف الواسعة التى تمتعت بها الخوانق حتى وجد من هؤلاء الصوفية من ارتبط بأكثر من خانقاة طمعا فى المال دون غيره، حتى أصبح هؤلاء - كما قال المقرئى - ولا ينسبون إلى علم ولا ديانة وإلى الله المشتكى^(١١٢)، وهنا كانت الكارثة عندما اجتمع فى مجالس الصوفية الأراذل وأصحاب المغانى والملاهى فأخذوا أموال الوقف ليصرفوها فى اللهو والمسكرات حتى نسب إليهم قولهم (حشيشة الفقراء) فوقعت مسئولية نشر هذه الآفة الاجتماعية بين الناس على

كاملهم^(١١٣).

٤- صفات الصوفية وأحوالهم وطرانقهم :

لقد أمدتنا المصادر والمراجع العربية بكثير من المعلومات الهامة عن صفات الصوفية وأحوالهم وطرانقهم فيقول ابن خلدون أن للصوفية إدراكات وإدارات وأحوال ينشأ بعضها من بعض كما ينشأ العلم من الأدلة، فكل مرید في مجاهدته وعبادته لا بد أن ينشأ له عن كل مجاهدة حال إما أن تكون نوعاً من العبادة فتصبح مقاماً للمريد، وإما أن تكون صفة حاصلة للنفس من حزن أو سرور ونحوه، وبظل المترقى يرقى من حال إلى حال حتى ينتهي إلى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة، وإذا وقع خلل في النتيجة فإن مرده لا بد وأن يكون إلى تقصير حدث في الحال الذي قبله ولهذا يحتاج المريد دائماً إلى محاسبة نفسه^(١١٤).

وقد اتخذت الصوفية في ذلك العصر اصطلاحات خاصة بهم منها مثلاً الروح الأعظم التي تشير إلى العقل الأول، وروح المضاف التي تشير إلى النفس الكلية، والرياضة التي تشير إلى تهذيب الأخلاق النفسية إلى غير ذلك من الاصطلاحات الكثيرة التي عرفت عنهم^(١١٥)، حتى قيل أن الطريقة هي عبارة عن الفضائل المكتسبة التي هي المقامات، وأن أوضاع الصوفية هي الأحوال التي تبدأ بمرحلة إنكار الذات والفقر والصبر والتوكل على الله، لأن المريد هو الذي يضع أعمال القلب فوق أعمال الحواس وهو الذي يجعل النية فوق العمل^(١١٦).

وغالباً ما كان يتبع المجاهدة كشف الحس - لأصحاب الخلوة والذكر والإطلاع - على عوالم من أمر الله، وهو ما يسمى بالكرامات، فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدركه سواهم، ويبدو أن الصحابة رضوان الله عليهم كان حظهم من هذه الكرامات - على ما كان لهم من المجاهدة - عظيم، لكنهم لم يهتموا بهذه الأشياء، إلا أن المتأخرين من الصوفية قد غالوا في هذه الدائرة فذهبوا إلى القول بالحلول والوحدة مع الله سبحانه وتعالى كما فعل الهروي وابن العربي وابن سبئين وتلاميذهم مثل ابن العفيف وابن الفارض والنجم الإسرأيلي وغيرهم.

أما ابن جببر فيذكر مجمل ما كان يتصف به أهل الصوفية في زمنه فيقول أنهم الملوك بهذه البلاد (أى البلاد التي زارها) لأن الله قد كفاهم مؤن الدنيا وفضلها، وفرغ خاطرهم لعبادته

من الفكر في أسباب المعاش، وأسكنهم في قصور تذكروهم بقصور الجنان، وهم على طريقة شريفة وسنة في المعاشرة عجيبة^(١١٧)، وسيرتهم في التزام الخدمة غريبة، وعوائدهم في الاجتماع للسمع جميلة، وهم أهل أدب ومعرفة وترتيب أمورهم عجيب لأن حياة الصوفى الحقة كانت قد قامت على أساس من التقشف في الملبس والمأكل وغير ذلك من أمور الدنيا مما عبر عنه العارف بالله إبراهيم الدسوقي فيما ذكره الشعراني بقوله «أن قوته الجوع ومطره الدموع ووطره الرجوع»^(١١٨)، وقد نقل المقرئ عن السهروردي أن - الصوفى الحق هو الذى يضع الأشياء فى مواضعها، ويدير الأوقات والأحوال كلها بالعلم، ويقيم الخلق مقامهم ويقيم أمر الحق مقامه، ويستر ما ينبغى أن يستر، ويظهر ما ينبغى أن يظهر، ويأتى بالأمور فى مواضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق وإخلاص^(١١٩)، وعلى أساس من هذه الأخلاقيات والعبادات عرفت قبور من دفن من أوائل الصوفية بقرافة مصر - كما قال ابن ظهيرة - باستجابة الدعاء لمن يدعو عندها ولا سيما ذى النون المصرى^(١٢٠).

وعند الإمام الغزالي رحمه الله أن التصوف أمر باطن لا يمكن ضبط الحكم بحقيقته، بل يمكن ضبطه بأمور ظاهرة يعول عليها أهل العرف، والتفصيل فيه أن الصوفى يتصف بخمس صفات هى الصلاح والفقر وزى الصوفية وألا يكون مشغلاً بحرفة وأن يكون مخالطاً للقوم (الصوفية) بطريقة المساكنة^(١٢١).

وإذا كنا نتفق مع بعض الصفات التى ذكرها الغزالي فى هذا الصدد ولا سيما الصلاح والمساكنة، فإننا نختلف معه فيما ذكره من الصفات الأخرى ولا سيما الفقر وانعدام الحرفة لأن الإسلام فى حقيقته لا يحبذ الفقر ولا يرضاه للإنسان المسلم إلا إذا كان قضاء من الله سبحانه وتعالى، لأن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، ولنا أن تصور حال أمة الإسلام لو كان كافة أهلها فقراء يعيشون عالة على بقية الأمم يتكفونهم مخالفين بذلك ما قاله رسولهم الأعظم ﷺ فيما نقله الزبير بن العوام رضى الله عنه من حديث يقول «لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله به وجهه خير له أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»^(١٢٢)، وما روى عن ثانى الخلفاء عمر بن الخطاب رضوان الله عليه حين قال إذا عرفت الرجل سألت عنه أله حرفة فإن قالوا لا سقط من عيني.

فالإسلام فى حقيقته يدعو للعمل ويحبب فيه حتى أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قال فيما نقله المقداد بن معد يكرب ما معناه «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وأن نبي الله داوود كان يأكل من عمل يده»^(١٢٣) وقوله ﷺ من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له^(١٢٤)، وفوق هذا وذاك فنحن نعرف أنه لا رهبانية فى الإسلام ولا انقطاع لعبادة بغير عمل، ومن هنا كان التصوف الذى عرفته خاتقاوات مصر المملوكية ولاسيما فى عصرها المتأخرة ليس من الإسلام فى شىء، بل هو بدعه ابتدعتها السلاطين والأمراء لحاجات فى أنفسهم، وساعدهم عليها مرتزقة لبسوا خرق هذا التصوف بين سواد من الخلق لا يعرفون الحقيقة فصدقوهم.

يؤيد ذلك ما قاله المقرئ فى هذا الصدد نقلاً عن السهروردى رحمه الله من أن قوماً من المفتونين لبسوا ألبسة الصوفية لينسبوا إليهم وما هم منهم فى شىء بل هم فى غرور وغلظ، يتسترون بلبسة الصوفية توكياً تارة ودعوة أخرى، ويتتهجون مناهج أهل الإباحة، ويزعمون أن ضمائرهم خلصت إلى الله تعالى، وأن هذا هو الظفر بالمراد والارتسام بهراسم الشريعة، وتلك رتبة العوام والقاصرين فى الأفهام، وهذا هو عين الإلحاد والزندقة والإبعاد، ثم أضاف إلى ما ذكره السهروردى قوله «ذهب والله ما هنالك وصارت الصوفية كما قال الشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمرى :

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| ما شروط الصوفى فى عصرنا اليو | م سوى ستة بغير زيادة |
| وهى (٠٠) العلوق والسكر والسط | لة والرقص والغناء والقيادة |
| وإذا ما هذى وأبدى اتحاداً | وحلولاً من جهلة أو إعادة |
| وأبى المنكرات عقلاً وشرعاً | فهو شيخ الشيخ ذو السجادة |

ثم قال «وتلاشى الآن (أى على عهده فى القرن ٩هـ/١٥م) حال الصوفية ومشايخها حتى صاروا من سقط المتاع لا ينسبون إلى علم ولا ديانة وإلى الله المشتكى»^(١٢٥).

هذا عن صفات الصوفية وأحوالهم، ولا سيما المتقدمين منهم والمتأخرين، أما عن طوائفهم

وطوائقهم فقد أمدتنا المصادر والمراجع العربية بكثير منها، في مقدمته ما ذكره البكري من أن مصر تشتمل على نحو من أربعين طريقة من الطرق الصوفية، واتخذ من ذلك مدخلاً لمحاولة الوصول إلى تعداد هؤلاء المتصوفة في مصر بقوله أنه لو أن لكل طريقة نائب واحد في كل مركز من المراكز التي لا يقل عددها عن مائة مركز، ولو كان لكل خليفة مائة مرید فقط لحصل من ذلك نحو أربعة ملايين نفس هم جمهور الصوفية في مصر^(١٢٦).

والحقيقة أن الصراع بين الفقهاء والمتصوفة فيما أشير إليه كان قد أسفر بالنسبة للصوفية عن تكون فرق كانت أشبه ما تكون بالأحزاب، ثم اتخذت كل فرقة من هذه الفرق لنفسها بعض الأسس والمبادئ والأصول، وكان من نتيجة ذلك أن ظهر لكل فرقة شيخ وأتباع، ومن هنا أصبحت الصوفية كما قال المناوي وغيره صوفية جماعية بعد أن كانت صوفية فردية^(١٢٧). وبذلك كثرت أعداد فرق الصوفية وأصبح أتباعها يكونون قطاعاً هاماً في المجتمع له ثقاليده ونظمه وخصائصه، فكان ضرورياً من ثم أن تنشأ الخوانق لمثل هذه الجماعات والفرق.

وهكذا انقسم الصوفية في مصر إلى فرق عديدة لكل منها كما ذكر ابن خلكان شيخها وشعارها فالأحمدية التي نسبت إلى السيد أحمد البدوي مثلاً كان شعارها اللون الأحمر، والرفاعية التي نسبت إلى أبي العباس أحمد الرفاعي كان شعارها العمائم السوداء^(١٢٨)، وقد جرت العادة في عصر المماليك أن تصدر تولية شيخ الطائفة الصوفية كما قال ابن إياس من السلطان، فيخلع عليه بالقلعة وينزل منها في حفل كبير يحيط به سائر فقراء طائفته^(١٢٩).

ولم يقتصر الأمر بالنسبة لطوائف الصوفية على الأحمدية والرفاعية وغيرهما في مصر، بل كانت هناك طوائف أخرى كثيرة في بلاد أخرى من العالم الإسلامي منها مثلاً السقراطية والقادرية في بغداد، أولاً هما في القرن (٩٣٠هـ/٩م) نسبة إلى السرى السقراطي، وثانيتهما في القرن (١٢٠هـ/١٢م) نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت: ٥٦١هـ/١١٦٦م)، والشاذلية في شمال إفريقيا في القرن (٧٠هـ/١٣م) نسبة إلى الشيخ الشاذلي (ت: ٦٥٨هـ/١٢٥٨م)، والكرامية (نسبة إلى محمد بن كرام السجستاني المتوفى بالشام وغيرها)^(١٣٠).

والخلاصة - كما قال البكري في نشأة التصوف - أنه كان لكل طريقة من هذه الطرق

الصوفية شيخ جاوز الخمسين لغة وبلغ رتبة أهل الفضل والكمال اصطلاحاً، وهو عند الصوفية المرشد وصفته أنه المربى الدال على الله بأقواله وأفعاله وأحواله، ولا بد لتلقى الطريق لمن يريد عن الشيخ المرشد، حتى إنهم قالوا من لم يعرف له أبا فى الطريق فهو دعى، وشيخ المريد هو أبو الروح عنده وهو أفضل له من أبى الجسد، لأن أبا الجسد سبب الوفاة وأبا الروح سبب الحياة ولذلك قال بعضهم .

أفضل شيخى عن أبى فى حقوقه وإن كان بالإيجاد لى قد تسببا

فهذا إلى الدنيا دعانى ودلتنى وهذا إلى الأخرى هدانى وحبيا (١٣١)

أما أعلى طبقات الصوفية شأناً فهو الرلى وهو كما قال البكرى أيضاً ذو معنيين أولهما أن الله سبحانه وتعالى يتولى أمره فلا يكله إلى نفسه، وثانيهما أنه هو الذى يتولى عبادة الله سبحانه وتعالى وطاعته فيجربها على التوالى من غير عصيان، ومن شروطه أن يكون محفوظاً كما أن من شروط النبى ﷺ أن يكون معصوماً، حتى قيل أنه إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يوالى عبداً من عبادة فتح عليه باب الذكر، ثم فتح عليه باب القرب، ثم رفعه إلى مجالس الأنس، ثم أدخله فى دار الفردانية، ثم كشف له عن الجلال والعظمة فيما عرف بالكرامات التى أجازها أهل السنة وأنكرها أهل المعتزلة (١٣٢).

٥- أعلام الصوفية ومجاذبيهم :

مما لا شك فيه أن الصوفية هم أصحاب فن المناجاة الذى تمثل فى حب الذات الإلهية، ومن أروع ما يذكر فى هذا المجال تلك الصورة التى وصفها الصوفية لبكاء داوود عليه السلام وهو يناجى ربه، فذكروا أنه بكى أربعين يوماً وهو ساجد لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه وغطى رأسه، وهنا ناداه الله سبحانه وتعالى بقوله: يا داوود أجتاع أنت فتطعم أم ظمآن فتسقى أم عار فتكسى فتحب نجبة هاج لها العود فاحترق من حر خوفه، فأنزله الله عليه التوبة والمغفرة، فقال يارب اجعل خطيئتي فى كفى فصارت خطيئته فى كفه فكان لا ييسط يده لطعام أو لشراب إلا رآها فأبكته حتى قال له الله سبحانه وتعالى يا داوود اسمع منى والحق أقول: أطعنا فأطعناك وسألنا فأعطيناك وعصيتنا فأمهلناك وأن عدت إلينا على ما كان منك قبلناك (١٣٣).

والواقع أن صوفية القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى كانوا قد وضعوا أسس نظرية التصوف وجعله طرقه وقواعده، وكان على رأس هؤلاء أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم الذى عرف بذى النون المصرى (ت: ٢٤٦هـ/ ٨٦١م) وكان كما قال ابن ظهيرة أول من عبر عن علوم المنازلات وحدث عن مالك ابن أنس والليث بن سعد وابن لهيعة وغيرهم، فكان أوحد وقته علماً وورعاً وحالاً وأدباً (١٣٤) وقد ولد ذى النون المصرى سنة (١٨٠هـ/ ٧٩٦م) بأخميم من صعيد مصر من أب نوبى، ثم سار إلى مكة والشام يحاول الوصول إلى رياضة نفسه بالزهد والتصوف مع المحافظة على إطار أهل السنة فاجتمع له كثيرون من الأتباع والمريدين حتى خشى المتوكل الفتنة بسببه فقبض عليه وسجنه فى بغداد، ثم أطلقه وأعادته إلى مصر فاهتم بالطب والكيمياء حتى توفى سنة (٢٤٦هـ/ ٨٦١م) وقد قسم ذو النون المعرفة إلى ثلاثة أقسام أولها خط مشترك بين عامة المسلمين، وثانيها معرفة خاصة بالفلاسفة والعلماء، وثالثها العلم بصفات التوحيد، وهو خاص بالأولياء الذين يرون الله بقلوبهم، فجاء ذو النون بذلك إلى العالم الإسلامى بفكرة المعرفة (GNO-SIS)، وهى الإدراك الذى تتأنى منه حالة الوجد الإلهى مختلفة بذلك عن المعرفة الفكرية التى تتأنى من الدرس والعلم (١٣٥).

وعلى ذلك فقد ظل ذو النون المصرى قرابة قرن من الزمان قبله متصوفى العالم الإسلامى، ولا سيما الإيرانيين منهم، حتى كانت أولى سياحات المتصوفة الإيرانيين إلى مصر على عهده (١٣٦).

وما لا شك فيه أن كثيرين من مشايخ الصوفية فى المشرق العربى كانوا قد تأثروا بالتصوف المصرى الذى وضع ذو النون وأبو بكر الزقاق أساسه، وعلى ذلك نما مذهب الصوفية فى بغداد وكان نموه سريعاً متتابعاً على يد مجموعة من صوفيتها يأتى على رأسهم أبو حمزة محمد إبراهيم الصوفى البغدادى (ت: ٢٦٩هـ/ ٨٨٢م) الذى كان أول من تكلم فى اصطلاحات الصوفية المتعلقة بالذكر والمحبة والعشق والقرب والأنس ونحوها (١٣٧).

وفى أواخر القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى حمل تلاميذ السرى السقطى مذهب الصوفية البغداديين إلى كثير من أنحاء الدولة الإسلامية، فحملها موسى الأنصارى (ت: ٣٢٠هـ/ ٩٣٣م) إلى خراسان، والروزيارى (ت: ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م) إلى القسطنطينية ومصر، وابو زيد الأدمى

(ت: ٣٤١هـ/٩٥٢م) إلى جزيرة العرب^(١٢٨)، ومع ذلك فقد ظلت كل من بغداد والبصرة على طرفي نقيض في أمر التصوف كما كانتا على طرفي نقيض في أمر اللغة وعلم الكلام، فعلى حين ظلت بغداد أكبر مركز للصوفية بشكلها العام، ظلت البصرة أكبر مركز للزهاد والعباد الذين استطاعوا أن يضموا الحسن البصري إلى صفهم، وقد ردوا علمه وزهده إلى حذيفة بن اليمان ومن ثم إلى رسول الله ﷺ، وقد روى أن النبي ﷺ اختص حذيفة من بين الصحابة بعلوم منها علم معرفة النفاق والمنافقين وعلم خفايا اليقين^(١٢٩).

وظل هذا الجيل المتقدم من الصوفية حاملاً لواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغيرة الأتقياء وحرصهم على حياة الجماعة الإسلامية مما جرهم إلى معارضة السلطان أحياناً، وامتاز عصر هؤلاء بازدهار الصوفية وذبوع صيت شعرائها من أمثال محمد بن سعيد البوصيري (ت: ٦٩٦هـ/١٢٩٦) الذي ذاعت برده سائر أنحاء العالم الإسلامي وكان أعظم شعراء المتصوفة، عمر بن علي بن مرشد بن الفارض (١١٨١-١٢٣٥هـ/١٧٦٧-١٨١٩م) وغيرهما^(١٣٠). كما امتاز هذا العصر بذبوع صيت بعض أقطابها في البلاغة والبيان والآداب من أمثال ابن عطاء الله السكندري والحلاج ومحيي الدين بن عربي والسهورودي وغيرهم^(١٣١).

ثم جاء بعد هؤلاء الإمام الغزالي الذي استطاع ببراعته وصدق إيمانه أن يحبب التصوف لأهل السنة عندما جعل منه طريقاً روحياً للمعرفة البقينية والسعادة الحقيقية لأنه أرجع كل حركات الصوفية الظاهرة والباطنة إلى نور مشكاة النبوة الذي ليس وراءه على ظهر الأرض نور يمكن الاستضاءة به، فكان التصوف على يديه أسمى من علم الكلام الذي لايزيل شكا وأسمى من الفلسفة التي لا تحقق يقيناً^(١٣٢).

ومع ذلك فقد اختلط التصوف الذي انتهى على يد الغزالي إلى طريق المعرفة والسعادة مخالفاً لطريق المكنمين والفلاسفة ولا سيما في القرنين (٦-٧هـ/ ١٢-١٣م) بعناصر كلامية وفلسفية، فاصطبغت الأذواق والمواجيد الصوفية الحقبة بصبغة المذاهب الفلسفية، مما كان له أثر بالغ في ظهور الفلسفة الصوفية التي نادى بها السهورودي في حكمته الإشراقية، وابن عربي في وحدته الوجودية، وابن الفارض في حبه الإلهي ووحدته الشهودية، وابن سبعين في وحدته المطلقية وغيرهم.

إلا أنه أعقب هؤلاء الصوفية المتفلسفين طائفة أخرى وقفت بالتصوف عند حدود الشرح والتعليق على ما ورد فى مصنفات المتقدمين من أعلام الصوفية وكان على رأس هذه الطائفة عبد الغنى النابلسى وعبد الرازق القاشانى الذى شرح نصوص الحكم لابن عربى والثابتة الكبرى لابن الفارض.

ثم أعقب هؤلاء طائفة ثالثة كان أبرز سماتها رغم تأثرها بالمتقدمين من سلف الصوفية أنها وضعت مذاهبهم فى صور جديدة وأضافت إليها عناصر مستحدثة لتساير بالمذهب التطور الذى كان قد حدث على العصر كما فعل عبد الوهاب الشعرانى وعبد الكريم الجيلانى وغيرهما^(١٤٣).

وكان القرن (١٣هـ/١٣م) من أكثر القرون التى شهدت نزوح كثير من الصوفية إلى مصر ولا سيما أبى الحسن الشاذلى وأبى العباس المرسى والسيد أحمد البدوى وغيرهم^(١٤٤).

وعلى الجملة فقد اشتهر بالصوفية - كما يقول البكرى - كثير من أئمة الإسلام وأعيان العلماء والسلاطين والملوك والوزراء والأمراء، فعرف من الصوفية من أهل العلم والفضل شيوخ الإسلام العز بن عبد السلام وابن حجر ويدر الدين بن جماعة وابن دقيق العيد وابن زكريا الأنصاوى وغيرهم، ومن الأئمة الحافظ المنذرى وابن الحاجب وابن الصلاح وابن شداد (شيخ صلاح الدين الذى جعل داره خانقاة للصوفية من بعده) والفيروزابادى (صاحب القاموس المحيط) وغيرهم، ومن مشايخ الأزهر الشريف الشيخ الحنفى والشرقاوى والعروسى والباجورى والمهدى العباسى وغيرهم، ومن الملوك والسلاطين صلاح الدين يوسف بن أيوب والظاهر بيبرس والظاهر برقوق والأشرف قايتباى وغيرهم^(١٤٥).

ورغم ما كان للصوفية الأوائل من قيمة روحية ومكانة اجتماعية لحفاظهم على نهج الصوفية الحقبة التى اتخذت من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هدفاً، ومن ترك الدنيا والعمل للأخرة منهجاً، ومن الزهد والتقشف ومجاهدة النفس سلوكاً، فقد جاء بعدهم من خرجوا على ظاهر القرآن بالتأويل البعيد لإثبات دعواهم، فاشتركوا فى ذلك مع الشيعة الذين حاولوا تأويل كثير من الأسماء التى وردت فى القرآن الكريم بأسماء اشخاص، فقالوا أن بقرة موسى هى عائشة أم المؤمنين رضوان الله عليها، وأن الجبت والطاغوت هما معاوية وعمرو بن العاص، فكان هؤلاء

وأولئك طبقاً لما ذكره ابن قتيبة هم الرافضة في الإسلام^(١٤٦).

ويبدو أن الأغاني الروحية العاطفية التي عرفها صوفية الصدر الأول كانت السبب الذي أدى في القرن (١١٠هـ/١١م) إلى ازدياد الرقص والغناء أثناء الذكر عند اللاحقين من المتصوفة، حتى ظن عوام الصوفية أن مذهب التصوف يقتضى ذلك مما أدى إلى مخالطة هؤلاء للمجاذيب، وكان ذلك من أكبر آفات الصوفية في عصرنا المتأخر، يؤيد هذا ما ورد في بعض المراجع العربية من أن حياة الصوفية لم تلبث أن تغيرت في أواخر عهد المماليك من الصلاح إلى الفساد فتخلى أصحابها عن النظم والآداب التي عرفوا بها بين الناس، فصارت أذكارهم - كما قال ابن الحاج - بصوت مسموع ومن ثم سميت السماعات^(١٤٧) ولم تلبث أن أصبح الدف والمزمار والرقص والتصفيق من المظاهر الأساسية لتلك السماعات، فإذا دب مع المتصوف الطرب قليلاً حرك رأسه كما يفعل أهل الخمر، ثم إذا تمكن منه الطرب ذهب حياؤه ووقاره^(١٤٨).

.. وكان من نتيجة ذلك أن نشأت طائفة المجاذيب أو الدراويش التي اشتهرت - كما تروى المصادر العربية بكثير من العادات والأفعال التي لم يكن لها من قبل وجود^(١٤٩).

الفصل الثالث

دراسة أثرية معمارية

الفصل الثالث

دراسة أثرية معمارية

يشتمل حديثنا في هذه الدراسة الأثرية المعمارية للخانقاوات على أربع نقاط رئيسية هي :

١- عمارة الخانقاة وخصائصها.

٢- المنشآت التابعة للخانقاة.

٣- الخانقاوات الدارسة.

٤- الرباط والزاوية والتكية.

١- عمارة الخانقاات وخصائصها :

تكلمت المراجع العربية الحديثة كثيراً عن عمارة المدرسة في الطراز المملكى، ورغم الفيض الهائل من المعلومات التاريخية والأثرية التى سجلتها تلك المراجع فى هذا الشأن ألا إنها ضنت علينا بما يشفى الغلة فيما يتعلق بالخانقاوات، ومع ذلك فإننا لا نجد اختلافاً كبيراً بين تخطيط المدرسة وتخطيط الخانقاة لأن الشكل العام لكليهما كان واحداً تقريباً فيما عدا بعض الاختلافات المتعلقة بسكن الصوفية وبقية المنشآت الخدمية الصغيرة كالمطبخ والحمام وخزانة الأشربة والساقية ونحوها مما اعتاد منشعوا الخانقاوات بناءه لتلبى منشآتهم كافة الاحتياجات الحياتية للمنقطعين فيها.

والذى لاشك فيه أن عصر دولة المماليك (البحرية والبرجية) الواقع بين سنتى (٦٣٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) كان من أزهى عصور التشييد والبناء فى مصر، حيث بنى هؤلاء المماليك خلاله العديد من الأبنية المختلفة الأغراض مثل المساجد والمدارس والخانقاوات والأضرحة والتكايا والوكالات والأسبله ونحوها، وكلها أبنية تنوعت زخارفها فى شتى جزئياتها من واجهات ومنارات وقباب وغيرها، وتشابهت مخططاتها كثيراً حتى أن الفرق بين تخطيط المسجد والمدرسة والخانقاة لم يكن جوهرياً، إذ كانت كلها تشتمل على صحن تحيط به أربعة إيوانات فى

الجهات الأصلية الأربعة معقودة متقابلة اختلفت كبرا وصغرا باختلاف العصر وما درج عليه معماريوه، وإن ظل إيوان القبلة فيها هو أكبر الإيوانات وأهمها.

والواقع أن التخطيط في عمارة مساجد الإسلام الأولى الذي هو أصل كل التخطيطات في العمارة الإسلامية تقريبا كان تخطيطا بسيطا روعى فيه أن يلبي فقط حاجة المسلمين لمكان يؤدون فيه صلاتهم، ويتدارسون فيه أمر دينهم ودنياهم ولم تكن تعنيهم في هذا التخطيط أمور التعقيد المعماري أو تضخيمه، ولا أمور تنميجه أو تزيينه، وظل الأمر على ذلك في الغالب إلى أن جاء سلاطين السلاجقة في القرن (١١/٥هـ) بعمارة المدارس لتدريس علوم الدين على مذهب أهل السنة فأنشئت العماثر التي جمعت بين المسجد والمدرسة، وامتازت هذه العماثر عن المساجد الأولى بما أضيف إلى تصميمها من ملحقات شيدت لتكون سكنا للشيخو والطلبة ممن كانوا يدرسون المذاهب الفقهية الأربعة في هذه المدارس كلها أو بعضها.

وقد روعى في تصميم المدرسة الإسلامية بصفة عامة أن تشتمل على صحن مكشوف أو مغطى تحيط به أربعة إيوانات في شكل متعامد، وكانت الأركان الواقعة بين ضلعي هذا الشكل تشتمل على المدخل والسلم الذي كان يوصل إلى الأدوار العلوية وما فيها من مساكن للشيخو وللطلبة وملحقاتها، ونظرا لما أتى به هذا النظام في المدارس من سهولة رؤية الإمام وسماع الخطب عنه في المساجد ذات الأكتاف الضخمة مثل ابن طولون ونحوه، فقد راعى المعمار المسلم بعد ذلك أن يبنى المساجد على هذا النمط منذ القرن (٧هـ/١٣م) تقريبا (١٥٠٠)، وقد أدى ذلك إلى أن يزيد في مساحة البناء ليكون مسجدا ومدرسة في آن واحد حتى أصبح من العسير تماما على أى باحث أن يطلق على المبنى إحدى هاتين التسميتين دون الأخرى، وكثيراً ما كان يضاف إلى هذه وتلك ضريحاً للمنشىء أو سبيلاً وكتاباً، وقد استخدم هذا النظام في خانقافات أيضاً ولم يكن بينه في هذه وتلك - كما قلنا - فارق جوهري يذكر.

ويغلب على الظن - كما يقول كونل - أن مصر كانت قد عرفت نظام المدارس ذات الإيوانات الأربعة عن طريق الشام في عهد صلاح الدين، كما عرفت الأضرحة ذات القباب عن طريق غرب التركستان في عهد المماليك ثم انتفعت - على ما يبدو - بكل من هذين الطرازين في تصميم المسجد والمدرسة والخانقاة دون تغيير يذكر في عمارة المسجد التي كانت سائدة فيها قبل

دخول هذين العنصرين، إلا أنه عندما شاع تصميم المدرسة في عمارة الممالك وسع المبنى تبعاً لذلك حتى يمكن استعماله مسجداً ومدرسة في آن واحد، وهو أمر كان من نتيجته - مراعاة لأهمية إيوان القبلة - أن تم تصغير الإيوانين الجانبيين حتى أصبحا مثل حنيتين بجانب الإيوانين الشرقي والغربي^(١٥١).

وقد أعطى لين بول تفسيراً طيباً لهذه الظاهرة حين قال أنه لم يكن في مصر من المذاهب الأربعة سوى اثنين فقط هما المذهب الشافعي والمذهب الحنفي ومن ثم لم تكن هناك حاجة إلى الاحتفاظ بأربع قاعات وأربع إيوانات وقد شاعت هذه الصورة المعدلة بهد ذلك إلى حد كبير في عمارة الشراكسة^(١٥٢).

أما فيما يتعلق بالخانقاة فقد ورد في بعض المراجع العربية أن تصميمها المعماري يمكن أن ينقسم إلى ثلاثة أنواع هي: الجامع الخانقاة، والمدرسة الخانقاة، والقبلة الخانقاة، وأن الجامع الخانقاة كان يحتوي على صحن مكشوف أو مغطى حسب الحالة تحيط به أروقة من جميع الجهات أو بعضها على أن يكون رواق القبلة أكبرها، وتقع خلاوى الصوفية في هذا الجامع الخانقاة خلف القبلة، وقد تشغل طابقاً أو طابقين أو تصل إلى أربعة طوابق، وأحسن أمثلة هذا الطراز خانقاة سعيد السعداء والبنقدارية والشيخونية والبرقونية بجبانة الممالك^(١٥٣).

أما بالنسبة للمدرسة الخانقاة فقد ورد أن طراز العمارة الإسلامية كان قد شهد منذ العصر الأيوبي ميلاد طراز معماري جديد هو طراز المدرسة التي لاءم تخطيطها أداء وظيفتين هما تدريس المذاهب الأربعة وتأدية شعيرة الصلاة، لذلك وجد المعمار نفسه مضطراً لترك الأروقة الأربعة لكي يلتقي كل شيخ بتلاميذه في واحد منها، وعلى هذا الأساس وافق نظام المدارس المعماري الخانقاوات تمام الموافقة خاصة وأن هذه الخانقاوات كانت قد أصبحت منذ العصر المملوكي معاهد دراسية إلى جانب كونها دوراً للصوفية، وكانت خلوات المتصوفة تكتنف الإيوانات الأربعة في طوابق عليها مثلما كان الحال في الخانقاة الجاشنكيرية ببيرس، أو تكتنف إيواناً واحداً أو أكثر من إيوان مثلما كان الحال في الخانقاة البرقونية بالجمالية، أو تكون منفصلة عنها تماماً بواسطة صحن كبير غير صحن المدرسة مثلما كان الحال في الخانقاة الإيتالية بقرافة الممالك^(١٥٤).

أما بالنسبة للقبة الخانقاة فقد ورد أن هذا الطراز من الخانقاوات كان قليل الوجود في العصر المملوكي، وكان من الممكن أن تسمى نماذجه بالزاوية لولا أنها كانت تشتمل على خلوة للصوفية، ومن المعروف أن القباب كانت قد أقيمت أصلاً على المقابر والأضرحة في سامرا منذ القرن (٣٠٩هـ/٩م) خلال العصر العباسي ثم انتقلت إلى غيرها من بلاد العالم الإسلامي، أما في مصر فقد أقيمت القباب منذ العصر الفاطمي على أضرحة آل البيت (رضوان الله تعالى عنهم) التي عرفت بالمشاهد، إلا أن القبة في العصرين الأيوبي والمملوكي كانت قد أصبحت ظاهرة معمارية مكتملة للجامع أو المدرسة لما اعتاده منشعوا هذه الأبنية من إقامة أضرحة لهم فيها، ثم انفصلت بعض هذه القباب أو المدافن عن الجامع والمدرسة منذ القرن (٨٠٨هـ/١٤م) لكي تلحق بها مجموعة من الخلوات للصوفية حتى تكون خانقاة بذاتها مثلما كان الحال في خانقاة خوند طغاي الناصرية^(١٥٥).

أما ما ذكر عن المدرسة الخانقاة من أن خلوات الصوفية فيها كانت تكتنف إيواناتها الأربعة أحيانا، أو تقع خلف إيوان واحد منها أو أكثر أحيانا أخرى، أو تكون منفصلة عنها بواسطة صحن كبير غير صحن المدرسة أحيانا ثالثة، فإننا نضيف إليه أن هذه الخلوات كانت تقع أحيانا رابعة في دور أرضى أسفل المدرسة فلا تعلو ولا يتجانب مثلما كان الحال في المدرسة الخانقاة التي أنشأها بحارة برجوان القاضي أبو بكر مزهر الأنصارى سنة (٨٨٤هـ/١٤٧٤م)، والمدرسة الخانقاة التي أنشأها بميدان القلعة - الأمير جوهر اللالا سنة (٨٣٣هـ/١٤٢٩م) وغيرهما.

أما بالنسبة لما ورد عن القبة الخانقاة فمن المعروف أن الصلاة لا تجوز في الأضرحة أو القباب شرعاً، وخير دليل على ذلك أن الأضرحة والمشاهد الفاطمية لم تكن مكانا تقام فيه شعائر الصلاة رغم اشتغالها جميعاً على كثير من المحارب حتى في المشهد الواحد وبذلك تكون تسمية «الزاوية الخانقاة» أكثر انطباقاً وتلاؤماً من تسمية «القبة الخانقاة» لأن الزاوية هي في الواقع مسجد صغير ولا يمنع في هذه الحالة أن تلحق بها قبة للمنشئ وخلوات للصوفية أو لا تلحق، أما القبة فهي في الأصل ضريح لأن كل الأضرحة المعاصرة كانت تغطي بقبة حتى تغطي الجزء على الكل وأصبح ذكر القبة يعني ضمناً وجود ضريح فيها.

والخلاصة أن الخانقاوات كانت منشآت معمارية خصصت لإقامة أعداد من الصوفية والأساتذة والمشرفين (تكثر أو تقل حسب إمكانية المنشئ) لفترات زمنية طويلة تكاد تكون شبه دائمة، وقد راعى المعمار المسلم ذلك جيدا عند تخطيط الخانقاة فجعل منها ملحقات أساسية لا غنى لأية خانقاة عنها، وأخرى إضافية ذات صلة بالمهمة التي أنشأت من أجلها، ومع ذلك فلم يمنع هذا من وجود بعض الاختلاف في التخطيط المعماري للخانقاة، فنجد في بعض الخانقاوات عناصر وملحقات قد لا نجدها في خوانق أخرى، ومهما يكن من أمر فالذي لاشك فيه أن مساكن الصوفية كانت من أهم أساسيات تخطيط الخانقاة وقد روى فيها أن تكون بمنأى عن الطريق العام كسبا للهدوء وكانت تتألف من طابق متراسة في صفوف متوازية أطلق عليها «رباط أو رباط» وكانت غالبيتها من النوع المعروف بالطباق الحبيس أى الغرفة التي لفتحات فيها وإن لم يمنع هذا من وجود بعض الفتحات أحيانا في بعضها تغشيتها مصعبات من خشب الخرط أو من الأرماع والخرزات الحديدية.

هذا فيما يتعلق بعمارة الخانقاة وتخطيطها، أما فيما يتعلق بخصائصها الفنية فهي كثيرة، وقد أفاضت علينا المراجع العربية في هذا الشأن بفيض من المعلومات الهامة مؤداه أن المميزات الفنية لعمارة الخانقاة وغيرها من منشآت الممالك كانت تنحصر بالنسبة للواجهات في استمرار ما بدأه الفاطميون من ظاهرة تتابع مداميك هذه الواجهات الأفقية باللونين الأحمر والأصفر مما عرف بنظام المشهر أو من تتابعها باللونين الأسود والأبيض مما عرف بنظام الأبلق، وفي وجود حنايا أو تجاويف رأسية طويلة تحيط بالأبواب والشبابيك وتنتهى بقرنصات عملت على ما يبدو لإحداث التوازن الفنى بين هذه الخطوط الأفقية، وفي وجود أسرطة من الزخارف والكتابات القرآنية والتاريخية، وفي تنويع هذه الواجهات بشرافات مستنة أو مورقة، ليس هذا فقط، بل لقد حرص المعمار المسلم في كثير من الحالات - حتى لا يكون التنظيم العمودى أقوى تأثيرا - ألا يكون مدخل المدرسة أو الخانقاة في وسط واجهتها وإنما جعلها في ركن من أركان هذه الواجهة حتى لا يطفى أى منهما عليها^(١٥٦).

وقد امتازت واجهات الخانقاوات كغيرها من عمائر الممالك بخاصية وضع المداخل الخارجية داخل تجويفات رأسية شاهقة عميقة تنتهى عادة بطاقيّة مخرصة ذات عقد ثلاثي

الفصوص محمولة على مقرنصات أحيانا أو على نصف قبة مخموسة أحيانا أخرى، وغالبا ما كانت تمتد هذه التجويفات إلى نهاية ارتفاع الواجهات ونادرا ما كانت تزيد عليها، كما كان من المعتاد أن يكتنف هذا الباب مكسلتان (مصطبتان) حجرتان مزخرفتان تذكران بما عرف عن مداخل عمائر قونية بصفة خاصة أو مداخل العمائر السلجوقية في آسيا الصغرى بصفة عامة^(١٥٧).

أما المآذن التي كانت واحدة من أهم ما ميز واجهات العمائر المملوكية بما في ذلك الخانقارات، فالذى لا شك فيه أن هذه المآذن كانت قد أصبحت أكثر رونقا وجمالا عن ذى قبل سواء من حيث التفاصيل المعمارية الدقيقة التي امتازت بالرشاقة وجمال النسب أو من حيث الزخارف البديعة المختلفة، يدل على ذلك من الناحية المعمارية مثلا أن المعمارين أدمجوا هذه المآذن بالواجهات بحيث لا يكون لها وهى قائمة فى إحدى زاويتي الواجهة أو كليتهما قاعدة، ويدل عليه من الناحية الفنية ذلك القسط الوافر من التوفيق الذى أصابه المعمارون حينذاك فى تجميل هذه المآذن بالطاقات والحنايا والمقرنصات والخوذات المضلعة أو المستديرة التي تحملها أكتاف أو أعمدة رشيقة، بالإضافة الى كسوة قمتها أحيانا بالقاشاني أو تلبس بدن دورتها الأولى بالرخام، يضاف إلى ذلك ما نشأ فى مصر منذ النصف الثانى من القرن (٨هـ/١٤م) من منارات ذات رؤوس مزدوجة مثل مئذنة الغورى بالجامع الأزهر وغيرها^(١٥٨).

وعلى عكس المآذن التي لم يبالغ فى ارتفاعها كانت القباب العظيمة الراهية فوق هذه المنشآت المملوكية مما ساعد على تدرج الصورة الظلية خارج المنشأة وداخلها، على أن صغر حجم هذه القباب يؤكد أن نية معماريى هذه الحقبة لم تكن موجهة - على ما يبدو - إلى الاقتراب من شكل القباب الكبيرة الهائلة المتسلطة فى مركز البناء بقدر ما كانت موجهة لتحقيق ما يوحى للنفس المتعبدة بالهدوء والسكينة، والمعروف أن القبة الصغيرة التي كانت تبني فوق المحراب أو فوق المدخل كانت - فى غالب الظن - هى أقصى ما استطاع المعمار قبل عصر المماليك أن ينجزه باستثناء القبة العظيمة التي بناها الأيوبيون فوق ضريح الإمام الشافعى رضوان الله عليه^(١٥٩).

وإذا ما انتقلنا من الحديث عن خصائص الواجهات والمداخل والمآذن والقباب فى عمارة المماليك من المساجد والمدارس والخانقارات الى خصائص أى من هذه المنشآت الفنية الداخلية،

لقلنا أنها امتازت بالعديد من الزخارف، فكان للإيوانات ذات السقوف المسطحة عوارض خشبية مذهبة ذات أفاريز من الجص المنقوش بشتى العناصر الكتابية والزخرفية، ولم يعد المحراب ينقش بالخشب أو الجص كما كان قبل المماليك وإنما أصبح يغشى بأشرطة الرخام الملون أو بقطع الفسيفساء الجميلة التى تكون غالبا العديد من عناصر الزخرفة الهندسية، كذلك فضل للمنبر أن يصنع أحيانا من الرخام ليرتبط بالبناء ارتباطا وثيقا، وقد استتبع ذلك التغيير فى خامات بناء العناصر المعمارية الداخلية تغييرات أخرى حيث لعب الرخام الملون دوره باقتدار فى تغشية الحوائط ولا سيما الوزرات، وتطورت أشغال التجارة فظهر إلى جانب الأويمة الدقيقة الخرط والتطعيم بالسن والعاج والصدف والأبنوس والزرنيشان فى المنابر والأبواب والشبابيك والكتيبات، بل لقد لعبت التغشية برقائى المعادن ذات الكتابات والزخارف النباتية والهندسية دورا هاما فى زخرفة أبواب هذه المنشآت^(١٦٠).

كذلك كانت المقرنصات أو الدلايات (stalactites) من أكثر عناصر زخرفة هذه العمائر داخليا وخارجيا، وكانت هذه عبارة عن حلية معمارية تشبه خلايا النحل، وترى فى هذه العمائر مدلاة فى طبقات مصفوفة بعضها فوق بعض، وكانت تستعمل أحيانا أخرى للتدرج من شكل إلى آخر ولا سيما من الشكل المربع إلى الشكل الدائرى الذى غالبا ما قامت فوقه القباب، كما قامت فى أحيان أخرى مقام الكواويل حين تتخذ أسفل دورات المؤذن فى المنارات، وقد بدأ استخدام هذه الحلية المعمارية فى العمارة الإسلامية اعتبارا من القرن (٥هـ/١١م) وزاد الإقبال عليها بعد ذلك حتى أصبحت من أهم مميزات هذه العمارة، واختلفت أشكالها باختلاف الزمان والمكان حتى بلغت أوج عظمتها فى قصر الحمراء بغرناطة، وكان الأصل فى هذه الحلية هى الطاقة المقعرة فى ركن كل حجرة مربعة يراد أن يبنى فوقها رقبة، ثم تطورت المقرنصات بمضاعفة عدد حطاتها حتى وصلت فى عمائر المماليك أحيانا إلى تسع حطات، وهو تطور لم تصله فى عمارة مصر من قبل^(١٦١).

وأخيرا كانت خلوات المتصوفة في عمارة الخانقاوات - كما قلنا - عبارة عن حجرات صغيرة تفرش ببلاطات من الحجر الجيري وتغطي بعد ذلك بالحصير، وقد تحتوي بعض هذه الخلوات على مصاطب ترتفع أرضيتها بعض الشيء، أما عن مقوفها فكانت تتألف أحيانا من أقبية نصف دائرية وتستعمل جلسات نوافذها المنخفضة كمصاطب للقراءة، وغالبا ما كانت توجد فتحة أعلى بابها ذات حاجز من خشب الخرط للتهوية والإنارة كما كانت تلحق بهذه الخانقاوات ولا سيما في الطوابق العليا قاعات للشيخ وغرف للمدرسين ومسئولي الإدارة^(١٦٢).

وقد جرت العادة عند الفراغ من بناء الخانقاة أو المسجد أو المدرسة أن ينزل إليها السلطان أو الأمير في جمع حافل من الأمراء والفقهاء والقضاة والأعيان، ويمد سمباط زاهر بمختلف الأطعمة ليأكل الجميع منه ثم يخلع السلطان أو الأمير (صاحب المنشأة) على كل من أسهم في البناء من المهندسين والمعلمين والبنائين بل والفعلة، ويعين للخانقاة أو المسجد أو المدرسة موظفيها من الشيوخ والمدرسين والفقهاء والمؤذنين والقراء والفراشين ونحوهم^(١٦٣).

وقد أدت كثرة هؤلاء الموظفين أحيانا إلى نهب أموال أوقاف هذه المنشآت ولا سيما الخانقاوات، يؤيد ذلك ما ذكره ابن الصيرفي في القرن (٩هـ/١٥م) من أن مباشر أوقاف الظاهرية بروق (في شهر جمادى الآخرة سنة ٨٧٥هـ) كان قد «ظهر في جهته للوقف ألف دينار فتوزعها هو وشمس الدين الانبأبي وإمام الأمير الذي هو ابن إمام الشيخونية وصيرفي المدرسة وهو في الترسيم وقاسى أضعاف ما فعل بابن البلقيني والجزء من جنس العمل»^(١٦٤) ليس هذا فقط بل إنه بما أشار إليه في ذكره لحوادث نفس الشهر أن القاضي عز الدين البلقيني الشافعي «ضرب من الأمير جاني بك الظاهري أمير آخر علة على مقاعده لأنه كان باسمه تصوفا بالظاهرية بروق وأن مباشر الوقف كانوا يصرفون لمن يختارون من الصوفية ويمنعون من ذلك من يختارون فطلبه الأمير إلى القلعة فكلمه القاضي بكلام فيه إساءة فقلع فيه ما ذكر^(١٦٥).

٢ - المنشآت التابعة للخانقاة :

الواقع أن ما لدينا من مادة أثرية تاريخية يشهد أن عمارة الخانقافات لم تقتصر في عصر المماليك على كتلة الخانقاة ذاتها، وإنما اشتملت على كثير من المنشآت الأخرى ذات الأغراض المتعددة مما كن له ارتباط وثيق بمتطلبات المنشئ ممثلا في القبة الضريحية ومتطلبات الصوفية ممثلا في خلواتهم وخزانة أشربتهم وأدويتهم وحمامهم وساقيتهم ومطبخهم، بالإضافة إلى متطلبات الصدقات الجارية التي حرص عليها منشئوا هذه الخانقافات، ولا سيما الأسلبة والكتائب.

أ - القبة الضريحية :

قال رسول الله ﷺ - فيما رواه البخارى ومسلم «قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(١٦٦) وقال «أولئك النصارى إذا كان فيهم الرجل الصالح (أى مات) بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا تلك الصور (يعنى الأقنات) أولئك شر الخلق عند الله يوم القيامة»^(١٦٧) وقد اتفق أهل السنة على أن النهى عن اتخاذ القبر مسجدا يلزم منه النهى عن بناء المسجد عليه، لا فرق فى ذلك بين بناء المسجد على القبر أو إدخال القبر فى المسجد، فالكل حرام لأن المحذور واحد، فلو بنى إنسان مسجدا بقصد أن يدفن فى بعضه دخل فى اللعنة، ومعنى ذلك أن الدفن فى بعض المسجد حرام، وإن شرط المنشئ أن يدفن فى مسجده لا يصح شرطه لما فى ذلك من مخالفة صريحة لما نهى عنه الرسول ﷺ، وبهذا يمكن القول أن المسجد والقبر لا يجتمعان فى الإسلام شرعا لأن النهى صريح عن بناء المساجد على القبور حتى ولو كان دفناؤها من الأنبياء والصالحين، واتفقت المذاهب الأربعة على تحريم ذلك، بل ذهب الشافعية الى أنه كبيرة من الكبائر^(١٦٨).

كانت تلك مقدمة ضرورية للحديث عن القباب أو الأضرحة التى قل أن نجد مسجدا أو مدرسة أو خانقاة من عمائر العصر الذى نتحدث عنه دون أن يكون بها ضريحا للمنشئ، وقد وقعوا بذلك فيما حذر منه الرسول ﷺ رغم أنهم قصدوا منه أن يكون رحمة لهم ومغفرة لخطاياهم وقربة إلى الله سبحانه وتعالى.

ويغلب على الظن أن أصل القبة فى الإسلام كان قد أخذ عن القباب الساسانية فى إيران والقباب البيزنطية فى الشام، ثم أقبل المسلمون على استخدامها فى الأضرحة بشكل رئيسي منذ

القرن (٣هـ/٩م) حتى طفت تسمية الجزء على الكلل وصار لفظ القبة يعنى ضريحاً^(١٦٩).

وأقدم المدافن التى عرفت فى الإسلام هو مدفن الصليبية فى سامرا الذى دفن فيه المنتصر بالله العباسى المتوفى سنة (٢٤٥هـ/٨٦٢م) ثم تلاه مدفن اسماعيل السمانيد المتوفى سنة (٣٠٣هـ/٩٠٧م) فى بخارى وغيرهما، أما فى مصر فكان أول مدافنها هو مدفن آل طباطبا الذى يرجع تاريخه الى سنة (٣٣٤هـ/٩٤٣م) فى العصر الإخشيدى وتلاه مدفن السبع بنات (٤٠٠هـ/١٠١٠م) ثم صار المدفن فى العصرين الأيوبي والملوكى عبارة عن بناء مستقل له مدخل يقابل المحراب مثلما حدث فى مدفن الإمام الشافعى (٦٠٨هـ/١٢١١م) ومدفن الخلفاء العباسيين (٦٤٠هـ/١٢٤٢م) ومدفن شجرة الدر (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) وغيرها، إلى أن جمع المدفن مع المدرسة لأول مرة فى مدرسة الصالح نجم الدين (٦٤٧هـ/١٢٤٩ - ١٢٥٠م) وق أدى هذا الاهتمام المتزايد بالمدفن إلى إظهاره عن بقية العناصر الأخرى بالمنشأة كما حدث فى مدرسة السلطان حسن (٧٥٧ - ٧٦٤هـ/١٣٥٦ - ١٣٦٢م) وغيرها.

وانتشر نموذج القباب ذات البضلع المحدبة من الخارج والمقعرة من الداخل فى النصف الثانى من العصر الفاطمى وبخاصة فوق الأضرحة التى كثر بناؤها آنذاك فى كل من القاهرة والوجه القبلى، بينما كانت بنى القباب فى المساجد فوق مربعة المحراب، وبانتشار بناء المدارس ذات الإيوانات تبعاً لانتشار التخطيط السنى للعمارة فى مصر اعتباراً من عهد الناصر صلاح الدين، انتشرت ظاهرة بناء ضريح لصاحب المسجد أو المدرسة أو الخانقاة يغطى بقبة، وقد غلب الحجر على بناء هذه القباب فى العصر المملوكى وكانت بنى إما ملساء وإما بضلع متجاورة رفيعة أو ذات تكوينات زخرفية محفورة أو بارزة تتألف من عناصر نباتية وهندسية وكتابية^(١٧٠).

وقد عرفت مصر فى عصر المماليك أنواعاً مختلفة من القباب مثل القبة نصف الكروية والقبة المضلعة والقبة البيضاوية، بل والقبة الكبيرة التى تنتهى فى أعلاها بمنور فوقه مشمعة تحمل قبة صغيرة مضلعة مثل قبة الشيخ عبد الله المتوفى بالقراقة الشرقية التى ترجع إلى القرن (٧ - ٨هـ/١٣ - ١٤م)، كذلك فقد عرفت مصر خلال عصر الأيوبيين القبة الخشبية المكسوة بالرصاص، ولعل فى قبة الإمام الشافعى التى بناها السلطان العادل سنة (٦٠٨هـ/١٢١١م) أحسن الأمثلة الدالة على ذلك، ولم يقف تجميل هذه القباب عند زخرفتها من الداخل ولا سيما

بأبدع أشكال المقرنصات، وإنما كانت تنقش بشتى أنواع الزخارف المشار إليها من الخارج أيضا، وأحيانا ما كانت تكسى فى بعض أجزائها أو كلها بالقاشانى البديع^(١٧١).

ورغم كل ما امتازت به قباب الأضرحة الإسلامية فى مصر من عظمة البناء وجمال الزخرف، يطلع علينا كوتل برأى يقول فيه «أنه ليس فى هذه القباب ما يميز بعضها عن بعض فخطوطها الرئيسية واحدة، ومع كثرة عددها لم يطرأ عليها فى وقت تال تغيير يذكر»^(١٧٢)، وإذا كانت قباب هذا العصر قد تميزت بصغر الحجم فعلا إلا أن المعمار المسلم كان قد أسرف فى زخرفتها من الداخل والخارج - كما قلنا - بزخارف نباتية وهندسية وكتائية وعناصر أخرى من خطوط مجدولة أو حلزونية، حتى كان الممالك - كما قال لين بول - هم سادة بناء القباب الجميلة التى ازدانت بها القاهرة وما زالت تضى على مبانيها صبغة فنية خاصة حتى اليوم^(١٧٣).

ب - خلوات الصوفية :

كان من الضروري أن تلحق بالخانقاة خلوات لإقامة من تقرر نزولهم فيها من الصوفية حسب شروط الواقف، بالإضافة الى مساكن أخرى لشيخ الخانقاة ومدرسى المذاهب وغيرهم ممن أنيطت بهم مهمة القيام بأمور الخانقاة إشرافا وتديسا.

وكانت هذه الخلوات - كما قلنا - عبارة عن حجرات صغيرة متجاورة على جانبى استطراق ضيق، ذات أرضيات مفروشة ببلاطات من الحجر الجيرى المغطى بالحصير، وقد تحتوى بعض هذه الخلوات على مصاطب ذات ارتفاع أكبر قليلا من الأرضية بما يقرب من درجة واحدة، وذات سقف كان مسطحا أحيانا وعبارة عن قبو نصف دائرى أحيانا أخرى، أما نوافذها المنخفضة فكانت تستخدم كثيرا كمصطبة للقراءة، وغالبا ما وجدت نافذة أعلى الباب ذات مصبغات من خشب الخرط بغرض التهوية والإنارة^(١٧٤).

ج - خزنة الأشرية والأدوية :

مما لا شك فيه أن منشئ الخانقارات كانوا قد حرصوا على توفير كافة الضروريات اللازمة لمن ينزلونهم فى خانقائهم من الصوفية حتى يقتونهم عن العالم الخارجى فيتفرغوا من ثم للزهد

والعبادة والتصوف، فخصصوا للكثير من هذه الخاتقاوات من الأطباء طبائعا وجراحيا وكحالا، وقد استتبع هذا ضرورة أن تنشأ بالخاتقاة خزانة للأشربة والأدوية، حتى يصرف منها المرضى ما يوصف لهم بمعرفة هؤلاء الأطباء من عقاير، يدل على ذلك مثلا أن حجة وقف السلطان الغورى كانت قد نصت على تخصيص طبيب يتفقد مرضى صوفية خاتقاته، وجعلت له خمسمائة درهم كأجر شهرى يتقاضاه نظير مراعاته لهؤلاء الصوفية وكتابة ما يلزم من أدوية للمرضى منهم، ليس هذا فقط بل لقد نصت الوقفية على ضرورة أن يحسن هذا الطبيب معاملتهم وأن يعمل فى ذلك بما يرضى الله والضمير^(١٧٥).

د - السبيل والكتاب :

عنى سلاطين الممالك وأمرائهم ووجهاء عصرهم ببناء أسبلة تعلوها كتابات إما ملحقة فى أركان مساجدهم ومدارسهم وخوانقهم وإما منفردة عن هذه وتلك كما فى أسبلة الناصر محمد وشيخو والوفائية وقايتباى ونحوها^(١٧٦).

والأسبلة مشتقة من «أسبل الماء» أى صبه، ويقال أسبل المطر «أى هطل»^(١٧٧)، والسبيل منشأة اجتماعية إسلامية اتصلت باستخدام الماء للشرب، وهو عبارة عن مبنى جرت عادة المسلمين على إقامته داخل المدن لسقاية المارة وإروائهم من باب التقرب الى الله تعالى، ثم انتشرت سقاية الماء عن طريق الأسبلة فى مختلف العصور الإسلامية، ويتكون السبيل عادة من طابقين أولهما صهريج لتخزين الماء فى باطن الأرض فوقه مزملة أو حجرة سبيل بصدرها سلسبيل هو عبارة عن لوح من الرخام فيه زخارف محفورة ينساب عليهما الماء ليبرد ثم يوزع على أحواض الشبايك ليشرب منه الناس.

وجرت العادة أن يبنى السبيل - فى هذه المنشآت المشار إليها - بجوار المدخل ويفتح مباشرة على الدركاة أو يكون له باب بالدهليز المؤدى الى الصحن حتى يكون نقل المياه بالقرب اليه أمرا سهلا وميسورا، ولعل أقدم أمثلة الأسبلة والكتاتيب الملحقة فى عمارة الممالك هو سبيل الجاى اليوسفى الذى يرجع تاريخه الى سنة (٧٧٤هـ / ١٣٧٣م)، وكانت أرضية السبيل تفرش بالرخام

الملون المرصوص في فصوص بديعة تكون أشكالا هندسية ونباتية، أما حوائطه فكانت تؤزر بوزرات رخامية ملونة.

وقد حاول المعمار المسلم أحيانا أن يبرز السبيل والكتاب في المسجد أو المدرسة أو الخانقاة كعنصر من عناصر المنشأة، فجعل حوائطه في تلك الأحيان مخالفة لحوائط باقى المبنى كأن يكسوها بالرخام الأبيض والأسود (الأبلق) كما في سبيل مسجد الناصر فرج بن بروق الذى يرجع تاريخه الى سنة (٨١١هـ / ١٤٠٨م) مع تغيير شكل فتحات المبنى، وإبراز شرفات الكتاب فى كثير من الأمثلة عن طريق الزخارف الخشبية بهدف حماية فتحاته من الأمطار، وقد أطلق على الكتاب فى كثير من الوثائق «مكتب السبيل» تعبيرا عن الارتباط العضوى بين الإثنين^(١٧٨) وكانت العادة أن يخصص للكتاب مؤدب اشترطت الوثائق فيه أن يكون متزوجا عطوفا لا يضرب الضرب المبرح ويجب الأولاد فى التعليم ويحضهم عليه.

هـ - الحمام:

كان للحمامات دور بارز فى عمارة مصر الإسلامية نظرا لأهميتها بالنسبة للعامة فى التطهير والنظافة، وقد حرص المعمار المسلم على بنائها وفقا لنظام يتيح للمستحم أن ينتقل تدريجيا بين المغاطس الباردة والحارة دون أن يصاب بأذى، ولذا كان كل حمام يشتمل على ثلاثة مغاطس تتدرج سخونتها من مغطس إلى آخر، وكانت عملية تسخين هذه المغاطس تتم عن طريق إيقاد النار تحت أرضها أو تسخينها بواسطة أنابيب من الفخار تمر تحت هذه الأرضية أو تجرى فى جدران تلك الحمامات، وكانت تزين هذه الجدران أحيانا بالصور والنقوش كما كان الحال فى بقايا الحمام الفاطمى الذى عثر عليه فى القسطنطينية^(١٧٩)، وقد راعى منشئو بعض هذه الخانقاوات أن يلحقوا بالحمام حلاقا لتدليك الأبدان وحلق الرؤوس، وبذلك يوفرُوا لصوفية خانقاوتهم النظافة والتطهير والتدليك وقص الشعر.

و- المطبخ:

كان من الضروري لمنشأة معمارية خصصت لإقامة مجموعة من الصوفية بصفة دائمة بالليل والنهار أن تشتمل على مطبخ لإعداد الوجبات اللازمة لهؤلاء المتصوفة، وكان هذا المطبخ عبارة عن حجرة كبيرة بارتفاع طابقين ذات سقف معقود بقبو نصف دائري أو مدبب، وذات أرضية مفروشة ببلاطات من الحجر الجيري.

وكان من المعتاد أن يجهز هذا المطبخ بحوض كبير من الحجر متصل به داخل الجدران مواسير المياه اللازمة لمدة بها، كما كان يوجد في بعض المطابخ مصطبة خصصت لجلوس العاملين فيه، وقد راعى المعمار أن يكون هذا المطبخ بجوار كل من باب الخدمة الملحق بالخانقاة ودورة المياه، ولعل من أبرز أمثلة هذه المطابخ التي ألحقت بالمدارس والخانقاوات هو مطبخ مدرسة وخانقاة الظاهر برقوق بالبحاسين التي بنيت فيما بين سنتي (٧٨٦ - ٧٨٨ هـ / ١٣٨٤ - ١٣٨٦ م) ومطبخ خانقاة الناصر فرج ابن برقوق بالقرافة الشرقية التي بنيت بين سنتي (٨٠١ - ٨١٣ هـ / ١٣٩٩ - ١٤١١ م)^(١٨٠).

ز- الساقية:

آخر المنشآت التي كانت تلحق بالخانقاة هي الساقية، وكان الهدف من إنشاء هذه السواقي بالخانقاوات والمدارس والمساجد أن يرفع الماء بواسطتها من البحر إلى الصحن أمام إيوان القبلة، ومن ثم إلى الفسقية التي تتوسط هذا الصحن، ومنها إلى الميضة التي كانت تجهز لوضوء المصلين بالخانقاة أو المدرسة أو المسجد، وقد حددت شروط الوقف الخاصة بهذه المنشآت كيفية الإنفاق على هذه المرافق وغيرها مما يحتاج إليه من الأطباق والسلاسل والأباريق والجرار ونحوها^(١٨١).

٣ - الخانقاوات الدارسة:

لم تكن خانقاوات القاهرة التي سنتحدث عنها في هذه الدراسة مما لا زال بعضه قائما شامخا متكامل العمارة والزخرف أو ناقصا في أحدهما أو كليهما نتيجة الإهمال تارة وعبث العابثين تارات، لم تكن هذه وتلك هي كل خانقاوات القاهرة التي تكلمت عنها المصادر والمراجع

العربية، فهناك العديد من الخانقاوات الأخرى التي درست وأصبحت أثرا بعد عين، والواقع أن ما لدينا من مادة تاريخية وردت في العديد من هذه المصادر والمراجع يوضح لنا بما لا يدع مجالا للشك أن هذه الخانقاوات (الدارسة) كانت كثيرة وتتحصر في خانقاوات فعلية أنشئت لكي تكون كذلك وفي أبنية أثرية لم تنشأ لكي تكون خانقاوات أصلا وإنما أضيفت إليها وظيفة التصوف فيما بعد، وفيما يلي عرض سريع لهذه الخانقاوات.

أ - الخانقاة الطيبرسية (٧٠٧هـ / ١٣٠٧م) :

يقول المقرئ في القرنين (٨-٩هـ / ١٤-١٥م) أن هذه الخانقاة كانت «من جملة أراضى بستان الخشاب فيما بين القاهرة ومصر على شاطئ النيل، أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس الخازندار نقيب الجيوش في سنة سبع وسبعمئة (٧٠٧هـ / ١٣٩٧م) بجوار جامع وقرر بها عدة من الصوفية وجعل لهم شيخا وأجرى لهم المعاليم»^(١٨٢).

وقد ظلت هذه الخانقاة عامرة - كما يقول المقرئ أيضا - حتى سنة (٨١٤هـ / ١٤١١م) عندما نقل حضور التصوف منها الى المدرسة الطيبرسية بجوار الجامع الأزهر^(١٨٣)، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الأمير علاء الدين طيبرس الخازندار كان قد أنشأ في أرض الخشاب خانقاة مستقلة ظلت عامرة حتى خربت في بداية القرن (٩هـ / ١٥م) فنقل صوفيها الى المدرسة التي كان قد جعلها نفس المنشئ مسجدا لله تعالى زيادة في الجامع الأزهر، وقرر فيها درسا لفقهاء الشافعية وأنشأ بجوارها ميثاء وحوضا لسقاية الدواب^(١٨٤).

وكان الأمير علاء الدين طيبرس بن عبد الله الوزير هذا من ممالك الأمير بدر الدين بن بيليك مملوك الخازندار الظاهري نائب السلطنة، ثم انتقل إلى ممالك الأمير بدر الدين بيدرا، وتنقل في الخدمة حتى تقلد المنصور لاجين مقاليد الحكم فولاه نقابة الجيش سنة (٦٩٧هـ / ١٢٩٧م)، وله من الآثار الجميلة الجامع والخانقاة بأرض بستان الخشاب مطلان على النيل، ولم يزل في نقابة الجيوش الى أن مات في العشرين من ربيع الآخر سنة (٧١٩هـ / ١٣١٩م) ودفن بقرنته في المدرسة المشار إليها^(١٨٥).

أما عن على باشا مبارك فقد نقل في القرن (١٣هـ/١٩م) ما ذكره المقرئ في ما يتعلق بهذه الخانقاة تماما، إلا أنه أضاف أن «على شط النيل خلف سراى الإسماعيلية الصغيرة جامع صغير يعرف بالأربعين فيحتمل أنه هو جامع الطيبرس ويحتمل أنها خانقااه»^(١٨٦).

وقد أيدت بعض المصادر العربية روايتى المقرئ وعلى باشا مبارك فيما يتعلق بالطيبرسية، يدل على ذل ما ذكره ابن حجر العسقلانى فى القرن (٩هـ/١٥) عند - ترجمته - لمحمد بن عقيل البالى المحدث الفقيه الشافعى الذى ولد سنة (٦٠هـ/١٢٦١م) حين قال أنه حفظ واشتغل وسمع بالقاهرة من ابن دقيق العيد ولازمه وناب فى الحكم عنه وولى قضاء بليس عن ابن جماعة ثم بالحسينية، ودرس بالطيبرسية بمصر وبعدة أماكن الى ان مات فى المحرم سنة تسع وعشرين وسبعمائة^(١٨٧)، وما ذكره فى ترجمته لعمر بن أبى الحزم بن عبد الرحمن بن يونس الدمشقى المصرى الشافعى الذى ولد سنة (٦٣هـ/١٢٥٥م) وولى الشرقية ودمياط ثم الغربية، كما ولى تدريس المنكوتمية والإعادة بالقراستقرية والحديث بالقبة المنصورية ثم ولى مشيخة خانقاة طيبرس إلى أن عزل منها ومات فى شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة رحمه الله وسامحه^(١٨٨).

ب - الخانقاة الناصرية بسرياقوس: (٢٢٣هـ/١٣٢٣م)

كانت هذه الخانقاة كما يقول المقرئ خارج القاهرة من شمالها فى أول تيه بنى إسرائيل بسماسم سرياقوس، أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون وبدئ فى عمارتها عندما ركب السلطان الى هذه الناحية فى ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة واختطها مع عدة من المهندسين على قدر ميل، وبنى بها مسكنين جعل أحدهما لشيخ الصوفية وأهله وأولاده، وجعل الآخر متصوفا لهذا الشيخ ينزل فيه من يشاء، كما ألحق بها وحدتين سكنيتين لإقامة متصوفها البالغ عددهم أربعون صوفيا، وأضاف لها حماما ومطبخا ألحق به مجموعة كبيرة من الحواصل لخزن ما يلزم من الطعام، كما جعل لها حوشا أحدهما لدفنه ودفن مشايخ خانقائه، والآخر لدفن الفقراء المتزولين بها، وعمل بعد كل هذا حديقة كانت تتقدم الخانقاة والحوش^(١٨٩). فلما كملت عمارتها سنة خمسة وعشرين وسبعمائة خرج إليها السلطان بنفسه ومعه الأمراء والقضاة ومشايخ الخوانك ومدت الأسمطة العظيمة بداخل الخانقاة فى يوم

الجمعة سابع جمادى الآخرة من السنة المشار إليها وعقد مجلس السماع بتصدر قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعى، فلما انقضى هذا المجلس قرر السلطان أن يتولى الشيخ مجد الدين موسى بن أحمد الأقصرى مشيخة هذه الخانقاة ولقبه بشيخ الشيوخ بعد ما كان لا يلقب بهذا اللقب إلا شيخ الخانقاة الصلاحية، وأحضرت التشاريف السلطانية، فخلعت على الحضور وفرق بها السلطان مئتين ألف درهم فضة وعاد الى قلعة الجبل^(١٩٠).

وكان بناء هذه الخامقاة سببا فى تعمير الموقع، فبنى الناس من حولها الدور والخوانيت والخانات والحمامات حتى سارت بلدة كبيرة تعرف بخانقاة سرياقوس، عمل فيها سوق عظيم يوم الجمعة تباع فيه سائر البضائع التى لا يؤخذ عليها مكسا احتراماً للخانقاة.

وكانت معالم هذه الخانقاة - كما يقول المقرئى - من أجل معالم الخانقاوات فى مصر، حيث كان يصرف لكل صوفى من صوفيتها فى اليوم رطل من لحم الضأن، أربعة أرطال من الخبز النقى ورطل من الحلوى ورطلين من زيت الزيتون، ومثل ذلك من الصابون، بالإضافة إلى أربعين درهما فضة عنها ديناران، وتوسعة فى رمضان والعيدى ومواسم رجب وشعبان ورمضان وعاشوراء، وثمان كسوة فى كل سنة، ليس هذا فقط، بل لقد ألحق المنشئ بالخانقاة خزانة للأشربة والأدوية بها طبائعى (طبيب أمراض باطنة) وجراحى (طبيب جراح) وكحال (طبيب أمراض عيون) علاوة على حلاق يصلح الشعر ويدلك الأبدان، ثم استجد بها بعد سنة تسعين وسبعمئة حمام آخر يرسم النساء، وقد ظلت هذه الخانقاة على حالها الزاهر الى أن كانت المحن سنة ستة وثمانين فبطل الطعام منها وصار ثمنه يصرف لصوفيتها نقداً^(١٩١).

وقد ذكر كل من ابن الجيعان فى القرن (٨هـ / ١٤م) وابن دقماق فى القرن (٩هـ / ١٥م) أن قرية منى جعفر (مفردة من سرياقوس) عبرتها خمسة آلاف دينار، وهى جارية فى الأوقاف الناصرية محمد بن قلاوون الصالحى على خانقائه هناك^(١٩٢).

وصاحب هذه الخانقاة هو الملك الناصر محمد بن قلاوون ولد فى قلعة الجبل للنصف من المحرم سنة (٦٨٤هـ / ١٢٨٥م)، وولى الملك ثلاث مرات أولاها بعد مقتل أخيه الأشرف خليل فى المحرم سنة (٦٩٣هـ / ١٢٩٣م) وعمره تسع سنين، وظل خلالها فى الملك سنة إلا ثلاثة أيام،

وخلع بمملوك أبيه كتبغا المنصوري في المحرم سنة (٦٩٤هـ / ١٢٩٤م)، وثانيتهما بعد مقتل المنصور لاجين في جمادى الأولى سنة (٦٩٨هـ / ١٢٩٨م) وظل خلالها في الملك عشر سنين وخمسة أشهر وستة عشر يوما الى أن عزل نفسه وسار الى الكرك، فولى مقاليد الحكم بعده الملك ركن الدين بيبرس الجاشنكير، وثالثتها عندما ذهب من الكرك الى الشام وجمع العساكر ورجع الى مصر فترك له الجاشنكير السلطنة في رمضان سنة (٧٠٩هـ / ١٣٠٩م) وظل في الملك خلالها من غير منازع الى ان مات بقلعة الجبل في الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة (٧٤١هـ / ١٣٤٠م) وعمره سبع وخمسون سنة وأحد عشر شهرا وعشرين يوما، وكانت جملة إقامته في السلطنة ثلاث وأربعين سنة وثمانية أشهر وتسعة أيام^(١٩٣).

وقد ترك الناصر محمد من الأولاد اثني عشر ولدا ذكرا وثمان بنات، ولم يكن له عند موته نائب بديار مصر ولا وزير ولا صاحب، وكان إذا كبر أحد أمرائه قبض عليه وصادره وولى مكانه أحد الأمراء الصغار ليأمن شر هؤلاء الأمراء، وقد شره في آخر أيامه لجمع المال فصادر كثيرا من الدواوين والولاء وغيرهم، وكان مجا للعمارة فبنى الكثير منها، وحفر عدة من الخللجان والترع، وراك ديار مصر والشام، وقطع كثيرا من الجند عن الخدمة، وفتح كثيرا من الجزر مثل أرواد سنة (٧٠٢هـ / ١٣٠٢م) وملطية سنة (٧١٥هـ / ١٣١٥م) وأناس سنة (٧٢٣هـ / ١٣٢٣م) وعدة من بلاد الأرمن سنة (٧٣٧هـ / ١٣٣٦م) وضرب السكة باسمه في شوال سنة (٧٤١هـ / ١٣٤٠م)^(١٩٤).

وقد أمدتنا كتب التراجم العربية بأكثر من ترجمة لبعض مشايخ هذه الخانقاة وخدمها وصوفيتها، فيذكر ابن حجر العسقلاني (في القرنين (٨-٩هـ / ١٤-١٥م) أن موسى بن احمد ابن محمود الأقصري شيخ الخانقاة بسرياقوس كان قبل ذلك شيخا لخانقاة ابن ييليك المحسنى التي أقامها بالاسكندرية، ثم قرر بعدها في مشيخة خانقاة كريم الدين بالقرافة، ثم نقل أخيرا الى الخانقاة الجديدة الناصرية، ومات في ربيع الأول سنة (٧٤٠هـ / ١٣٣٩م) وقد زاد عن السبعين^(١٩٥).

ويذكر السخاوى في القرنين (١٠٠٩هـ / ١٥-١٦م) أن احمد بن محمد الشريف الذى عرف بابن كندة كان خادما لشيخ الصوفية بالخانقاة السرياقوسية، ومات في ربيع الأول سنة

(٨٩٠هـ / ١٩٨٥م) وقد قارب الأربعين^(١٩٦)، وأن أحمد بن محمد الشهاب العجمي كان صوفيا بالخانقاة السرياقومية ومات بعد الستين (يقصد بعد سنة ٨٦٠هـ / ١٤٥٥م)^(١٩٧).

ج - خانقاة بكتمر: (٧٢٦هـ / ١٣٢٢م)

كانت هذه الخانقاة - كما يقول المقرئ - بطرف القرافة في سفح الجبل (يقصد جبل المقطم) مما يلي بركة الحبش، أنشأها الأمير بكتمر الساقى وابتدأ حضور الصوفية بها في رجب سنة (٧٢٦هـ / ١٣٢٥م) وكانوا عشرين صوفيا لكل منهم في الشهر ثلاثين درهما علاوة على الطعام والخبز في كل يوم، والدرهم والحلوى والزيت والصابون في كل شهر، وقرر في مشيختهم شمس الدين الرومي ورتب له في الشهر مائة درهم عن معلوم المشيخة وخمسين درهما عن معلوم الإمامة^(١٩٨).

وكان من نتيجة بناء هذه الخانقاة أن عمرت الناحية وظلت عامرة إلى أن حدثت الحن سنة (٨٠٦هـ / ١٤٠٣م) «فقل منها الطعام والخبز وانتقل سكانها إلى القاهرة وغيرها فاندثر الحمام والبستان وتمزق ما كان فيها من الفرش والكتب والريعات، وتخربت منها قناديل النحاس المكفت وقناديل الزجاج المذهب وغير ذلك من الأمتعة، وصار يصرف لأرباب وظائفها مبلغا من نقد مصر»^(١٩٩) وتدل عبارة المقرئ القائلة «وتمزق ما كان فيها من الفرش والكتب والريعات» على أنه كان بهذه الخانقاة مكتبة عظيمة تشتمل على العديد من المؤلفات التي كانت مرجعا لكل من اشتغل فيها بالعلم والدراسة^(٢٠٠).

وما تجب الإشارة إليه هنا أن كثيرا من هذه الخانقاوات كانت تصبح بعد فترة من الزمن عبئا على الدولة لنفاد أوقافها فيخصص لصوفيته وموظفيها - كما يقول المقرئ - مبلغا من نقد مصر (أى من ميزانية دولتها) ويقال أن ذلك بسبب الحن مرة أو بسبب التحريق والتشريق مرة، أو بسبب ضياع أوقافها وتلاشيها مرة، إلى غير ذلك من الأسباب التي لا تخفى على كل ذى عقل، فكثيرا ما كانت تسند وظائف النظارة في هذه الخانقاوات إلى أناس غير أمناء فيبددون الأوقاف ويضيعون الإيراد، أو تعطل هذه الأوقاف من قبل السلطان أو أمرائه ويستولى عليها لحسابات أخرى، وتكون العاقبة في كل ذلك أن يتحمل نقد مصر عملية الصرف على هؤلاء

المنقطعين ممن لا شغل لهم، ويتم ذلك للأسف باسم الدين.

ومنشئ هذه الخانقاة - كما يقول ابن حجر - هو الأمير أبو سعيد سيف الدين بكتمر الساقى الملكى الناصرى، كان من ممالك المظفر بيبرس الجاشنكير، فلما عاد الناصر محمد من الكرك واستولى على مقاليد السلطة في مصر للمرة الثالثة دخل بكتمر هذا ضمن ممالكه وتنقل في خدمته وعظم قدره حتى أن الناصر لم يكن يفارقه ليلاً أو نهاراً، وقد رفعه ذلك الى مرتبة جعلت الممالك جميعاً يهادونه تقرباً إليه، وقيل أنه كان أشقر اللون أسود اللحية، يركب بين يديه إذا ركب مائتاً عصابة قبب، وقد عمر له الناصر اصطبلًا على بركة الفيل وجعل به مائة سايس، أما قصره فكان بسرهاقوس قبالة قصر الناصر، حج مع السلطان في تجمل هائل، ثم تنكر عليه الناصر حتى مات في أوائل سنة (٧٣٦هـ / ١٣٣٥م) (٢٠١).

ومع أن المقرئى يحكى هذه السيرة شبه كاملة بأسلوب آخر، إلا أنه أضاف إليها وعدل بعضاً مما ورد فيها، من ذلك قوله أن السلطان زوجه جاريته ومحظيته فولدت له ابنه احمد الذى اعتقد الناس أنه ابن السلطان لكثرة ما يطيل حملة وتقبيله، وأن السلطان عمر له قصرًا (لا اصطبلًا) على بركة الفيل وصار هو الدولة إذا ركب كان بين يديه مائتان عصا نقيب (لا قبب) وأنه مات بطريق الحجاز سنة (٧٣٣هـ / ١٣٣٢م) وليس سنة (٧٣٦هـ / ١٣٣٥م) فأمر السلطان بحمل جثته وجثة ولده احمد الذى مات قبله فى طريق العودة من الحجاز بثلاثة أيام الى خانقائه هذه فدفنا بقببها.

ثم زاد المقرئى على ذلك (بما لم يشر إليه ابن حجر) بالحديث عن ثروته ومخلفاته فقال «وخلف من الأموال والقماش والأمتعة والأصناف والزردخانة ما يزيد على العادة والحد ويستحى العاقل من ذكره، فأخذ السلطان من خيله أربعين فرسًا وبيع الباقي بمبلغ ألف ألف درهم، وأنعم السلطان بالزردخانة والسلاح خانة التى له على الأمير قوصون بعد ما أخذ منها سيفًا واحدًا وسرجًا قيمتها ستمائة ألف دينار، وبيع له من الصينى والكتب والختم والربعات ونسخ البخارى والدوايات الفولاذ والمطعمة والبصم بسقط الذهب وغير ذلك، ومن الوير والأطلس وأنواع القماش السكندرى والبغدادى وغير ذلك شئ كثير ودام البيع لذلك عدة شهور» (٢٠٢).

د - خانقاة أرسلان: (٧٢٧هـ / ١٣٢٦م)

كانت هذه الخانقاة - طبقاً لما ذكره المقرئى - من جملة أراضي منشأة المهرانى على شاطئ النيل بين القاهرة ومصر، أنشأها الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار الناصرى، كان من رجال الأمير سيف الدين سلار نائب السلطنة، فلما قدم الناصر محمد بعساكره من الشام يريد العودة الى السلطنة للمرة الثالثة وعسكر بالريداية، علم أرسلان أن جماعة (من رجال سلار) يريدون أن يقاتلوه يوم العيد، فذهب إليه (أى إلى الناصر) وأخبره بما علم فقام الناصر بفتح باب سر الدهليز وصعد الى القلعة وجلس على سرير الملك ورعى لأرسلان هذا النصيح، فلما استقرت الأمور رتب له وظيفة الدوادارية عندما أخرج منها الأمير عز الدين أيمن.

وقد أنشأ بهاء الدين هذه الخانقاة خلال توليته لوظيفة الدوادارية (الناصرية محمد)، وكان ينزل إليها من القلعة كل ليلة ثلاثاء ويبيت فيها، ويحتفل الناس بحضوره إليها، حتى مات فى رمضان سنة (٧١٧هـ / ١٣١٧م) ووجد فى تركته طبقاً لما ذكره المقرئى ألف ثوب أطلس وكثير من النقائس (٢٠٣).

وكان أول من ولى مشيخة هذه الخانقاة هو تقي الدين أبوا لبقاء محمد بن جعفر الشريف الحسينى القنائى الشافعى جد الشيخ عبد الرحيم القنائى الصالح المشهور الذى ولد سنة (٦٤٥هـ / ١٢٤٧م) ومات فى جمادى الأولى سنة (٧٢٨هـ / ١٣٢٧م) ودفن بالقرافة، فتداول مشيختها القضاة الإخنائية الى أن صارت بيد شيخ المقرئى وقاضى قضاة مصر صدر الدين عبد الوهاب بن أحمد الإخنائى فلما مات سنة (٧٨٩هـ / ١٣٨٧م) قرر فى مشيختها عز الدين بن العاص ثم وليها من بعده ولده شمس الدين محمد (٢٠٤).

وبضيف ابن حجر فى القرنين (٨-٩هـ / ١٤-١٥م) والسخاوى فى القرنين (٩-١٠هـ / ١٥-١٦م) إلى من ذكرهم المقرئى من مشايخ هذه الخانقاة بعض الشخصيات الأخرى فيقول ابن حجر أن محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الرحيم القنائى الشريف تقي الدين الشافعى الذى ولد سنة نيف وأربعين وستمائة حدث بالقاهرة ودرس بالمسروية وقال الشعر الحسن وولى مشيخة خانقاة أرسلان حتى مات فى جمادى الأولى سنة (٧٢٧هـ) (٢٠٥).

ويقول السخاوى أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل البرهان بن الزينى المغربى ابى هريرة بن الشمس الذى ولد فى تاسع رمضان سنة (٨٣٥هـ) ولى مشيخة الصوفية الأرسلاية بالمنشية ونظرها^(٢٠٦)، ويدل هذا ليس فقط على أن مشيخة الخانقاة كانت حقيقة قائمة، بل أيضا على أنه كان لهذه الخانقاة وقف ونظارة وقف، وهما الوظيفتان اللتان جمع بينهما إبراهيم بن عبد الرحمن المقرئ المشار اليه.

هـ - خانقاة بشتاك : (٢٣٦هـ / ١٣٣٥م)

كانت هذه الخانقاة - كما يقول المقرئى - خارج القاهرة على جانب الخليج من البر الشرقى تجاه جامع بشتاك، وقد أنشأها الأمير سيف الدين بشتاك الناصرى وافتتحتها فى الأول من ذى الحجة سنة (٧٣٦هـ) وقرر فى مشيختها شهاب الدين القدسى مع عدة من الصوفية أجرى لهم الخبز والطعام فى كل يوم، واستمرت هذه الأرزاق مدة ثم بطلت فصرف لأربابها عوضا عنها بعض النقد فى كل شهر، وظلت هذه الخانقاة عامرة إلى عهد المقرئى فى القرن (٩هـ / ١٥م) ونسب إليها جماعة من المشتغلين بالتصوف منهم بدر الدين محمد بن إبراهيم الذى عرف بالبدر البشتكى نسبة إلى الأمير صاحب الخانقاة^(٢٠٧).

وكان المسجد والخانقاة فى خط واحد هو خط قبوالكرمانى على بركة الفيل، وقد كان هذا الخط - كما يقول المقرئى - سكنا لجماعة من الفرغ والأقباط، كانوا يركبون من القبايح ما لا يليق، فلما عمر بشتاك الجامع والخانقاة فى هذا الخط تحولوا منه وتركوه، وقيل أن المنشئ كان قد عمل ساباطا يتوصل به من الجامع إلى الخانقاة ومنها إليه^(٢٠٨).

وكرر على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ / ١٩م) ما ذكره المقرئى فيما يتعلق بموقع هذه الخانقاة حين قال (وهى التى فى محلها الآن (أى على عهده السبيل والمكتب الكائنان بدرب الجماميز للذان أنشأتهما الست المرحومة والدة المرحوم مصطفى باشا أخى الخديوى اسماعيل تجاه جامع بشتاك المعروف اليوم بجامع مصطفى باشا)^(٢٠٩).

أما فيما يتعلق بتراجم بعض مشايخ وصوفية ونزلاء هذه الخانقاة فقد أمدنا كل من ابن حجر والسخاوى بمعلومات هامة فى هذا الصدد، فذكر ابن حجر (وأحمد بن سلامة القدسى ثم

المصرى شهاب الدين الواعظ كان شيخا بالخانقاة وخطيبا بالجامع كلاهما لبشتاك وكان عليه قبول فى وعظه ثم تعصب عليه بعضهم فخرجت عنه الخانقاة فموضه الله خانقاة سرياقوس فباشرها إلى أن مات سنة (٧٦٩هـ / ١٣٦٧م) وصنف كتابا فى الصوفية^(٢١٠).

وذكر السخاوى أن عمر بن محمد التركى الأصل القاهرى الحنبلى الذى عرف باب مظفر كان بيده وظائف فتزل فى صوفية الأشرفية الحنابلة من الواقف وفى خانقاة بشتاك وغيرهما ومات قريبا من الستين^(٢١١)، وأن محمد بن ابراهيم محمد البدر أبو البقاء الأنصارى الدمشقى الأصل المصرى الشاعر الذى عرف بالبدر البشتكى (وهو الذى أشار اليه المقرئى أيضا) نشأ بخانقاة بشتاك وكان أحد صوفيتها^(٢١٢).

و - خانقاة آقبغا: (٧٤٠هـ / ١٣٣٩م)

ثبتت المادة التاريخية التى بين أيدينا أن الأمير آقبغا كان قد أنشأ خانقتين أولاهما بالقراة والأخرى بمدرسته فى الجامع الأزهر، يؤيد ذلك ما ذكره المقرئى بقوله أن خانقاة آقبغا كانت موضعا من المدرسة الآقبغاوية بجوار الجامع الأزهر أفرده الأمير آقبغا عبد الواحد وجعل فيه طائفة يحضرون وظيفة التصوف وأقام لهم شيخا وأفرد لهم وقفا يختص بهم وهى باقية إلى يومنا هذا (أى على عهد المقرئى فى القرنين ٨ - ٩هـ / ١٤ - ١٥م) وله أيضا (أى للأمير آقبغا) خانقاة بالقراة^(٢١٣).

ومعنى ذلك أن خانقاة آقبغا التى كانت لا تزال بالقراة حتى عهد المقرئى كانت قد تلاشت من الوجود تماما قبل مجئ القرن (١٣هـ / ١٩م)، يدل على ذلك ما ذكره على باشا مبارك بقوله، الآقبغاوية أيضا خانقاة بالقراة لم تقف لها على أثر^(٢١٤)، أما الآقبغاوية بالأزهر فهى من الآثار التى لازالت قائمة حتى اليوم وقد أنشأها الأمير آقبغا عبد الواحد سنة (٧٤٠هـ / ١٣٣٩م) وقرر فى جزء منها طبقا لما ذكره المقرئى فيما سبقت الإشارة إليه عدة من الصوفية^(٢١٥).

وصاحب هاتين الخانقتين (الآقبغاوية بالقراة والآقبغاوية بالأزهر) هو الأمير علاء الدين آقبغا عبد الواحد، ذلك المملوك الذى أحضره إلى القاهرة التاجر عبد الواحد بن بدال فاشتراه الملك

الناصر محمد بن قلاوون وضمه إلى مماليكه ولقبه باسم تاجره الذى أحضره فترقى فى خدمته إلى أن جعله شاد عمائره، ثم عمله استادارا بعد الأمير مغلطاي الجمالى فى المحرم سنة (٧٣٢هـ / ١٣٣١م) ورقاه إلى مقدم المماليك فزادت حرمة حتى خافه - كما يقول المقرئى - سائر من فى بيت السلطان، فلما مات الناصر وتولى ابنه المنصور أبى بكر قبض عليه وعلى ولديه وأحيط بماله وسائر أملاكه فبيع موجوده من الخيل والجمال والجوارى والقماش والأسلحة والأواني ونحوها.

فلما خلع أبى بكر من السلطنة بمساعدة الأمير قوصون وتولى أخوه الأشرف كجك أخرج آقبغا ولديه من القاهرة إلى الشام فى ربيع الأول سنة (٧٤٢هـ / ١٣٤١م) فلما حدثت الفتنة بين ولدى الناصر محمد بالكرك وبين أخيه الصالح اسماعيل بالقاهرة اتهم آقبغا بأنه بعث مملوكا من مماليكه إلى الكرك يخبر الناصر أحمد بن الناصر محمد أن أمراء الشام قد دخلوا فى طاعته فأرسل الصالح اسماعيل من قبض على هؤلاء الأمراء جميعا وكان آقبغا من جملة من قبض عليهم وحمل مقيدا من دمشق الى الاسكندرية حيث قتل بها فى آخر سنة (٧٤٤هـ / ١٣٤٣م) (٢١٦).

ز - خانقاة طغاي النجمى : (٧٤٨هـ / ١٤٤٤م)

كانت هذه الخانقاة - كما يقول المقرئى - بالصحراء خارج باب البرقية فيما بين قلعة الجبل وقبة النصر، أنشأها الأمير طغاي نمر النجمى، فجاءت من المباني الجليلة، ورتب بها عدة من الصوفية، وجعل شيخهم الشيخ برهان الدين الرشيدى، وبنى بجانبها حماما وغرس قبلتها بستانا، وعمل بجانب الحمام حوض ماء للسبيل ترده الدواب، ووقف على ذلك عدة أوقاف (٢١٧).

ولم يمض وقت طويل حتى تعطل كل من الحمام والحوض عن أداء المهمة التى أنشئ من أجلها وظل الأمر على هذا الحال من التعطل إلى أن ماتت أرزباى زوجة القاضى فتح الدين فتح الله كاتب السر سنة (٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) فدفنها زوجها خارج باب النصر ورغب فى البناء على قبرها ليوقف عليه الأوقاف اللازمة لاستمراره، إلا أنه عدل عن هذا رأى - كما يقول

المقرىزى - ونقلها الى قبة خانقاة طغاي النجمى هذه، وأدار الساقية وملأ الحوض، ورتب لقراء هذه الخانقاة معلوما، وعمل على تجديد ما كان قد تشعث منها، وأدار حمامها، ثم عاد بعد ذلك وأنشأ تربة بجانب هذه الخانقاة ونقل رفات زوجته للمرة الثانية إليها، وجعل أملاكه وقفا على هذه التربة الجديدة^(٢١٨).

وفى ملحق لعدد الحوليات الإسلامية التى أصدرها المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة سنة (١٩٨٧م) وردت دراسة لنشر وتحقيق وقفية فتح الله بن معتصم بن نفيس التبريزى رئيس الأطباء وكاتب السر فى القرن (٩هـ / ١٥م)^(٢١٩)، وتقول هذه الدراسة أنه ولد سنة (٧٥٩هـ / ١٣٥٧م) وكان يهودى الأصل ثم أتى إلى مصر وهو طفل خلال حكم السلطان الناصر حسن (٧٤٨ - ٧٦٣هـ / ١٣٤٧ - ١٣٦١م) حيث كان جده الأكبر قد أسلم وعمل طبيا للأمير شيخو.

أما ما ورد بالوقفية فإنه يشير الى ان الواقف (فتح الدين فتح الله) كان قد قرر أن يتحمل وقفه تكاليف ملأ أحد الصهريجين الكبيرين اللذين هما بالخانقاة المعروفة بالمقام المرحوم السيفى طغيتمر النجمى المظفر الدوادار الصالحى الكائن بخارج باب البرقية بما فى ذلك تكاليف السواق المرتب بالساقية المركبة على البئر التى من حقوق التربة السيفية طغيتمر النجمى (زيادة على المقرر له بالخانقاة المذكورة) وتكاليف إجراء الماء الى الحوض الذى من حقوق التربة المذكورة حتى يصير مملوءا ليلا ونهارا لينتفع الناس به فى سقى دوابهم وغسل هدمهم على العادة فى مثل ذلك ما مبلغه فى كل سنة كاملة ألفا وخمسمائة درهم، ويصرف من هذا الوقف فى كل سنة كاملة ثمن قطارين من زيت الزيتون أو غيره برسم الرقود بالخانقاة المذكورة بالتربة المستجدة المنسوبة للواقف المذكور بالثا ثمن ذلك ما بلغ (زيادة على ما هو مقرر بالخانقاة المذكورة من ريع وقفها) ويصرف منه برسم فتايل القناديل بالخانقاة المذكورة وبالتربة المستجدة المذكورة على عادة مثله ما مبلغه كل سنة كاملة عشرون درهما (زيادة على المقرر لذلك من وقف الخانقاة المذكورة) ويصرف منه كل سنة كاملة للقائم بالخانقاة المذكورة (زيادة على المقرر له بالخانقاة المذكورة من ريع وقفها) مائة وعشرون درهما من النقد المتعامل به يوم ذاك، ويصرف منه لشيخ الخانقاة المذكورة كل سنة كاملة ما مبلغه ستمائة درهم (زيادة على معلومه المقرر له من ريع وقف الخانقاة المذكورة)، ويصرف منه

للصوفية المنزولين بالخانقاة المذكورة الذى عددهم ثلاثون نفرا فى كل سنة كاملة ما مبلغه سبعة آلاف ومائتى درهم، لكل منهم كل سنة كاملة مائتى وأربعون درهما (زيادة على ما هو مقرر لهم من ريع وقف الخانقاة المذكورة) على أنهم عند فراغهم من وظيفة التصوف بالخانقاة المذكورة يتوجهون والشيخ المذكور إلى المقصورة التى بالرواق الغربى من حقوق الخانقاة المذكورة المدفونة فيها السيدة المرحومة أرزبای المرأة زوجة الواقف المذكور وقرأون (فيها القرآن) ويصرف منه كل سنة كاملة لعشرة من الصوفية الثلاثين المذكورين المقيمين بالخانقاة المذكورة الذين ليس لهم سكن غير الخانقاة يرتبهم الناظر فى هذا الوقف بالتربة المستجدة المذكورة ويشترط عليهم أن يحضروا مع الشيخ يقرأون من الربعة الشريفة، ويصرف للشيخ المذكور الذى جعله الواقف المذكور بالتربة مع العشرة المذكورين على أن يفعل ما ذكر أعلاه فى كل سنة كاملة ما مبلغه ستمائة درهم... .. (٢٢٠).

ومن نص هذه الوثيقة يتضح أن فتح الدين فتح الله بن نفيس المشار اليه كان قد وقف أوقافه على الخانقاة التى بين أيدينا بعد أن دفن زوجته فيها، وقد ساعد هذا ليس فقط على استمرار مرافقتها من الساقية والحمام والصهرج ونحوها فى القيام بكامل وظائفها، بل أيضا على استمرار صوفيته ومشايخها والمقرئين فيها فى وظائفهم حتى القرن (٩هـ / ١٥م)، كل ذلك عن طريق ما أضافته إمكانيات هذا الوقف الجديد الى إمكانيات وقف الخانقاة الأصلية الذى كان قد أوقفه منشئها طغيتمر النجمى.

وطغيتمر النجمى هذا صاحب الخانقاة المذكورة هو أحد ممالك الناصر محمد بن قلاوون ثم أصبح دودارا لإبنة الملك الصالح اسماعيل، فلما مات الصالح بقى على حاله فى عهد أخويه الكامل شعبان والمظفر حاجى وكان أول دودار يأخذ إمرة مائة وتقدمه ألف فى دولة المظفر هذا، واستمر فى الدوادارية حتى أخرج إلى الشام سنة (٧٤٨هـ / ١٣٤٧) مع الأمير نجم الدين محمود الوزير والأمير سيف الدين بيدمر البدرى بعد أن لعب بهم أغرلو أثناء واقعة الأمير ملكتمر الحجازى والأمير آقسنقر وأدركهم فى الطريق عند غرة الأمير منجك وقتلهم (٢٢١).

ح - خانقاة الجبيغا المظفرى: (١٢٤٩هـ / ١٣٤٨م)

يقول المقرئى أن «هذه الخانقاة خارج باب النصر فيما بين قبة النصر وترية عثمان بن جوشن السعوى، أنشأها الأمير سيف الدين الجبيغا المظفرى وكان بها عدة من الفقراء يقيمون بها، ولهم فيها شيخ يقيمون معه فى كل يوم وظيفة التصوف، ولهم الطعام والخبز»^(٢٢٢)، ويقول على باشا مبارك أنه كان بجانب هذه الخانقاة حوضا لشرب الدواب وسبيلا لشرب الناس يعلوه كتاب يتعلم فيه الأيتام من الأطفال القراءة والكتابة ومبادئ علوم الدين، ولهم فيه فى كل يوم الخبز وغيره، وقد ظلت الخانقاة على هذه الحال إلى أن أخرج الأمير برقوق أوقافها فتمطل حوضها ومكتب سبيلها وأقام بها جماعة من الناس مدة ثم تلاشى أمرها كلية وإن ظلت باقية بغير سكان^(٢٢٣).

ومنشئ هذه الخانقاة هو الجبيغا المظفرى الخاصكى الذى علا شأنه فى أيام المظفر حاجى بن الناصر محمد بن قلاوون حتى أصبح لا يشاركه أحد فى مرتبته، فلما تسلطن الناصر حسن أقره على رتبته وصار أحد أمراء المشورة إلى أن اختلف أمراء الدولة فأخرج إلى دمشق فى ربيع الأول سنة (٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)، ثم نقل منها إلى طرابلس عوضا عن الأمير بدر الدين مسعود بن الخطيرى، فظل فى نيابتها إلى سنة (٧٥٠هـ / ١٣٤٩م) وكتب إلى الأمير أرغون شاه نائب دمشق يستأذنه فى التصيد فأذن له، وسار من طرابلس وأقام على بحيرة حمص أياما، ثم ركب ليلا بمن معه إلى خان لاجين بظاهر دمشق ومنه ليلا أيضا إلى أن طرق أرغون شاه وهو بالقصر الأبلق وقبض عليه وقيد فى ثالث عشرى ربيع الأول من السنة المذكورة واستدعى الأمراء بسوق الخيل فى الصباح وأخرج لهم كتاب السلطان يأمساك أرغون شاه فأذعنوا له واستولى على أمواله.

وفى رابع عشرية (رابع عشرى ربيع الأول المشار إليه) وجدوا أرغون شاه مذبحا وأشاع الجبيغا أنه ذبح نفسه، فأنكر الأمراء ذلك عليه وثاروا لحربه فركب إليهم وقاتلهم وانتصر عليهم وأخذ الأموال وخرج من دمشق متوجها إلى طرابلس فأقام بها إلى أن وردت الأخبار من مصر تستنكر ما حدث وتطلب الإمساك به فخرجت عساكر الشام إليه ففر من طرابلس إلى أن أدركه عسكرها عند بيروت وحاربوه حتى قبضوا عليه وحمل إلى عسكر دمشق فقيد وسجن بقلعتها هو

وفخر الدين إياس، ثم وسط هو ورفيقه بمرسوم السلطان تحت قلعة دمشق بحضور عساكرها وعلقا على الخشب فى ثامن عشر ربيع الآخر سنة (٧٥٠هـ / ١٣٤٩م) وعمره دون العشرين سنة، وكان كما يقول المقرئى «ماطر شاربہ وکانہ البئر حسنا والقصن اعتدالا»^(٢٢٤).

ط - الخانقاة الشراييشية: (ق ٨هـ / ١٤م)

كانت هذه الخانقاة - كما يقول المقرئى - «فيما بين الجامع الأحمر وحارة برجوان فى آخر منحرف الخلفاء (الفاطميين) فيما يعرف اليوم بالدرب الأصفر، كان يتوصل منها إلى هذا الدرب تجاه خانقاة بيبس، وكان بابها الأصلي من زقاق ضيق بوسط سوق حارة برجوان، والذي أنشأها هو الصدر الأجل نور الدين على بن محاسن الشراييشى وكان من ذرى الغنى واليسار وله عدة أوقاف على جهات البروالقريات»^(٢٢٥).

ولما جاء على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ / ١٩م) كانت هذه الخانقاة قد تلاشت - على ما يبدو - من الوجود تماما وأصبحت أثرا بعد عين لأنه قال «وقد زالت هذه الخانقاة اليوم وفى محلها الآن (أى على عهده) الدار الكبيرة المعروفة بدار السحيمى التى بداخل الدرب الأصفر»^(٢٢٦).

ى - الخانقاة الخزوية: (قبل ٨٢٢هـ / قبل ١٤١٩م)

الواقع أنه ليس لدينا من الأخبار التاريخية عن هذه الخانقاة سوى ما ذكره المقرئى فى القرن (٩هـ / ١٥م) حين قال أنها كانت فى الأصل منظره عظيمة بساحل الجيزة تجاه المقياس، أنشأها ركن الدين أبو بكر بن على الخروى كبير التجار بمصر، ثم توارثها من بعده أبنائه وأحفاده، فظلت بأيديهم إلى أن نزلها السلطان المؤيد شيخ فى رجب سنة (٨٢٢هـ / ١٤١٩م) ورأى بعد الإقامة فيها أن يجعلها خانقاة فاستدعى له ابن الخروى وعرض عليه المؤيد شراءها فتبرع ابن الخروى له بما يخصه وصار إليه باقيا.

فأشار المؤيد إلى الأمير سيف الدين أبى بكر بن المسروق الأستاذار بعملها خانقاة، فبدأ فى عمارتها حتى كملت فى آخر السنة المشار إليها، وقرر فى مشيختها الشيخ شمس الدين محمد بن

الحمى الدمشقى الحنبلى، وخلع عليه سنة (٨٢٣هـ / ١٤٢٠م) ورتب له فى كل يوم عشرة مؤيدية، عنها مبلغ سبعين درهما فلوسا، سوى الخبز والسكن، وقرر عنده عشرة من الفقراء لكل منهم مع الخبز مؤيدى واحد فى كل يوم^(٢٢٧).

ك - خانقاة جامع المقياس: (٩٢٢هـ / ١٥١٦م)

كما انحصرت معلوماتنا عن الخانقاة الخروية فيما ذكره المقرئى، فقد انحصرت معلوماتنا عن هذه الخانقاة فيما ذكره على باشا مبارك، وخلاصته أن جامع المقياس فى الزاوية الغربية من قلعة الروضة تجاه الجزيرة بناء فى أول الأمر أبو النجم بدر الجمالى بأمر الخليفة الفاطمى المستنصر بالله سنة (٤٨٠هـ / ١٠٨٧م) ثم عمره الملك الصالح نجم الدين أيوب، ثم هدمه الملك المؤيد شيخ المحمودى ليعيد بناءه ويوسعه سنة (٨٢٣هـ / ١٤٢٠م) إلا أنه مات قبل أن يتمه، فأكماله من بعده الظاهر جقمق ووقف عليه أوقافا، وكان به حينذاك ثمانية وثلاثون عمودا ومنبرا وثلاثة عشر شبكا مظلة على النيل، وارتفاع منارته أربعة وعشرون مترا وفيه سلالم موصلة إلى النيل عدتها ثمانية عشر درجة ربما كانت تجعل مقياسا للنيل فى الأزمان السابقة^(٢٢٨).

وظل هذا الجامع تحت نظر بنى الرداد خدمة المقياس حتى تخرب بأعتداء الفرنسيين عليه وانتهوا بهم لحرمة، فظل متخربا إلى أن جده المرحوم حسن باشا المنسترلى، فجاء الجامع بعد تجديده هذا أصغر مما كان عليه، فعرف الجامع به بعد أن دفن فيه وقيل له جامع المنسترلى.

وما يهمنا فيما يتعلق بهذا الجامع هو ما أورده على باشا مبارك من مقتطفات من وقفية للسلطان الغورى مؤرخة سنة (٩٢٢هـ / ١٥١٦م) بعد أن قام هذا السلطان بتعمير الجامع، وفيها يذكر أن الغورى وقف عليه جميع البناء بخط مكاسة الحطب بقرب سوق دار النحاس بالإضافة إلى الحديقة والإصطبل اللذين كانا هناك، وثلث الفندقين المعروفين بالمكارم، والرباع والمخازن والحوانيت بخط صناعة الزكايب والقماحين، وأرض زراعية بالروضة تعرف بالميدان، والبرك بقرب جامع الريس ومساحتها عشرون فدانا بالقصبة الحاكمة، وأرضا فى جزيرة الطائر بالجزيرة، وجزيرة تجاه دير الطين، وجزيرة الصابونى، وأرضا بناحية شوشة بالبهنساوية، وعقارا بمصر القديمة بخط دار النحاس وآخر بشاطى النيل.

ونص في هذه الوقفية على أن يصرف لإمام الجامع شهريا خمسمائة درهم نحاس شهريا وثلاثة أرغفة يوميا، وللحرقى مائتى درهم شهريا وثلاثة أرغفة يوميا، ولسبعة عشر صوفيا مع شيخهم خمسة آلاف وأربعمائة درهم شهريا، وللقارئ فى المصحف بالجامع ثلاثمائة درهم شهريا وثلاثة أرغفة يوميا، ولسبعة ميقانية ثلاثة آلاف درهم شهريا واثنين وعشرين رغيفا يوميا، وللوقاد كذلك، وللكتاس والفراش معا ستمائة درهم. ولسواق الساقية سبعمائة درهم وأربعة أرغفة، وللرشاش سبعمائة درهم وثلاثة أرغفة، ولاثنين يوابين ألفا ومائتى درهم شهريا وستة أرغفة يوميا، ولنجار الساقية ثمانية دراهم وثلاثة أرغفة، وللمباشر ستمائة درهم وأربعة أرغفة، وللشاهد خمسمائة درهم وثلاثة أرغفة، وللشاهد مثل المباشر وللجايى مثل الشاهد^(٢٢٩).

ومن كل هذا يتضح أن السلطان الغورى كان قد وفر لهذا الجامع بما أوقفه عليه وما قرره له كل مقومات وظائف التصوف التى عرفت عن الخانقاوات فيما سبقت الإشارة إليه.

ل - خانقاوات متفرقة :

بالإضافة إلى كل ما ذكر من خانقاوات دارسة وصل عددها إلى إحدى عشرة خانقاة، كانت هناك ست خانقاوات أخرى لم ترد عنها معلومات كافية فى المصادر والمراجع العربية، وما جاء عن كل منها لا يتعدى خبرا ذكره مصدر أو مرجع، وقد أثرتنا ذكرها قبل ان ينتهى الحديث فى هذا الفصل حتى لا نهمل الإشارة إليها.

وأول هذه الخانقاوات الست هى الخانقاة المجاهدية، وقد أورد ذكرها ابن حجر العسقلانى فى القرنين (٨-٩هـ / ١٤-١٥م) حين قال فى ترجمة محمد بن ابى بكر الرقى شهاب الدين بن العدنسية أنه كان «شيخ الخانقاة المجاهدية» حدث ومات فى ذى القعدة سنة (٧٣٦هـ / ١٣٣٥م)^(٢٣٠).

وثانيتهما هى الخانقاة الناصرية الجديدة، وما لدينا من معلومات عنها ينحصر فيما ذكره ابن حجر العسقلانى أيضا عندما ترجم لمجد الدين موسى بن أحمد بن محمود الأقصرى شيخ الخانقاة بسرياقوس وأنه قدم أولا من الاسكندرية حيث كان شيخا للخانقاة التى أقامها بيليك المحسنى، ثم

قرر في مشيخة الخانقاة الجديدة الناصرية وكان الناصر يعظمه، مات في ربيع الأول سنة (٧٤٠هـ / ١٣٣٩م) وقد أناف على السبعين^(٢٣١).

وثالثها خانقاة كريم الدين بالقرافة، وقد ورد ذكرها فيما أشار إليه ابن حجر عند ترجمته لموسى بن أحمد بن محمود الأقصرى المشار إليه في الخانقاة الناصرية الجديدة، حيث قال ثم قرر في مشيخة خانقاة كريم الدين بالقرافة، مات في ربيع الأول سنة (٧٤٠هـ / ١٣٣٩م)^(٢٣٢).

ورابعها خانقاة منجك اليوسفى وقد جاءت الإشارة إليها في كتاب جامع الكتابات العربية عند الحديث عن نص إنشاء تربة منجك إليوسفى وقد جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا قبر المقر الأشرف الصالح المولوى السيفى منجك كافل المملكة الشريفة الإسلامية توفى يوم الخميس بعد عصر تاسع عشرى شهر ذى الحجة الحرام سنة ست وسبعين وسبعمائة ودفن بكرة يوم الجمعة من شهر ذى الحجة غفر الله له ولمن ترحم عليه»^(٢٣٣)، وفي حاشية على هذا النص يقول المصنف تكملة لذلك «ودفن صبيحة يوم الجمعة بترتبه التى أنشأها عند جامعہ وخانقاه خارج باب الوزير بالقرب من قلعة الجبل»^(٢٣٤).

وخامستها الخانقاة الخاتونية بالربوة، وقد ذكرها ابن حجر عند ترجمته لمحمد بن على أبى بكر العنصرى فقال «شيخ الخانقاة الخاتونية بالربوة مات فى أواخر شهر رمضان سنة (٧٥٥هـ / ١٣٥٤م)^(٢٣٥).

وسادستها الخانقاة المؤيدية عند باب زويلة، وقد ورد بحجة منشئها أنها كانت قد زودت بمائتى مسكن للصوفية، وأن هذه المساكن (الخلوات) كانت تقع خلف الإيوان الغربى^(٢٣٦)، ومن ذلك يتضح أن جملة خانقاوات القاهرة التى درست كانت قد بلغت سبع عشرة خانقاة، وهو عدد إذا أضفناه إلى جملة الخانقاوات التى لازالت باقية مما ستتكلم عنه فى الفصول التالية وعددها ثلاث وثلاثون خانقاة، منها إحدى عشرة خانقاة مملوكية بحرية واثنى عشرة خانقاة مملوكية برجية لا تضح لنا أن جملة خانقاوات القاهرة كانت قد بلغت فى عصرى الأيوبيين والمماليك خمسون خانقاة.

٤ - الرباط والزاوية والتكية :

كان الرباط والزاوية والتكية على علاقة لا تنقسم مع الخانقاة، لأن وظيفة التصوف كانت قد مورست في كل من هذه الأبنية جميعا، فجاء الرباط سابقا على الخانقاة وجاءت الزاوية والتكية لاحقتين عليها.

والرباط كنما وردت تعريفاته في الموسوعات والمراجع هو نوع من المباني العسكرية التي خصصت لمراقبة المجاهدين في سبيل الله بشغور الحدود، وكانت عبارة عن مبان ذات تخطيط مستطيل يتألف من صحن أوسط تحيط به أبراج في الأركان، بالجانب القبلى للصحن مصلى وبالجوانب الأخرى حجرات صغيرة بغير نوافذ للمرابطين، ولا يؤدي إلى الرباط إلا مدخل واحد^(٢٣٧).

وقد رأى البعض - تأثرا بأفكار بعض الغربيين الذين شبهوا الأربطة بالأديرة المسيحية المحصنة - أن تصميم الرباط كان يشبه التحصينات البيزنطية^(٢٣٨)، على حين رأى البعض الآخر - وهو الأرجح تصديقا - أن مخطط الرباط ما هو إلا نظام معمارى مقتبس من القصور الأموية التي بنيت في بادية الشام منذ القرن (٢٠٠ هـ / ٨٠٠ م)^(٢٣٩).

أما في قواميس اللغة فقد ورد أن الرباط بالكسر ما تشد به الدابة والقرية وغيرهما، والجمع ربط، والرباط أيضا يعنى المراقبة وهي ملازمة ثغر الحدود وهو واحد الرباطات المبنية^(٢٤٠).

وأضاف المقرئ إلى نفس تعريف الرازى أن الرباط أيضا هو الذى يبنى للفقراء وهو مولد (أى من الألفاظ المشتقة) ويجمع فى القياس ربط يضمتمين ورباطات^(٢٤١)، ولا ندرى لم ابتعد هؤلاء وأولئك عن أصل الكلمة الذى ورد فى القرآن الكريم فى موضعين يقول الحق تبارك وتعالى فى أولهما «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم»^(٢٤٢) ويقول عز من قائل فى ثانيهما «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون»^(٢٤٣) وفى هذا ما يشير صراحة إلى أن المراقبة فى سبيل الله كانت أمر واجبا بنص القرآن الكريم.

هذا عن الرباط تعريفاً وتفسيراً، أما عن تاريخ الرباط فقد أفاضت علينا المراجع العربية بالكثير من المعلومات الهامة في هذا الصدد، وتشير هذه المعلومات إلى أن أصل الرباط - كما قلنا - هو بناء صغير حصين أعد لمراقبة المجاهدين في الثغور لحمايتهم، ثم زالت عنه بعد استيلاء أمن الدولة الإسلامية واستقرارها صفته الحربية، واتخذ بيتاً للتقشف والعبادة يسكنه الصوفية^(٢٤٤)، وهنا تبرز العلاقة بين الرباط والخانقاة، فتشير بعض المراجع العربية إلى أن نظام الخانقاة كان قد أخذ ترجيحاً - عن الرباط، حيث كان المرابطون يؤهلون دينياً وروحياً بجانب تدريبهم عسكرياً، وقد ظهر الرباط قبل الخانقاة بكثير، مثل رباط المنستيريتونس ويرجع إلى سنة (١٧٩هـ / ٧٩٥م) ورباط سوسة على خليج جابس بشمال أفريقيا ويرجع تاريخه إلى سنة (٢٠٦هـ / ٨٢١م) ورباط أبي شوتران في إيران ويرجع تاريخه إلى سنة (٣١٥هـ / ٩٢٧م)^(٢٤٥)، ويغلب على الظن أن من هذه الأربطة نشأت دعوة المرابطين الذين سيطروا على المغرب والأندلس في القرن (٥هـ / ١١م).

وقد ورد أن من شروط أهل الرباط قطع المعاملة مع الخلق وفتح المعاملة مع الحق وترك الاكتساب اكتفاء بما يجرى عليهم من الأرزاق، وحبس النفس عن المخالطات، واجتناب التبعات، ومواصلة الليل والنهار بالعبادة، والاشتغال بحفظ الأوقات وملازمة الأوراد وانتظار الصلوات، واجتناب الغفلات ليكون بذلك مرابطاً مجاهداً^(٢٤٦).

ولهذا كانت مهام مرابطى هذه الثغور تنحصر في قيام بعضهم بمنارات هذه الأربطة لمراقبة أية تحركات للأعداء، وبقاء بعضهم الآخر مستعداً على أسطحها أو على صهوة جيادها، على حين انشغل الباقون بإعداد السلاح والطعام والشراب، وكان من هؤلاء الطبيب والمعلم والنساخ والكفاؤون (صانعو الورق) والمشرفون على الحمام الزاجل، والقوادون الذين كانوا يتخاطبون ليلاً مع الأربطة الأخرى عن طريق النار باصطلاحات يعرفونها فيما بينهم، ومع أن الدولة كانت تتفق عليهم دائماً فإن هذا لم يمنع من تبرع المحسنين لهم بالأراضي والإقطاعات التي حبسوها عليهم^(٢٤٧).

وقد شطح الفكر ببعض الكتاب الغربيين فقال أحدهم «وكل ما كان لهم (أى للمسلمين) بيوت صغيرة للذكر في ظاهر المدن سموها رباطات .. ولكن يظهر أنه كان يعيش في

هذه البيوت المنعزلة بعض العباد فى ذلك العصر، فىحكى عن على بن ابراهيم الحصرى الصوفى (٣٧٠هـ / ٩٨٠م) أنه كبرت سنه فصعب عليه الحى الى الجامع فىبنى له الرباط المقابل لجامع المنصورة (٢٤٨)، وهو قول ليس له من المنطق أو الدين سند فلا يعقل بناء رباط لمسلم واحد لا يستطيع الحى الى المسجد.

وقد أكثر المسلمون من إقامة الربط على حدود دولتهم ولا سيما فى الشام والمغرب والأندلس، وكان أهل الرباط يجمعون بين حياة الجهاد والحياة الدينية، وهو أمر لا غرابة فيه لاسيما وأن حياتهم فى هذه الشور المنعزلة على حدود الدولة كانت تساعدهم على التعبد والتقشف، إلا أنه بعد أن ضعف خطر الصليبيين على الإسلام فى المشرق، أخذ الرباط يفقد طابعه الحربى - كما قلنا - وتغلبت عليه الصفة الدينية، وقد ساعد انتشار التصوف فى هذا العصر على خلق البر لبقاء الأربطة وتحويلها إلى دور للصوفية^(٢٤٩).

ولم تقتصر الأربطة فى الإسلام على أربطة الرجال فقط وإنما كان هناك من الأربطة ما خصص للنساء، وكانت هذه بمثابة دور لكفالة البنات والنساء من اليتامى والأرامل والمطلقات اللاتى لم يكن لهن عائل، ومع أن النسوة فى هذه الأربطة كن يحاكن الرجال فى ليس المرقعات من الصوف، إلا أن أربطة النساء كانت - كما يقول ابن حجر والسخاوى - بمثابة «ملاجى لهن»^(٢٥٠).

وجود هذه الأربطة للنساء أمر فى الحقيقة لا غرابة فيه لأن ما ورد فى المصادر والمراجع العربية يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن شىخة الرباط أو «صاحبة الرباط» أو «الصوفية» كانت من الوظائف التى ما رستها المرأة فى مصر ولا سيما فى العصر المملوكى، يدل على ذلك أن بىبرس الجاشنكير كان قد أنشأ مع خائقاته سنة (٧٠٩هـ / ١٣٠٩م) رباطا للأرامل والمطلقات، وقد زال هذا الرباط فيما بعد وأقيمت فى موضعه وفى بعض مواضع الخائقة مثل مساكن الصوفية وحظائر الدواب والخبىز الوكالة التى أنشأها سليمان أغا السلاحدار - سنة (١٢٣٣هـ / ١٨١٧م)^(٢٥١) ليس هذا فقط بل كان هناك من أربطة النساء بالإضافة إلى رباط الجاشنكير، رباط زوجة السلطان إينال بالخرنقش ورباط البغدادية الذى أنشأه الأميرة تذكراى إينة السلطان الظاهر بىبرس البندقدارى سنة (٦٦٤هـ / ١٢٨٥م) للشىخة زينب إينة أبى البركات المعروفة بالبغدادية

ومعها النساء المطلقات وغيرهن ممن طلبن الأنفراد وترك العالم، وقد ظل هذا الرباط باقيا حتى عهد المقرئى فى القرن (٩هـ / ١٥م) ثم آل أمره الى الاضمحلال حتى تلاشى من الوجود تماما وأصبح أثرا بعد عين^(٢٥٢).

ولعل من أبرز الأربطة فى مصر رباط الآثار الذى كان قريبا من بركة الحبش وقد بدأ فى إنشائه الأمير تاج الدين محمد بن صاحب وأكمّله إبنه من بعده وكان ذلك بين سنتى (٦٤٠ - ٧٠٧هـ / ٢٧١ - ١٣٠٧م)، وسمى هذا الرباط فيما بعد باسم مسجد أثر النبى ﷺ لاحتوائه على قطعتين إحداهما من الخشب والأخرى من الحديد قيل أنهما كانتا للنبي ﷺ اشتراهما تاج الدين بن صاحب من بنى إبراهيم فى ينبع (من الحجاز) بستين ألف درهم وأودعهما فيه، وقد ألحقت بهذا الرباط خزانة كتب^(٢٥٣) كان من أهمها أربعة شريفة أوقفها المقر الأشرف الكريم العالى الناصرى الجمالى أبو المحاسن يوسف ناظر الجيوش المنصورة والخواص الشريفة، وجاء على كل جزء منها أن «هذه الربعة الشريفة وعدتها ثلاثون جزءا قد أوقفت على الفقراء القاطنين بالرباط المعروف بإنشاء صاحب بهاء الدين بن حنا بمصر المحروسة الذى به الآثار الشريفة النبوية والمترددين إليه، ينتفعون به الانتفاع الشرعى، وشرط ألا يخرج منه بوجه من الوجوه وأشهد على نفسه الكريمة بذلك فى الخامس والعشرين من جمادى الأولى عام ست وخمسين وثمانمائة»^(٢٥٤) وقد أجرى السلطان الظاهر برقوق وابنه الناصر فرج أعمالا ترميمية فى هذا الرباط، ودليل ذلك لا يزال قائما على أحد الأعمدة المشتملة بهليز الرباط ممثلا فى نص يقول «الناصر ناصر الدنيا والدين فرج» وقد أثبت هذا النص لجنة حفظ الآثار العربية منذ معاينتها للرباط سنة (١٩٠٠م)^(٢٥٥).

وبالإضافة إلى أربطة القاهرة المذكورة ممثلة فى رباط الآثار والجاشنكير والبغدادية كان هناك رباط الزينى فى شارع بين السورين قريبا من الموسكى، وقد عرف هذا الرباط بضريح الشيخ أبى طالب نظرا لوجود نص محفور فى الحجر على عتب الشباك المجاور للمدخل يقول «هذا ضريح الشيخ الصالح سيدى أبو طالب نفعنا الله ببركته بمحمد وآله»^(٢٥٦) أما الأصل فيه فهو رباط أنشأه المقر الأشرف العالى الأميرى الكبيرى الزينى (ينحى) أستاذار العالية فى صفر سنة ست وخمسين وثمانمائة وخصمه لسكن صوفية خانقائه الزينية العشرين^(٢٥٧).

ليس هذا فقط بل كان هناك أيضا رباط العلامى الذى عرف بخانقاة المواصللة ورباط الناصر محمد بخانقاة سرياقوس الذى أنشأه لسكن صوفية خانقاته الأربعين، ورباط الأشرف برسبای الذى كان ملحقا بخانقاته بالتربعة وخصص لسكن صوفية خانقاته الخمسة والستين وغيرها من الأربطة التى درست ولم يعد لها وجود.

أما عن الزاوية فقد قصد بها فى الأصل أن تكون مسجدا صغيرا تقام فيه الصلاة، ولا تزال تطلق هذه التسمية فى مصر حتى اليوم على بعض المساجد الصغيرة إلا أن اللفظ كان قد تطور معناه فى المغرب الإسلامى فأصبح يقصد به الخانقاة أو منزل الصوفية^(٢٥٨).

وقد وردت الزاوية فى قواميس اللغة بمعنى «واحدة الزوايا» ومؤنث «الزاوى» وهى ركن لبيت، والمسجد غير الجامع ليس فيه منبر، وماوى المتصوفين والفقراء^(٢٥٩)، ويغلب على الظن أن انتشار هذه الزوايا كان قد أدى إلى شيوع التصوف وتعدد طوائفه، ومن ثم إلى دخول أمور مستحدثة لم يقرها المعتدلون من السلف من أهل الخوانق، وقد انتشرت هذه الزوايا فى جميع أنحاء العالم الإسلامى فكانت هناك مثلا زاوية الشيخ عبد الكبير الحضرمى فى مكة وقد أوقف الممالك عليها الأوقاف وخصصوا لها من الذهب الناصرى مائة دينار، وزوايا الطوائف فى الشام وآسيا الصغرى، والزوايا السنوسية فى المغرب والزوايا التيجانية فى السودان والزوايا القادرية فى غرب افريقية، وكانت كل هذه الزوايا إما فردية عرفت باسم ساكنها أو منشعها وإما جماعية احتفظت بالطابع الدينى الأول فتشابهت بذلك مع المدارس والخانقاوات فى مهمتها.

وهكذا تداخلت أسماء الخانقاة والرباط والزاوية لا سيما بعد ما تشابهت وظائفها فى مصر على عصر سلاطين الممالك، فاختلط الأمر على البعض، ولم تعد التفرقة فيما بينها واضحة لديهم، وقد زاد من صعوبة هذا التداخل تضارب الآراء التى وردت فى المصادر العربية خاصة بهذا المعنى ولا سيما ما ذكره ابن الحاج من أن الرباط هو ما عرف فى عرف معناه عند العجم بالخانقاة^(٢٦٠)، وما ذكره ابن بطوطة من أن الزوايا فى مصر كثيرة وهم يسمونها الخوانق (جمع خانقاة)، ويتنافس الأمراء فى بناء هذه الزوايا، وكل زاوية منها معينة لطائفة من الفقراء، وأكثرهم الأعاجم، وهم أهل أدب ومعرفة بطريقة التصوف، ولكل زاوية شيخ وحارس وترتيب أمورهم

عجيب^(٢٦١)، وما أشار إليه ابن إياس من أن السلطان قايتباي كان قد أنشأ زاوية بالمرج فسميت لذلك بالمرج الزاوية^(٢٦٢) أما ما ذكره المقرئ فقد فرق فيه بين الخانقاوات والأربطة والزوايا وتحدث عن كل منها بذاته وإن لم يخرج حديثه فيها عن معنى واحد هو أنها جميعا سميت «بيت الصوفية»^(٢٦٣).

ومع ذلك فقد كان هناك من الفوارق ما يميز حتى بين الأربطة بعضها وبعض فكان منها الأربطة التي أنشئت على حدود الدولة أو في ثغورها وكانت مخصصة للدفاع عن حدود الوطن، والأربطة التي خصصت لاستقبال الغرباء الوافدين من البلاد الخارجية، والأربطة التي كانت ملحقة بالخانقاوات وقد ساعدت كل هذه العوامل دون شك على تضارب الآراء والمفاهيم حول هذه المنشآت جميعا.

والواقع أن ما ذكره بعض المستشرقين من تسمية هذه المنشآت بالملاجئ هو قول لا يبعد عن الحقيقة كثيرا، لأن بيوت الصوفية في ذلك العصر سواء كانت خانقاوات أو أربطة أو زوايا أو تكايا لم تكن بيوت عبادة فحسب بل كانت مأوى لكل مريد أو صاحب عاهة أو كبير سن أو فاقد بصر، فضلا عن اليتيمات والمطلقات والأرامل.

أما عن التكية فإن ما ورد بشأنها في قواميس اللغة يقول أنها «خانقاة الدراويش يمر فيها المريدون بطورى الرضاع والفطام، وجمعها تكايا»^(٢٦٤)، وقد أنشئت التكايا في العصر العثماني في مصر لتحل محل الخانقاة وإن كانت تختلف عنها كثيرا في تخطيطها المعماري، لأن التكية كانت عبارة عن صحن به حديقة وفسقية تحيط به من الجهات الأربع إيوانات تفتح على هذا الصحن يعقود محمولة على أعمدة، وتغطي هذه الإيوانات بقباب كروية صغيرة، وتتظم من حولها قاعات الدراويش المعقودة بنفس القباب، وكان من المعتاد أن يلحق بكل تكية من هذه التكايا مسجد صغير وسيل^(٢٦٥).

وقد جرت العادة أن يدفن الدراويش في التكية أسوة - على ما يبدو - بما كان متبعاً من دفن الصوفية في حوش الخانقاة، ولا زال بالقاهرة حتى الآن خمس تكايا هي التكية المولوية التي

الحقت بمدفن حسن صدقة وتاريخها (٧١٥ - ٧٢١ هـ / ١٣١٥ - ١٣٢١ م)، وتكية المغاوري التي تعرف باسم التكية البكتاشية للمذهب البكتاشي وتاريخها (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م)، وتكية الكلشنى للمذهب القادري وتاريخها (٩٢٦ - ٦٣١ هـ / ١٥٢٤ م)، والتكية السليمانية وتاريخها (٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م) وأخيرا تكية السلطان محمود وتاريخها (١١٦٤ هـ / ١٧٥٠ م)^(٢٦٦).

جواشي وتحليقات فصول
الدراسات التاريخية والصوفية
والأثرية المعمارية

حواشي وتعليقات فصول

الدراسات التاريخية والصوفية والأثرية المعمارية

- ١ - ابن بطوطة : الرحلة : ص ٣٧.
- ٢ - المقرئى : الخطط : ج ٢ ص ٤١٣.
- ٣ - السيوطى : حسن المحاضرة : ج ٢ ص ٢٥٦ ج ١.
- ٤ - على باشا مبارك : الخطط التوفيقية : ج ٦ ص ٤٨.
- ٥ - عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والملوكى : ج ١ ص ١٠٥.
- سعاد ماهر : القاهرة القديمة وأحيائها : ص ٧٢.
- صالح لمى مصطفى : التراث المعمارى الإسلامى فى مصر : ص ١١٨.
- الموسوعة العربية الميسرة : ص ٧٥٠.
- كمال سامح : العمارة الإسلامية فى مصر : ص ١٠.
- زكى محمد حسن : فنون الإسلام : ص ٢٧-٢٨.
- خليل الجبر وآخرون : المعجم العربى الحديث : (لاروس) ص ٤٧٩.
- محمد كرد على : خطط الشام : ج ٦ ص ١٣٠.
- عبد الجليل عبد المهدى : المدارس فى بيت المقدس : ج ١ ص ٤٠٠-٤٠٢.
- ٦ - محمد نور الدين عبد المنعم : بحث فى الألفاظ الفارسية فى العامية المصرية ورد فى دراسات فى الحضارة الإسلامية : ص ٢٠٧-٢٤٣.
- ٧ - سعد زغلول عبد الحميد : العمارة والفنون فى دولة الإسلام : ص ٤٧٧.
- ٨ - حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية : ج ١ ص ١٣٥.
- ٩ - المقرئى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٤١٤.
- سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون : ج ١ ص ٢٥-٢٦.
- ١٠ - على باشا مبارك : المصدر السابق : ج ٦ ص ٤٨-٤٩.
- ١١ - المقرئى : المصدر السابق : ج ٢ ص ١٣.

- جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى : ج١ ص ٢٠٢.
- سعاد ماهر : القاهرة القديمة وأحيائها : ص ٥٠.
- ١٢ - آدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى : ج٢ ص ٢٩-٣٠.
- ١٣ - سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون : ج١ ص ٢٥-٢٦.
- لين بول : سيرة القاهرة : ص ١٩١-١٩٣.
- ١٤ - دولت عبد الله : معاهد تزكية النفوس فى مصر فى العصرين الأيوبي والمملوكى : ص ٢٣-٢.
- سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك : ص ١٧٠-١٧٢.
- فريد شافعى : العمارة العربية : ماضيها وحاضرها ومستقبلها : ص ١٢٤.
- ١٦ - لين بول : المرجع السابق : ص ١٦٧.
- ١٧ - الغزالي : إحياء علوم الدين : ج١ ص ٧.
- ١٨ - ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : ج١ ص ٢٥٧-٢٥٨.
- ١٩ - السيوطى : حسن المحاضرة فى ملوك مصر والقاهرة: ج١ ص ٢١٢.
- ٢٠ - ابن جبير: الرحلة : ص ٢٥٨.
- المقرئى المصدر السابق: ج٢ ص ٣٤١.
- ٢١ - المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم: ج١ ص ٢٠٥.
- ٢٢ - ابن جبير: المصدر السابق : ص ٢٦٠.
- ٢٣ - المقرئى: المصدر السابق ج٢ ص ٢٥٥.
- ٢٤ - أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها «العصر الأيوبي» ص ١٤٣ - ١٤٦.
- ٢٥ - المقرئى: المصدر السابق : ج٢ ص ٣٤١.
- ٢٦ - السبكي: طبقات الشافعية الكبرى: ج٣ ص ١٣٧.
- ٢٧ - السيوطى: المصدر السابق : ج٢ ص ٢٥٥.
- ٢٨ - نفس المصدر: ج٢ ص ٢٥٥.
- ٢٩ - ابن جبير: المصدر السابق: ص ٢٦٠.
- ٣٠ - المقرئى : المصدر السابق: ج٣ ص ٣٨٠.

- ٣١ - نفس المصدر: ج٢ ص ٢٧٨.
- ٣٢ - ياقوت الحموى: معجم البلدان: ج٥ ص ٤١٥.
- ٣٣ - القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا: ج١ ص ٣٧٠.
- ٣٤ - حجة بيمرس الجاشنكير رقم ٢٣٠ - محكمة شرعية.
- ٣٥ - القلقشندى: المصدر السابق: ج١١ ص ٢٤٦ - ٢٤٧.
- ٣٦ - الذهبى: تاريخ الإسلام: ج٣ ص ١٦٤.
- ٣٧ - سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٤٤ - ١٤٦.
- ٣٨ - نفس المرجع: ص ١٧٠.
- ٣٩ - السخاوى: التبر المسبوك فى ذيل السلوك: ص ٢١٦.
- ٤٠ - سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٤٥ - ١٤٦.
- ٤١ - ابن خلكان: المصدر السابق: ج١ ص ١٩٣.
- ٤٢ - ياقوت الحموى: المصدر السابق: ج٨ ص ٣٦.
- ٤٣ - المقرئى: المصدر السابق: ج٢ ص ٣٣٧.
- ٤٤ - محمد ماهر حمادة: المكتبات فى الإسلام: ص ١٥٠.
- ٤٥ - السخاوى: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: ج١ ص ٣٧ - ٣٨ ترجمة رقم ٣٧.
- ٤٦ - نفس المصدر: ج٣ ص ٢٤٩ - ٢٥٣ ترجمة رقم ٩٣٩.
- ٤٧ - نفس المصدر: ج٤ ص ٢٨١ - ٢٨٢ ترجمة رقم ٧٤٧.
- ٤٨ - نفس المصدر: ج٥ ص ٥٦ - ٥٧ ترجمة رقم ٢٠٩.
- ٤٩ - نفس المصدر: ج٣ ص ٢١١ - ٢١٢ ترجمة رقم ٧٩٤.
- ٥٠ - نفس المصدر: ج٣ ص ٢٣٤ - ٢٣٨ ترجمة رقم ٨٩٢.
- ٥١ - نفس المصدر: ج٤ ص ٤٠ ترجمة رقم ١٢٤.
- ٥٢ - نفس المصدر: ج٤ ص ٢٦٩ - ٢٧٠ ترجمة رقم ٧١٤.
- ٥٣ - نفس المصدر: ج٦ ص ٢٢٦ ترجمة رقم ٧٦٥.
- ٥٤ - نفس المصدر: ج٤ ص ٣٣٠ - ٣٣١ ترجمة رقم ٩١٣.
- ٥٥ - نفس المصدر: ج٣ ص ١٢ - ١٣ ترجمة رقم ٤٩.

- ٥٦ - الغزى: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة: ج١ ص ١٩٦ - ٢٠٧.
- ٥٧ - نفس المصدر: ج١ ص ٢١١.
- ٥٨ - السخاوى: تحفة الأحياب: ص ١٨٠،
- ابن الحاج: المدخل: ج٢ ص ١٤١،
- الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٢٥ - ٥٢٦،
- دولت عبد الله: المرجع السابق.
- Abdur Raziq (a.): La femme : P . P . 77 79.
- ٥٩ - دائرة المعارف الإسلامية: الطبعة الأوربية الأولى: ج٤ ص ٧٣٩ - ٧٤٠.
- ٦٠ - Ritter (H.) Studien zur Geschichte der Islamischen
Frommigkiet , Islam 21 , 1933, P . P . 1-63.
- ٦١ - أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء: ج٢ ص ٧٩ - ٩٨، ١٠٢ - ١٦.
- ٦٢ - الجاحظ: البيان والتبيين: ج٣ ص ١٢٥ - ٢٠٢.
- ٦٣ - فؤاد مذكرين: تاريخ التراث العربى: ج٤ م ١ ص ٩١ - ٩٣.
- ٦٤ - السخاوى: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ: ص ١٠٤ - ١٠٥.
- ٦٥ - آدم متر: المرجع السابق: ج٢ ص ٢٠ - ٢١.
- ٦٦ - ابن العربى: الفتوحات المكية: ج١ ص ٢٠٦.
- ٦٧ - آدم متر: المرجع السابق: ج٢ ص ٢١ حاشية ٢.
- ٦٨ - الكندى: الولاة والقضاة ص ١٦٢،
- المقرئى: المصدر السابق.
- كامل الشعيبي: الصلة بين التصوف والتشيع: ص ٢٣٢.
- ٦٩ - اليعقوبى: تاريخ: ج٣ ص ١٧٤ وأنظر أيضا:
- آدم متر: المرجع السابق: ج٢ ص ٢٢ - ٢٣.
- ٧٠ - مصطفى الشعيبي: المرجع السابق: ص ٢٣٥.
- ٧١ - محمد توفيق البكرى: نشأة التصوف والصوفية: ص ٧٠٦،
- الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٢٦ - ٥٢٧.

- ٧٢ - ابن خلدون: المقدمة: ص ٣٧١ - ٣٧٢، وانظر أيضا:
- الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٢٦.
- ٧٣ - البكري: المرجع السابق: ص ٧.
- ٧٤ - راجع: يوسف بن اسماعيل التبهاني: كتاب: جامع كرامات الأولياء وبهامشه كتاب: نشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية لسيدى عبد الله بن أسعد اليافعي: ج ٢ هامش ص ٣٤٠ - ٣٤٢.
- ٧٥ - آدم متز: المرجع السابق: ج ٢ ص ٤٢ - ٤٣.
- ٧٦ - نفس المرجع: ج ٢ ص ٤٨ - ٥٧.
- ٧٧ - ابن خلدون: المصدر السابق: ص ٣٧٥ - ٣٧٦.
- ٧٨ - أبو طالب المكي: قوت القلوب: ج ١ ص ١٤١.
- ٧٩ - سعاد ماهر: مساجد مصر: ج ٣ ص ١٠ - ١١،
- دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٣٣.
- ٨٠ - الحلاج: كتاب الطواسين: ص ٢٣ - ٣٠.
- آدم متز: المرجع السابق: ج ١ ص ٣٥٢ - ٣٥٣.
- ٨١ - كامل الشعبي: المصدر السابق: ص ٣٤٣ وانظر أيضا:
- فتحة التبراي: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية: ص ٢٠٣.
- ٨٢ - كامل الشعبي: المصدر السابق: ص ٣٤٣ - ٣٤٥.
- ٨٣ - ابن خلدون: المصدر السابق: ص ٣٧٠ - ٣٧١ وانظر أيضا:
- صالح لمي: المرجع السابق: ص ٢٥.
- ٨٤ - حسين مؤنس: ابن بطوطة ورحلاته: ص ٢٧ وانظر أيضا
- عبد الجليل عبد المهدي: المدارس في بيت المقدس: ج ١ ص ١١٠ - ١١٣،
- توماس أرنولد: تراث الإسلام: ص ٣٣٣،
- سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٦٢ - ١٦٣.
- ٨٥ - نفس المرجع: ص ١٦٧ - ١٦٨،
- سعاد ماهر: مساجد مصر: ج ٣ ص ١١ - ٢٢،

- دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٣٥ - ٣٦.
- ٨٦ حسين مؤنس: المرجع السابق: ص ٢٧ - ٢٨،
- توماس أرنولد: المرجع السابق: ص ٣٤٦.
- ٨٧ المقرئى: المصدر السابق: جـ ٢ ص ٤١٣ وراجع أيضا:
- القشيري: الرسالة: ص ٧ - ٧،
- سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ ١ ص ٢٥، ١٣٠، جـ ٣ ص ٩ - ١٠.
- ٨٨ راجع: اليافعى: المصدر السابق: هامش ص ٣٤٥ - ٣٤٧،
- الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٢٥،
- آدم متز: المرجع السابق: جـ ٢ ص ٢٣ - ٢٤.
- ٨٩ راجع: محمد توفيق البكرى: المصدر السابق: ص ١ - ٥،
- المقرئى: المصدر السابق: جـ ٢ ص ٤١٣،
- اليافعى: المصدر السابق: هامش ص ٣٤٣.
- ٩٠ الجاحظ: المصدر السابق: جـ ١ ص ١٩٥.
- ٩١ أنظر: دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٢٩ - ٣٠.
- ٩٢ راجع الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٢٦.
- ٩٣ راجع: ابن حبيب: درة الأسلاك: جـ ٢ ص ٢٦٠،
- ابن خلدون: المصدر السابق: ص ٥٢٢،
- المقرئى: المصدر السابق: جـ ٢ ص ٤١٣،
- كامل الشعيبي: المصدر السابق: ص ٢٦٠،
- زكى مبارك: التصوف: جـ ١ ص ٦٤،
- دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٢٩،
- توماس أرنولد: المرجع السابق: ص ٣٠٦،
- الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٢٥،
- فتحة النبراوى: المرجع السابق: ص ٢٠٣.
- ٩٤ الشعراني: لواقح الأنوار: جـ ١ ص ٢٤٢.

- ٩٥ - ابن الحاج: المصدر السابق: جـ ٣ ص ٢٠٧.
- ٩٦ - الشعراني: المصدر السابق: جـ ٢ ص ١٧٦.
- ٩٧ - السخاوي: تحفة الأجيال: ص ١٩ - ٣٢،
- ابن تفرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة: جـ ٩ ص ٢٩٥.
- ٩٨ - سورة الفتح: آية ١٠.
- ٩٩ - البكرى: المصدر السابق: ص ٢٥ - ٢٧.
- ١٠٠ - فتحية النبراوى: المرجع السابق: ص ٢٠٣.
- ١٠١ - حسين مؤنس: المرجع السابق: ص ٥٥.
- ١٠٢ - ابن حجر: الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة: جـ ٤ ص ٣٤٩ ترجمة رقم ٩٥٠.
- ١٠٣ - السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: جـ ١ ص ٨٦.
- ١٠٤ - نفس المصدر: جـ ٢ ص ١٩٤ - ٢٠١ ترجمة رقم ٥٣٠.
- ١٠٥ - نفس المصدر: جـ ٢ ص ٢٢٨ - ٢٢٩ ترجمة رقم ٦٤٣٤.
- ١٠٦ - ابن الجوزى: تلبيس إبليس: ص ٢٩٢ - ٢٠٥ وما ذكره البكرى عن الزى الأخضر والأحمر فى نشأة التصوف والصوفية ص ١٦ - ١٧.
- ١٠٧ - ابن بطوطة: المصدر السابق: ص ٣٧ - ٣٩،
- سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٧٢.
- ١٠٨ - البكرى: المصدر السابق: ص ٨ - ١٠.
- ١٠٩ - راجع القاضى مجير الدين الحنبلى: الأئمة الجليل بتاريخ القدس والخليل: جـ ٢ ص ١٩٤ - ١٩٥،
- عبد الجليل عبد المهدى: المرجع السابق: جـ ١ ص ١١١.
- ١١٠ - السيد البار العرينى: مصر فى عصر الأيوبيين: ص ٢٢٦.
- ١١١ - المقرئى: المصدر السابق: جـ ٢ ص ٤١٤.
- ١١٢ - نفس المصدر: جـ ٢ ص ٤١٣ وراجع أيضا:
- توفيق الطويل: التصوف فى مصر: ص ١٥١ - ١٥٢،
- عبد اللطيف إبراهيم: دراسات تاريخية وأثرية: جـ ١ ص ١٥٩ - ١٦٠،

- سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٧٤ - ١٧٥،
- سعاد ماهر: القاهرة القديمة وأحيائها: ص ٧٣.
- ١١٣ - أنظر أيضا: سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٧٤.
- ١١٤ - ابن خلدون: المصدر السابق: ص ٣٧٠ - ٣٧١.
- ١١٥ - سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٦٣ - ١٦٤.
- ١١٦ - توماس آرنولد: المرجع السابق: ص ٣١١ - ٣١٢.
- ١١٧ - حسين مؤنس: المرجع السابق: ص ٣٨ وأنظر أيضا:
- السيد الباز العرينى: المرجع السابق: ص ٢١٨ - ٢١٩.
- ١١٨ - الشعراني: المصدر السابق: ج ١ ص ٢٣٤،
- سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٦٥.
- ١١٩ - المقرئى: المصدر السابق: ج ٢ ص ٤١٣.
- ١٢٠ - ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة: ص ١٩٣.
- ١٢١ - الغزالي: المرجع السابق: ج ٢ ص ١٥٣ وأنظر أيضا:
- فتحية النبراوى: المرجع السابق: ص ٢٠٢.
- ١٢٢ - ابن حجر العسقلانى: فتح البارى بشرح صحيح البخارى: ج ٣ ص ٢٦١.
- ١٢٣ - منهاج الصالحين: حديث رقم ٣٠٠ ص ٢٠٩.
- ١٢٤ - نفس المصدر: حديث رقم ٣٠٥ ص ٢٠٩.
- ١٢٥ - المقرئى: المصدر السابق: ج ٢ ص ٤١٤.
- ١٢٦ - البكرى: المصدر السابق: ص ١٠ - ١١.
- ١٢٧ - المناوى: الكواكب الدرية: ج ١ ص ٢٠٩،
- ذولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٣٣.
- ١٢٨ - ابن خلكان: المصدر السابق ج ١ ص ٣٤،
- سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٦٣.
- ١٢٩ - ابن يباس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور: ج ٣ ص ٧٨.
- ١٣٠ - راجع فى ذلك: الكلاباذى: التعرف لمذهب أهل التصوف: ص ٥٧، ٧٢،

- آدم متز: المرجع السابق: جـ ٢ ص ٢٩ - ٣٠،
- صالح لمي: المرجع السابق: ص ٢٥،
- الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٢٦.
- ١٣١ - راجع هذا القول وغيره في: البكري: المصدر السابق: ص ٢٣ - ٢٥.
- ١٣٢ - راجع في ذلك: البكري: نفس المصدر: ص ١٣ - ١٥.
- ١٣٣ - راجع: فتحة النبراوي: المرجع السابق: ص ٢٠٥.
- ١٣٤ - ابن ظهيرة: المصدر السابق: ص ١٩٣.
- ١٣٥ - أنظر: توماس آرنولد: المرجع السابق: ص ٣١٢ - ٣١٣،
- السيد الباز العريني: المرجع السابق: ص ٢١٧ وراجع أيضا:
- ابن التديم: الفهرست: ص ٣٥٨،
- أبو نعيم: المصدر السابق: جـ ٩ ص ٣٣١،
- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: جـ ٨ ص ٣٩٣ - ٣٩٧،
- ابن خلكان: المصدر السابق: جـ ١ ص ١٢٦،
- ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: جـ ٢ ص ١٠٧.
- ١٣٦ - راجع مقال الدكتور إبراهيم الدسوقي شتا عن «دور المتصوفة الإيرانيين في ميدان التصوف الإسلامي» في كتاب «دراسات في الحضارة الإسلامية» ص ٢٤٥ - ٢٧٠،
- الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٣٦.
- ١٣٧ - راجع: ابن تغرى بردى: المصدر السابق: جـ ٢ ص ٤٧،
- آدم متز: المرجع السابق: جـ ٢ ص ٢٥ - ٢٧.
- ١٣٨ - آدم متز: نفس المرجع: جـ ٢ ص ٢٧ - ٢٨.
- ١٣٩ - نفس المرجع: جـ ٢ ص ٢٧ - ٢٨.
- ١٤٠ - راجع: ابن خلكان: المصدر السابق: جـ ١ ص ٤٨٣،
- ابن العماد: المصدر السابق: جـ ٢ ص ٧٤١،
- عبد الرحمن زكي: القاهرة - تاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتي المؤرخ ص ٧٨ - ٨٠،

- السيد الياز العرينى: المرجع السابق: ص ٢١٦ - ٢١٧.
- ١٤١ - راجع: فتحية النبراوى: المرجع السابق: ص ٢٠٤ - ٢٠٥.
- ١٤٢ - راجع: الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٢٦.
- ١٤٣ - نفس المرجع: ص ٥٢٦.
- ١٤٤ - راجع: سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٦٢ - ١٦٣،
Abdur - Raziq (A.) : op. Cit . P. 78.
- ١٤٥ - البكرى: المصدر السابق: ص ١٨ - ٢٢.
- ١٤٦ - راجع ابن قتيبة: مختلف الحديث: ص ٨٤ وما بعدها.
- ١٤٧ - ابن الحاج: المصدر السابق: ج ١ ص ١٠٤.
- ١٤٨ - نفس المصدر: ج ٢ ص ٢ - ٦.
- ١٤٩ - راجع: السخاوى: الذيل على رفع الإصر: ص ٣٧،
الشريينى: هز القحوف: ص ٧٦،
- سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٦٦.
- ١٥٠ - أنظر: زكى محمد حسن: المرجع السابق: ص ٢٣ - ٢٤،
محمود وصفى: دراسات فى الفنون والعمارة العربية الإسلامية: ص ٤١ - ٤٢،
- أبو صالح الألفى: الفن الإسلامى: ص ٢٠٢ - ٢٠٤.
- ١٥١ - إرنست كونل: الفن الإسلامى: ص ١٠٧ - ١٠٥.
- ١٥٢ - لين بول: المرجع السابق: ص ٢٠٨.
- ١٥٣ - سعاد ماهر: مساجد مصر: ج ٣ ص ١٤.
- ١٥٤ - نفس المرجع: ج ٣ ص ١٥.
- ١٥٥ - نفس المرجع: ج ٣ ص ١٥.
- ١٥٦ - زكى محمد حسن: المرجع السابق: ص ٧٩ - ٨٠،
- أنور الرفاعى: تاريخ الفن عند العرب والمسلمين: ص ٨٠،
- كمال سامح: المرجع السابق: ص ٣٦،
- أبو صالح الألفى: المرجع السابق: ج ٢٠٣،

- إرنست كونل: المرجع السابق: ص ١٠٨،
- لين بول: المرجع السابق: ص ١٩٤.
- ١٥٧ - إرنست كونل: نفس المرجع: ص ١٠٨.
- ١٥٨ - زكى محمد حسن: المرجع السابق: ص ١٤٤ - ١٤٨،
- لين بول: المرجع السابق: ص ١٩٤،
- إرنست كونل: المرجع السابق: ص ١٠٨،
- كمال سامح: المرجع السابق: ص ٣٦.
- ١٥٩ - لين بول: المرجع السابق: ص ١٩٤،
- إرنست كونل: المرجع السابق: ص ١٠٨.
- ١٦٠ - أبو صالح الألفى: المرجع السابق: ص ٢٠٤،
- أنور الرفاعى: المرجع السابق: ص ٨١،
- كمال سامح: المرجع السابق: ص ٣٦،
- إرنست كونل: المرجع السابق: ص ١١٠.
- ١٦١ - زكى محمد حسن: المرجع السابق: ص ١٥٢.
- ١٦٢ - صالح لمعى: المرجع السابق: ص ٢٩.
- ٦٣ - راجع: المقرئى: السلوك لمعرفة دول الملوك: جـ ٣ ص ٤٦٤،
- ابن تفرى بردى: المصدر السابق: جـ ٥ ص ٣٨١،
- ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر: جـ ١ ص ٧٧٢،
- ابن حبيب: المصدر السابق: جـ ٣ ص ١٥٩،
- سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٤٣.
- ١٦٤ - ابن الصيرفى: إنباء الهصر بأبناء العصر: ص ٢٣٩ - ٢٤٠.
- ١٦٥ - نفس المصدر: ص ٢٣٨ - ٢٣٩.
- ١٦٦ - صحيح البخارى: جـ ٢ ص ٤٢٢،
- صحيح مسلم: جـ ٢ ص ٧١.
- ١٦٧ - صحيح البخارى: جـ ١ ص ٤١٦.

- ١٦٨ - الألباني: تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد: ص ١٤.
- ١٦٠ - زكى محمد حسن: المرجع السابق: ص ٢٥ - ٢٦،
- محمود وصفى: المرجع السابق: ص ٣٩،
- حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية: ص ١٦٧.
- ١٧٠ - فريد شافعى: المرجع السابق ص ١٧٧ - ١٨٩،
- صالح لمعى: المرجع السابق: ص ٢٩ - ٣٢.
- ١٧١ - راجع: زكى محمد حسن: المرجع السابق: ص ١٥٣ - ١٥٤،
- فريد شافعى: المرجع السابق: ص ١٨٩،
- كمال سامح: المرجع السابق: ص ١٠٦ - ١٠٨،
- ثروت عكاشة: القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية: ص ١٣٨.
- ١٧٢ - إرنست كونل: المرجع السابق: ص ١٠٦.
- ١٧٣ - لين پول: المرجع السابق: ص ١٩٤.
- ١٧٤ - صالح لمعى: المرجع السابق: ص ٢٩.
- ١٧٥ - راجع: حجة رقم ٨٨٣ أرشيف وزارة الأوقاف وأنظر أيضا:
- سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٧٢.
- ١٧٦ - زكى محمد حسن: المرجع السابق: ص ٢٨.
- ١٧٧ - حسن الباشا: المرجع السابق: ص ٢٠٧ - ٢١٠.
- ١٧٨ - صالح لمعى: المرجع السابق: ص ٣٣ - ٣٦.
- ١٧٩ - زكى محمد حسن: المرجع السابق: ص ٢٨،
- حسن الباشا: المرجع السابق: ص ٢١٠ - ٢١١،
- محمود وصفى: المرجع السابق: ص ٤٠.
- ١٨٠ - راجع: صالح لمعى: المرجع السابق: ص ٤٣٠ - ٤٤.
- ١٨١ - راجع: التويرى: نهاية الأرب فى فنون الأدب: ج ٣٠ ص ٣٤١،
- سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٥٠.
- ١٨٢ - راجع: المقرئى: الخطط: ج ٢ ص ٤٢٥.

- ١٨٣ - نفس المصدر: جـ ٢ ص ٤٢٥.
- ١٨٤ - نفس المصدر: جـ ٢ ص ٣٨٢.
- ١٨٥ - نفس المصدر: جـ ٢ ص ٣٨٢.
- ١٨٦ - على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ ٦ ص ٥١ وراجع أيضا:
- نفس المصدر: جـ ٥ ص ٤١، ٥١،
- عبد الرحمن زكي: المرجع السابق: ص ١٢٩ - ١٣٠.
- ١٨٧ - ابن حجر: الدرر الكامنة: جـ ٤ ص ٥٠ ترجمة رقم ١٤٩.
- ١٨٨ - نفس المصدر: جـ ٣ ص ١٦١ - ١٦٤ ترجمة رقم ٣٨٢.
- ١٨٩ - دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤٣.
- ١٩٠ - المقرئ: الخطط: جـ ٢ ص ٤٢١.
- ١٩١ - نفس المصدر: جـ ٢ ص ٤٢١ - ٤٢٢،
- ابن تغرى بردى: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي: جـ ١ ص ٨١ ح ٦،
- عبد الله حمزة: المرجع السابق: جـ ١ ص ١٠٨،
- سعاد ماهر: القاهرة القديمة: ٧٢.
- ١٩٢ - راجع: ابن الجيمان: التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية: ص ١٣،
- ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار: ق ٢ ص ٥٠.
- ١٩٣ - المقرئ: الخطط: جـ ٢ ص ٣٠٣ - ٣٠٤.
- ١٩٤ - نفس المصدر: جـ ٢ ص ٣٠٤.
- ١٩٥ - ابن حجر: الدرر الكامنة: جـ ٤ ص ٣٧٣ ترجمة رقم ١٠١٤.
- ١٩٦ - السخاوى: الضوء اللامع: جـ ٢ ص ٢١٥ ترجمة رقم ٥٨٩.
- ١٩٧ - نفس المصدر: جـ ٢ ص ٢١٧ ترجمة رقم ٦٠١.
- ١٩٨ - المقرئ: المصدر السابق: جـ ٢ ص ٤٢٢.
- ١٩٩ - نفس المصدر: جـ ٢ ص ٤٤٢،
- ابن حجر: المصدر السابق: جـ ١ ص ٤٨٦ ترجمة رقم ١٣٠٨.
- ٢٠٠ - أنظر أيضا: عبد اللطيف إبراهيم: المرجع السابق: ص ٢٠.

- ٢٠١ - ابن حجر: المصدر السابق: ج١ ص ٤٨٦ - ٤٨٧ ترجمة رقم ١٠٣٨.
- ٢٠٢ - المقرئى: المصدر السابق: ج٢ ص ٤٢٣.
- ٢٠٣ - نفس المصدر: ج٢ ص ٤٢٢.
- ٢٠٤ - نفس المصدر: ج٢ ص ٤٢٢.
- ٢٠٥ - ابن حجر: المصدر السابق: ج٣ ص ٤١٥ - ٤١٦ ترجمة رقم ١١٠٤.
- ٢٠٦ - السخاوى: الضوء اللامع: ج١ ص ٥٩ - ٦١.
- ٢٠٧ - المقرئى: المصدر السابق: ج٢ ص ٤١٨.
- ٢٠٨ - نفس المصدر: ج٢ ص ٣٠٨.
- ٢٠٩ - على باشا مبارك: المصدر السابق: ج٣ ص ١٠، ج٦ ص ٤٩.
- ٢١٠ - ابن حجر: المصدر السابق: ج١ ص ١٤٠.
- ٢١١ - السخاوى: المصدر السابق: ج٦ ص ١١٨.
- ٢١٢ - نفس المصدر: ج٦ ٢٧٧ وراجع أيضا:
- المقرئى: المصدر السابق: ج٢ ص ٤١٨.
- ٢١٣ - المقرئى: نفس المصدر: ج٢ ص ٤٢٦.
- ٢١٤ - على باشا مبارك: المصدر السابق: ج٢ ص ٤٩.
- ٢١٥ - أنظر أيضا : عبد الرحمن زكى : المرجع السابق: ص ١٣٠.
- ٢١٦ - المقرئى: المصدر السابق: ج٢ ص ٣٨٣ - ٣٨٤.
- ٢١٧ - نفس المصدر: ج٢ ص ٤٢٤،
- على باشا مبارك: المصدر السابق: ج٦ ص ٥١،
- Hautcoeur (L.) et wiet. (G.): Les Mosques du caire, 1.P.P.200 - 270.
- ٢١٨ - المقرئى: المصدر السابق: ج٢ ص ٤٢٤.
- ٢١٩ - دار الوثائق القومية - سجل حجج الملوك والأمراء رقم ٣٥٥ / ٥٣ مؤرخة فى ٢٥ ربيع الأول سنة (٨٢٥هـ / ١٤٢٢م).
- ٢٢٠ - Supplement aux Annales Islamiques, cahier No 10, I. F. A. O, 665, le - ٢٢٠
Caire, 1987, P.P.27 - 30.

Fath Allah and Abu zakariyya, physicians under Mamluks, By: Doris Behrens Abouseif.

- ٢٢١ - ابن حجر: المصدر السابق: ج٢ ص ٢٢٣،
- المقرئى: المصدر السابق: ج٢ ص ٤٢٤،
- على باشا مبارك: المصدر السابق: ج٦ ص ٥١.
- ٢٢٢ - المقرئى: المصدر السابق: ج٢ ص ٤٢٠.
- ٢٢٣ - على باشا مبارك: المصدر السابق: ج٦ ص ٥٠.
- ٢٢٤ - المقرئى: المصدر السابق: ج٢ ص ٤٢٠ - ٤٢١،
- على باشا مبارك: المصدر السابق: ج٦ ص ٥٠،
- ٢٢٥ - المقرئى: المصدر السابق: ج٢ ص ٤١٧.
- ٢٢٦ - على باشا مبارك: المصدر السابق: ج٦ ص ٥٠.
- ٢٢٧ - المقرئى: المصدر السابق: ج٢ ص ٤٢٦،
- دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٢٣٨.
- ٢٢٨ - على باشا مبارك: المصدر السابق: ج٥ ص ٢٧٨.
- ٢٢٩ - نفس المصدر: ج٥ ص ٢٧٩.
- ٢٣٠ - ابن حجر: المصدر السابق: ج٤ ص ٦٠ ترجمة رقم ١٦٧.
- ٢٣١ - نفس المصدر: ج٤ ص ٣٧٣ ترجمة رقم ١٠١٤.
- ٢٣٢ - نفس المصدر: ج٤ ص ٣٧٣ ترجمة رقم ١٠١٤.
- ٢٣٣ - Van Berchem (M.): II, P. 208, text, 153.
- ٢٣٤ - نفس المرجع: ج٢ ص ٢٠٩ ح ٣.
- ٢٣٥ - ابن حجر: المصدر السابق: ج٤ ص ٦٠ ترجمة رقم ١٦٨.
- ٢٣٦ - راجع حجة المؤيد شيخ: أرشيف وزارة الأوقاف رقم ٩٣٨ وانظر أيضا:
- دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٢٣٨ - ٢٤٠.
- ٢٣٧ - الموسوعة العربية الميسرة: ص ٨٦١،
- حسن الباشا: المرجع السابق: ص ١٧٠.

- ٢٣٨ - زكى محمد حسن: المرجع السابق: ص ١٠٧.
- ٢٣٩ - أنور الرفاعى: المرجع السابق: ص ١٠٧.
- ٢٤٠ - الرازى: مختار الصحاح: ص ٢٢٩.
- ٢٤١ - المقرئ: المصباح المنير: ص ٢٩٣.
- ٢٤٢ - سورة الأنفال: آية: ٦.
- ٢٤٣ - سورة آل عمران: آية: ٢٠.
- ٢٤٤ - زكى محمد حسن: المرجع السابق: ص ٢٦ - ٢٨.
- ٢٤٥ - صالح لمى: المرجع السابق: ص ٢٥،
- حسن الباشا: المرجع السابق: ص ١٧٠.
- ٢٤٦ - السيد الباز العرينى: المرجع السابق: ص ٢١٨ - ٢١٩.
- ٢٤٧ - أنور الرفاعى: المرجع السابق: ص ١٠٨،
- دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٤٥.
- ٢٤٨ - آدم متز: المرجع السابق: ج ٢ ص ٣٠ - ٣٢.
- ٢٤٩ - سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ٤٤.
- ٢٥٠ - ابن حجر: إنباء الغمر: ج ١ ص ٣٧٦،
- السخاوى: الضوء اللامع: ج ١٢ ص ٢٥ وانظر ايضا:
- حسن الباشا: المرجع السابق: ص ١٦٩،
- سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٧٣.
- ٢٥١ - راجع: المقرئى: المصدر السابق: ج ٢ ص ٤٢٧،
- ابن تغرى برد: النجوم الزاهرة: ج ١٢ ص ١٤٢،
- دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٤٦،
-
- Abdur-Raziq (A.): op. Cit: P. P. 72 - 74.
- ٢٥٢ - راجع: كرمات لجنة حفظ الآثار العربية عن سنة (١٩٠٠م) ص ١٢١.
- ٢٥٣ - راجع: المقرئى: المصدر السابق: ج ٢ ص ،
- الجبرتى: عجائب الآثار فى التراجم والأخبار: ج ٤ ص ٩٩،

- دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٤٨،
- كراسات لجنة حفظ الآثار العربية عن سنة (١٩٠٠م) ص ١١٧.
- ٢٥٤ - راجع كراسة لجنة حفظ الآثار العربية عن سنة (١٩٠٠م) ص ١١٩.
- ٢٥٥ - نفس الكراسة : ص ١١٩.
- ٢٥٦ - Van Berchen (M.): Op. cir. p. 393, text.
- ٢٥٧ - كراسة لجنة حفظ الآثار العربية عن سنة (١٩٠٠م) ص ١٢٠،
- دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٤٨ - ٤٩.
- ٢٥٨ - سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٦٩.
- ٢٥٩ - راجع: الرازي: المصدر السابق: ص ٢٧٩،
- خليل الجبر وآخرون: المرجع السابق: ص ٦١٧.
- ٢٦٠ - ابن الحاج: المصدر السابق: ج٣ ص ١٨٥.
- ٢٦١ - ابن بطوطة: المصدر السابق: ج١ ص ٧١ وانظر أيضا:
- حسين مؤنس: المرجع السابق: ص ٤٢.
- ٢٦٢ - ابن إياس: المصدر السابق: ج٢ ص ٢٣٩.
- ٢٦٣ - المقرئ: المصدر السابق: ج٢ ص ٢٧١ - ٣٠٠.
- ٢٦٤ - خليل الجبر وآخرون: المرجع السابق: ص ٣٣٠.
- ٢٦٥ - صالح لمعي: المرجع السابق: ص ٢٦.
- ٢٦٦ - نفس المرجع: ص ٢٧.

الفصل الرابع

خانقاوات القرنين السادس والسابع الهجريين

الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين

١ - الخانقاة الصلاحية سعيد السعداء

٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م

أثر رقم ٤٨٠

لا شك أن الخانقاة الصلاحية كانت واحدة من أكثر خانقاوات القاهرة التي نالت اهتمام المؤرخين القدامى ولا سيما المقرئى وابن تغرى بردى والسيوطى وابن ظهيرة وغيرهم، وكان من نتيجة هذا الاهتمام أننا وقفنا على كثير من تاريخها وأخبارها، ولا غرابة فى ذلك فهى أول خانقاة للصوفية فى مصر استحدثها صلاح الدين الأيوبي وجعلها دارا للصوفية.

وطبقا لما لدينا من مادة تاريخية وردت فى كثير من المصادر والمراجع فإن حديثنا عن هذه الخانقاة سيشتمل على خمس نقاط رئيسية هى:

١ - تاريخ الخانقاة.

٢ - أوقاف الخانقاة.

٣ - منشئ الخانقاة.

٤ - موظفوا الخانقاة.

٥ - وصف الخانقاة.

١ - تاريخ الخانقاة:

لعل المقرئى فى القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) كان من أكثر المؤرخين عرضا لتاريخ هذه الخانقاة، إذ يقول أن موقعها بخط رحبة باب العيد من القاهرة، وأنها كانت دارا تعرف فى الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء (وهو الأستاذ قنبر أو عنبر أو بيان) أحد الأستاذين المحنكين خدام القصر الفاطمى عتيق الخليفة المستنصر بالله، قتل فى سابع شعبان سنة أربع وأربعين

وخمسمائة ورمى برأسه من القصر، ثم صلبت جسسه بباب زويلة من ناحية الخرق^(١١).

وكانت هذه الدار تقابل دار الوزارة، فلما سكنها العادل رزيق بن الصالح طلائع عمل سردابا تحت الأرض يوصل بينهما^(١٢) ثم سكنها بعد العادل بن رزيق الوزير الفاطمي شارو بن مجير الدين السعدى ثم ابنه الكامل، فلما استقر الأمر للناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فى السلطنة بعد موت الخليفة العاضد غير رسوم الدولة الفاطمية وعمل هذه الدار برسم الفقراء الصوفية القادمين من الشام وأوقفها عليهم سنة (٥٦٩هـ / ١١٧٣م)^(١٣)، ولذلك فقد عرفت هذه الخانقاة بالنصرية والصلاحية نسبة إليه.

ويضيف السيوطى إلى ذلك فى القرنين (٩ - ١٠هـ / ١٥ - ١٦م) أنه لم يكن بمصر زمن العبيدية شىء من المدارس لأن مذهب الشيعة والرافضة لم يكن يعنى بما كان يدرس فى مثل هذه المدارس، فلما ملك صلاح الدين بنى مدرسة بالقرافة الصغرى مجاورة للإمام الشافعى ومدرسة بالقاهرة مجاورة للمشهد الحسينى، وجعل دار سعيد السعداء خادم الخلفاء الفاطميين خانقاة للصوفية كما بنى دار عباس الوزير العبيدى مدرسة للحنفية عرفت بعد ذلك بالمدرسة السيوفية، وللشافعية مدرسة عرفت بالشريفية، وللمالكية مدرسة عرفت بالقمحية^(١٤)، ثم أفاض السيوطى بعد ذلك فى الحديث عن هذه الخانقاة وعن رفعة قدرها وقدر شيخها وصوفيتها قائلاً «ويقال لها تاج المدارس، وهى أعظم مدارس الدنيا على الإطلاق لشرفها بجوار الإمام الشافعى، ولأن بانيها أعظم الملوك، ليس فى ملوك الإسلام مثله لاقبله ولا بعده، بناها السلطان صلاح الدين بنأيوب رحمه الله تعالى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة^(١٥)» ويقول فى موضع آخر «وقفها السلطان صلاح الدين بن أيوب على الصوفية فى سنة تسع وستين وخمسمائة ورتب لهم كل يوم طعاما ولحما وخبزاً وهى أول خانقاة عملت بديار مصر، ووصف شيخها بشيخ الشيوخ فاستمر ذلك بعدهم وما زال يتبع إلى أن بنى الناصر محمد بن قلاوون خانقاة سرياقوس فدعى شيخها بشيخ الشيوخ فاستمر ذلك إلى أن كانت الحوادث والحزن منذ سنة ست وثمانمائة وضاعت الأحوال وتلاشت الرتب تلقب كل شيخ خانقاة بشيخ الشيوخ وكان مكانها من الصوفية يعرفون بالعلم والصلاح وترجى بركتهم^(١٦)».

ورغم ما أفاض به السيوطى علينا من حديث عن هذه الخانقاة إلا أن أقواله قد تضاربت -

كما رأينا - فيما يتعلق بتاريخها حين قال في موضع من مصنفه أنها بنيت سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، وفي موضع آخر سنة تسع وستين وخمسمائة، رغم أن المتفق عليه في ذلك هو سنة (٥٦٩هـ / ١١٧٣م)^(٧).

أما على باشا مبارك فقد كان أكثر دقة في تحديد موقعها حين قال: أنها تقع «تجاه حارة المبيضة من الجمالية على يمنة السالك من شارع الجمالية إلى المشهد الحسيني خلف قرة قول الجمالية قرب جامع يببرس الجاشنكير، وقد عملها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب خانقاة للصوفية سنة (٥٦٩هـ) وأن بها أربعة ألونة وعدة خلار للصوفية تحتها قبر دفن فيه بعض صوفيتها، وقد تغيرت بعض مبانيها الأصلية وجعل بها منبرا وخطبة وهي عامرة إلى الآن (أى إلى عصره في القرن ١٣هـ / ١٩م) وتعرف بجامع الخانقاة وسعيد السعداء وخطها يعرف بخط الجمالية ثم أضاف أنه لما جدد الأمير يلغا السالمى الجامع الأقمر وعمل له منبرا وأقيمت فيه الجمعة، ألزم صوفية هذه الخانقاة أن يصلوا الجمعة به، فلما زالت أيامه تركوا ذلك ولم يعودوا إلى الاجتماع بالجامع الحاكمى أيضا»^(٨).

وقد حدث نفس التضارب الذى ذكره السيوطى بالنسبة لتاريخ هذه الخانقاة فيما ورد عنها فى بعض المراجع العربية الحديثة فجاء فى بعض هذه المراجع أنها بنيت سنة (٥٦٩هـ / ١١٧٤م) مرة، وسنة (٥٧٢هـ / ١١٧٦م) مرة أخرى^(٩)، وهذا يعنى أنه أخذ بكل من تاريخى المقرئى والسيوطى دون الوقوف بجانب أى منهما، وجاء فى بعضها الثانى أنها بنيت سنة (٥٦٦هـ / ١١٧٠م)^(١٠).

ولم يكتف صلاح الدين بخانقاته التى أنشأها للصوفية بالقاهرة، بل أنشأ خانقاة أخرى بالقدس ورد ذكرها فى غير واحد من المصادر العربية، فيذكر ابن حجر العسقلانى فى القرنين ٨ - ٩هـ / ١٤ - ١٥م) فى ترجمة محمد بن على بن عبد الرحمن بن عمر المقدسى أنه كان خادماً الخانقاة الصلاحية بالقدس ومات فى رمضان سنة (٧٥٧هـ)^(١١)، ويؤيد القلقشندى فى نفس التاريخ أن مشيخة الخانقاة الصلاحية بالقدس كانت من الوظائف السنية الهامة وكان شيخها من أرباب الوظائف الدينية^(١٢). ويشير القاضى مجير الدين الحنبلى فى القرنين ٩ - ١٠هـ / ١٥ - ١٦م) إلى أن المدرسة الصلاحية بباب الأسباط كانت كنيسة رومية تعرف بقبر حنة (نسبة إلى

حنة أم مريم عليها السلام) ثم وقفها الملك صلاح الدين على الصوفية وجعل وظيفة مشيختها من الوظائف السنوية بمملكة الإسلام إلا أنه ذكر لذلك تاريخين مختلفين أحدهما فى رمضان سنة (٥٨٥هـ / ١١٨٩م) والآخر فى رجب سنة (٥٨٨هـ / ١١٩٢م) ^(١٣).

أما ما ورد عن هذه الخانقاة فى بعض المراجع العربية التى خصصت لمدارس بيت المقدس فهو كثير ويشتمل على تحديد موقعها وذكر طرف من تاريخها مع عرض لوضعها وحديث عن بعض مشايخها ووظائفها والتوقيع بها، ويفهم من هذا كله أنها كانت تلاصق كنيسة القيامة وأن بعضها كان راكبا على هذه الكنيسة، وكانت عبارة عن معهدين علميين يشتملان على مدرسة للفقهاء الشافعية ورباط للصالحاء الصوفية، أوقف صلاح الدين عليهما أوقافا كثيرة، وكانت هذه الخانقاة هى أول خانقاة أنشئت فى بيت المقدس بعد تحريره، وقد اشتغل أهلها بالعلم والخطابة ونظم الشعر ونسخ الكتب والاشتغال بالقضاء والتوقيت بالأقصى وغير ذلك ^(١٤).

هذا بالإضافة إلى أن شيخ هذه الخانقاة كان يعين بتوقيع يصدر عن السلطان، يؤيد ذلك ما أشار اليه مجير الدين الحنبلى من أن خطيبها محب الدين بن جماعة ولى نصف مشيختها مشاركا وقد كتب له توقيع شريف بذلك ^(١٥)، وأضاف القلقشندى أن توقيع مشيخة الخانقاة الصلاحية بالقدس كان يكتب فى قطع الثلث مفتتحا بالحمد لله ^(١٦) وكان من عادة مثل هذا التوقيع أن يتضمن التمجيد والإشادة بالأولياء وشكر الحق والشهادة والصلاة على الرسول (ﷺ)، ثم يشير التوقيع إلى جدارة الشيخ الذى يتولى مشيخة الخانة فى قدره ومعرفته وتقواه، وبين التوقيع أن على الشيخ الدعاء بدوام أيام السلطان، وأن ييسط يده فى عمل المصالح، ويستمر على السعى الحسن والعمل الصالح، وأن يوفر لهم (أى للصوفية) الأقوات، وهو ما يوضح أن هذا الشيخ كان عليه أن يعنى بالعلم من ناحية ويتوفر بعض المتطلبات الحياتية للصوفية من ناحية أخرى، وكان من مشايخ هذه الخانقاة غانم بن على الأنصارى المقدسى المتوفى (٥٩٢هـ / ٦٣٢هـ) وجلال الدين بن جماعة المتوفى (٧٩٧هـ) وغيرهما ^(١٧).

٢ - أوقاف الخانقاة :

الواقع أن ما لدينا من مادة تاريخية وردت فى كثير من المصادر العربية يوضح بما لا يدع

مجالا للشك في مدى ما كانت تتمتع به هذه الخانقاة من أوقاف واسعة تتفق مع أهميتها التاريخية والعلمية مما أوقفه عليها واقفها الأصلي أو أوقفه غيره من ذوى الأموال الواسعة والثراء العريض.

وقد أشار ابن الجيعان في القرن (٨هـ / ١٤م) إلى ست نواح كانت جارية في أوقاف هذه الخانقاة هي:

١ - أبو رويش:

من الأعمال الجيزية مساحتها (٥٨٠) فداناً وعبرتها (٣٠٠٠) دينار كانت في الأملاك الشريفة ثم صارت في القرن (٨هـ / ١٤م) وقفا على الخانقاة الصلاحية سعيد السعداء ووقف الزينى عبد الباسط^(١٨).

٢ - أبو فار:

من الأعمال الجيزية أيضاً مساحتها (٢٣٠) فداناً وعبرتها (١٢٠٠) دينار كانت وقفا خاصاً للخانقاة الصلاحية^(١٩).

٣ - الأعلام:

من الأعمال الفيومية، كانت الحقوق الواجبة عليها (٢٨١) ديناراً للمقطعين ووقف المدرسة الصلاحية^(٢٠).

٤ - أبو كعب:

من الأعمال البهنساوية مساحتها (٧٨٨) فداناً وعبرتها (٣٠٠٠) ديناراً كانت باسم المقطعين ثم صارت في القرن (٨هـ / ١٤م) وقفا للخانقاة الصلاحية سعيد السعداء^(٢١).

٥ - دهمرو:

من الأعمال البهنساوية أيضاً وقد جاء أنها كانت وقفا على الخانقاة الصلاحية ولم يرد لمساحتها ولا لعبرتها ذكر^(٢٢).

٦ - ميانة صلقوس :

من الأعمال البهنساوية أيضا، مساحتها (٢٢٥٠) فداناً بها رزق (٣٠) فدان وعبرتها (٣٠٠٠) دينار كانت باسم الأمير أبى بكر طاز ثم صارت فى القرن (٨هـ / ١٤م) وقفاً على الخانقاة الصلاحية^(٢٣).

ويضيف المقرئى فى القرنين (٨ - ٩هـ / ١٤ - ١٥م) أن صاحبها أوقف على صوفيتها بستان الحبانية بجوار بركة الفيل خارج العاصمة وقيسارية الشراب بالقاهرة بالإضافة الى ناحية دهمرو من البهنساوية وهى الناحية التى أشار اليها ابن الجيعان غير أنه زاد على ما ذكره ابن الجيعان بقوله أن هذه الناحية كانت قد شرقت على عهد الظاهر برقوق سنة تسع وتسعين (وثمانمائة) لقصور ماء النيل فوق العزم على غلق مطبخ الخانقاة وإبطال الطعام، فلم تحتل الصوفية ذلك وتكررت شكواهم للملك الظاهر (برقوق) الذى ولى الأمير يلبغا السالمى نظر الخانقاة وأمره أن يعمل بشرط الواقف^(٢٤).

وقد أكد ابن دقماق فى القرن (٩هـ / ١٥م) ما ذكره ابن الجيعان من وقف ناحيتى دهمرو وأبى رويش على مصالح الخانقاة الصلاحية سعيد السعداء إلا أنه لم يوضح بالنسبة للناحية الأولى شيئاً عن مساحتها أو عبرتها أو واقفها مشتركاً فى ذلك مع ابن الجيعان^(٢٥)، أما بالنسبة للناحية الثانية فقد أضاف أن الملك الأشرف شعبان هو الذى أوقفها على الخانقاة الصلاحية بعد السبعين وسبعمائة^(٢٦).

وفى وقفية أخرى باسم أبى زكريا بن نفيس رئيس الأطباء فى مصر على عهد الظاهر برقوق ورد أن الواقف كان قد قرر أن يصرف نصف ربع وقفه بكماله على جماعة السادة الصوفية بالخانقاة المباركة الصلاحية سعيد السعداء الكائنة داخل القاهرة المحروسة بخط رحبة باب العيد، وأن يكون هذا الصرف للقائنين بها والواردين عليها كما قرر إن تعذر صرف ما خصصه من هذا الوقف لليمارستان المنصورى أن يحول للخانقاة المشار إليها أيضاً^(٢٧).

أما على باشا مبارك فقد أورد فى القرن (١٣هـ / ١٩م) عند حديثه عن أوقاف هذه الخانقاة أن صاحبها رتب بها درسا للشافعية، ووقف عليها عقارات ومزارع، ورتب لشيخ التدريس

بها في الشهر أربعين دينارا معاملة صرف الدينار ثلاثة عشر درهما وثلاث غير الخبز والماء^(٢٨).

وعلى عتب باب من قيسارية كانت في دسوق بمصر السفلى طوله (٢١٢) متر محفوظ في متحف الفن الاسلامى نجد نقشا كتابيا بخط النسخ يشتمل على أربعة أسطر طويلة نصها:

١ - العزة لله وحده.

٢ - اللهم ارحم الملك الناصر صلاح الدنيا والدين وأرض عنه الذى أنعم على الصوفية بهذه القيصرية (يقصد القيسارية) وأوقفها على بقعتهم التى تعرف بدار السعيد السعداء بمحروسة القاهرة.

٣ - مما أمر بهذا الباب الجديد والفتح السعيد سيد الملوك والعبيد عماد الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين عضد الدولة القاهرة تاج الملة الزاهرة نظام العالم فلك.

٤ - المعالى الملك العزيز عثمان بن يوسف بن أيوب ظهير أمير المؤمنين خلد الله ملكه فى تاريخ ربيع الأول سنة أربع وتسعين وخمسمائة وصلى الله على محمد وآله وأصحابه أجمعين^(٢٩).

ويؤكد هذا النص أن القيسارية المشار اليها كانت قد أوقفت على صوفية الخانقاة التى بين أيدينا، والذى أوقفها هو السلطان الناصر صلاح الدين، وأن أخاه العزيز عثمان كان قد أمر بعمل باب جديد لها ونقش النص المشار اليه على عتب هذا الباب الذى لولاه لما عرفنا عن هذا الوقف شيئا.

وأخيرا يشير ابن حجر فى الدرر الكامنة إلى وقف غير محدد لهذه الخانقاة أوقفه صدقة بن الشرايشى، وكان كما وصفه من رؤساء القاهرة ذوى الأموال الواسعة كثير المعروف، وقف على الخانقاة السعيدية وقفا وعلى الجامع الأزهر غير ذلك، مات فى شوال سنة (٧٤٥هـ)^(٣٠).

ولو أردنا أن نعرف قدر المتحصلات السنوية لأوقاف هذه الخانقاة التى ذكرتها المصادر

والمراجع تحديدًا - باستثناء ما لم تحدد عبرته منها - لوجدنا أن ما ذكره ابن الجيعان ينحصر فيما يلي :

| مسلسل | جهة الوقف | مساحة الوقف بالفدان | عبرته بالدينار |
|-------|-------------|---------------------|----------------|
| ١ | أبو رويش | ٥٨٠ | ٣٠٠٠ |
| ٢ | أبو فار | ٢٣٠ | ١٢٠٠ |
| ٣ | الأعلام | - | ٠٢٨١ |
| ٤ | أبو كعب | ٧٨٨ | ٣٠٠٠ |
| ٥ | دهمرو | لم تحدد | لم تحدد |
| ٦ | ميانة سلقوس | ٢٥٠ | ٣٠٠٠ |
| | المجموع | ١٨٤٨ | ١٠٤٨١ |

أما ما أوقف على هذه الخانقاة ولم يحدد له ريع مما ذكره ابن الجيعان وغيره من المؤرخين والباحثين فهو كما ذكر ابن الجيعان ناحية دهمرو وكما ذكر المقرئ بستان الحبانية وقيسارية القاهرة، وكما ورد في جامع الكتابات العربية قيسارية دسوق، ولو جاز لنا أن نقدم لكل واحدة منها ألف دينار سنويا فقط لكانت جملة متحصلات هذه الأوقاف أربعة آلاف دينار، إذا أضفناها إلى جملة الأوقاف التي ذكرها ابن الجيعان محددة العبرة فيما سبقت الإشارة إليه لانفضح لنا أن جملة متحصلات أوقاف هذه الخانقاة (مما حددت عبرته وبما لم تحدد له عبره) كانت تبلغ أربعة عشر ألفا وأربعمائة وواحد وثمانين دينارًا.

٣ - منشئ الخانقاة :

مما لا شك فيه أن منشئ هذه الخانقاة - مهما حاولنا أن نتحدث عنه في هذه الترجمة المختصرة - هو علم على أعلام التاريخ الإسلامى قاطبة لا يدانيه في شرف الجهاد سلطان ولا

يسمى إليه في حسن السيرة ملك، وقد تحدث عنه بأسهاب بالغ كل المصادر والمراجع العربية وغير العربية التي تعرضت لسيرته الشخصية أو لسيرة الدولة الأيوبية وتاريخها.

يقول ابن خلكان في القرن (٧هـ / ١٣م) أن أصله كردى دودى من دوين وهى بلدة فى آخر عمل أذربيجان ولد فيها أبوه نجم الدين وعمه أسد الدين ثم تزح بهما جده شادى إلى بغداد وأقام فى تكريت حيث ولد صلاح الدين فى قلبتها سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة فى وجود أبيه وعمه، فلما ملك نور الدين محمود بن زنكى دمشق لازم خدمته أسد الدين شيركوه وأخوه نجم الدين وولده صلاح الدين الذى ما لبث أن تجهز للسير مع عمه شيركوه وجيشه إلى مصر، فدخلوها فى ثانى جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وقتل شارور فأرسلت خلعة الوزارة لأسد الدين شيركوه فلبسها ودخل القصر فى سابع عشر ربيع الأول سنة أربع وستين وخمسمائة، وظل صلاح الدين مقررا لأمر الدولة مع عمه أسد الدين إلى أن توفى لسيح بقين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة (٥٦٤هـ) فاستقرت الأمور من بعده لابن أخيه صلاح الدين.

وفى المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة قطع صلاح الدين خطبة العاضد صاحب مصر بعد وفاته يوم عاشوراء واستولى على قصره وخطب للمستضى بأمر الله العباسى ورتب بهاء الدين قراقوش لخدمته، ولما علم نور الدين بذلك سير إليه الخلع الكاملة والأعلام السود لتتصب على المنابر، لتعود مصر إلى الحضيرة السنية بعد أن ظلت قرابة قرنين من الزمان فى الحضيرة الشيعية.

ولم يزل صلاح الدين على نهج العدل ونشر الإحسان بين الرعية إلى أن كانت سنة ثمان وستين وخمسمائة فخرج بمساكره يريد الكرك والشولك بعد أن تغلب على فتنة آل الكنز بأسوان، وتوفى بعد ذلك نور الدين فخلفه ولده الصالح إسماعيل الذى لم يكن أهلا لخلافته فاختلفت أحوال الشام فتجهز صلاح الدين بجيشه من مصر وقصد دمشق فدخلها بالتسليم فى ربيع الآخر سنة سبعين وخمسمائة، وحفلت حياته بعد ذلك بكثير من الكفاح المشرف الذى جمع شمل الأمة وحرر بيت المقدس، ثم كانت وفاته بعد هذه الحياة الحافلة التى ملأت بطون المصادر والمراجع فى ثانى عشر شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ودفن بمقابر الشهداء بباب الصغير فى دمشق، ولم يخلف من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهما ناصرية، وكان رحمه الله كثير

التواضع واللفف قريبا من الناس رحيم القلب كثير الاحتمال والمدارة، وكان يحب أهل العلم وأهل الخير ويقربهم ويحسن إليهم وكان يميل إلى الفضائل ويستحسن الأشعار الجيدة^(٣١).

ويقول ابن تغرى بردى فى ترجمته لصلاح الدين فى القرن (٩هـ / ١٥م) بشكل أكثر توضيحا من ابن خلكان أنه هو السلطان الملك الناصر ابو المظفر صلاح الدين يوسف بن الأمير نجم الدين أيوب بن شادى الذى خدم بهروز الخادم فاستنابه بقلعة تكريت، وكانت بداية أمر بنى أيوب أن نجم الدين وأخاه أسد الدين شيركوه هما من الأفراد الدوادية، قدما إلى العراق وخداما مجاهد الدين بهروز الخادم الذى رأى من نجم الدين رأيا وعقلا فوله دزدارا بتكرت (أى ماسك القلعة) فأقام نجم الدين بها ومعه أخوه أسد الدين إلى أن انهزم الأتابك زنكى بن أقسنقر من الخليفة المسترشد بالله سنة (٥٢٦هـ / ١١٣١م) ووصل إلى تكريت فأقام له نجم الدين المعابر على نهر دجلة وبالف فى إكرامه فحمل له زنكى هذا الصنيع وما لبث أن وفاه لهما عندما ملك دمشق وجعلهما من أكابر أمرائه حتى أن جميع الأمراء كانوا إذا دخلوا على نور الدين لا يجلس أحد منهم حتى يأمره بالجلوس إلا نجم الدين الذى كان إذا وصل دخل وجلس من غير إذن.

ودام نجم الدين وأخوه أسد الدين عند نور الدين - كما يقول ابن تغرى بردى - فى حفاوة وتكريم إلى أن وقع من أمر شارو ما وقع، فتجهز أسد الدين شيركوه إلى الديار المصرية ثلاث مرات ومعه ابن أخيه صلاح الدين، حتى دخلها فى المرة الثالثة وقتل شارو وولى أسد الدين وزارة مصر ولقب بالملك المنصور إلا أنه مات بعد شهرين فولى العاضد مكانه ابن أخيه صلاح الدين ولقبه بالملك الناصر وكان ذلك فى العشر الأخير من جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة، فاستولى صلاح الدين على الديار المصرية وأصلح أمورها^(٣٢).

أما ابن إياس فقد ترجم فى القرنين (٩ - ١٠هـ / ١٥ - ١٦م) لصلاح الدين وقال أنه كان أول ملوك دولة الأكراد من بنى أيوب واتفق مع ما ذكره كل من ابن خلكان وابن تغرى بردى فى أصله الكردى وفى تاريخ ولادته فى قلعة تكريت سنة (٥٣٢هـ / ١١٣٧م) إلا أنه أضاف كثيرا مما تمتع به صلاح الدين من سيرة طيبة بين الرعية أهمها إسقاطه لكافة المكوس التى كانت قد فرضت على عهد الفاطميين وكتب بذلك مساميح بخط صاحب ديوان الإنشاء قرئت

على المنابر، بالإضافة إلى ذكره لقيامه ببناء سور القاهرة بالحجر الفص النحيت بدلا من السور اللبنى القديم الذى كان قد بناه جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله بعد بناء القاهرة وكان الشاد على عمارته هو وزيره الخصى الحبشى بهاء الدين قراقوش، وجعل على هذا السور أبوابا مصفحة بالحديد عدتها خمسة عشر بابا يضاف الى ذلك شروعه فى بناء قلعة الجيل لكى تكون دار المملكة، إلا أنه مات قبل أن يكتمل بناء هذه القلعة فأتتها من بعده ابن أخيه الملك الكامل محمد الذى كان أول من سكنها من الأيوبيين، وكان لصلاح الدين - طبقا لما أشار اليه ابن إياس - كثير من أياى الخير، فهو أول من قرر الخدام الخصيان بالمدينة المنورة، وأوقف نقادة وقبالة من أعمال الصعيد على هذه المدينة، وأنشأ كثيرا من أماكن القرب والمبرات أهمها خانقاة سعيد السعداء قرب باب النصر، والمدرسة السيوفية قرب باب الزهومة، والمارستان عند دار الضرب القديمة، والمدرسة المجاورة للإمام الشافعى، والمدرسة الصلاحية بالقدس وكانت وفاته بالشام فى السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة وله من العمر إحدى وسبعين سنة ودفن رحمه الله بمدرسة مجاهد الدين بدمشق^(٢٣).

وبذلك يتضح أن هناك فارقا زمنيا قدره تسع سنين بين ما ذكره عن تاريخ وفاته كل من ابن خلكان من ناحية وابن إياس وابن ظهيرة وغيرهما من ناحية أخرى، وكانت وفاته - كما يقول الجبرنى فى القرنين (١٢ - ١٣هـ / ١٨ - ١٩م) بعد أن عمل من جلائل الأعمال الكثير فبذل لله همته وأعمل حيلته وأخذ فى إعلاء السنة وإخفاء البدعة، وتطهير البلاد من التشيع والعقائد الفاسدة، وإظهار عقائد أهل السنة والجماعة، وواصل الجهاد وأخذ فى استخلاص ما تغلب عليه الكفار من السواحل وبيت المقدس بعد ما ظل فى يدهم قرابة إحدى وتسعين سنة^(٢٤).

وفى تاريخ مختصر الدول أن نور الدين كان يكتابه بالأمير الإسفهلار ويكتب علامته على رأس الكتاب تعظيما له من أن يكتب اسمه، واستمال صلاح الدين قلوب الناس فأحبوه، وكان حكيما كريما حسن الأخلاق، متواضعا صبورا على ما يكره، كثيرا التغافل عن ذنوب أصحابه، ويكفى دليلا على كرمه أنه لما مات لم يخلف فى خزائنه غير دينار واحد صورى وأربعين درهما ناصرية^(٢٥).

٤ - موظفو الخانقاة :

الواقع أن المصادر العربية التى صنفها المؤرخون أمثال ابن حجر والعسقلانى والمقرئى وابن تغرى بردى والسيوطى والسخاوى وغيرهم قد أمدتنا بكثير من المعلومات الهامة فيما يتعلق بوظائف خانقاوات القاهرة بصفة عامة من خلال التراجم المختلفة التى أوردها، وقد أمكن تقسيم وظائف هذه الخانقاة - من واقع ما أتاحت لنا كتب التراجم - إلى قسمين أساسيين :

أولهما قسم الوظائف الدينية ويشمل :

١ - شيخ الخانقاة.

٢ - مدرسو الخانقاة.

٣ - امام الخانقاة.

٤ - ناظر وقف الخانقاة.

٥ - صوفية الخانقاة.

٦ - نزلاء الخانقاة ودفناؤها.

وثانيهما قسم الوظائف الخدمية ويشمل :

١ - كاتب الغيبة.

٢ - شاهد الشوثة.

٣ - شاهد الخبز.

٤ - المزملاوى.

٥ - الطباخ.

٦ - مقدم النعال.

وفيما يلي عرض لبعض الشخصيات التي وليت هذه الوظائف جميعا:

أ - الوظائف الدينية:

شملت وظائف هذه الخانقاة الدينية - طبقا لما بين أيدينا من معلومات أمدنا بها كل من المقرئى وابن حجر فى القرنين (٨ - ٩هـ / ١٤ - ١٥م) وكل من ابن تفرى برى وابن الصيرفى فى القرن (٩هـ / ١٥م) وكل من السخاوى والسيوطى فى القرنين (٩ - ١٠هـ / ١٥ - ١٦م) وغيرهم: شيخ الخانقاة ومدرسيها وإمامها وناظر وقفها وصوفيتها ونزلاتها ودفناتها، نذكر منهم ما يلى:

١ - شيخ الخانقاة:

يقول المقرئى وولى مشيختها (أى مشيخة الخانقاة الصلاحية) الأكابر والأعيان كأولاد شيخ الشيوخ ابن حموية مع ما كان لهم من الوزارة والإمارة وتدير الدولة وقيادة الجيوش وتقدمة العساكر ووليها ذو الرياستين الوزير صاحب قاضى القضاء تقى الدين عبد الرحمن بن ذى الرياستين الوزير صاحب قاضى القضاء تاج الدين بن بنت الأعز وجماعة من الأعيان^(٣٦).

وقد أمدنا ابن حجر العسقلانى وابن تفرى برى والسيوطى والسخاوى بكثير من تراجم من تولوا مشيخة هذه الخانقاة، وكان ممن ذكرهم ابن حجر فى القرنين (٨ - ٩هـ / ١٤ - ١٥م) عبد الكريم بن الحسين بن عبد الله الأملى الطبرى كريم الدين أبو القاسم تعاني الاشتغال بالتصوف وقام عليه الصوفية مرة فأثبتوا فسقه من ستة عشر وجها فأخرج من الخانقاة واستقر ابن جماعة عوضا عنه، مات فى شوال سنة (٧١٠هـ)^(٣٧)، ومحمد بن مسعود الغزى الصوفى كان المنصور لاجين يعظمه حتى مات فى أول جمادى الآخرة سنة (٧١٠هـ)^(٣٨)، ومحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن التقجواى الذى مات فى حادى عشر المحرم سنة (٧٣٨هـ)^(٣٩)، وعمر الصفدى سراج الدين الذى انتقل من صفد إلى القاهرة وتنقلت به الأحوال حتى ولى مشيخة هذه الخانقاة الى أن مات بالطاعون سنة (٧٤٩هـ)^(٤٠)، وعلى بن اسماعيل بن يوسف القونوى علاء الدين

الفقيه الشافعي الذي ولد بقونية سنة (٧٦٨هـ) وقدم دمشق سنة (٧٩٣هـ) فدرس بالإقبالية ثم قدم القاهرة فولى مشيخة سعيد السعداء وتقدم في معرفة التفسير والفقه والأصول والتصوف وأقام على قدم واحد ثلاثين سنة وكان الناصر يعظمه ويشئى عليه وكذا أرغون النائب^(٤١). والحسن بن علي بن اسماعيل بن يوسف القنوي الأصل الذي ولد بالقاهرة سنة (٧٢١هـ) فدرس واشتغل وأخذ عن أبيه وغيره حتى أذن له بالتدريس والإفتاء فولى مشيخة الخانقاة التي بين أيدينا إلى أن مات في شعبان سنة (٧٧٦هـ)^(٤٢).

أما من ذكرهم ابن تغرى بردى في القرن (٩هـ / ١٥م) من مشايخ هذه الخانقاة فمنهم ابراهيم بن موسى بن ايوب الشيخ الإمام العلامة برهان الدين الأبناسي الشافعي الذي ولد سنة (٧٢٥هـ) وتفقه بالشيخ جمال الدين عبد الرحيم الإسناي والشيخ ولي الدين الملوي وتصدى للإفتاء والتدريس عدة سنين وانتفع به كثير من الطلبة قبل أن يلي مشيخة سعيد السعداء^(٤٣)، ومنهم أحمد بن محمد بن صلاح قاضي القضاة شهاب الدين المعروف بابن المحمرة كان مولده خارج القاهرة في صفر سنة (٧٦٩هـ)، طلب العلم وبرع في الفقه والأصول والعربية وأفتى ودرس وناب في الحكم سنين ثم تنزه عن ذلك وولى مشيخة خانقاة سعيد السعداء مدة طويلة إلى أن توفي بالقدس في ربيع الآخر سنة (٨٤٠هـ)^(٤٤).

ومن ذكرهم ابن الصيرفي في القرن (٩هـ / ١٥م) أيضا محمد بن يحيى الشيخ الإمام العالم أبو السعادات بن شرف الدين يحيى المناوي الشافعي الذي ولي مشيخة الصلاحية وتدريسها، ولد بالقاهرة ونشأ بها فحفظ واشتغل على والده وغيره حتى برع في الفقه والتحو والأصول ودرس وأفتى في حياة والده إلى أن مرض أياما قليلة ومات في سادس شوال سنة (٨٧٣هـ) ودفن بالقراة^(٤٥).

أما من ذكرهم السخاوي في القرنين (٩ - ١٠هـ / ١٥ - ١٦م) من مشايخ هذه الخانقاة فكان منهم محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر بن قاسم الشهاب بن الشمس العثماني البيري الحلبي القاهري ذكره السخاوي في ترجمة ولده أحمد الذي عرف بابن أخى الجمال الأستاذار قال «كان أبوه (محمد) شيخ سعيد السعداء مات يوم الإثنين ثاني عشر صفر

سنة تسع وخمسين (وثمانمائة)^(٦٦)، ومنهم أحمد الشهاب القوصي ثم القاهري الذي اشتغل بالتجارة ثم صحب التقوى البلقيني ثم الزين بن مزهر إلى أن ولى مباشرة تصوف الصلاحية حتى مات في جمادى الآخرة سنة ثمان وسبعين (وثمانمائة)^(٦٧)، ومنهم خالد بن أيوب بن خالد بن الزين المتوفى ثم القاهري الشافعي الذي ولد بأبي المشط من جزيرة بنى نصر من الأعمال المتوفية وانتقل منها إلى منف ثم قدم القاهرة فظن بالجامع الأزهر وحج وولى مشيخة الصلاحية بعناية الشرف الأنصاري، مات في شوال سنة سبعين (وثمانمائة) ودفن بترية طشمتير (حمص أخضر)^(٦٨)، ومنهم عبد الرحمن بن عنبر بن علي بن أحمد بن يعقوب الزيني العثماني البوتيجي ثم القاهري الشافعي الذي ولد سنة (٧٧٩هـ) بأبي تيج من الصعيد فقرأ وحفظ وسار على قانون السلف فيما كان باسمه من مشيخة الصلاحية وغيرها من الوظائف الجليلة إلى أن مات في شوال سنة أربع وستين (وثمانمائة)^(٦٩)، ومنهم عمر بن حسين بن حسن بن أحمد بن علي بن عبد الواحد بن خليل بن البدر العبادي الطنندائي ثم القاهري الشافعي الذي ولد سنة (٨٠٤هـ) بمنية عباد من الغربية ثم تحول منها إلى طنطا فأكمل بها دراسته ثم ولى إمامة الجمالية ومشيخة الصلاحية بعد التقى القلقشندي، مات في ربيع الأول سنة خمس وثمانين (وثمانمائة)^(٧٠)، ومنهم خضر الخادم الذي تولى مشيخة الصلاحية عشرة أيام فقط خلفاً للشمس البلالى الذي أعيد إلى وظيفته مرة ثانية^(٧١)، ومنهم عبد الرحمن بن أحمد بن اسماعيل بن محمد بن علي التقى بن القطب القلقشندي الأصل القاهري الشافعي الذي ولد بالقاهرة في رجب سنة (٨١٧هـ) فدرس وحفظ واستقر في مشيخة الخانقاة الصلاحية عقب الزين خالد المتوفى ببذل أربعمائة فأقل فيما قيل، مات في شعبان سنة إحدى وسبعين (وثمانمائة)^(٧٢)، وفي هذا ما يشير صراحة إلى أنه نال مشيخة هذه الخانقاة بالبذل (أى بالرشوة).

مدرسو الخانقاة :

يبدو - مما لدينا من معلومات أتاحتها لنا بعض المصادر العربية - أن هذه الخانقاة كانت مخصصة لدراسة المذهب الشافعي فقط لأن التراجم التي أفاض بها علينا كل من السيوطي والسخاوي في القرنين (٩ - ١٠هـ / ١٥ - ١٦م) لم تخرج عن أصحاب هذا المذهب من ناحية ولأن ما ذكره القرينى بقوله أنها خلت من مدرس ثلاثين سنة واكتفى فيها بالمعبدین وهم

عشرة أنفس^(٥٣)، ربما يخدم هذا الاستنباط لأنه أشار الى مدرسيها بصفة المفرد فقال «مدرس» ولم يقل «مدرسين» وهو ما يفهم منه ضمنا أن تدرسيها كان لمذهب واحد يقوم به الفقيه الشافعي.

وقد ذكر السيوطي أن ممن تولوا تدرسيها في حياة واقفها الشيخ نجم الدين الخبوشاني الذي جعل له السلطان نظارة أوقاف الخانقاة إلى جانب التدريس فيها وشرط له من المعلوم في كل شهر أربعين دينارا عن التدريس وعشرة دنائير عن النظر، ورتب له من الخبز كل يوم ستين رطلا بالمصري وراويتين من ماء النيل^(٥٤)، وشيخ الشيوخ صدر الدين أبو المحاسن محمد بن حموية الجويني الذي قرر له نفس المعلوم، وفي موضع آخر من نفس المصدر أحصى السيوطي عددا كبيرا من شيوخ هذه الخانقاة نذكر منهم تقي الدين بن رزين الذي ولي تدرسيها سنة (٦٧٨هـ / ١٢٧٩م) وقرز له نصف المعلوم المشار اليه، تقي الدين بن دقيق العيد بربع المعلوم، الصاحب برهان الدين الخضر السنجاري الذي أعيد له المعلوم المقرر في كتاب الوقف كاملا، كمال الدين احمد بن حموية الذي ظل بها حتى مات سنة (٦٣٩هـ / ١٢٤١م) فوليها ولده معين الدين حسنى ثم قاضى القضاة تقي الدين ابن بنت الأعز ثم عز الدين محمد بن الحارث بن مسكين ثم خاير الدين عبد الله بن أحمد بن منصور النسائي الذي وليها سنة (٧١١هـ / ٣١١م) وظل بها إلى أن مات سنة (٧١٦هـ / ١٣١٦م)، ثم وليها مجد الدين حرى بن قاسم بن يوسف الفاقوسى وظل بها إلى أن مات سنة (٧٣٤هـ / ١٣٣٣م) ثم وليها شمس الدين ابن القماش ثم ضياء الدين محمد بن ابراهيم المناوى ثم شمس الدين بن اللبان ثم شمس الدين محمد بن احمد بن خطيب بيروت ثم بهاء الدين بن الشيخ تقي الدين السبكي ثم أخوه تاج الدين ثم ابن عمه قاضى القضاة أبو البقاء محمد بن عبد البر السبكي ثم ولده بدر الدين محمد ثم البرهان بن جماعة ثم الشيخ سراج الدين البلقيني ثم قاضى القضاة عماد الدين أحمد بن عيسى الكركي ثم شمس الدين البيرى أخو جمال الدين الأستاذار الذي عزل عنها سنة (٨١٠هـ / ١٤٠٧م) لما نكب أخوه فوليها نور الدين على بن عمر التلوانى وظل بها إلى أن مات سنة (٨٤٤هـ / ١٤٤٠م) وكان أطول الشيوخ الذين مكثوا في تدرسيها زمنا إلى أن وليها بعده فقيه زمانه تقي الدين القلقشندي الذي أعقبه ابن حجر الزناتى والقاياتى والسفطى والشرف المناوى والسراج الحمصى وكريم الدين الآملى وعلاء الدين القونوى ومجير الدين الأقصري وبرهان الدين الأبناسى وأخيرا السراج العبادى^(٥٥).

أما من ذكرهم السخاوى ممن تولوا تدريس الشافعية بهذه الخانقاة فهم إبراهيم بن الحسن بن إبراهيم بن عبد الكريم يرهان الدين العرابي المقدسى الشافعى الذى ولد سنة سبعين وسبعمائة ومات فى رجب ثلثا سنة احدى وأربعين (وثمانمائة) بالقدس^(٥٦). ومنهم إبراهيم بن موسى بن بلال بن عمران بن مسعود بن البرهان العدمانى الكركى ثم القاهرى الشافعى الذى ولد سنة خمس أو ست وسبعين وسبعمائة بالكرك فحفظ العمدة وألفية الحديث والنحو والمنهاج والشاطبية، ثم درس وأفتى وانتفع به جماعة فى القراءات والعربية، وقرأ عليه الجمال البدرانى صحيح البخارى سنة ست وعشرين بخانقاة سعيد السعداء، مات فى رمضان سنة ثلاث وخمسين (وثمانمائة)^(٥٧). ومنهم شيخ السخاوى إمام الأئمة وعلامة عصره الشهاب أبو الفضل الكنانى العسقلانى المصرى ثم القاهرى الشافعى المعروف بابن حجر الذى ولد فى ثنى عشرى شعبان سنة (٧٧٣هـ / ١٣٧١م) بمصر القديمة ونشأ بها يتيما فى كنف أحد أوصيائه فحفظ ودرس التفسير بالصلاحية ومات فى أواخر ذى الحجة سنة (٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) ودفن تجاه تربة الديلمى بالقراة^(٥٨).

ومنهم أحمد بن عيسى بن موسى بن سليم العامرى المقيرى (بلدة بالكرك) الشافعى الذى ولد فى شعبان سنة (٧٤٢هـ / ١٣٤١م) فحفظ واشتغل بالفقه وغيره وقدم مع أبيه بعد الأربعين من عمره فأبقى السلطان معه تدريس الفقه بالصلاحية والحديث بجامع ابن طولون وظل بهما حتى شغرت خطابة المسجد الأقصى وتدرس الصلاحية بالقدس فانتقل إليهما سنة إحدى (وثمانمائة) حتى مات فى نفس السنة وقيل انه ما تناول رشوة فى قضائه لا يبلده ولا بالديار المصرية^(٥٩)، ومنهم أحمد بن محمد بن محمد بن عبيد ابو البركات بن أبى سعد بن القطان الذى اعتنى به أبوه فأقرأه القرآن وأسمعه الحديث، وكان ممن سمع على السخاوى إلى أن خلف والده فى سعيد السعداء وغيرها^(٦٠)، ومنهم على بن احمد بن اسماعيل بن محمد بن القطب القرشى القلقشندى الأصل القاهرى الشافعى الذى ولد سنة (٧٨٨هـ / ١٣٨٦م) بالقاهرة ونشأ فى كنف أبيه فحفظ القرآن وأخذ عن ابن الملقن والبلقيني والبرماوى وغيرهم إلى أن استقر به الدوا دار الكبير تغرى بردى فى مشيخة مدرسته التى أنشأها بالصلبية وبعنايته استقر فى تدريس الصلاحية ونظرها بعد وفاة التلوانى إلى أن أخذ منه هذا التدريس بالصلاحية لابن حجر العسقلانى فكثرت تأله ومات سنة (٨٥٦هـ / ١٤٥٢م)^(٦١).

٣ - إمام الخانقاة :

بعد هذه القائمة الطويلة بأسماء مدرسى هذه الخانقاة نأتى إلى ذكر إمامتها، وقد أمدنا السخاوى بتراجم ثلاثة من هؤلاء الأئمة أولهم إبراهيم بن إبراهيم بن محمد عبد الله بن محمد بن مسعود القاهرى المولد والدار الذى عرف بابن سابق، ولد بعد الستين وثمانمائة، وحفظ القرآن وقرأ المنهاج وتشاغل بالأذان والوقيد ونحوهما بالمنكوتى حتى أخذ إمامتها وإمامة الصلاحية وغيرها بعد أبيه، وربما اشتغل بالخياطة وعمل حاسباً^(٦٢)، وثانيهم أحمد بن عباس بن أحمد ابن عمر بن ناصر بن أحمد المناوى (نسبة الى منية مسود بالمنقوتية) الأزهرى الشافعى الذى لم يذكر تاريخاً لولادته ووفاته^(٦٣)، وثالثهم أحمد بن محمد بن على الشهاب القاهرى الشافعى الذى عرف بابن شهية وبابن ببيضون ثم عرف بالكتبى ولد سنة (٨٣٠هـ / ١٣٢٩م) فحفظ واشتغل وتنزل فى الجهات إلى أن أم بسعيد السعداء ومات سنة (٨٩٥هـ / ١٤٨٩م) ودفن بحوش الصوفية بنفس الخانقاة^(٦٤).

٤ - ناظر وقف الخانقاة :

أمدنا المقرئى فى القرنين (٨ - ٩هـ / ١٤ - ١٥م) وكل من السيطوى والسخاوى فى القرنين (٩ - ١٠هـ / ١٥ - ١٦م) بفيض من المعلومات الهامة المتعلقة بنظارة وقف هذه الخانقاة، فأشار لمقرئى إلى أن وقف هذه الخانقاة كان قد ساء أمره زمننا إلى أن ولى الأمير يلغيا السالمى نظرها فى جمادى الآخرة سنة (٧٩٧هـ / ١٣٩٤م) فنزل إليها وأخرج كتاب الوقف للعمل بشرط الواقف فيه فقطع من الصوفية المنزلين بها عشرات ممن له منصب ومال، وزاد الفقراء المجردين من المقيمين بها فى كل يوم رغيفاً فأصبح لكل منهم أربعة أرغفة بدلا من ثلاثة ورتب بالخانقاة وظيفتى ذكر بعد صلاة العشاء وصلاة الصبح، فكثرت النكير عليه ممن أخرجه حتى قال بعض أدباء العصر:

يا أهل خانقاة الصلاح أراكم ما بين شاك للزمان وشاتم
يكفيكم ما قد أكلتم باطلا من وقفها وخرجتم بالسالم

وكان سبب ولاية السالمى لنظر وقف هذه الخانقاة - كما يقول المقرئى - أن العادة كانت قد جرت على أن يتحدث الشيخ فى نظرها، فلما كانت أيام الظاهر بربوق ولى مشيختها الشيخ محمد البلالى الشامى إلى أن صار للأمير سودون فيه اعتقاد فاسد إليه النظر فى وقفها إلى جانب مشيختها إعانة له^(٦٥)، ولكن السالمى عندما نزل إلى الخانقاة وتحدث فيها اجتمع بشيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى وأوقفه على كتاب الوقف فأفتاه بالعمل بشرط الواقف الذى شرط فيه أن هذه الخانقاة تكون وقفا على الطائفة الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة خارج مصر، علاوة على الصوفية القاطنين بالقاهرة والفسطاط، فإن لم يوجدوا كانت على الفقراء من الفقهاء الشافعية والمالكية الأشعرية الاعتقاد.

ثم جمع السالمى القضاة وشيخ الإسلام وسائر صوفية الخانقاة بها وقرأ عليهم كتاب الوقف، وسأل القضاة عن حكم الله فيه، فانتدب للكلام رجلان من صوفيتها هما زين الدين أبو بكر القمنى وشهاب الدين أحمد العبادى الحنفى وارتفعت الأصوات وكثر اللغط، فأشار القضاة على السالمى أن يعمل بشرط الواقف وأنصرفوا، فقطع منهم نحو الستين رجلا منهم المذكورين، فامتعض العبادى وغضب من ذلك وشنع فى أمر السالمى ووسط لسانه بالقول فيه فقبض عليه وقضى بتمزيقه فى حضرة السلطان والقضاة والفقهاء، وخرج من القلعة ماشيا مكشوف الرأس إلى باب زويلة فسجن هناك بحبس الديلم ثم نقل منه إلى حبس الرحبة ثم استدعى إلى دار قاضى القضاة جمال الدين محمود القيصرى الحنفى وضرب أربعين عصا تحت رجليه ثم أعيد إلى الحبس إلى أن أفرج عنه بشفاعه شيخ الإسلام.

ثم لما جدد الأمير يلبغا السالمى الجامع الأحمر وعمل له منبرا وأقيمت فيه الخطبة فى شهر ربيع الأول سنة (٨٠١هـ / ١٣٩٨م) ألزم شيخ هذه الخانقاة وصوفيتها أن يصلوا الجمعة به، فتم له ذلك إلى أن زالت أيام السالمى فتركوا الاجتماع بالجامع الأحمر وعادوا إلى ما كانوا عليه من الاجتماع بالجامع الحاكمى ونسى ذلك^(٦٦).

أما السيوطي فقد ذكر من نظار هذه الخانقاة في القرن (٩ - ١٠هـ / ١٥ - ١٦م) الشيخ نجم الدين الخبوشاني وقال - طبقا لما أشير إليه أنفا - أن السلطان الواقف كان قد جعل له التدريس والنظر في آن واحد وشرط له من المعلوم في كل شهر أربعين دينارا عن التدريس وعشرة دنائير عن نظر الوقف ورتب له من الخبز في كل يوم ستين رطلا بالمصرى وراويتين من ماء النيل (٦٧).

وأخيرا يذكر السخاوي من هؤلاء النظار في القرن (٩هـ / ١٥م) خليل بن أحمد بن علي بن غرس الدين السخاوي ثم القاهري الذي صحب الشمس الحلاوي وكيل بيت المال وأحد خواص الظاهر جقمق قبل سلطنته، وصار خليل هذا يتردد مع الحلاوي إلى جقمق حتى استتابه في نظر سعيد السعداء وقتا، مات بعد أن أسن في جمادى الأولى سنة سبع وأربعين (وثمانمائة) (٦٨).

٥ - صوفية الخانقاة ودارسوها :

يقول المقرئ أن الشيخ أحمد بن علي القصار رحمه الله كان قد أخبره أنه أدرك الناس في يوم الجمعة يأتون من مصر (القساط) إلى القاهرة ليشاهدوا صوفية خانقاة سعيد السعداء عندما يتوجهون منها إلى الصلاة بالجامع الحاكمي كي تحصل لهم البركة والخير بمساعدتهم، وكان لهم (أى للصوفية) في هذا اليوم هيئة فاضلة، فيخرج شيخ الخانقاة منها وبين يديه خدام الربعة الشريفة قد حملت على رأس أكبرهم والصوفية مشاة بسكون إلى باب الجامع فيدخلون إلى مقصورة كانت هناك على يسرة الداخل من الباب المذكور تعرف بمقصورة البسملة لوجود بسملة نقشت عليها بحروف كبارة، فيصلى الشيخ تحية المسجد تحت سحابة منصوبة له دائما وتصلى الجماعة ثم يجلسون وتفرق عليهم أجزاء الربعة فيقرأون القرآن حتى يؤذن المؤذنون، فتؤخذ الأجزاء منهم ويشغلون بالتركع واستماع الخطبة وهم منصتون خاشعون، فإذا قضيت الصلاة والدعاء بعدها قام قارئ من قراء الخانقاة ورفع صوته بقراءة ما تيسر من القرآن، ودعا للسلطان صلاح الدين ولواقف الجامع ولسائر المسلمين فإذا فرغ قام الشيخ من مصلاه وسار من الجامع إلى الخانقاة والصوفية معه كما كان توجههم فيكون هذا من أجمل عوائد القاهرة (٦٩).

وكان من شروط وقف هذه الخانقاة كما سبق القول أنها للواردين من خارج مصر والقاطنين بالقاهرة ومصر، فإن لم يوجدوا كانت للفقراء من فقهاء الشافعية والمالكية الأشعرية الاعتقاد، وأن مات من صوفيتها وترك عشرين دينارا فما دونها كانت للفقراء، ولا يتعرض لها الديوان السلطاني، ومن أراد منهم السفر يعطى تسفيره (أى تتم إعاقته على سفره)، وبنى لهم حماما بجوارهم، لكل منهم فى اليوم ثلاثة أرغفة زنتها ثلاثة أرتال خبز، وقطعة لحم زنتها ثلث رطل فى مرق، وتعمل لهم الحلوى فى كل شهر، ويفرق عليهم الصابون ويعطى كل منهم فى السنة ثمن كسوة قدر أربعين درهما^(٧٠).

وقد اختلف المؤرخون فى ذكر عدد الصوفية بهذه الخانقاة، فذكر المقرئى أنهم كانوا نحو الثلثمائة رجل^(٧١) وقد نقل عنه ذلك على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ / ١٩م) ضمن ما نقله عما كان مخصصا لهؤلاء الصوفية من الجرايات النقدية والعينية من الخبز واللحم والحلوى والصابون وثمان الكسوة ونحوها^(٧٢)، إلا أن ابن ظهيرة فى القرن (١٠هـ / ١٦م) قد تعرض لشيء من هذا القبيل (فى معرض حديثه عن ذكر ما اختصت به مصر والقاهرة وأهلها من محاسن وفضائل وما شاركها فيه غيرها وهو قليل بالنسبة إليها على سبيل التفضيل نقلا عن شيخه العلامة شمسى الدين القاياتى) فقال أن أهل خانقاة سعيد السعداء (أى صوفيتها يعمرن مدينة وقد بلغت عدة الصوفية بها على عهده سبعمائة نفر وأكثر^(٧٣))، ويطلب على الظن أن عدد الصوفية بهذه الخانقاة كان قد زاد كثيرا على عهد ابن ظهيرة فى القرن (١٠هـ / ١٦م) عنه فى عهد المقرئى فى القرن (٩هـ / ١٥م) وهو أمر لا غرابة فيه إذ من المعروف أن تقدم الزمن يستتبعه كثرة عدد الناس ومن ثم كثرة عدد الصوفية فيهم.

وقد أفاض علينا ابن حجر العسقلانى فى القرنين (٨ - ٩هـ / ١٤ - ١٥م) بتراجم كثير من صوفية هذه الخانقاة نذكر منهم أحمد بن بركات شاه بن أبى الحسن شمس الدين أبو محمد الأقصرائى شيخ خانقاة يكتمر بالقراة، الذى كان أول أمره صوفيا بالصلاحية مات فى سنة (٧٣٠هـ / ١٣٢٩م)^(٧٤)، ومنهم محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن عبد الله بن أبى سالم داود بن أحمد بن غنائم الحلبي الذى ولد سنة (٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) وسمع من المحسن ومن فاطمة بنت الملك المحسن وأجاز له جماعة وحدث بالقاهرة وولى ديوان الصدقات وتزل بهذه الخانقاة إلى

أن مات سنة (٧٣٣هـ / ١٣٣٢م) ^(٧٥) ومنهم محمد بن اسماعيل ابن عبد العزيز بن عيسى بن أبي بكر بن أيوب بن شاذى بن مروان ناصر الدين بن العادل بن عبد العزيز بن المعظم ابن العادل الأيوبي المعروف بابن الملوك الذى ولد سنة (٦٧٤هـ / ١٢٧٥م) وحدث وتفرد وكان صوفيا بسعيد السعداء، مات بالقاهرة سنة (٧٥٦هـ / ١٣٥٥م) ^(٧٦).

كذلك فقد ترك السخاوى فى القرنين (٩ - ١٠هـ / ١٥ - ١٦م) بعضا من تراجم صوفية هذه الخاتقة تذكر منهم أحمد بن على بن ابراهيم بن اسماعيل بن محمد الشهاب أبو محمد المناوى القاهرى الشافعى الذى ولد تقريبا سنة (٧٩٠هـ / ١٣٨٨م) ومات سنة سبع وستين (٨٦٧هـ / ١٤٦٢م) ^(٧٧)، ومنهم أحمد بن على بن أبى بكر الشهاب الحسينى سكنا الترجمان ولد قبل سنة (٧٧٠هـ / ١٣٦٨م) ومات حوالى سنة (٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) ^(٧٨) ومنهم أحمد بن عمر بن خليل الشهاب القاهرى الذى عرف بابن السكرى (حرقه أبيه) ممن اشتغل عند الزين زكريا البكرى ثم نزل للكمال الطويل ونحوه، وقد حج وتردد وعنده سكوت وأدب ^(٧٩)، ومنهم أحمد بن محمد أين صدقة الشهاب المصرى القاهرى الشافعى الذى مات فى حدود سنة (٨٦٠هـ / ١٤٥٥م) ^(٨٠) ومنهم أحمد الشربى ثم القاهرى نسخ بخطه أشياء سنة (٨٩٥هـ / ١٤٨٩م) ^(٨١).

ومنهم رمضان بن اسماعيل بن ابراهيم بن موسى الزين المتوفى ثم القاهرى الشافعى نزيل القراسنقرية، مات سنة (٨٨٢هـ / ١٤٧٧م) وكان خيرا مديما للتلاوة والعبادة ^(٨٢)، ومنهم عبد الرحمن بن ابراهيم بن سعيد العقبى القاهرى الشافعى مات سنة (٨٣٤هـ / ١٤٣٠م) ^(٨٣)، ومنهم عبد الرحمن بن محمد بن على الزين السرورى المدينى الشافعى ممن قرأ على السخاوى فى النخبة واشتغل يسيرا وكان من صوفية هذه الخاتقة ^(٨٤).

أما الدارسون بذه الخاتقة فقد أورد لنا ابن حجر العسقلانى تراجم بعضهم فى القرنين ٨ - ٩هـ / ١٤ - ١٥م) ومنهم محمد بن عمر بن أبى القاسم نجم الدين بن أبى الطيب الشافعى كان عارفا بتراجم أهل عصره وياشر الوظائف الكبار ودرس بالصلاحية، كان مولده سنة (٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) ومات سنة (٧٤٢هـ / ١٣٤١م) ^(٨٥)، كما أورد لنا ابن تغرى بردى فى القرن (٩هـ /

١٥م) منهم أحمد بن علي بن حسن ابن إبراهيم شهاب الدين أبو الطيب المعروف بالحجازي الأنصاري المصري الشافعي، ولد في سنة (٧٩٠هـ / ١٣٨٨م) وتفق على الشيخ كمال الدين الدميري وعلى الولي العراقي وغيرهما وسمع على أبي الحسن علي بن أبي المجد بالخانقاة الصلاحية جميع صحيح البخاري بلافوت^(٨٦).

٦ - نزلاء ودفناء الخانقاة :

كما أفاضت علينا المصادر العربية بتراجم كثير من شيوخ هذه الخانقاة وأئمتها ونظار وقفها، وكذا تراجم كثير من كتّاب غيبتها وشهود شونها ومخبرها وطباخيها ومزلاتيها ومقدمي نعالها، بالإضافة إلى تراجم كثير من صوفيتها ودارسيها، فقد أفاضت علينا هذه المصادر أيضا بتراجم كثير من نزلائها ودفنائها.

وقد ترجم لهؤلاء النزلاء والدفناء كل من ابن حجر العسقلاني في القرنين (٨ - ٩هـ / ١٤ - ١٥م) وابن تغري بردي في القرن (٩هـ / ١٥م) والسخاوي في القرنين (٩ - ١٠هـ / ١٥ - ١٦م) والجبرتي في القرنين (١٢ - ١٣هـ / ١٨ - ١٩م) وغيرهم.

فذكر ابن حجر من تراجم نزلاء هذه الخانقاة أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطبري ثم المكي حفيد الحافظ محب الدين الذي ولد سنة ٦٩٣٠هـ / ١٢٩٣م) وكان صالحا فاضلا حدادا عاقلا، أقام بمصر في خانقاة سعيد السعداء ورجع إلى مكة وانقطع بالمدينة من سنة (٧٣٧هـ / ١٣٣٦م) إلى سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م) فأقام بمكة إلى أن مات سنة (٧٤٢هـ / ١٣٤١م)^(٨٧).

كما ذكر السخاوي من تراجم هؤلاء النزلاء إبراهيم بن أحمد بن علي بن خلف بن عبد العزيز بن بدران برهان الدين أبو السعود بن الشهاب الطنثائي الحسيني نزيل الشرايشية، الشافعي سبط الشمس البوصيدي، ولد سنة (٨٠٠هـ / ١٣٩٧م)، وتنزل بالمدارس المختلفة وبالخانقاة الصلاحية حتى مات سنة (٨٨٦هـ / ١٤٦١م)^(٨٨)، ومنهم إبراهيم بن حسن بن علي الجراحي ثم القاهري الشافعي نزيل الصلاحية وأحد صوفيتها ولد سنة (٨١٢هـ / ١٤٠٩م) وناب في القضاء ببعض القرى^(٨٩)، ومنهم إبراهيم بن علي بن محمد بن عيسى البرهان بن العلاء الشامي

الأصل القاهري الصحراوي الشافعي الذي عرف بالقبطي نسبة لأحد شيوخ والده، ولد سنة (٨١٧هـ / ١٤١٤م) وقرأ على العز بن عبد السلام البغدادي وتنزل في صوفية سعيد السعداء وغيرها^(٩٠)، ومنهم أحمد بن أحمد بن السنبُل (وهو مكيال القمح بحمص) أبو العباسي الحمصي الشافعي، اشتغل ببلده ومهر وولى قضاءها ثم قدم القاهرة وتنزل في صوفية سعيد السعداء ثم سعى في قضاء دمشق فوليه سنة (٨٠٦هـ / ١٤٠٣م) إلى مات هناك سنة (٨١٦هـ / ١٤١٣م)^(٩١).

ومنهم أحمد بن عبد العزيز بن يوسف بن عبد الغفار بن وجيه بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الصمد بن الشهاب بن العز السنباطي الأصل القاهري الشافعي تنزل في الصلاحية والبيبرسية وغيرها^(٩٢)، ومنهم أحمد بن محمد بن إسماعيل شهاب الدين السنباري ثم السنيكي القاهري الشافعي، قدم القاهرة فنزل في صوفية الصلاحية وغيرها وتكسب بالشهادة وربما أم بالخانقاة، مات سنة (٨٨٧هـ / ١٤٨٢م)^(٩٣)، ومنهم أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن أبي نصر محمد بن عرب شاه ابن أبي بكر الشهاب الدمشقي الأصلي الرومي الحنفي الذي لقيه السخاوي في الخانقاة الصلاحية بالقاهرة سنة (٨٥٠هـ / ١٤٤٦م)^(٩٤).

ومنهم اسماعيل بن إبراهيم بن موسى بن سعيد بن علي الشيخ أبو السعود المنوفي الشافعي نزيل القاهرة، كان عالما صالحا تنزل في سعيد السعداء ودرس وأفتى ونظم الشعر، ومات سنة (٨٢٠هـ / ١٤١٧م)^(٩٥)، ومنهم جبار الله بن صالح بن أحمد بن عبد الكريم بن يحيى بن عبد الرحمن بن علي بن الحسين بن محمد بن شعبة الشيباني الطبري الأصلي المكي الحنفي، تردد إلى القاهرة مرارا وأدركه أجله بخانقاة سعيد السعداء سنة (٨١٥هـ / ١٤١٢م) ودفن بمقبرة صوفيتها^(٩٦)، ومنهم الحسن بن أحمد بن حسن البدر العاملي القاهري الشافعي نزيل سعيد السعداء، وأحد أئمتها ولد سنة (٧٧٥هـ / ١٣٧٣م) بمنية عامل ثم قدم القاهرة فحفظ وأخذ ومات سنة (٨٧٣هـ / ١٤٦٨م)^(٩٧)، ومنهم حسن بن علي بن أحمد البدر أبو علي الدماطي الأزهرى الشافعي الضرير، قدم القاهرة من بلده دماط من الغربية فحفظ وأخذ ولازم وتنزل في صوفية سعيد السعداء ومات سنة (٨٨١هـ / ١٤٨٦م) ودفن بترتها^(٩٨)، ومنهم علي بن زكريا بن أبي بكر بن يحيى نور الدين أبو محمد السهيلي ثم القاهري الشافعي الذي عرف بالسهيلي ولد

سنة (٨١٤هـ / ١٤١١م) بمنية سهيل من أعمال مصر، وقدم القاهرة فقراً واشتغل وكثر اجتماعه بالسخاوى فى خانقاة الصلاحية وغيرها حتى مات سنة (٨٧٢هـ / ١٤٦٧م) ^(٩٩).

أما الجبرنى فى القرنين (١٢ - ١٣هـ / ١٨ - ١٩م) فقد ذكر من مات سنة (١١٩٧هـ / ١٧٨٢م) من نزلاء هذه الخانقاة العلامة الفاضل المحدث الصوفى الشيخ أحمد بن جمعة البجيرمى الشافعى الذى انتفع به الناس كثيراً، كان يسكن فى خانقاة سعيد السعداء مع حسن الأخلاق والانجماع وملازمة محله ^(١٠٠).

أما دفناء الخانقاة فقد ذكر لنا منهم كل من ابن تغرى بردى والسخاوى فى القرنين (٩ - ١٠هـ / ١٥ - ١٦م) شيخ الشيوخ كريم الدين عبد الكريم بن الحسن بن أبى بكر الأملى ^(١٠١)، وأحمد بن محمد بن إبراهيم بن العلامة أحمد بن محمد بن إبراهيم بن العلامة أحمد بن محمد ابن الشهاب ابو المحاسن بن الشمس بن البرهان الخجندى المدنى الحنفى الذى ولد سنة (٨٣٦هـ / ١٤٣٢م) بالمدينة المنورة وحفظ القرآن والكنز وعرض على غير واحد ومات بالقاهرة سنة (٨٨١هـ / ١٤٧٦م) ودفن بحوش هذه الخانقاة ^(١٠٢)، وجعفر بن إبراهيم بن جعفر بن سليمان بن زهير أبو الفتح القرشى السنهاورى القاهرى الأزهرى الشافعى المقرئ الذى ولد سنة (٨١٠هـ / ١٤٠٧م) بسنهاور ثم تحول إلى القاهرة فنزل بالجامع الأزهر واشتغل وسمع ونزل فى سعيد السعداء، ولم يزل متعللاً حتى مات سنة (٨٩٤هـ / ١٤٨٨م) ودفن بحوش صوفية الخانقاة ^(١٠٣).

ب - الوظائف الخدمية :

تنحصر الوظائف الخدمية التى شملتها هذه الخانقاة طبقاً لما لدينا من مادة تاريخية أمدنا بها السخاوى فى القرنين (٩ - ١٠هـ / ١٥ - ١٦م) فى كتاب الغيبة وشاهد الشونة وشاهد المخبز والمزملاتى والطباخ ومقدم النعل، وفيما يلى بعض تراجم هؤلاء :

١ - كتاب الغيبة :

ذكر لنا السخاوى من كتاب الغيبة فى هذه الخانقاة على بن عبد الكريم بن صالح بن شهاب نور الدين الهيثمى ثم القاهرى الشافعى الذى تكسب بالشهادة وكتابة الغيبة فى سعيد

السعداء ومات في ذى الحجة سنة (٨٨٥هـ / ١٤٨٠م) ^(١٠٤).

٢ - شاهد الشؤنة :

نذكر من شاهدى شؤنة هذه الخانقاة ممن ذكرهم السخاوى على بن محمد بن إبراهيم بن حامد العلاء الصفدى الشافعى الذى ولد في ذى القعدة سنة (٨٠٤هـ) بصفد ثم ارتحل عنها في طلب العلم إلى دمشق، ثم جاء إلى القاهرة مجتهدا في الاشتغال إلى أن ولى شهادة الشؤنة بسعيد السعداء ومات سنة (٨٧٠هـ / ١٤٦٥م) ^(١٠٥).

٣ - شاهد المخبز :

أشار السخاوى من شاهدى مخبز هذه الخانقاة إلى أحمد بن محمد بن عثمان بن نصر بن عيسى الأموى القاهرى الشافعى الذى عرف بابن الحمرة (وهى أمه نسبت إلى التحمير من الحمرة) وبابن السمسار (لكون أبيه كلن سمسارا من سمسرة الغلال بساحل بولاق) وبابن الصلاح (لقب أبيه وجده وبابن البحلاق ولكنه بالأول أشهر، ولد في صفر سنة (٧٦٧هـ / ١٣٦٥م) بالمقس فحفظ وقرأ وأخذ إلى أن باشر شهادة المخبز بالصلاحية، ومات في ربيع الآخر سنة (٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) ^(١٠٦).

٤ - المزملا تى :

من المزملا تى الذين باشروا تسبيل الماء بمزملة هذه الخانقاة طبقا لما ذكره السخاوى عبد الرازق بن حسن الدنجيهى ثم القاهرى الشافعى، كان أحد صوفية سعيد السعداء وصلحاتها، حفظ القرآن والمنهاج ولازم درس البلقينى وتولى سقى الصوفية بالمزملة حتى مات في رمضان سنة (٨٩٦هـ / ١٤٩٠م) ^(١٠٧).

٥ - الطباخ :

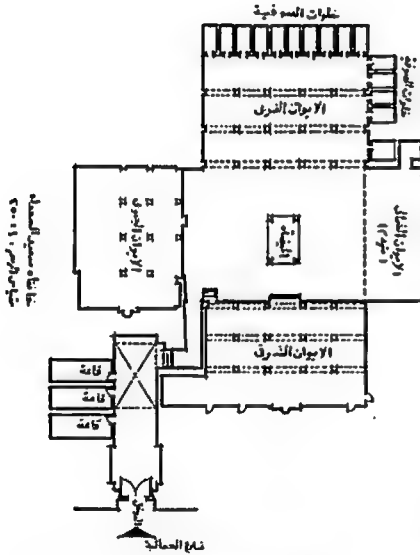
أشار السخاوى من طباخى هذه الخانقاة إلى محمد بن عمر بن محمد الشيرازى شمس الدين أبو الجدة، سمع من حسن الكردى وابن السماك والعلم بن دراده وزاهدة بنت الظاهرى

وغيرهم وكان طبائخا بالخانقاة الصلاحية سعيد السعداء حتى مات سنة (٧٧٥هـ / ١٣٧٣م) (١٠٨).

٦ - مقدم النعال :

وآخر من أمكن الوقوف عليهم من مقدمى النعال بهذه الخانقاة ممن ذكرهم السخاوى على بن موسى بن هرون أبو الحسن الزيات المقرئ الذى عرف بابن الزيات كان خيرا نيرا من صوفية سعيد السعداء يتولى تقديم نعالهم كل يوم غالبا، وربما فعل بصوفية البيبرسية ذك، مات فى آخر سنة (٨٧٦هـ / ١٤٧١م) (١٠٩).

٥ - وصف الخانقاة : (أنظر لوحة : ١)



لوحة ١ : الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء)
تقريباً ٤٨٠ (٥٦٩هـ / ١١٧٣م) - مسقط أفقى.

تقع هذه الخانقاة بشارع الجمالية فى الحي المعروف بذات الاسم، وكانت فى الأصل دارا تعرف بدار سعيد السعداء أحد الأستاذين المحنكين على أيام الخليفة الفاطمى المستنصر بالله، ثم سكنها الصالح طلائع بن رزيك بعد أن عمل سردابا يوصل بينها وبين دار الوزارة، ثم سكنها من بعده الوزير شاور ثم ابنه الكامل، وأخيرا لما تولى صلاح الدين ملك مصر جعلها خانقاة باسم الفقراء الصوفية الواردين من البلاد، وكان ذلك فى سنة (٥٦٩هـ / ١١٧٣م)، وتكون هذه الخانقاة عامة من مدخل بسيط يؤدى إلى صحن كبير مكشوف تتعامد عليه أربعة إيوانات وبعض خلاوى أشبه بالحواصل فى إيوانها الشمالى الغربى وفيما يلى وصف أثرى لأجزائها المعمارية.



شكل ١ - الخاتقاة الصلاحية (سعيد السعداء) أثر رقم ٤٨٠ ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م - الواجهة والمدخل

الواجهة الرئيسية: (أنظر شكل: ١)

الواقع أنه لم يبق من واجهات هذه الخاتقاة إلا الواجهة الشرقية وطولها (٢٦) مترا، وقد ضاعت معظم هذه الواجهة أيضا ولم يبق منها إلا المدخل ويقع داخل دخلة عمقها (٥٠) م تكتنفها مكسلتان حجريتان مستطيلتان طول كل منهما (٥٠) م وارتفاعها (٤٥) م يعلوها عقد مدبب.

المدخل الرئيسى:

عرض المدخل الرئيسى لهذه الخاتقاة (٢) متر وعمقه (٥٠) م وارتفاعه (٥) م يعلوه عتب حجرى

خالى من الزخارف وله طاقة على هيئة عقد مدبب كانت تعلوه نافذة مستطيلة ضاع ما كان فيها من نحاس أو أخشاب، وعلى يسار المدخل توجد مشربية من خشب الخرط تغطيها دروة خشبية من أعلى.

دركاة المدخل:

يفضى المدخل المشار إليه إلى دركاة مستطيلة طولها (٣٤) م وعرضها (٤) متر يغطيها سقف من عروق خشبية مجددة فى ناحيتها الجنوبية مشربية تقوم على خمسة كوابيل خشبية تعلوها دروة خالية تماما من الزخارف، وبصدر هذه الدركاة فتحة عرضها (٥٢) م تعلوها مشربية تشبه المشربية الموجودة فى الجدار الجنوبي للدركاة.

الممر المنكسر المؤدى إلى الصحن:

من الفتحة الواقعة بصدر الدركاة يدخل إلى ممر مستطيل طوله (١١٣٠) متر وعرضه (٢٤٠) متر كان يغطيه سقف من عروق خشبية على يساره فتحة باب عرضها (٩٥) م ذات عقد نصف دائرى تعلوه نافذة مستطيلة بها مصبغات خشبية، ويؤدى هذا الباب إلى حجرة مستطيلة

يغطيها سقف مجدد، في جدارها الجنوبي فتحة عرضها (١ر٨٥) متر مسدودة بقوالب من الطوب الأحمر الحديث، وعلى مسافة (٢ر٢٠) متر من هذا الباب يوجد باب ثان يشبه الباب الأول تماما بشكله وينافذته المستطيلة التي تعلوه، ويؤدي هذا المدخل أيضا إلى حجرة مستطيلة ثانية يغطيها سقف من عروق خشبية مجددة، وعلى مسافة (٥٥ر) م من هذا الباب الثاني يوجد باب ثالث يشبه البابين السابقين بتكوينهما المعماري وبما يعلوهما من نافذتين مستطيلتين يؤدي إلى حاصل مستطيل الشكل يغطيه سقف من عروق خشبية مجددة.

أما الجزء الغربي من هذا الممر فغير مسقوف وفي جداره الجنوبي مشربية ثالثة تشبه المشربيتين المشار إليهما في جداري الدركاة الغربية والجنوبى، وفي نهاية الجدار الشمالى توجد فتحة عرضها (٢ر٤٠) متر ذات عقد نصف دائرى تؤدي إلى سلم هابط يتكون من ست درجات، على يساره دخله عرضها (١ر٤٠) متر وعمقها (١ر١٠) متر ذات عقد نصف دائرى، ويغضى هذا الانكسار الثانى لممر المدخل سقف من عروق خشبية مجددة.

صحن الخانقاة :

يؤدي السلم المشار إليه إلى الانكسار الثالث للممر سالف الذكر، وهو خال من أية فتحات، ويغطيه سقف خشبي مجدّد أيضا، جداره الغربى مفتوح بفتحة عرضها (٢) متر يفضى إلى صحن المدرسة وهو مستطيل الشكل طوله (٢٣ر٥٠) متر وعرضه (١٤ر٩٠) متر، وهو صحن متخرب أرضيته مفروشة ببلاطات من الحجر الجيرى، ويتوسط هذا الصحن سقيفة محمولة على أربعة أعمدة حجرية تشبه أعمدة واجهتى إيوان القبلة والإيوان الغربى المطلتان على الصحن، يغلب على الظن أنها كانت فسقية للوضوء.

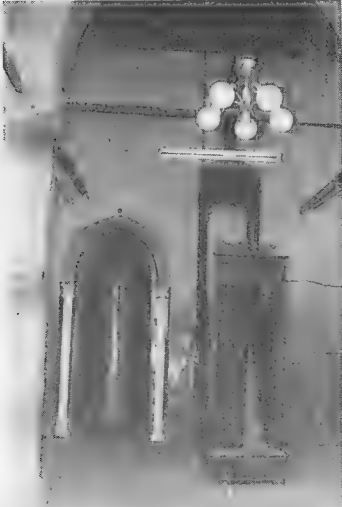
الإيوان الشرقى : (أنظر شكل : ٢)

يتكون الإيوان الشرقى لهذه الخانقاة من مساحة مستطيلة طولها (١٦ر٥٠) متر وعرضها (١٠ر٦٠) متر بها ثلاث بلاطات يحصرها مع جدار القبلة صفان من أعمدة حجرية تشبه



شكل ٢ - الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء) - الإيوان الشرقى.

الأعمدة المشار إليها، وتحمل هذه الأعمدة عقودا مدبية يعلوها سقف من عروق خشبية مجدة، ويتوسط الجدار الشرقى لهذا الإيوان المحراب وهو عبارة عن حنية عرضها (١٢٠) متر وعمقها (٥٥) متر يعلوها عقد مدبب ويكتنفها عمودان خشبيان كل منهما مثنى الأضلاع له قاعدة وتاج متشابهين، وهذا المحراب خال من أية عناصر زخرفية تعلوه قمرية دائرية غير نافذة ليس بها أية زخارف أيضا، على يمينه منبر خشبى مجدد (أنظر شكل : ٣)



شكل ٢ - الخانقة الصلاحية (سعيد السعداء)
المحراب والمنبر

ويشتمل جدار القبلة فى هذا الإيوان على ثلاثة أبواب متشابهة إثنان منها على يمين المحراب عرض كل منهما (١) متر يؤدى إلى غرفتين مستطيلتين يغطى كل منهما سقف خشبى مجدد، وواحد على يساره يشبه البابين السابقين يؤدى إلى حجرة ثالثة، أما فى الركن الشمالى الشرقى من هذا الإيوان فيوجد باب

رابع يشبه الأبواب الثلاثة السابقة يؤدى إلى حجرة رابعة، ويغلب على الظن أن هذه الحجرات كانت لسكنى شيوخ الخانقة، وفى ركنه الجنوبى الشرقى دخلة عرضها (٢٩٠) متر وطولها (٤٠) متر يغطيها نفس السقف الخشبى المجدد.



شكل ٤ - الخانقة الصلاحية (سعيد السعداء) - الإيوان الجنوبى

الإيوان الجنوبى : (أنظر شكل : ٤)

هذا الإيوان عبارة عن مساحة مستطيلة أيضا طولها (١٧٤٠) متر وعرضها (٩٦٠) متر، ويتكون من بلاطين وبه صفان من الأعمدة الرخامية

المثمنة التى تحمل عقودا مدبية فيما عدا عمود فى ناحيته الشرقية من الحجر الجيرى المثنى الأضلاع أيضا، ويغطى هذا الإيوان سقف خشبى مجدد فى جداره الشرقى محراب عبارة عن حنية

خالية من الزخارف عرضها (١٣٠) متر وعمقها (٧٠) متر لا تكتنفها أعمدة، أما الجدار الجنوبي فكانت به ثلاثة شباييك مستطيلة متشابهة عرض كل منها (١٦٠) متر وعمقها (٩٠) متر ذات أعتاب مستوية، وقد سدت هذه الشباييك الآن بسدات حديثة.

الإيوان الغربى : (أنظر شكل: ٥)



شكل ٥ - الخانقاة الصلاحية (سميد السعداء) - الإيوان الغربى

يقابل إيوان القبلة وهو عبارة عن مساحة مستطيلة طولها (١٨٣٠) متر وعرضها (١١٣٠) متر ويتكون من ثلاث بلاطات، وبه ثلاثة صفوف من الأعمدة الحجرية تشبه الأعمدة الموجودة فى إيوان القبلة، وتحمل هذه

الأعمدة عقوداً مدببة يربط بينها طبان من الخشب، ويغطى هذا الإيوان سقف من عروق خشبية كان يزينها ويزين الألواح الخشبية فيما بينها زخارف ملونة ذات أشكال نباتية وهندسية مختلفة، كما كان يحيط بأعلى الجدران أسفل السقف فوق كل بلاطة منها إزار خشبي نقش فيه بالألوان أيضاً زخارف نباتية وهندسية وكتابات نسخية إلا أن غالبية هذه الزخارف وتلك الكتابات قد ضاعت ولم يبق منها إلا الآثار الدالة عليها.

وبجدار هذا الإيوان الغربى عشرة مداخل صغيرة متشابهة عرض كل منها (٨٠) متر فوقه عتب خشبي غير مزخرف تعلوه نافذة مستطيلة ذات (حلق خشبي) بها مصبغات من خشب الخرط العريض، ويؤدى كل مدخل من هذه المداخل إلى خلوة مستطيلة الشكل طولها (٣٥٠) متر وعرضها (١٥٠) متر ترتفع عن أرضية الصحن بمقدار (٤٠) متر فى صدرها مصطبة عرضها (٦٥) متر وارتفاعها (٣٥) متر كان يغطيها قبو نصف اسطوانى تهدم فى بعض منها واستعيض عنه بسقف من عروق خشبية مجددة.

أما الجدار الشمالي لهذا الإيوان فيه خمس فتحات تشبه فتحات الجدار الغربي تؤدي كل فتحة منها أيضا إلى خلوة تشبه الخلوات المشار إليها في الناحية الغربية، وكان يعلو كلا من النوافذ الخشبية المستطيلة ذات الخرط الواسع فوق هذه الأبواب وعلى نفس محاورها صفان من نوافذ أخرى متشابهة لها في كل من هاتين الناحيتين (الشمالية والغربية) كانت بالطبع منافذ إنارة وتهوية لخلوات الدورين الثاني والثالث، إلا أن معظم نوافذ هذين الدورين في كل من هذين الجدارين قد تغيرت معالمها وسدت بقوالب من الطوب الأحمر الحديث، ومعنى ذلك أن هذه الخلوات كانت تتكون من اثني عشر خلوة من دورين في الناحية الشمالية، أما في الناحية الجنوبية التي تغيرت معالمها بإقامة العديد من المساكن الأهلية الحديثة التي لم تبق إلا على نوافذها، فكانت تتكون من ثلاثة أدوار بكل دور ستة نوافذ تشبه باقى النوافذ ذات المصبعات الخشبية في الجهتين الشمالية والغربية، وكان بها بالطبع نفس عدد الخلوات الموجودة في الجانب الشمالي، وفي النهاية الجنوبية للجدار الغربي للإيوان الشمالي توجد فتحة باب عرضها (١٠ر١) متر ذات عتب حجرى كانت تؤدي إلى ممر مستطيل عرضه (١٠ر٤) متر كان يؤدي إلى دورة مياه، إلا أنه قد سد من الناحية الشمالية بسدة حديثة، وكانت هذه الخلوات ودورات مياهها تستوعب صوفية الخانقاة البالغ عددهم ثلاثمائة صوفى^(١١٠).

ويقول المقرئى في القرنين (٨ - ٩هـ / ١٤ - ١٥م) أنه لم يكن لهذه الخانقاة مئذنة في الأصل إلى أن ولى مشيختها سنة بضع وثمانين وسبعمئة شهاب الدين أحمد الأنصارى فعمل لها مئذنة مستحدثة^(١١١)، ونقل عنه ذلك بنصه على باشا مبارك إلا أنه أضاف أنه كان بها على عهده أربعة إيوانات وعدة خلل للصوفية تحتها قبور دفن فيها بعض صوفيتها وصوفية غيرها من الخانقاوات المعاصرة، وقد تغيرت في أيامه بعض مبانيها الأصلية وجعل بها منبرا وخطبة^(١١٢).

مرافق الخانقاة:

كان لهذه الخانقاة مطبخا عامرا يشتى المطهيات ليكفى مآكل هذا العدد الهائل من الصوفية، إلا أنه تعطل وأغلق عقب المحن التي حدثت سنة (٨٠٦هـ) كما أن لها حماما أعده المنشئ لصوفيتها حرصا منه على طهارتهم، ولا زال هذا الحمام قائما بمدخلين أحدهما من داخل الخانقاة والآخر من خارجها^(١١٣).

٢ - الخانقاة البندقدارية أيديكين

«زاوية الأبار»

٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م

أثر رقم ١٤٦

تعتبر الخانقاة البندقدارية أو زاوية الأبار كما يسميها العامة لوجود قبر بالقبة يقال له قبر الشيخ علاء الدين الأبار، هي أول خانقارات عصر دولة المماليك البحرية أنشأها تجاه المدرسة الفارقانية الأمير علاء الدين أيديكن البندقداري سنة (٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م)، والواقع أن ما لدينا من مادة تاريخية يجعل حديثنا عن هذه الخانقاة محصوراً في خمس نقاط رئيسية هي:

١ - تاريخ الخانقاة.

٢ - منشئ الخانقاة.

٣ - نزلاء الخانقاة ودفناتها.

٤ - وصف الخانقاة.

٥ - ترميمات الخانقاة.

١ - تاريخ الخانقاة:

يقول المقرئى «هذه الخانقاة بالقرب من الصليبة كان موضعها يعرف قديماً بدويرة مسعود، وهى الآن (أى على عهد المقرئى فى القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) تجاه المدرسة الفارقانية وحمام الفارقاني، أنشأها الأمير علاء الدين أيديكين البندقدارى الصالحى النجمى وجعلها مسجداً لله تعالى وخانقاة، ورتب فيها صوفية وقراء فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة (١٢٨٤ م)»^(١١٤).

وقد نقل عنه على باشا مبارك هذه المعلومات بالنص إلا أنه أضاف إليها أن هذه الخانقاة كانت قد تخربت مدة من الزمن ثم جددتها ديوان الأوقاف على عهده (أى على عهد على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ / ١٩م) وعمل لها مطهرة ومراحيض وجعلها مقامة الشعائر^(١١٥)، ثم يقول فى موضع آخر أن هذه المدرسة كانت عامرة حتى أيامه وتعرف بزاوية الأبار وهى التسمية التى لازالت تعرف بها حتى اليوم^(١١٦).

ورغم وجود النص الكتابى لصاحب الخانقاة الذى يحدد تاريخها بالسنة المشار إليها، ورغم اتفاق كل من المقرئى وعلى باشا مبارك وغيرهما على ذكر هذا التاريخ (٦٨٣هـ / ١٢٨٤م) إلا أن بعض المراجع المنشورة قد زادت على ذلك خمس سنوات وجعلت تاريخها سنة (٦٨٨هـ / ١٢٨٩م)^(١١٧).

وما تجب الإشارة إليه أنه إذا كانت مدرسة الصالح نجم الدين أيوب (٦٤٧ - ٦٤٨هـ / ١٢٤٩ - ١٢٥٠م) هى أول مثل فى عمارة مصر جمع فيه بين المدفن والمدرسة فإن هذه الخانقاة هى أول مثل جمع فيه بين المدفن والخانقاة^(١١٨).

٢ - منشئ الخانقاة :

منشئ هذه الخانقاة هو الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارى الصالحى النجمى، كان مملوكا للأمير جمال الدين يوسف بن يغمور، ثم انتقل عنه إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب الذى جعله بندقداره وأمره، ثم انقلب عليه وأخذ منه مملوكه يببرس الذى قيل له يببرس البندقدارى لأنه كان مملوكا له قبل أن ينتقل عنه إلى ممالك الصالح نجم الدين للأمير علاء الدين أيدكين البندقدارى^(١١٩) فأصبح أيدكين هذا ومملوكه يببرس رغم انقلاب الصالح عليه من ممالك الصالح نجم الدين، ثم من ممالك شجرة الدر بعد وفاة زوجها، فلما ساءت الأمور بين شجرة الدر وبين الملك المعز أيك سنة (٦٥٥هـ / ١٢٥٦م) عزم المعز أيك على قتلها، ورتب لذلك بالقبض على ممالكها وسيرهم إلى قلعة الجبل حيث تم اعتقالهم، وكان أيدكين من جملتهم.

فلما تولى الظاهر يببرس أمور البلاد بمصر سنة (٦٥٨هـ / ١٢٥٩م) كاتب أمراء دمشق يستميلهم إليه ضد الأمير علم الدين سنجر، فوققوا بجانبه وحاربوا علم الدين وهزموه^(١٢٠) فترك

دمشق ورحل عنها فأرسل إليها أيدكين الذى دخلها واستولى عليها فكافأه السلطان بأن ولاه نيابة السلطنة بحلب سنة (٦٥٩هـ / ١٢٦٠م) إلا أن الغلاء كان بها شديدا فلم تطل بها أيامه وفارقها بدمشق بعد محاربة منقر الأشقر والقبض عليه فى صفر من السنة المشار إليها، فأقام فى نيابتها نحو شهر ثم صرف بالأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى.

ولما خرج السلطان إلى الشام سنة (٦٦١هـ / ١٢٦٢م) وأقام بالطور استدعى الأمير علاء الدين وأعطاه إمرة طلبخانه بمصر فى ربيع الآخر من هذه السنة، ثم لما فتح الله عليه الفتوحات الواسعة رأى أن يكافئ علاء الدين أيدكين على إخلاصه له فملكه باقة الشرقية^(١٢١).

وعندما اتفق التتار مع الفرغ وأغاروا على الساجور قرب حلب جرد السلطان الأمير علاء الدين البندقدارى فى جماعة من العسكر وأمره أن يقيم فى مقدمة الشام على أهبة الاستعداد، فبقى هناك حتى انتصر عليهم فى برج برغوث على الطريق بين دمشق وجسر يعقوب^(١٢٢) ومات أيدكين البندقدارى بعد هذه السلسلة الحافلة من جلائل الأعمال فى ربيع الآخر سنة (٦٨٤هـ / يونيه ١٢٨٥م) ودفن بقبة هذه الخانقاة وهو تاريخ يتفق عليه كل من المقرئى^(١٢٣) وابن تغرى بردى^(١٢٤) وغيرهما.

وفى ذلك يقول على باشا مبارك «والى الآن (أى إلى عصره فى القرن ١٣هـ - ١٩م) قبره (أى قبر المنشئ) بها ظاهر وعليه تابوت من الخشب منقوش فيه آيات قرآنية^(١٢٥)، وإلى جانب ضريح المنشئ هذا الذى يطل على الطريق هناك ضريح آخر عليه قبة ثانية تضاربت الآراء بشأنه.

ولهذا المنشئ عدة ألقاب سجلها فى كتاباته المنقوشة بهذه الخانقاة نجد منها على الواجهة: الجتاب العالى الأجلى المولوى المالكى الكبيرى الاسفسلارى العضدى النصيرى، وعلى قبة الضريح المقر الأشرف الصالحى الأميرى الكبيرى المخدمى المالكى المنصورى^(١٢٦).

كما أن له مشكاة لا تزال محفوظة حتى اليوم فى متحف المتروبوليتان بنيويورك نقش عليها أنها عملت لضريح الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارى وتتخلل كتاباتها ثلاثة رنوك مثل الرنك القائم بين نص الإنشاء على واجهة الخانقاة^(١٢٧).

٣ - نزلاء الخانقاة ودفناتها:

الواقع أن المصادر العربية التي أمكن الاطلاع عليها في موضوع السير رغم عدم قلتها، بخلت علينا بالتراجم الكافية فيما يتعلق بنزلاء هذه الخانقاة ودفناتها، ولم نجد منها إلا النذر اليسير الذي ذكره كل من السخاوى في القرنين (٩ - ١٠هـ / ١٥ - ١٦م) ونجم الدين الغزى في القرنين (١٠ - ١١هـ / ١٦ - ١٧م).

ومن ذكرهم السخاوى على بن أحمد بن أبى بكر النور أبو الحسن المصرى الشافعى، قال عنه أنه نزى البندقدارية، كلن أحد الأعيان فى المذهب مع الصلاح والخير، ولم يذكر لنا مع ذلك شيئاً عن ميلاده ووفاته^(١٢٨).

أما فيما يتعلق بدفن الخانقاة فلعل أهم ما يمكن ملاحظته فى هذا الصدد هو وجود تركيبة خشبية لضريح يتوسط أرضية القبة يقال له ضريح الشيخ علاء الدين الأبار، والواقع أننى لم أعثر فيما أمكن الاطلاع عليه من كتب التراجم ولا سيما الدرر الكامنة لابن حجر والضوء اللامع للسخاوى والكواكب السائرة لابن الغزى وغيرها على ترجمة للشيخ علاء الدين الأبار هذا، ولكننى عثرت على ترجمتين إحداهما للشيخ شمس الدين الأبار خطيب التبريزية والأخرى للشيخ عبد القادر بن محمد الأبار الحلبي الشافعى.

وقد أشار ابن الغزى إلى الترجمة الأولى بالتكرار فى موضعين عند حديثه عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب العاتكى الأبار فقال فى موضع أنه العالم الصالح شمس الدين الأبار الدمشقى الشافعى خطيب التبريزية لم يكن أبارا ولا أبوه وإنما خاله كان أبارا ورياه فنسب إليه، ثم أضاف أنه كان مؤذنا بالتبريزية ثم صار خطيبا لها وكان متقشفا يلبس البشت من الصوف الأسود وتحت جبة من القطن وعلى رأسه المئزر، وكانت وفاته سنة سبع وسبعين وتسعمائة (٩٧٧هـ / ١٥٦٩م)^(١٢٩) وفى موضع آخر أنه مات فى ليلة الجمعة سابع عشر ربيع الآخر سنة سبعين وتسعمائة (٩٧٠هـ / ١٥٦٢م) ودفن بتربة الدقاقين بمحلة قبر عائكة^(١٣٠)، وأشار إلى الترجمة الثانية عند حديثه عن الشيخ عبد القادر بن محمد الأبار فقال أنه عبد القادر بن محمد بن عثمان بن على بن شمس الدين الماردبنى الأصلى الحلبي المولد والمنشأ والدار الشافعى الشهير بالأبار هو وأبوه لأنه كان يصنع

الإبر بحانوت له، اشتغل بالعلم ورحل في طلبه وكانت وفاته في ذى القعدة سنة (٩١٤هـ / ١٥٠٨م) (١٣١).

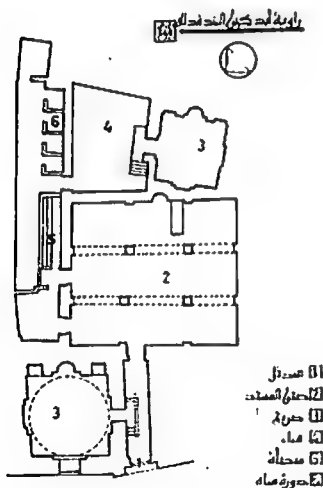
ومن هذا تتضح صعوبة إمكانية القول برأى في شخصية علاء الدين الأبار المشار إليه لأنه من جهة ليس واحداً ممن أمكن العثور على ترجمة لهم من عائلة الأبار هذه التي من الواضح أنها عائلة شامية كانت تفضل الأسماء المضافة إلى الدين، فمنها شمس الدين وتاج الدين وشهاب الدين وصاحبنا الذي لم نعثر على ترجمته علاء الدين، ومن جهة أخرى لتضارب رأى ابن الغزى نفسه الذى أعطانا لوفاة شخصية واحدة تاريخيين مختلفين يفصل بينهما سبع سنين من الزمن، وربما من جهة ثالثة لسبب أو لآخر تداخل اسم المنشئ (علاء الدين) مع لقب واحد من هذه العائلة كان قد رحل إلى مصر وتوفى بها ودفن بترية هذه الخانقاة فجمع العامة بين الإسمين وقالوا علاء الدين الأبار، ولعله في هذه الحالة يكون هو الشيخ عبد القادر الأبار الذى قال ابن الغزى أنه رحل من حلب في طلب العلم.

٤ - وصف الخانقاة: (أنظر لوحة ٢)

تقع هذه الخانقاة بشارع السيوفية في حي الخليفة وتتكون من ساحة مستطيلة الشكل طولها (١٢٥٠) متر وعرضها (١١٥٠) متر يتوسطها صحن مربع طول ضلعه (٣٩٠) متر تحيط به أربعة إيوانات بالإضافة إلى القبة الضريحية التي تشمل على قبر المنشئ وفيما يلي وصف أثرى لمكونات هذه الخانقاة :

أ - الواجهة والمداخل :

تقع هذه الواجهة في الناحية الشمالية وتمتد إلى لوحة ٢ الخانقاة البندقدارية أهدى (زاوية الأبار) أثر رقم ١٤٦ (٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م) - مسقط ألقى مسافة طولها (٧٤) متر متوسط ارتفاع مدا ميكها (٢٩ ر) متر يتوسطها المدخل الرئيسى ويقع داخل دخلة عمقها (٥٠) متر تكتنفها مكسلتان حجرتان مستطيلتان ارتفاع كل منهما (٧٠) متر وعرضها (٤٠) متر وتنتهى هذه الدخلة بعقد ثلاثى الفصوص، أما الباب فهو من



0 1 2 3 4 5

الخشب المجدد عرضه (١٢٥ ر) متر تعلوه نافذة شبه مربعة بها أسياخ حديدية حديثة.

وعلى الجانب الأيسر من هذه الواجهة يوجد الجدار الشمالى للقبة وتتوسطه نافذة مسدودة بقوالب من الطوب الحديث، يعلوها عتب حجري فوقه عقد عاتق، وتنتهى الواجهة بإفريز غائر نقش فيه كتابات نسخية بحروف رفيعة تبدأ من الجانب الخلفى لواجهة الخانقاة. ثم تمضى لتجتاز كل الواجهة إلى أن تختفى لمسافة تزيد عن المتر متوالية خلف جدار بارز حديث البنيان نصها : بسم الله الرحمن الرحيم. «الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم»^(١٣٢). أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة الجنب^(١٣٣) العالى^(١٣٤) الأجل^(١٣٥) المولى^(١٣٦) المالكى^(١٣٧) الكبيرى^(١٣٨) الاسفهلارى^(١٣٩) العضدى^(١٤٠) النصيرى^(١٤١)، وهو نص يستدعى النظر فيه شيثان أولهما وجود ركنين منقوشين للمنشى بين ألقابه كل منهما عبارة عن رنك بسيط يتألف من دائرة بها قوسين متدبرين ويرمز إلى وظيفة البندقدار أو المبارز، وهى الوظيفة التى كان يتولاها صاحب الخانقاة، وهو بهذا يعد أقدم الرنوك المنقوشة على الأبنية الأثرية الدينية، وثانيهما أن تاريخ الإنشاء غير موجود فيه والمؤكد أنه قد ضاع مع الزمن لسبب أو لآخر، ويعلو إفريز النص الإنشائى هذا خمس وحدات من شرافات مستنة، أما الجانب الأيمن من هذه الواجهة فيشتمل على الباب الذى كان يؤدى إلى خلوات الصوفية، وهو عبارة عن مدخل صغير عرضه (٩٥ ر) متر يعلوه عقد نصف دائرى.

ضريح المنشى :

يؤدى باب الخانقاة المشار إليه إلى استطراق مستطيل الشكل يتوسط جداره الشرقى فتحة باب عرضها (٨٠ ر) م وارتفاعها (٢) متر يعلوها عتب حجري فوقه عقد عاتق، ويؤدى إلى هذا الباب سلم مكون من ثلاث درجات هابطة تدل على ارتفاع مستوى أرضية الشارع عما كان عليه الحال عند إنشاء الخانقاة، ويقضى هذا المدخل إلى قبة مبنية من الآجر تقوم على حجرة مربعة طول ضلعها (٦٢٠ ر) متر وسمك حوائطها (١٠ ر) متر تقوم فى أركانها الأربعة مناطق انتقال مجددة كل منها عبارة عن حطتين من المقرنصات حول بها المربع إلى مشمن انتهى بدائرة قامت

فوقها رقة القبة البصلية التي تعلو الضريح.

ويتوسط الجدار الجنوبي لهذه القبة المحراب وهو عبارة عن حنية عرضها (١٥ر١) متر وعمقها (٨٠ر) متر كان يكتنفها من الجانبين عمودان إلا أنهما غير موجودين والباقي منهما فقط قاعدتيهما المستطيلتين، وتعلو هذه الحنية طاقية المحراب وهي ذات عقد مدبب تزينها زخارف جصية غائرة لتفريعات نباتية وأنصاف مرواح نخيلية وأوراق ثلاثية الفصوص بداخل العقد، أما واجهة المحراب فهي ذات عقد متراجع يزين الداخل من الجانبين من كتابات نسخية نصه «بسم الله الرحمن كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام»^(١٤٢). الله أكبر» ويزين واجهة العقد الخارجى (المدبب أيضا) زخارف لتفريعات نباتية وأنصاف مرواح نخيلية وزخارف أخرى هندسية قائمة على أرضية من زخارف نباتية مكونة شكلا يشبه الكتابة العربية، وكان يحيط بهذه الكتابة ويحدها شريط تشبه زخارفه الإفريز المشار إليه، أما جانبي المحراب ففيهما دخلتان عرض كل منهما (١٠٥ر) متر وعمقها (٨٥ر) متر يغطيها سقف مستو من أخشاب عادية، يعلوها فوق السقف المستوى عقد نصف دائرى من قوالب الطوب الأحمر (أنظر شكل: ٦).



شكل ٦ - الخانقة البندقدارية ايدكين (زاوية الابار)
أثر رقم ١٤٦ (١٢٨٣ م) - المحراب

أما الجدار الشرقى فيتوسطه مدخل عرضه (٧٠ر) متر يعلوه عتب من كتلة خشبية خالية من الزخارف كان يكتنفه عمودان غير موجودين، ويعلوه كذلك عقد نصف دائرى من قوالب الطوب الأحمر، وقد سد هذا المدخل حديثا، أما الجدار الشمالى فتوسطه نافذة عرضها (٦٠ر) متر وارتفاعها (٩٠ر) متر يغطيها سقف خشبى مستو، ويعلوها أيضا عقد نصف دائرى من الطوب الأحمر، كما كان يكتنفها عمودان غير موجودين، وجدير بالذكر أن هذه النوافذ كانت مملوءة بزخارف جصية مخرمة زالت مع الزمن واستعير عنها بهذه الأسقف الخشبية المستوية.

ويعلو جدران القبة تحت مناطق الانتقال إفريز خشبي يغلب على الظن أنه كان يزينه زخارف وكتابات مدهونة بالطلاء، هذا وفوق كل فتحة من الفتحات الأربعة الموجودة بجدران القبة ثلاث نوافذ داخل ما يشبه العقد الثلاثي اثنان في أسفل وثالثة تتوسطها من أعلى، ويزين كل منها زخرفة من الجص والزجاج الملون على هيئة زخرفة نباتية لأوراق وتفرعات، ويحدد كل نافذة إطار زخرفي. قوام زخارفه أشكال نباتية لتفرعات وأنصاف مراوح نخيلية ذات حفر غائر، أما أسفل القبة من الداخل فيوجد شريط من الكتابات النسخية القائمة على أرضية من الزخارف النباتية والهندسية داخل بحور في الشريط يفصل بين كل بحر من بحر منها جامة مستديرة ونص هذه الكتابات هو:

«بسم الله الرحمن الرحيم. إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما»^(١٤٣) وتنتهي القبة من الداخل أيضا بدائرة زخرفية هي قطب القبة إطارها شريط من كتابة نسخية نصه: أدخلوها بسلام آمين ونزعنا ما في صدورهم من غل»^(١٤٤) أنشأ هذه القبة المباركة المقر^(١٤٥) الأشرف^(١٤٦) الصالحى^(١٤٧) الأميرى^(١٤٨) الكبيرى المخدومى^(١٤٩) الملكى^(١٥٠) المتصورى^(١٥١) أيديكين البندقدار بتاريخ ثلاث وثمانين وستمائة.

ويتوسط هذه القبة وحدة زخرفية هندسية على شكل الطبق النجمي، أما رقبته ففيها ستة عشر نافذة (أى أربع نوافذ فى كل ضلع من أضلاعها الأربعة) كل منها مربعة الشكل يعلوها عقد مدبب كان يزين واجهته المرئية شريط من زخارف نباتية تشبه ذلك الشريط الذى يحيط بالنوافذ الثلاثة المشار إليها، أما باقى جدران القبة فمعظمها مجدد وخالية من الزخارف.

ويتوسط القبة فى الأرضية تركيبة خشبية تقوم فوق ضريح الشيخ علاء الدين الأبار، وهى تركيبة مستطيلة الشكل طولها (١٩٠) متر وعرضها (١٢٠) متر وارتفاعها (١٥) متر، ذات أربع جوانب متشابهة الزخارف كل منها عبارة عن وحدات مستطيلة رأسية وعرضية لحشوات مجمعة يعلوها شريط من الخورنقات ووحدات الخطر العريضة، ويحيط بالتركيبة شريطان من الكتابة النسخية يقع الأول فوق شريط الخورنقات ونص كتابته :

«بسم الله الرحمن الرحيم. الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى

السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم^(١٥٢) أما الشريط الثاني فيقع أسفل الخورنقات ونص كتاباته النسخية قوله تعالى: «كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور^(١٥٣)». هذا قبر الفقير^(١٥٤) إلى الله تعالى الراجي عفو الله الأمير علاء الدين^(١٥٥) أيدكين البندقدار الصالحى النجمى جعله الله محل عفوه وغفرانه.

المدخل والصحن:

استطراق المدخل والصحن:

أما استطراق المدخل فطوله (٧ر٨٠) متر وعرضه (٢ر٥٠) متر يغطيه سقف من عروق خشبية مجددة خالية من الزخارف، في جداره الشرقى شريط غائر نقش في آية الكرسي بحروف نسخية تتخللها زخارف نباتية، ويؤدي هذا الاستطراق إلى مدخل ثالث في جداره القبلى عرضه (١ر٢٠) متر، بابه من الخشب المجدد وعتبه مستوخال من الزخارف يؤدي إلى الزاوية وهى عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل طولها (١٢ر٥٠) متر وعرضها (١١ر١٠) متر يتوسطها صحن مربع الشكل طول ضلعه (٣ر٩٠) متر تعلوه شخشيخة خشبية مجددة تماما بكل ضلع من أضلاعها الأربعة نافذتان مستطيلتان.

الإيوانات:

يحيط بهذا الصحن أربعة إيوانات متساوية تقريبا يتكون كل منها من بلاطة واحدة، وفي ضلع الزاوية القبلى يوجد المحراب وعلى يمينه المنبر، وما تجدر الإشارة إليه أن هذه الزاوية بكل ما فيها من عقود وسقف ومحراب ومنبر مجددة تماما ولم تعد على حالتها القديمة، فى الركن الشمالى من جدارها الشرقى فتحة مدخل مربعة الشكل طول ضلعها (٣) متر يقع مدخلها فى جدارها الشرقى على يمينه نافذة مستطيلة سقفها من عروق خشبية خالية من الزخارف.

القبة الفرعية :

في منتصف الجدار الغربى للاستطراق المشار إليه يوجد مدخل آخر عرضه (١٢٠) متر به سبع درجات هابطة تؤدي إلى ساحة مستطيلة الشكل تتقدم القبة الثانية التى تقع فى الناحية الجنوبية الغربية للقبة الأولى، وينزل إلى مدخل هذه القبة يسلم ثان من خمس درجات تؤدي إلى مدخل القبة ويقع فى منتصف جدارها الشرقى عرضه (١١٠) متر وعمقه (٨٠) متر يعلوه عتب خشبى مستو، وهى القبة التى أشارت تقارير لجنة حفظ الآثار العربية بأنها بنيت بأمر من ابنة صاحب الخانقاة لتدفن فيها بعد موتها ونقشت عليها «بنت هذا القبر المبارك ابنة علاء الدنيا والدين»^(١٥٦). وهذه القبة أصغر قليلا من القبة الأولى ويبلغ طول كل ضلع من أضلاعها (٥) متر وتحتوى من الداخل على محراب ضيق مرتفع ينتهى بعقد منكسر زالت جميع الزخارف التى كانت فيه، أما شكل القبة من الخارج فهو يحتوى على درج واحد يتفق مع بداية صف المقرنص الأول من الداخل - كما فى حالة القبة الأولى - أما فصوصها فتتألف من أربعة وعشرين فصا أعمق من فصوص القبة الأولى تفصل بينها ضلوع عميقة، ولا تزال هذه القبة تحتفظ ببعض الزخارف الجصية التى تشتمل على عناصر هندسية من معينات وأشرطة ضيقة بها بعض كتابات كوفية تتخللها زخارف نباتية على شكل مراوح نخيلية.

القبة الرئيسية :

تقوم هذه القبة فوق حجرة مربعة طول ضلعها (٥) متر يتوسط جدارها الجنوبى محراب خال من الزخارف عبارة عن حنية نصف دائرية عرضها (٩٠) متر وعمقها (٧٥) متر كان يكتنفها عمودان غير موجودين، ويعلوها عقد مدبب متراجع، وعلى جانبيه هذا المحراب دخلتان متشابهتان عرض كل منهما (٨٥) متر وعمقها (٣٠) متر يعلو كلا منهما عتب خشبى غير مزخرف.

أما الجدار الشمالى لهذه القبة فكان فيه باب (سد فيما بعد) يقع داخل دخلة عمقها (٢٠) متر وعرضها (١٢٠) متر كانت تعلوه نافذة مربعة (سدت هى الأخرى فيما بعد بالدبش) لم يبق منها غير أجزاء من إطارها الزخرفى، وكان قوام زخارفه كتابة نسخية تقوم على أرضية من زخارف نباتية لم يبق منها غير بعض أحرف قليلة.

وعلى محور المدخل فى الجدار الغربى لهذه القبة توجد دخلة أخرى عمقها (٠٨ ر) متر وعرضها (١٨٠) متر، تعلوها نافذة مربعة ذات زخارف جصية هندسية العناصر تتألف من أشكال مثلثات متداخلة بها إطار من زخارف نباتية لم يبق منه إلا القليل.

أما الأركان العلوية لحجرة الضريح فتوجد بها مناطق انتقال مجددة كل منها عبارة عن ثلاث حطات من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا (تتألف كل حطة منها من خمسة مقرنصات) وهى أول محاولة من هذا النوع فى العمارة المملوكية، وقد حولت هذه المقرنصات المربع إلى مشمن ثم تحول المشمن إلى دائرة قامت فوقها رقبة القبة، ويتوسط كل منطقتين فوق كل دخلة من دخلات الجدران الأربع وحدة مكررة يتكون كل منها من ثلاث نوافذ قندلية متشابهة تتألف كل منها من ثلاث فتحات، ويغلب على الظن أنها كانت تتألف من ست فتحات كما فى قبة الصالح نجم الدين إلا أن ثلاثتها السفلى قد سدت فيما بعد، وفوق مقرنصات مناطق الانتقال فى إطار الدائرة التى قامت فوقها القبة يوجد شريط قوام زخارفه كتابات نسخية لم تعد واضحة تتخللها عناصر زخرفية نباتية لبعض آيات من القرآن الكريم، ويعلو هذا الشريط نوافذ رقبة القبة وعددها أربع وعشرون نافذة (أى ست نوافذ فى كل ضلع من أضلاع القبة) وهى نوافذ متشابهة كل منها مستطيل الشكل يعلوها عقد مذهب وزين كلا منها أيضا إطار زخرفى قوامه تفرعات نباتية وأوراق وأنصاف مراوح نخيلية.

وفوق زوايا عقود هذه النوافذ يوجد شريط زخرفى ثان زخارفه عبارة عن تقليد الكتابة الكوفية، يعلوه شريط ثالث من كتابات نسخية تقوم على أرضية من زخارف نباتية كتاباته عبارة عن النص الإنشائي للقبة الذى لم يبق فيه سوى «الجناب العالى المولوى الأميرى الكبيرى الجاهدى»^(١٠٧)، أما باقى القبة من الداخل فخالى من الزخارف تماما، وكان يتوسط هذه القبة ضريح يقال أنه لابنة الشيخ علاء الدين الأبار لا تقوم فوقه تركيبة وإنما هو عبارة عن حفرة مستطيلة الشكل، أما القبة من الخارج فتتكون من ستة عشر فصا تفصل بينها ضلوع ذات زوايا، ويلاحظ أن منطقة انتقالها تشتمل على درج واحد، ويتفق التدرج فيها مع بداية صفوف المقرنصات فى منطقة الانتقال من الداخل.

(أنظر شكل : ٧)

خلاوى الصوفية :



شكل ٧ - الخانقا البندقدارية ايدكن
(زاوية الابار) - القبة من الخارج.

يؤدى إلى خلاى المتصوفة فى هذه الخانقا باب يقع على يمين المدخل الرئيسى يفضى إلى رجة مربعة الشكل طول ضلعها (٢,٢٠) متر يغطيها سقف من عروق خشبية حديثة تنتهى فى جدارها القبلى بمدخل عرضه (١,١٠) متر يصعد إليه بدرجتين يؤدى إلى استطارق السلم، وفى مواجهة هذا المدخل من الناحية القبلىة توجد إحدى خلاوى الصوفية، وهى عبارة عن حجرة مستطيلة الشكل يقع مدخلها فى جدارها الشمالى على يمينه شباك مستطيل الشكل سقفها مجدد.

أما السلم الذى يصعد به إلى الأدوار العليا للخلاوى فيبدأ باتجاه شرقى غربى به تسع درجات، ثم ينكسر ثانيا ناحية الجنوب بثلاث درجات ثم ينكسر ثالثا ناحية الشرق حيث يقع الطابق الثانى من الخلاوى ولم يبق فيه سوى حجرة مستطيلة الشكل تقع فى الناحية الشمالية بها شباك مستطيل فى الركن الشرقى من جدارها الشمالى.

وفى الناحية القبلىة كانت هناك حجرة أخرى يغلب على الظن أنها كانت مستخدمة كمطبخ أو دورة مياه، وينكسر السلم ناحية الغرب بتسع درجات ثم يتجه ببسطة ناحية الجنوب ثم انكسار آخر ناحية الشرق بتسع درجات أخرى حيث يوجد الطابق الثالث من الخلاوى ويتكون من خلوة مستطيلة الشكل فى الناحية الشرقية بها نافذة مستطيلة فى جدارها الجنوبى، إلى الشمال منها توجد خلوتان متداخلتان تقع إحدهما فى الناحية الشرقية وهى مستطيلة الشكل بها شباك فى الجدار الشمالى، وتقع الثانية فى الناحية الغربية وهى مستطيلة الشكل أيضا بها نافذتان بالجدار الشمالى ودخلة بالجدار الغربى كانت تطل على المدرسة إلا أنها مسدودة حاليا، ويستمر السلم بثلاثة اتجاهات أخرى مشابهة للاتجاهات السابق ذكرها حيث السطح.

والواقع أن صناعة الجص والأخشاب التي رأينا بقاياها في زخارف هذه الخانقاة تدل بغير شك على مدى الازدهار الذي أصابها في عهد دولة المماليك البحرية^(١٥٨) وتذكرنا زخارفها بزخارف قبة الخلفاء العباسيين والصالح نجم الدين.

٥ - ترميمات الخانقاة :

كما لا شك فيه - طبقا لما لدينا من المعلومات التي أوردتها كراسات لجنة حفظ الآثار العربية - أن هذه الخانقاة لم تحظ بالاهتمام الواجب بها من قبل هذه اللجنة لأن ما ترك لنا في محاضر جلساتها من أخبار تتعلق بما أجرته في هذه الخانقاة من ترميمات لا تعدو حالتين وردت أولاهما في كراسة سنة (١٩٠١م) وفيها يذكر التقرير أن القسم الهندسي بعد زيارته لزواية الأبار وقبتها المهميتين اللتان تشتملان في القبة الأولى على ضريح للأمير علاء الدين أيديكين البندقداري الصالح النجمي المتوفى سنة (٦٨٤هـ / ١٢٨٥م) وفي القبة الثانية على ضريح لابنته رأى ضرورة تسجيل هاتين القبتين ضمن الآثار العربية المسجلة بمدينة القاهرة، وقطع أرضية القبة المطلة على الشارع لارتفاع هذه الأرضية عن مستواها الأصلي، وهدم الجزء العلوي للحائط الموارى للقبة لإظهارها وهدم سقف الدركاة وإزاحة بعض الدرجات الموجودة بها ووضعها في الداخل وفتح الشباك المسدود بالبناء في القبة الأولى وإجراء ما يمكن من الأعمال لعزلها عن الأبنية المحيطة بها، واتخاذ كافة الأعمال اللازمة لحفظ القبة الثانية وعمل الرسومات اللازمة للقبتين^(١٥٩).

أما الحالة الثانية فقد وردت في كراسة سنة (١٩٠٩م) وفيها يذكر التقرير أن زواية الأبار أصبحت معدودة من الآثار العربية المسجلة منذ سنة (١٩٠١م) وكتب عنها القسم الفني ببعض الاقتراحات إلى ديوان عموم الأوقاف، ولكنه لم يؤخذ بهذه الاقتراحات إذ صدر قرار المحكمة بعد الاستئناس بإثبات الأهمية في النظر للسيد عبد الخالق الأبار (وهو ما يثبت موضوع علاء الدين الأبار المشار إليه) فعهد القسم الفني إلى جناب هرتس بك فخطابة هذا النظر للسماح للجنة بعمل التقوية اللازمة للقبة الثانية التي قرر لها مبلغ مائة وخمسة وثلاثون جنيها مع الاحتياطات التي تمنع التغيير في معالم هذه الخانقاة^(١٦٠).

٣ - الخانقاة الجاولية سلا وسنجر

٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م

أثر رقم ٢٢١

لا شك أن هذه الخانقاة كانت ولا تزال واحدة من أجمل خانقאות القاهرة المملوكية، وقد اهتم بالحديث عنها كثير من المؤرخين القدامى والكتاب المحدثين فاهتم بها المؤرخون لمكانة صاحبها وما كانا يتمتعان به من سلطان ونفوذ، واهتم بها الكتاب المحدثين لما امتازت به من عظمة تخطيط وروعة بناء وجمال زخرف.

والواقع أن ما لدينا من مادة تاريخية أثرية معمارية يحصر حديثنا عن هذه الخانقاة فى خمس نقاط رئيسية هى:

١ - تاريخ الخانقاة وأوقافها.

٢ - منشئ الخانقاة.

٣ - موظفوا الخانقاة.

٤ - وصف الخانقاة.

٥ - ترميمات الخانقاة.

١ - تاريخ الخانقاة وأوقافها:

يقول المقرئى فى القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) أن هذه الخانقاة على جبل يشكر بجوار مناظر الكيش فيما بين القاهرة ومصر أنشأها الأمير علم الدين سنجر الجاولى سنة (٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م)^(١٦١)، وقد جانبه التوفيق فى التاريخ الذى أعطاه لبنائها بزيادة عشرين عاما على ما هو منقوش فى نص انشائها الذى تشتمل عليه كتابات الواجهة ووارد فيه أنها بنيت سنة ثلاث وسبعمائة لا ثلاثة وعشرين وسبعمائة.

وقد نقل عن المقرئ نفس التاريخ بخطه كل من على باشا مارك في القرن (١٣هـ / ١٩م) الذى زاد بقوله أنها لا زالت عامرة حتى عصره ويعرف خطها بخط الحوض المرصود ويقال لها جامع الجاولى^(١٦٢)، وبعض المراجع العربية التى أعطت لهذه الخانقاة نفس التاريخ الذى أعطاه لها كل من المقرئ وعلى باشا مبارك^(١٦٣).

على أن الجاولية بالقاهرة لم تكن الخانقاة الوحيدة التى أنشأها الأمير علم الدين سنجر الجاولى، وإنما كانت له جاولية أخرى بالقدس الشريف أنشأها - كما يقول ابن تغرى بردى فى القرن (٩هـ / ١٥م) فى عهد السلطنة الثالثة للملك الناصر محمد بن قلاوون التى امتدت من سنة (٧٠٩ - ٧٤١هـ / ١٣٠٩ - ١٣٤٠م)^(١٦٤).

ويضيف القاضى مجير الدين الحنبلى بعد ابن تغرى بردى بقرن من الزمان فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى أن هذه الخانقاة صارت على عهده سكنا لنواب القدس وفيها مدفن الشيخ درياس الكردى الهكارى وكان صالحا معتقدا^(١٦٥)، ويغلب على الظن أن جاولية القدس هذه كانت قد أنشئت بين عامى (٧١٢ - ٧٢٠هـ / ١٣١٢ - ١٣٢٠م) خلال تولي علم الدين سنجر نظارة الحرمين الشريفين ونيابة القدس والخليل التى كانت على ما يبدو قبل سنة (٧٢٠هـ / ١٣٢٠م) عندما قبض عليه الناصر محمد كما يقول ابن حجر العسقلانى فى القرنين (٨ - ٩هـ / ١٤ - ١٥م)^(١٦٦).

وتذكر بعض المصادر العربية أن علم الدين سنجر كان قد أرسل سنة (٧١٢هـ) إلى دمشق بأمر من السلطان الناصر محمد لروك البلاد الشامية (أى مسح أراضيها الزراعية، وقد كان ذلك أمرا شائعا فى العصر المملوكى، لأن هذه الأراضي كانت تقسم عند كل وضع سياسى جديد بين السلطان والأمراء والأجناد) وقد ورد فى هذه المصادر ذكر منشور هذا الروك الناصرى^(١٦٧) وهو ما يؤيد تواجد الأمير سنجر بمنطقة الشام منذ سنة (٧١٢هـ / ١٣١٢م).

وقد استمرت جاولية القدس تقوم بدورها فى الحركة الفكرية ببيت المقدس منذ أنشائها فى بداية القرن (٨هـ / ١٤م) حتى أوائل القرن (٩هـ / ١٥م) عندما حولت إلى دار للنيابة، وكان الأمير شاهين الدباح نائب السلطنة على عهد الملك الأشرف أبو النصر برسباى (٨٢٥ -

٨٤١هـ / ١٣٢٤ - ١٤٣٧م) هو أول من أتخذها دارا للنبابة سنة (٨٣٠هـ / ١٤٢٦م)، وظلت على هذا الحال دارا للنبابة إلى أن سكنها الأمير شاهين الشجاعى (٨٣١ - ٨٣٣هـ / ١٤٢٧ - ١٤٢٩م) فقام بتجديدها ونقش نص هذا التجديد على عتبة بابها العلوية^(١٦٨)، ثم تحولت بعد ذلك خلال العصر العثماني إلى دار للحكم، وبعد الاحتلال البريطاني أقام فيها المجلس الإسلامى روضة المعارف الوطنية، ثم أصبحت دارا للشرطة وأخيرا مدرسة للبنين تسمى المدرسة العمرية^(١٦٩).

أما عن أوقاف الخانقاة فإن ما لدينا من مادة تاريخية أثرية عنها لا يعد كافيا في هذا الصدد على الإطلاق، وقد أورد على باشا مبارك بعضه في القرن (١٣هـ / ١٩م) عندما تحدث عن جامع الجاولى فقال في أربعة مواضع «وله إيراد من وقف حوش ومنزل وقهوة ويشترى شهرها مائة وعشرين قرشا وذلك تحت نظر الأوقاف»^(١٧٠).

بينما ورد بعضه الآخر في كتاب جامع الكتابات العربية الذى عثر فيه على نص بالغ الأهمية تقول كتاباته: «أمر بإنشاء هذا المكان المبارك السعيد من فضل الله تعالى وكرمه سيدنا ومولانا ومالك رقابنا سلطان الاسلام والمسلمين، قاتل الكفرة والمشركين، محبى العدل فى العالمين، أبو الفقراء والمساكين، ذخرا الأرامل والمحتاجين، صاحب الصدقات والمعروف، المغيث لكل ملهوف، ملك البرين والبحرين خدام الحرمين الشريفين الإمام الأعظم، والملك الأكرم، مولانا المقام الشريف السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى بمحمد وآله وأوقفه على مصالح المدرسة المباركة الجاولية على ما شهد به كتاب الوقف الذى أنشأه وكان ابتداء العمل المبارك السعيد فى شهر شوال سنة وثمانمائة وانتهاؤه فى شهر الله المحرم الحرام سنة تسعين وثمانمائة (Sic) من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام»^(١٧١).

ومنه يتضح أن المنشأة المشار إليها (وربما كانت وكالة أو ريعا أو قيسارية أو نحو ذلك) بناها السلطان الأشرف أبو النصر قايتباى وأوقفها على مصالح الخانقاة الجاولية سنة (٨٩٠هـ / ١٤٨٥م)، ويغلب على الظن أن أوقاف هذه الخانقاة - كما هو واضح فيما لدينا من مادة تاريخية لم تكن كافية للقيام بما أنشئت من أجله رغم أن أحد صاحبيها - طبقا لما اتفقت عليه كافة المصادر والمراجع - كان واحدا من أغنى أغنياء عصره، وهو أمر كان على ما يبدو سببا لقيام الأشرف برسباى ببناء منشأته المشار إليها لتكون عوناً لوقف هذه الخانقاة على الوفاء بالتزاماتها.

٢ - منشي الخانقاة :

تنسب هذه الخانقاة إلى شخصين اثنين هما سلالر التستري الصالحى المنصورى ومنجر بن عبد الله الجاولى، وفيها لكل منهما ضريح مستقل، وقد تركت لنا المصادر والمراجع العربية كثيرا من المادة التاريخية المتعلقة بترجمتهما نوجزها فيما يلى:

أ - ترجمة الأمير سيف الدين سلالر :

أفاض علينا كل من ابن حجر العسقلانى وابن تغرى بردى وابن دقماق والجبرتنى وعلى باشا مبارك وغيرهم من أصحاب المراجع العربية بكثير من المعلومات المتعلقة بسيرة الأمير سيف الدين سلالر المنصورى نائب السلطنة المعظمة، فيقول ابن حجر العسقلانى فى القرنين (٨ - ٩هـ / ١٤ - ١٥م) أنه كان من ممالك الصالح على بن قلاوون، فلما مات صار من خواص أبيه ونائب فى الملك عن الناصر محمد، واستمر فى ذلك فوق العشر سنين، وقصته من البداية أن أباه كان أمير شكار عند صاحب الروم، فلما حدثت المعارك بين الظاهر بيبرس وبين الروم كان سلالر هذا من بين الأسرى فاشتراه قلاوون وأعطاه لابنه الصالح على وأمره عشرة، ثم انتقل بعد وفاة الصالح على إلى ممالك أبيه المنصور قلاوون وصار فى خدمته حتى انتقل بعده لخدمة ابنه الأشرف شعبان إلى أن صار نائبا للسلطنة بعد مقتل لاجين، فلما استولى المظفر بيبرس الجاشنكير على مقاليد الحكم استمر سلالر فى النيابة، حتى عاد الناصر محمد من الكرك فولاه الشوبك فتوجه إليها ثم خاف على نفسه فقر فى الصحراء ثم ندم وطلب الأمان وحضر إلى القاهرة فاعتقله الناصر ومنع عنه الغذاء حتى مات جوعا فى ربيع الآخر سنة (٧١٠هـ / ١٣١٠م) وهو فى حدود الخمسين وقيل أن إقطاعاته بلغت نحو أربعين طلبخاناه واشتهر بين العوام أن دخله فى كل يوم مائة ألف درهم^(١٧٢).

ويقول ابن تغرى بردى فى القرن (٩هـ / ١٥م) فى معرض حديثه عن السنة التاسعة من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية وهى سنة (٧٠٦هـ / ١٣٠٦م) أنه خلال هذه السنة وقعت الوحشة (أى خلاف) بين بيبرس الجاشنكير ولالر بسبب كاتب لبيرس يسمى التاج بن سعيد الدولة أساء السيرة مع منجر الجاولى، فقام بيبرس بنصرة كاتبه ولالر بنصرة صاحبه

الجالولي، وكان من عادة ييبرس أنه يركب لسار عند ركوبه وينزل عند نزوله، وأصبح بعدها لا يركب معه وكادت الفتنة تقع بينهما لولا أنهما استدركا أمرهما خوفا من الملك الناصر واصطلحا^(١٧٣).

أما ابن دقماق الذي كان من معاصري ابن تغرى بردى فيضيف لنا بعضا من مآثر سار حين يقول أن عمدا جامع مصر (يقصد جامع عمرو بن العاص) كانت قد انفصلت بعضها عن بعض بسبب الزلزال الذي حدث سنة (٧٠٢هـ / ١٣٠٢م) فخصص له مالا وجعل كاتبه القاضي بدر الدين بن الخطاب شادا على هذه العمارة فأعاد بناء السور البحري وعمل بابين جديدين للزيادة الغربية وأضاف عمودا إلى كل عمدا الصف الأخير المقابل للجدار الذي هدمه^(١٧٤).

وبوضح الجبرني في القرنين (١٢ - ١٣هـ / ١٨ - ١٩م) سبب الوحشة التي كانت بين الناصر محمد وبين سار فيقول أنه لما استدعى الناصر محمد من الكرك وأعيد إلى السلطنة للمرة الثانية ظل عشر سنين وخمسة أشهر محجورا عليه من الأميرين ييبرس الجاشنكير وسار نائب السلطنة^(١٧٥).

ويضيف على باشا مبارك في القرن (١٣هـ / ١٩م) نقلا عن ابن الكنتي أن سار هذا من التتار الأورثانية نال من سعادة الدنيا مالا يوصف وجمع من الذهب قناطير مقنطرة حتى اشتهر أن دخله في اليوم مائة ألف درهم، واستمر في دست النيابة إحدى عشرة سنة، ومات في أوائل الكهولة سنة (٧١٠هـ) وأذن السلطان لصاحبه سنجر الجالولي أن يتولى خزانته وجنازته حتى دفن بقرته عند الكيش^(١٧٦).

أما ما ورد عن سيرة سار في المراجع العربية فينحصر بعضه في ترويض ما ورد في المصادر العربية ولا سيما أصله ومراحل تطوره في الخدمة المملوكية وغضب الناصر عليه وسجنه إلى آخر ما ذكر في هذا الصدد، وينحصر بعضه الآخر في بعض إضافات عليه ومنه ما ذكره صاحب دولة بني قلاوون في مصر الذي يقول أنه لما رحل ييبرس الجاشنكير إلى اطفح قبض الأمير سار على زمام الأمور في مصر وعمل على إعادة الأمن إلى نصابه فأطلق سراح أتباع الناصر محمد وأمر بإقامة الخطبة له على المنابر ثم لم يلبث أن كتب إليه يخبره بتزول ييبرس عن العرش وكان ذلك من أهم

العوامل التي مكنت الناصر من العودة للسلطنة^(١٧٧).

ثم تضيف بعض المراجع العربية الأخرى إلى صفات سلاّر أنه كان قليل الظلم كبير العقل شجاعا مهيبا تمكن من شؤون الدولة إحدى عشرة سنة، وكان ممن أثروا ثراء كبيرا بولغ فيه حتى أن ثرائه هذا كان وبالا عليه فمات جوعا بسجنه في السنة المشار إليها، ونقل إلى تربته التي على الكباش فدفن فيها، وفي هذا يقول المرحوم حسن عبد الوهاب ولعل كلمة تربته هذه تلقى ضوئا على الغموض الذي يحيط بهذه الخائفة ولمن تنسب إلى سلاّر قارون زمانه أم إلى سنجر الجاولي الذي كان حتى سنة (٧٠٣هـ / ١٣٠٣م) أميرا فقيرا^(١٧٨).

ومع أن النصوص التاريخية المنقوشة على جدران هذه الخائفة لم تشير إلى شيء فيه فصل الخطاب في هذا الصدد، فإن ثراء سلاّر الذي فاق الوصف مما أشير إليه فيه من ناحية، وفقر سنجر طبقا لما ورد عنه من ناحية ثانية، ووجود نص على مشكاة للأول يقول - وفقا لما أشار إليه حسن عبد الوهاب^(١٧٩) - «مما عمل برسم تربة العبد الفقير إلى الله تعالى سيف الدين سلاّر نائب السلطنة المعظمة عفا الله عنه» من ناحية ثالثة، كل هذا يجعل إمكانية القول بنسبتها إلى سيف الدين سلاّر أقرب الأقوال إلى المنطق والتصديق.

ب - ترجمة الأمير سنجر الجاولي :

لقد ترك لنا كل من ابن حجر وابن تغري بردي والقاضي مجير الدين الحنبلي وعلى باشا مبارك وغيرهم من الكتاب المحدثين كثيرا من المعلومات المتعلقة بترجمة الأمير علاء الدين سنجر بن عبد الله الجاولي.

فيقول ابن حجر العسقلاني في القرنين (٨ - ٩هـ / ١٤ - ١٥م) أنه ولد بآمد سنة (٦٥٣هـ / ١٢٥٥م) ثم صار في خدمة أمير يقال له جاول في سلطنة الظاهر بيبرس البندقداري فنسب إليه، ثم خدم المتصور قلاوون إلى أن أخرج إلى الكرك، وكان أول من ولي نيابة الشوك، ثم عمل أستاذار صحبة للناصر محمد بن قلاوون نيابة عن بيبرس الجاشنكير، فلما تسلطن بيبرس تغير عليه وصادته فخرج إلى الشام بطالا في المحرم سنة (٧٠٦هـ / ١٣٠٦م) فلم يزل بدمشق

حتى قدم مع الناصر إلى القاهرة عندما عاد من الكرك فولاه شد الدواوين ثم استنابه في السلطنة سنة (٧١١هـ / ١٣١١م) ويقال أنه بنى بالكرك قصرا للنيابة وجامعا وحماما ومدرسة للشافعية وخانا ومارستانا^(١٨٠).

وفي سنة (٧١٢هـ / ١٣١٢م) أرسله الناصر إلى دمشق لرؤك البلاد الشامية فوشى به بعض بماليكه بأنه يريد أن يهرب إلى بلاد اليمن فأرسل الناصر من قبض عليه وأحضره إلى القاهرة فسجنه بالاسكندرية بعد ما أحيط بماله ثم أفرج عنه سنة (٧٢٨هـ / ١٣٢٧م) وأمر مائة وولى نيابة حماة في أيام الصالح بن الناصر، ثم ولى نيابة غزة والخليل فبنى المدرسة الجاولية بالقدس طبقا لما أشير إليه في تاريخ الخاتقاء، كما بنى - كما يقول ابن حجر - المدرسة التي بالكبش والقناطر بأرسوف والخان بقرب السد والخان بحمرة شنان وهو آخر من بعثوه لحضار الناصر احمد بالكرك، وكان محبا للعلم وخصوصا علم الحديث وله فيه شروح، توفي في تاسع رمضان سنة (٧٤٥هـ / ١٣٤٤م) وقد قارب المائة^(١٨١).

ويفسر ابن حجر في موضع آخر من درره الكامنة سبب غضب الناصر عليه فيقول أن (سلار) لما راك البلاد الشامية اختار لماليكه خيار الإقطاعات فيها فلم يعجب تنكز منه ذلك، ثم لما أمر الناصر أمراء البلاد كلها اختار أن يكون تنكز واسطة بينهم وبينه فغضب الجاولى من تلك التقدمة التي قدمها الناصر لتتكزيفا دونه لأنه كان يظن أنه يتقدم تنكز عند السلطان، ومن هنا غضب سلار واستأذن السلطان في الحج وهو يريد - على ما يبدو - أن يهرب من الموقع الذي تقدمه فيه لاحقه فتم عليه بعض لماليكه فكان بذلك ما كان من أمر اعتقاله وسجنه^(١٨٢).

ويقول ابن تغرى بردى في القرن (٩هـ / ١٥م) عند حديثه عن السنة الرابعة من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية على مصر وهي سنة (٧٠١هـ / ١٣٠١) وتوفي في هذه السنة «الأمير علم الدين منجر بن عبد الله المعروف بأرجواش المنصورى نائب قلعة دمشق في ليلة السبت ثاني عشرين ذى الحجة وكان شجاعا، وهو الذى حفظ قلعة دمشق من نوبة غازان وأظهر من الشجاعة ما لا يوصف على تغفلي كان فيه»^(١٨٣).

أما القاضى مجير الدين الحنبلى فقد ترجم هو الآخر في القرنين (٩ - ١٠هـ / ١٥ - ١٦م) لشخصية هذا الأمير فكرر بعضا مما ذكره سابقوه عن مولده وموطنه ومراحل تطوره في

الخدمة المملوكية التي ولى خلالها نظارة الحرمين الشريفين ونيابة القدس والخليل ونيابة غزة مرتين ونيابة حماة، ثم يحصى لنا آثاره التي بناها وهي المدرسة المعروفة بالجاولية في الخليل وجامع غزة وخانقاة القاهرة ومدرسة القدس الشريف، ووقف على هذه وتلك أوقافا كثيرة بغزة والخليل والقدس وغيرها، توفي في شهر رمضان سنة (٧٤٥هـ / ١٣٤٤م) ودفن بالخانقاة التي أنشأها بالقاهرة عند الكباش بالقرب من جامع ابن طولون^(١٨٤)، وفي ختام هذه المصادر التي تحدثت عن سيرة الأمير علم الدين سنجر الجاولي يأتي على باشا مبارك في القرن (١٣هـ / ١٩م) ويكرر ما ذكرته المصادر العربية فيما يتعلق بترجمة هذا الأمير من حيث النشأة والانتقال في الخدمة المختلفة حتى وفاته في السنة المشار إليها^(١٨٥).

ولم يقتصر الحديث عن ترجمة الأمير علاء الدين سنجر على ما ورد في المصادر العربية المشار إليها، وإنما كان هناك أكثر من حديث أورده غير واحد من الكتاب المحدثين، لا تخرج خلاصته عما أورده المصادر العربية باستفاضة كاملة فيما سبقت الإشارة إليه^(١٨٦).

٣ - موظفوا الخانقاة:

ينحصر موظفو هذه الخانقاة طبقا لما امكن الوقوف عليه من معلومات تاريخية في أربع مجموعات هي:

١ - شيخ الخانقاة.

٢ - مدرسو الخانقاة.

٣ - ناظر وقف الخانقاة.

٤ - دفناء الخانقاة.

أ - شيخ الخانقاة:

لم نعر فيما أمكن الاطلاع عليه من كتب التراجم من شيوخ هذه الخانقاة إلا على من ذكرهم كل من ابن حجر العسقلاني في القرنين (٨ - ٩هـ / ١٤ - ١٥م) والسخاوي في

القرنين (٩ - ١٠هـ / ١٥ - ١٦م).

ومن ذكرهم ابن حجر أحمد بن محمد بن إبراهيم بن إسحاق المناوي شهاب الدين بن الضياء بن عم القاضي صدر الدين الذي قال عنه أنه كان شيخ الخانقاة الجاولية وناب في الحكم عن ابن عمه ومات في ربيع الآخر سنة (٧٩٥هـ / ١٣٩٢م)^(١٨٧)، ومنهم جابر بن محمد بن محمد بن عبد العزيز بن يوسف الخوارزمي الكاثي (وهي بلدة من قرى خوارزم) ثم المصري افتخار الدين أبو عبد الله الحنفى، ولد في شوال سنة (٦٦٧هـ / ١٢٦٨م) وقرأ على خاله أبي المكارم محمد بن أبي المفاخر وعلى أبي عاصم الاسفندی واشتغل ببلاده وتمهر وقدم القاهرة فسمع من الدمياطي وولي مشيخة الجاولية التي بالكش وياشر الإفتاء والتدريس بأماكن كثيرة حتى مات في النصف الثاني من المحرم سنة (٧٤١هـ / ١٣٤٠م)^(١٨٨).

أما السخاوي فلم يذكر من شيوخ هذه الخانقاة سوى أحمد بن محمد بن بركوت الصلاح بن الجمال بن الشهاب المكي (نسبة لمكين الدين اليمنى) القاهري الشافعي ربيب ابن البلقيني الذي عرف بأمير الحاج، ولد بالقاهرة سنة (٨٢١هـ / ١٤١٨م) ونشأ في كفالة أمه وتحت نظر زوجها ابن البلقيني، وقرأ القرآن والمنهاجين وألفية ابن مالك، وأقام مدة بزي الجند، ثم لما كبر تزيا بزي الفقهاء وولى تدريس الفقه بالأشرافية القديمة بعد الشهاب بن صالح ثم ولى بعد وفاة عمه مشيخة الخانقاة الجاولية وتدریس الحديث بها والنظر عليها برغبة النور بن المناوي الأسمر، وظل على ذلك حتى مات في خامس ربيع الأول سنة (٨٨١هـ / ١٤٧٦م) ودفن في الفسقية التي فيها البلقيني الكبير وأولاده^(١٨٩).

ب - مدرسو الخانقاة :

أشار السخاوي في القرنين (٩ - ١٠هـ / ١٥ - ١٦م) إلى تراجم ثلاثة من مدرسي هذه الخانقاة، إثنان لفقه الشافعي وواحد للحديث.

وأول هذين الإثنين هو أحمد بن عثمان بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم البهاء أبو الفتوح بن الفخر أبي عمرو بن التاج أبي عبد الله بن البهاء أبي الفداء المناوي الأصل القاهري الشافعي، ولد في رجب سنة (٧٨٤هـ / ١٣٨٢م) واستقر هو وأخوه بعد أبيهما في وظائف الجاولية

والسعدية والسكرية والقبطية العتيقة والمجدية والمشهد الحسيني وإفتاء دار العدل، مات في رمضان سنة (٨٢٥هـ / ١٤٢٢م) عن نحو الأربعين ودفن بالقرافة الصغرى^(١٩٠).

أما الثاني فهو (ابن الأول) على بن أحمد بن عثمان بن محمد بن إسحاق النور بن البهاء بن الفخر التاج المناوى الأصل القاهري الشافعي الذي عرف بابن المناوى، ولد بالقاهرة في ربيع الأول سنة ٨١٣هـ / ١٤١٠م) واستقر هو وأخوه في وظائف والدهما بعد موته سنة (٨٢٥هـ / ١٤٢٢م) وهي التدريس بالجاولية والسعدية والسكرية والقبطية وغيرها، مات في ربيع الأول سنة (٨٧٧هـ / ١٤٧٢م) ودفن بحوش سعيد السعداء^(١٩١).

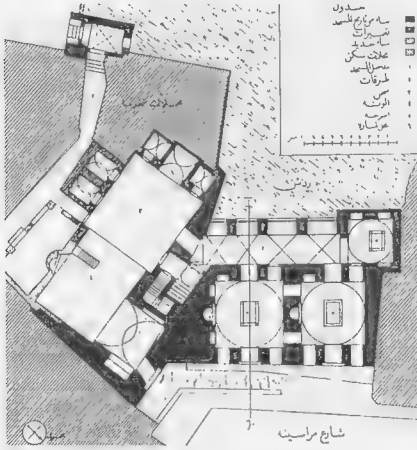
أما مدرس الحديث فقد سبقت الإشارة إليه وهو أحمد بن محمد بن بركوت بن الشهاب المكينى الأصل القاهري الشافعي ربيب ابن البلقيني الذي عرف بأمر حاج، ولد بالقاهرة في سنة (٨٢١هـ / ١٤١٨م) ثم ولي - كما يقول السخاوى - بعد وفاة عمه تدريس الحديث بالجاولية حتى مات في ربيع الأول سنة (٨٨١هـ / ١٤٧٦م) ودفن في الفسقية التي فيها البلقيني الكبير وأولاده^(١٩٢).

ج - نظار وقف الخانقاة :

ضنت علينا المصادر العربية التي أمكن الاطلاع عليها بذكر بعض تراجم من تولوا نظارة وقف هذه الخانقاة فلم نعر منهم إلا على ترجمة واحدة ذكرها السخاوى هي نفس ترجمة مدرس الحديث المشار إليه حين قال أنه ولي بعد وفاة عمه نظر الجاولية برغبة النور بن المناوى الأسمر إلى أن مات في الخامس من ربيع الأول سنة (٨٨١هـ / ١٤٧٦م)^(١٩٣).

د - دفناء الخانقاة :

كان موقف المصادر العربية فيما يتعلق بدفناء هذه الخانقاة هو نفس موقفها فيما يتعلق بنظار وقفها، فلم نعر من تراجم هؤلاء الدفناء فيما أمكن الاطلاع عليه من كتب التراجم إلا على ترجمة واحد ذكره السخاوى هو عبد الله الذاكر الذي قال عنه أنه قدم من الروم فقطن دمشق واعتقده الناس وتسلك به المريدون كأبى بكر بن عبد الله العداس، مات سنة (٨١١هـ / ١٤٠٨م) ودفن بحوش الجاولية^(١٩٤).



مسجد سنجر الجاولى بقلعة الكيش بالقاهرة رسم أنقى
لوحة ٣ : الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر) أثر رقم ٢٢١
١٣٠٢ هـ / ١٩٧٠ م - مسقط أنقى
(عن لجنة حفظ الآثار العربية)

٤ - وصف الخانقاة : (أنظر لوحة : ٣)

لا شك أن هذه الخانقاة بما تتمتع به من مميزات معمارية وزخرفية تعد واحدة من أجمل خانقاوات القاهرة بناء وزخرفاء، ويختلف تصميمها عن تصميم المساجد والمدارس فلا هو تصميم مسجد ولا هو تصميم مدرسة وإنما هو تصميم خانقاة تشتمل على كثير من التفاصيل المعمارية للأضرحة والخلوات ونحوها، ومسقطها الأفقى غير منتظم ويبلغ مسطحها (٧٨٠) متر مربعا^(١٩٥). وفيما يلي وصف كامل لمكوناتها المعمارية:

أ - الواجهة الرئيسية والمدخل :

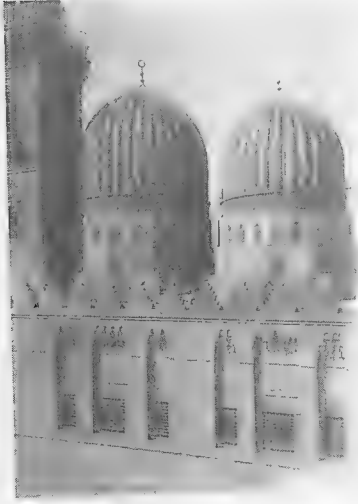
تقع هذه الخانقاة فى شارع مراسينا بحى السيدة زينب وتطل واجهتها الرئيسية على الجهة البحرية وهى عبارة عن جدار حجيرى ذو اتجاهين طول الأول (٢٢ر٢٥) متر وطول الثانى (٥ر٢٠) متر وارتفاعه الكلى (١٣ر٥٠) متر ويمكن تقسيم هذه الواجهة إلى قسمين أولهما سفلى مصمت ليس به فتحات، وثانيهما علوى يتألف من ست دخلات تنقسم إلى قسمين يتكون كل منهما من ثلاث دخلات رأسية متجاورة بكل منها شباك مستطيل الشكل به أرماع ومخزرات نحاسية متقاطعة يعلوها



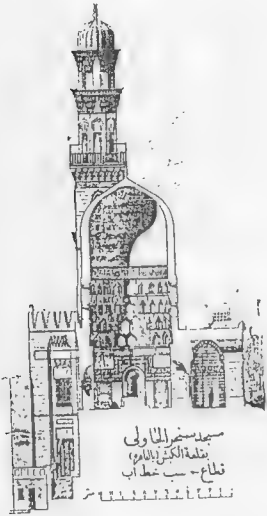
لوحة ٤ : الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر)
واجهة (عن لجنة حفظ الآثار العربية).

عقب من أحجار مزررة تزينه فى بعض الأعتاب زخارف نباتية على شكل ورقة ثلاثية الفصوص وفى بعضها الآخر خطوط متماوجة متوازية وفى بعضها الثالث زخارف هندسية مختلفة^(١٩٦)

(أنظر لوحة ٤ ، شكل ٨).



شكل ٨ : الخاتقة الجاولية (سلاروسنجر)
الترقيم ٢٢١ هـ / ١٣٠٣ م - واجهة بحرية



لوحة ٥ : الخاتقة الجاولية (سلاروسنجر) - قطاع رأسى
للواجهة (عن لجنة حفظ الآثار العربية)

وفوق العتب المشار إليه عقد عاتق تزيينه وحدات زخرفية نباتية من أوراق وأنصاف مراوح نخيلية، فوقه عتب ثان عبارة عن صنجات مزررة، وتنتهى كل دخلة من هذه الدخلات قرب الحافة العليا للواجهة بزخارف من أربعة صفوف من المقرنصات المقعرة ذات الدلايات، وتذكرنا هذه الواجهة بواجهة المنصور قلاوون بالنحاسين إذا ما استثنينا الخلاف الوحيد بينهما ممثلا فى أن دخلات واجهة الجاولية متوجة بمقرنصات، بينما هى متوجة فى واجهة قلاوون بعقود مدببة (أنظر لوحة: ٥).

أما المدخل الرئيسى لهذه الخاتقة فيقع فى نهاية الواجهة التى بين أيدينا من الناحية الشرقية، وهو مرتفع عن مستوى أرضية الشارع بثلاثة أمتار ونصف تقريبا، حيث يصعد إليه بسلم حجرى يتكون من ستة عشرة درجة تؤدى إلى بسطة خارجية أمام الباب، وهذا المدخل عبارة عن دخلة عمقها (٥٠) متر تكتنفه مكسلتان حجريتان طول كل منهما (٦٥) متر وعرضها (٥٠) متر وارتفاعها (١) متر خاليتان من أية عناصر زخرفية، أما فتحة الباب فعرضها (٦٠) متر بها مصراعين خشبيين مجددين، ويعلو هذا المدخل عتب من صنجات حجرية مزررة، يحيط به ويحدده جفت لاعب ذو ميممات دائرية فوقه إفريز حجرى نقش فيه كتابة نسخية من سطرين نصهما:

١ - بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر.

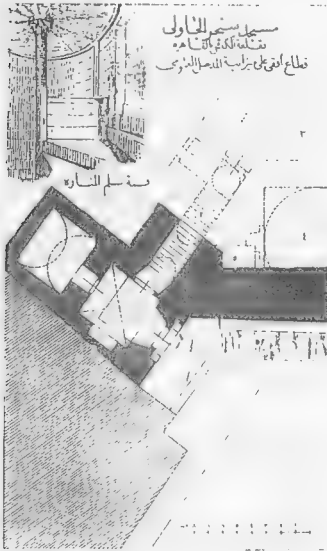
٢ - واقام الصلاة واتا (Sic) الزكاة ولم يخش إلا الله^(١٩٧). عمل هذا المكان المبارك فى شهور سنة ثلاث وسبعمائة^(١٩٨). ويعلو هذا المدخل شباك مربع الشكل ذو إطار خشبى به أرماع ومخارزات حديدية متقاطعة فوقه عتب حجرى تزينه زخارف هندسية لأشكال مثلثات وخطوط متكسرة، ويحدد هذا العتب أيضا جفت لآعب ذو ميمات دائرية تشبه الجفت الذى يحدد عتب

المدخل، وفوق هذا العتب عقد عاتق تزينه زخارف حجرية بارزة لأوراق نباتية وأنصاف مراوح نخيلية يليه عتب ثالث من صنجات حجرية مزروعة، وتنتهى دخلة هذا المدخل من أعلا بزخارف من مقرنصات حجرية مقعرة ذات دلايات (أنظر شكل : ٩)، والواقع أن هذا المدخل وما يشتمل عليه من أعتاب وزخارف يشبه إلى حد كبير مداخل مسجد الست مسكة (الست حديق دادة السلطان الناصر محمد) الذى يرجع تاريخه إلى سنة (٧٤٠هـ / ١٣٣٩م) ومسجد أصلم البهائى الذى يرجع تاريخه إلى سنة (٧٤٦هـ / ١٣٤٥م) ومسجد بشير أغا الجمدار الذى يرجع تاريخه إلى سنة (٧٦١هـ / ١٣٥٩م)، أما



شكل ٩ الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر)
طلاقة المدخل الرئيسى

حافة الواجهة العليا فيتوجهها شريط من شرافات حجرية مسننة، ولا يسع الواقف أمام هذه الواجهة إلا الإعجاب ببراعة مهندس هذه الخانقاة الذى استطاع أن ينفذ هدف المنشئين بطريقة معمارية جميلة متناسقة فبنى لهما فوق تربتيهما قبتين متماثلتين شكلا وزخرفا متفاوتتين قدرا وعلوا، اختص كبراهما بسلار وصغراهما بسنجر وقسم جزء الواجهة الذى على يمين المئذنة إلى قسمين عمل فيهما واجهتين متماثلتين وضعا ونظاما وكون فى كليتهما مجموعة من ثلاثة شبابيك أوسطها أكبرها، ثم غطاها بغطاء مقرنص وتوج الواجهة بأكملها بشرافات مسننة^(١٩٩)



(أنظر لوحة: ٦).

دركاة المدخل وممره:

يؤدى المدخل المشار إليه إلى دركاة مربعة الشكل طولها (٤) متر وعرضها (٣٫٩٠) متر أرضيتها مفروشة ببلاطات من الحجر الجيري، فى جدارها الشرقى دخلة عمقها (٧٠ر) وعرضها (٢) متر يعلوها عقد نصف دائرى بداخلها شبك عرضه (١٦٠ر) متر وعمقه (١) متر يعلوه عقد نصف دائرى مسدود بسدة حديثة.

لوحة ٦ : الخانقة الجاولية (سلاونسجر) قطاع أفقى للمدخل عن (لجنة حفظ الآثار المصرية)

وفى صدر هذه الدركاة باب يرتفع عن أرضيتها بمقدار (٧٠ر) متر عرضه (٩٥ر) متر، يعلوه عتب مستو

فوقه نافذة مستطيلة بها مصبغات خشبية، ويؤدى هذا الباب إلى خلوّة صغيرة عبارة عن قاعة مربعة طول ضلعها (٣٫٧٠) متر يغطيها قبو حجرى نصف دائرى، ويغطى هذه الدركاة سقف حجرى به بعض قوالب الطوب الأحمر عبارة عن قبو مروحى، أما جدارها الغربى فبه مدخل عرضه (١٤٠ر) متر ذو عقد مدبب يحدده جفت لاعب ذو ميمات دائرية، ويؤدى هذا المدخل إلى ممر مغطى بقبو حجرى نصف اسطوانى، ونظرا إلى أن بهذا الممر السلم الصاعد الذى يؤدى إلى داخل الخانقة بعد أربع وعشرين درجة فقد قسم المعمار سقفه إلى قسمين يمتد كل منهما بطول اثنتى عشرة درجة وجعل سقف القسم الغربى أعلى مستوى من سقف القسم الشرقى، وينتهى هذا السلم ببسطة مربعة طول ضلعها (٢) متر تتقدم المدخل الذى يفضى إلى داخل الخانقة ورغم أن هذه البسطة سماوية إلا أنها تنتهى بأربع مناطق انتقال تتكون كل منطقة منها من أربعة مثلثات كروية كانت تحول مربعها إلى مثنى يتحول إلى دائرة لتقوم فوقها رقبة اسطوانية اشبه برقبة القباب مما يدل على أنها كانت مغطاة بقبة، وبصدر الرحبة المشار إليها فى مواجهة السلم باب ذو عقد نصف دائرى عرضه (١٤٠ر) متر يؤدى إلى ممر منكسر ذو انكسارين يتجه أولهما ناحية الغرب بطول (٢٠ر) متر ويتجه الثانى ناحية الشمال بطول (١٠ر٤١) متر ويغطيه فى الانكسارين أربعة أقبية مروحية، وفى الجدار الجنوبى من اتجاهه الأول شبك مستطيل الشكل به قوائم وعوارض خشبية يعلوه عتب

حجرى فوقه عقد عاتق به صنجات مزورة، وبين العتب والعقد توجد طبلية عقد تزينها عناصر زخرفية لتفريعات نباتية بها أوراق ثلاثية وثنائية الفصوص وأنصاف مراوح نخيلية، أما الاتجاه الثانى لهذا الممر ففى الناحية الجنوبية من جداره الشرقى شباك مستطيل به أرماع ومخزرات حديدية متقاطعة يعلوه عتب حجرى زخارفه عبارة عن عناصر هندسية بسيطة لأشكال مثلثات ومعينات وخطوط متكسرة، ويحدد هذا العتب جفت لاعب ذو ميممات دائرية يشبه الجفت الذى يحدد الأعتاب فى المدخل الرئيسى، ويعلو هذا العتب عقد عاتق من صنجات حجرية مزورة بينهما طبلية عقد تزينها نفس الزخارف التى وجدت فى الشباك السابق وصفه.

د - ضريح الأمير سيف الدين سلار:

يلى الشباك المشار إليه فى الناحية الجنوبية من الجدار الشرقى للممر باب يرتفع عن أرضية هذا الممر بمقدار (٣٠) متر، عرضه (١٥) متر تشتمل على مصراعين خشبيين خاليين من الزخارف يعلوهما عتب حجرى نقش فيه كتابة نسخة من ثلاثة أسطر نصها :

١ - بسم الله الرحمن الرحيم (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) (٢٠٠) هذه تربة

٢ - العبد الفقير إلى الله سيف الدين (٢٠١) سلار نائب السلطنة المعظمة (٢٠٢) الملكى الناصرى المنصورى (٢٠٣) المستغفر من ذنبه.

٣ - الراجى عفوره رحمه الله ومن دعا له بالرحمة ولجميع المسلمين عمل هذا المكان المبارك فى شهر سنة ثلاث وسبعمئة (٢٠٤).

وفوق هذا العتب يوجد عقد أسفله طبلية عقد تزينها زخارف نباتية.

ويؤدى هذا المدخل إلى قبة ضريح الأمير سلار وهى عبارة عن حجرة مربعة طول ضلعها (١٠) متر تقوم فى أركانها الأربعة مناطق انتقال كل منها عبارة عن ثلاث حطات من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا حولت المربع إلى مثمان تحول إلى دائرة كبيرة نقش إطارها بكتابات نسخة نصها :

«الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر صدق الله العظيم»^(٢٠٥) ونقش داخلها بعناصر زخرفية نباتية وهندسية.

أما رقبة القبة فتنقسم إلى قسمين العلوى منهما يشتمل على كتابات نسخية نصها: «بسم الله الرحمن الرحيم إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين صدق الله العظيم ورسوله»^(٢٠٦).

أما القسم السفلى من رقبة هذه القبة فهو يشتمل على عشرين نافذة متشابهة كل منها مربعة الشكل يعلوها عقد مدبب وبداخلها ثلاثة صفوف رأسية من الدوائر، بكل واحدة خارجية منها أربعة دوائر داخلية من الجص، وخلف كل نافذة من هذه النوافذ نجد زخارف زجاجية ملونة، أما المناطق الأربعة فى أركان القبة فهى متشابهة وبكل منها ثلاثة صفوف أفقية من النوافذ، فى الصف السفلى منها ثلاثة نوافذ ذات زخارف من جص مخرم فى أشكال نباتية وهندسية خلفه زجاج ملون، وفى الصف الأوسط نافذتان يتوسط كل منهما شكل مشكاة، أما العلوى ففيه نافذة واحدة ذات زخارف جصية فى أشكال هندية خلفها زجاج ملون أيضا، هذا وكان فى أعلى جدران الضريح مثنى من الخشب يغلب على الظن أنه كان معدا لتعلق فيه المشكاة التى كانت تضىء القبة.

أما جدران هذا الضريح فالشرقى منها يتوسطه محراب عبارة عن حنية نصف دائرية قطرها (١١٥ر) متر وعمقها (٩٠ر) متر لا تكتنفها أعمدة يعلوها عقد نصف دائرى متراجع، ويمكن تقسيم زخارف هذا المحراب من أسفل إلى ثلاث مناطق: السفلية عبارة عن وزرة رخامية ارتفاعها (٩٥ر) متر وزخارفها أشرطة رأسية تتبادل اللونين الأبيض والأسود (أبلق) ويقوم فوق هذه الوزرة خمسة أشكال لخمسة محاريب زخرفية متشابهة يقوم كل منها على عمودين رخاميين دائرين، قاعدة وتاج كل منهما ذات شكل كمثرى، ويحمل هذان العمودان طاقيّة المحراب وهى عبارة عن عقد نصف دائرى تزينه زخارف مشعة.

أما المنطقة الثانية من هذا المحراب فارتفاعها (١٠ر١) متر وزخارفها عبارة عن فصوص رخامية ملونة بالأسود والأحمر والأبيض تشكل عناصر هندسية مختلفة ويحدد هذه المنطقة من الجوانب الأربع شريط زخرفى قوام عناصره ورقة نباتية ثلاثية الفصوص ذات شكل مكرر من رخام أسود.

أما المنطقة الثالثة فهى عبارة عن طاقية المحراب وتزينها من الداخل فصوص رخامية ملونة تكون أشكالا هندسية لأطاق نجمية، ومن الخارج زخارف حجرية مزورة باللونين الأبيض والأسود بالإضافة إلى أطباق نجمية وأجزاء من أطباق بالرخام الملون أيضا على جانبي العقد، والواقع أن زخرفة طاقية هذا المحراب بالرخام الدقيق يعد واحدة من أهم مزاياه التى لم تتوفر لغيره من المحاريب إلا القليل وقد رأيناها فى محراب قبة المنصور قلاوون، ثم فى محاريب مساجد الماردانى وقطلويغا الذهبى وقجماس الإسحاقى والأشرف برسباى بالخانكة، ثم فى محراب زاوية الناصر فرج بن برقوق المعروف بالديشة، وما عدا ذلك كانت هذه الزخرفة تعمل على هيئة أشرطة رخامية ملونة^(٢٠٧)، كذلك يحيط بهذا العقد شريط خشبى ينقسم إلى قسمين الأول منهما ذو زخارف نباتية عناصرها أوراق ثلاثية وأنصاف مراوح نخيلية داخل جامات، والثانى زخارفه عبارة عن كتابات نسخية نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض»^(٢٠٨).

ويلاحظ هنا أن الآيات القرآنية الكريمة التى يشتمل عليها الشريط الخشبى بجدار القبلة فى هذا الضريح لم تكتمل فيها آية الكرسي، ووقف النص عند قوله تعالى «وسع كرسيه السموات والأرض» وهذا يدل على أن هذا الشريط الكتابى الخشبى كان يمتد على باقى جدران الضريح إلا أنه لم يبق منه إلا الجزء الموجود على جدار القبلة فقط، وجدير بالذكر أن هذين الشريطين الخشبين لا يحيطان بعقد المحراب فقط وإنما يمتدان على الجانبين بامتداد هذا

الجدار حيث نجد أسفلهما شريط ثالث زخارفه عبارة عن فصوص رخامية ملونة تكون أشكالا هندسية مختلفة.

ويحيط بالمحراب من الجانبين كتيبتان متشابهتان كل منهما ذات شكل مستطيل يحيط ببابه إفريز زخرفى قوام عناصره ورقة نباتية ثلاثية مكررة، وينقسم هذا الباب إلى قسمين العلوى مربع وغير موجود والسفلى مستطيل وبه درفتان زخارفهما خطوط بارزة متداخلة.

ويتوسط الجدار الشمالى لهذا الضريح شبك عرضه (١٧٠) متر وعمقه (١٣٠) متر يعلوه عقد نصف دائرى يتكون من صنجات حجرية مزورة على جانبيه شبكان آخران متشابهان عرض كل منهما (١١٥) متر وعمقه (١٣٠) متر أيضا يعلوه عتب حجرى فوقه عقد عاتق بينهما طيلة عقد تزينا زخارف نباتية. أما جداره الجنوبي فبه على نفس محور الشباك الأوسط بالجدار الشمالى شبك آخر مشابه له تماما يفتح على الممر الخارجى على يساره كتبية تشبه الكتيبتين اللتين على جانبى المحراب، وعلى يمينه مدخل القبة السابق ذكره، كذلك ففى جداره الغربى مدخلان متشابهان عرض كل منهما (١٢٠) متر ويعلو كلا منهما نفس الاعتبار التى تملو الفتحات السابقة، وفيما بين هذين البابين توجد بقايا شريط خشبى زخارفه عبارة عن أجزاء من أطباق نجمية، ويؤدى هذان البابان إلى القبة الثانية وبها ضريح الأمير سنجر.

أما الجزء العلوى من جداران هذا الضريح (ضريح سلار) فعليه شريط من كتابات نسخية نصها (بترتيب الجدران الشرقى والشمالى والغربى والجنوبى) :

«بسم الله الرحمن الرحيم إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض» (وهنا تنتهى كتابة الجدار الشرقى لتبدأ كتابة الجدار الشمالى) بقوله تعالى «ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقلنا عذاب النار، ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيتنا وما للظالمين من أنصار، ربنا إنا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا» (وهنا تنتهى كتابة الجدار الشمالى لتبدأ كتابة الجدار الغربى) بقوله تعالى: «سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار، ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد، فاستجاب لهم

وبهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض» (وهنا تنتهى كتابة الجدار الغربى لتبدأ كتابة الجدار الجنوبى) بقوله تعالى «فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار، ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم» (٢٠٩).

أما الضريح نفسه فهو يتوسط أرضية هذه الحجرة وتقوم فوقه تركيبة خشبية تقوم على قاعدة مستطيلة طولها (٢ر٦٥) متر وعرضها (١ر٩٠) متر جوانبها عبارة عن صنجات رخامية مزورة ذات لونين أبيض وأسود، أما التركيبة فهى من الخشب وذات جوانب أربعة تزينها زخارف من حشوات رئيسية عرضية بها أجزاء من أطباق نجمية يزين وحداتها من الداخل عناصر زخرفية نباتية لأوراق ثلاثية وثنائية وأنصاف مراوح نخيلية تنبثق من تفريعات وجامات، ويحيط بهذه الحشوات الرئيسية العرضية حشوات صغيرة من أسفل كلها عبارة عن حشوات مستطيلة ومربعة تزينها نفس العناصر النباتية، ومن أعلى حشوات من الخراط الدقيق تتخللها أربع حشوات مربعة بكل منها شكل معين بها نفس عناصر الزخرفة النباتية المشار إليها.

هـ - ضريح الأمير علم الدين سنجر الجوالى :

يلى مدخل قبة الأمير سلار من الشمال شبك مستطيل يشبه ما فيه من أرماع ومخزرات حديدية، وبما يعلوه من أعتاب الشباك الأول الذى يقع بالجدار الجنوبى لقبة الأمير سلار، وينتهى هذا الممر من ناحيته الشمالية بفتحة ذات عقد نصف دائرى يحمله كابولى حجرى من الشرق ودعامة حجرية من الغرب، ويدخل من هذه الفتحة إلى حجرة مربعة الشكل طول ضلعها (٤ر٦٥) متر تعلوها قبة تقوم على مناطق انتقال فى أركان الحجرة العليا كل منها عبارة عن حطتين من المقرنصات ذات الزوايا عملت على شكل عقود مديبة أقيمت فوقها رقبة القبة، وبها ستة عشر نافذة متشابهة كل منها عبارة عن فتحة ذات عقد مدبب لا تزينها زخارف، وتتبادل هذه النوافذ الوضعين النافذ والمسدود الذى عرف بالمضاهيات.

أما القبة فتزينها من أعلى صرة على شكل وردة متعددة الفصوص إطارها عبارة عن كتابات

نسخية نصها :

«وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك
صدق الله العظيم»^(٢١٠).

وكان يحيط بأعلى جدران هذا الضريح مثنى خشبي يشبه ذلك الذي أشرنا إليه في قبة
الأمير سلار وقلنا إنه كان على ما يبدو معدا لتعليق المشكاة لإضاءة الضريح، أما الجدار الغربي
لهذه القبة فيه شباكان متشابهين كل منهما مستطيل الشكل به أرماع ومخزعات نحاسية، ويطل
هذان الشباكان على منطقة خربة كانت عبارة عن حوش به مدافن للصوفية، أما الجدار الشرقي
ففيه دخلة صماء عمقها (٢٥ر) متر تعلوها نفس الزخارف الموجودة فوق الفتحات إلا أنها هنا غير
مزخرفة، وعلى يمين تلك الدخلة يوجد مدخل عرضه (٢٠ر١) متر يشبه تماما مدخل قبة الأمير
سلار إلا أن عتبة الحجرى نقشت فيه كتابة نسخية من ثلاثة أسطر نصها :

سطر ١ - بسم الله الرحمن الرحيم كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والإكرام^(٢١١).

٢ - هذه تربة العبد الفقير إلى الله تعالى المستغفر من ذنبه الراجى عفو ربه (منجر
الجالولي استاذ).

٣ - الدار العالية^(٢١٢) الملكى الناصرى المنتصورى رحم الله من دعا له بالرحمة (فى
شهور سنة ثلاث وسبعمئة)^(٢١٣).

ويبقى هذا المدخل إلى القبة الثانية - وهى كما قلنا - قبة الأمير علم الدين سنجر
الجالولى، وتشبه هذه القبة بكل تفاصيلها المعمارية قبة الأمير سلار فيما عدا جدارها الجنوبي حيث
المحراب ذو العقد نصف الدائرى إلا أنه خال من الزخارف تماما اللهم إلا طاقيته المخصصة ذات
الزخارف المشعة التى يوجد أسفلها حطة من مقرنصات على شكل حنايا ذات عقود مدببة نجد
شبيها له فى قبة الصوابى التى ترجع إلى سنة (٦٨٤هـ / ١٢٨٥م) وقبة بدر الدين القرافى التى
ترجع إلى سنة (٧٠٠ - ٧١٠هـ / ١٣٠٠ - ١٣١٠م) وقبة تنكزينا التى ترجع إلى سنة
(٧٦٠هـ / ١٣٥٨م).

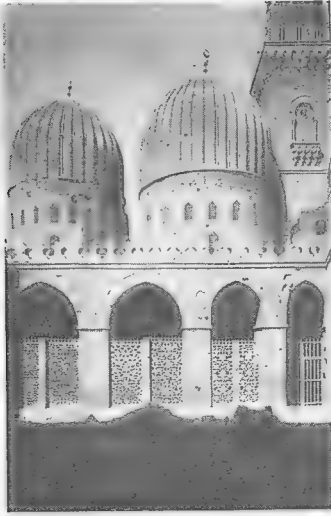
هذا وبدلاً من الكتبتين على يمين ويسار المحراب في القبة السابقة فقد استبدلا هنا بيايين يربطان بين القبتين وقد سبقت الإشارة إليهما عند الحديث عن الجدار الشمالي للقبة السابقة، وبالإضافة إلى شريط الكتابة المشار إليه في صرة هذه القبة فإنها تشتمل على شريطين كتابيين آخرين أحدهما أعلا رقة القبة ونصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم . إن المتقين في مقام أمين في جنات وغيون، يلبسون من سندس واستبرق متقابلين، كذلك وزوجناهم بحور عين، يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم، فضلاً من ربك ذلك هو الفوز العظيم صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم»^(٢١٤) والآخر في أعلى جدرانها ونصه بترتيب الجدران (الشرقي والشمالي والغربي والجنوبي) :

«بسم الله الرحمن الرحيم. لله ما في السموات وما في الأرض، وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله، فيغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، والله على كل شيء قدير، آمن الرسول (وهنا تنتهي كتابة الجدار الشرقي لتبدأ كتابة الجدار الشمالي) بقوله تعالى بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، لها ما كسبت وعليها (وهنا تنتهي كتابة الجدار الشمالي لتبدأ كتابة الجدار الغربي بقوله تعالى ما اكتسبت، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحمِلنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا) (وهنا تنتهي كتابة الجدار الغربي لتبدأ كتابة الجدار الجنوبي) بقوله تعالى : نصرنا على القوم الكافرين»^(٢١٥) وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين صدق الله العظيم ورسوله الكريم.

ويتوسط هذه الحجرة قاعدة رخامية مستطيلة الشكل طولها (٢٧٠) متر وعرضها (١٩٠) متر جانبيها الشرقي والغربي من ألواح رخامية مزروعة، وتقوم فوقها تركيبة الضريح الرخامية وهي مستطيلة أيضاً تقوم في أركانها الأربعة أربع بابات ويغطيها سقف من ألواح رخامية ملونة.

ومما تجب الإشارة إليه أن القبتين مبنيتان بالطوب وقد حول المربع فى كل منهما إلى دائرة بواسطة أربعة صفوف من مقرنصات يعلوها إفريز به كتابات كوفية، وهذه ميزة من مميزات قباب نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن الهجرى، ونجد مثلاً لها فى قبة زين الدين يوسف التى يرجع تاريخها إلى سنة (٦٩٧هـ / ١٢٩٧م)، كذلك فقد امتازت القبتان بشكلهما المضلع من الخارج وقطاع كل منهما على شكل عقد مدبب ينزل رأسياً بعد بدء العقد^(٢١٦) (أنظر شكل : ١٠).



شكل ١٠ : الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر)
القبتان من الخارج

أما الجدار الغربى من الممر المقبب أمام الضريحين ففيه ثلاث فتحات عرض الوسطى (٣) متر وعمقها (١,٥٠) متر، واجهتها المطلة على منطقة المقابر عبارة عن مستطيلين حجريين متشابهين زخارف كل منهما الجميلة المفرغة عبارة عن ورقة نباتية ثلاثية الفصوص وأنصاف مراوح نخيلية داخل جامات دائرية، ويعو كل مستطيل منهما شريط من شرافات على

شكل ورقة ثلاثية، ويفصل بين هذين المستطيلين شريط رأسى زخارفه بالحفر البارز عبارة عن أوراق ثنائية وأنصاف مراوح نخيلية داخل جامات أيضاً، وجدير بالذكر أن هذا النوع من الزخرفة الحجرية المفرغة لم يكن يوجد قبل ذلك إلا فى الدروات الحجرية لبعض المآذن^(٢١٧) (راجع : شكل : ١٠).

والى الشمال من هذه الفتحة توجد فتحة ثانية تشبهها تماماً بكل ما فيها زخارف، وإلى الجنوب منها توجد فتحة ثالثة عرضها (٢,١٠) متر وعمقها (١,٥٠) متر إلا أن زخارفها المطلة على المقابر عبارة عن مستطيلين رأسيين أيضاً تختلف زخارفهما عن زخارف الدخلتين السابقتين فى أنها عبارة عن أوراق وعناقيد عنب، أما الشريط الرأسى الذى يفصل بين المستطيلين فزخارفه مكررة من ورقة ثلاثية الفصوص فقط، هذا وتوجد على واجهات دعائم هذه الدخلات أربع مستطيلات حجرية يزين الثلاثة الشمالية منها عناصر نباتية لأوراق ثلاثية وأنصاف مراوح نخيلية، أما المستطيل الرابع فتزينه زخارف لكتابات كوفية مربعة، وفى نهاية هذا الممر من الناحية الشمالية

يوجد عقد كبير اتساعه (٢٦٥ر) متر يتركز فى أحد جانبيه على كابولى جميل نجد مثالا له فى مدرسة الأمير سيف الدين مثقال التى ترجع إلى سنة (٧٦٣هـ / ١٣٦٠م).

و - خلوات الصوفية :

يتوصل إلى هذه الخلوات عن طريق المدخل الجنوبى بالممر المقيبى فيجتاز المرء ساحة خربة غير منتظمة الأضلاع، بالجهة الجنوبية الشرقية منها محراب متهدم سعة حنيته (١٢٠) متر وعمقها (٦٠ر) متر تغطيه طاقية على هيئة عقد نصف دائرى تعلوه زخارف هندسية وكتابات نسخية ذات أحرف غليظة تقرأ منها :

«يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون»^(٢١٨) ثم يتوج هذا المحراب رفرف خشبى ينتهى بشرافات مزخرفة تحته إزار به كتابات نسخية تقوم على أرضية من زخارف نباتية بينها جامات بداخلها زخارف من عناصر هندسية جصية تقول كتاباته: «كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور»^(٢١٩).

وخلف هذا المحراب توجد بقايا خلوات الصوفية وكانت تتألف من طابقين يشتملان على خلوات من نوع الحبس المبنية فى الجدران بالطوب وفى السقوف بالأقبية الحجرية، وكان للشيخ منها مسكن علوى بمرقى سلم المثانة يتكون من ثلاث حجرات ببعضها فتحات دقيقة (تطل على الخانقاة)^(٢٢٠) مستطيلة يغطيها قبو مروحى فى جدارها الشرقى فتحة باب عرضها (١) متر ذات عقد نصف دائرى تؤدى إلى سلم حجرى يتكون من أربع انكاسارات يغطيها سقف عبارة عن قبو نصف اسطوانى استخدمت فيه نفس طريقة التنفيذ فى قبو السلم الأول، ويؤدى الانكسار الرابع فى نهاية جداره الغربى إلى مدخل ذو عقد نصف دائرى عرضه (٨٠ر) متر يؤدى إلى خلوة مستطيلة يغطيها قبو نصف اسطوانى فى جدارها الشمالى نافذة مربعة تطل على الرحبة السماوية لسلم المدخل، وفى جدارها الجنوبى نافذة مستطيلة تطل على صحن المدرسة.

ويدخل من هذه الحجرة بواسطة فتحة عرضها (٨٠ر) متر تتوسط جدارها الغربى إلى حجرة ثانية مستطيلة الشكل يغطيها قبو نصف اسطوانى بها فى الجدار الشمالى دخلة عمقها

(٢٠ر) متر وعرضها (١) متر، وفى الجدار الجنوبي أربع نوافذ صغيرة مستطيلة تفتح على صحن المدرسة، أما جدارها الغربى فيه دخلة عمقها (١٢٥ر) متر وعرضها (٩٥ر) متر ذات سقف نصف اسطوانى فى جدارها الجنوبي نافذتان تعلو إحداهما الأخرى كل منهما مستطيلة الشكل بها مصاريع خشبية تزينها عناصر زخرفية نباتية وهندسية وترتفع هذه الدخلة عن أرضية الحجرة بمسافة (٧٥ر) متر.

وفى نهاية الانكسار الخامس لهذا السلم توجد فتحة باب عرضها (٧٥ر) متر كانت تؤدى إلى خلوة صغيرة مستطيلة متهدمة^(٢٢١).

و- المئذنة: (أنظر شكل: ١١)



شكل ١١: الخانقة الجاولية (سلاروسنجر) المئذنة

يؤدى الانكسار الخامس للسلم المشار إليه إلى السطح حيث المئذنة وتقع فى الركن الشمالى الشرقى، ارتفاعها حوالى (٢٦٥٠) متر وتقوم على قاعدة حجرية مربعة طول ضلعها (٤٥٠) متر، أما بدنها فيتكون من ثلاث دورات تقوم فوق تلك القاعدة المربعة لتشمل بدن الدورة الأولى وتزينة فى الجانب الشرقى نافذة مستطيلة الشكل عملت على شكل

محراب يقوم على عمودين رخاميين مثنين لكل منهما قاعدة وتاج رخاميين يحملان طاقيّة المحراب وهى عبارة عن عقد نصف دائرى ذو زخارف مشعة تذكرنا بالنوافذ الفاطمية.

وأسفل هذه النافذة توجد شرفة بارزة واجهتها عبارة عن حطتين من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا على شكل حنايا ذات عقود نصف دائرية ممتدة (Stilted arches) وفى الجانب الغربى زخرفة مشابهة، إلا أنها هنا تشمل على حطتين من المقرنصات ذات الدلايات أسفل الشرفة، أما الحنية فيها كوة دائرية، وزخارف العقد عبارة عن خطوط متكسرة.

أما الجانب الجنوبي فيه شرفة ثلاثة تتكون زخارف المقرنصات فيها من أربع حطات مضلعة

ذات زوايا، فوقها دخلة تشبه دخلة الجانب الغربى إلا أن عقدها تزينة زخارف عبارة عن مخدات متلاصقة، أما الجانب الشمالى فتشبه شرفته البارزة شرقه الجانب الجنوبى إلا أنه يوجد فوقها بدلا من الدخلة الغير نافذة فى الجدارين الغربى والجنوبى، نافذة ذات عقد ثلاثى الفصوص تقوم على ثلاثة أعمدة رخامية دائرية، يوجد فوقها بدلا من الدخلة الغير نافذة فى الجدارين الغربى والجنوبى، نافذة ذات عقد ثلاثى الفصوص تقوم على ثلاثة أعمدة رخامية دائرية، يوجد بالعمود الأوسط منها كوة دائرية نافذة.

وأسفل شرفة هذه الواجهة توجد نافذة أخرى مستطيلة الشكل يقوم على جانبيها عمودان رخاميان مشمنان لكل منهما قاعدة وتاج متشابهين يحملان عقدا فارسيا مديبا زين بطريقة الزخرفة المشعة، وفوق عقود نافذة هذه الدورة يوجد شريط من الكتابة النسخية نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب»^(٢٢٢) وتنتهى هذه الدورة بمقرنصات مقعرة ذات دلايات.

أما الدورة الثانية فهى ذات بدن مشمن زينت أضلاعه الثمانية بزخرفة مكرره كل منها عبارة عن فتحة مستطيلة الشكل تكون شكل محراب طاقيته ذات زخارف مشعة إلا أنه لا يكتنف أى محراب فيها أعمدة، ويعلو طواقى هذه المحاريب فى نهاية هذه الدورة زخارف لمقرنصات مضلعة ذات زوايا تتكون من أربع حطات، وجدير بالذكر أن هناك فوق كل ضلع من الأضلاع الثمانية أسفل حطة المقرنصات الأولى فتحة نافذة.

وفوق الدورة الثانية ترتفع الدورة الثالثة وهى عبارة عن جوسق يقوم على ثمانية أكتاف خالية من الزخارف تحمل أربع حطات لمقرنصات مضلعة ذات زوايا، وينتهى هذا الجوسق بقبة صغيرة (خوذة) ذات بدن عبارة عن مخدات متجاورة، يذكر قطاع عقود كرنيشها بالعقود الموجودة فى مئذنتى جامع الحاكم^(٢٢٣).

ويقع مدخل هذه المنارة فى الناحية الجنوبية الغربية وهو عبارة عن فتحة عرضها (٩٠ر) متر

يعلوها عتب مستو وتكتنفها مكسلتان حجريتان مربعتان طول ضلع كل منهما (٤٠ ر) متر وارتفاعها (٥٥ ر) متر، ويقع هذا المدخل داخل دخلة عمقها (٣٥ ر) متر يعلوها عقد ثلاثى الفصوص يحيط به جفت لاعب ذو ميمات دائرية يتوسطه من أعلا كوة دائرية، ويصعد إلى هذا المدخل بدرجتين حيث يوجد سلم المنارة وهو عبارة عن سلم حلزونى من الحجر.

والخلاصة أن هذه المئذنة كانت بداية مرحلة جديدة فى تطور عمارة المآذن المصرية، وهى المرحلة التى نالت المئذنة خلالها تنوعا فى التصميم وتعددا فى الطوابق وتباينا فى المقرنصات، بالإضافة إلى تفردا بباب معقود ذو مكسلتين يعد الأول من نوعه فى المآذن المملوكية، تلاه باب مئذنة مسجد الأمير بشتاك بدرب الجماميز^(٢٢١)، وقد ظهرت الدورة المستديرة لأول مرة فى هذه المئذنة وأصبحت منذ ذلك الحين عنصرا هاما من عناصر المآذن ذات المباخر، كما أصبح من المعتاد أن ترتفع هذه الدورة المستديرة فوق دورة مشننة، والغالب أن مهندس هذه الخانقاة كان قد تأثر فى مئذنتها بنظام مئذنة المنصور قلاوون التى استخدم فيها الحجر فى صفوف متناوبة الألوان^(٢٢٥).

وقد اشتملت التوفذ السفلية للقاعدة المربعة فى هذه المئذنة على النوع الشائع فى المآذن الأيوبية، بينما اشتملت فى النوافذ العلوية على تأثير كبير بالتقاليد الأندلسية ممثلة فى ظهور القواعد المقرنصة البارزة، أما الشرفة التى تتوج هذه القاعدة فقد عملت على هيئة مربعة أيضا على عكس الشرافات المشننة التى استخدمت فى مئذنتى الصالح نجم الدين والمنصور قلاوون.

وما تجب الإشارة إليه أن الطابق المشنن فى المئذنة التى بين أيدينا يشبه نظيره بمئذنة زاوية الهنود باستثناء احتمال هنا على صف واحد من المقرنصات بدلا من صفين، وأن الطابق العلوى منها كان الأصل الذى تأثرت به المآذن المملوكية المنتهية بالجوسق القائم على الأعمدة كما هو الحال فى مآذن الطنبغا الماردانى التى ترجع إلى سنة (٧٣٩هـ / ١٣٤٠م) والسultan حسن التى ترجع إلى سنة (٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) وغيرهما^(٢٢٦)، ومع أن هذا الطابق العلوى يعد من مميزات المآذن الأيوبية إلا أنه لازم كثيرا من المآذن المملوكية حتى منتصف القرن (٨هـ / ١٤م) فنراه فى مئذنة مسجد أبى الغضنفر أسد الفائزى ومئذنة خانقاة بيبرس الجاشنكير وقوصون ومنجك اليوسفى رغم أنه تطور فى المآذن الثلاثة الأخيرة من استخدام الطوب إلى الحجر، ثم بدأ هذا النوع من المآذن فى الظهور بالوجه البحرى فى القرنين (٩ - ١٠هـ / ١٥ - ١٦م) وخاصة فى المحلة

الكبرى وسمنود^(٢٢٧).

ط - قبة الأمير سلالر من الخارج: (راجع شكل: ١١)

هذه القبة مبنية من الطوب وذات بدن مضلع يزيناها أسفل التضليع فى رقة القبة شريط من الكتابات النسخية البارزة تتخللها عناصر نباتية لأوراق ثلاثية وثنائية ومراوح نخيلية ونص هذه الكتابات:

«بسم الله الرحمن الرحيم. إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيها وهم فيما اشتبهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون»^(٢٢٨).

هذا ويحيط بنوافذ رقة القبة أشربة زخرفة عبارة عن إطارات عناصرها تفريعات نباتية ذات أوراق وأنصاف مراوح نخيلية، كما كان يحدد أضلاع المثلث من الخارج إطارات ذات زخارف هندسية بارزة على شكل خطوط متداخلة تكون ما يشبه المثلثات لم يبق منها إلا أجزاء قليلة.

ى - قبة الأمير سنجر من الخارج: (راجع شكل ١١)

تشبه هذه القبة قبة الأمير سلالر تماما فى الشكل العام إلا أنها تختلف عنها فى بعض التفاصيل مثل وجود بخارتان جصيتان فى أضلاع المثلث من الخارج، يزين إطاريهما ووسطيهما خطوط متداخلة، ويزين نهايتيهما من أعلى ومن أسفل وحدة زخرفية على شكل رقة نباتية ثلاثية الفصوص، أما شريط الكتابات النسخية أسفل التضليع برقة هذه القبة فنصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين. صدق الله العظيم»^(٢٢٩).

وهناك بالإضافة إلى قبتي سلالر وسنجر قبة حجرية صغيرة ملساء خالية من النقوش مقرنصها من حطتين تضاربت الأقوال بشأنها فقليل أنها لدفين يدعى عبد الله الذافر وقيل أنها للأمير يشاك بعد أن نقلت إليها جثته من الاسكندرية سنة (٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، وهذه القبة هى

على ما يبدو أقدم القباب المبنية بالحجر فى مصر لأن كل ما قبلها من القباب كان يبنى بالآجر، ويقوم على منطقة انتقال تتكون من صفين من المقرنصات تتميز حطتها الوسطى بحلية زخرفية تشبه سعف النخيل^(٢٣٠).

والواقع أن القباب المصرية كان قد تغير شكلها اعتباراً من سنة (٧٠٣هـ / ١٣٠٣م) فارتفعت رقابها واتخذ انحناؤها شكلاً خاصاً أطلق عليه «القبة القاهرية» كما تحولت مادة بنائها من الطوب إلى الحجر، ولعل القبتين اللتين بين أيدينا هما خير دليل على ذلك رغم أن مادة بنائهما لا زالت بالطوب المغطى بالجص، فقد كانت البداية فى هذا التطور ثم تلتها قبة منجر المظفر التى بنيت سنة (٧٢٢هـ / ١٣٢٢م) وغيرها^(٢٣١)، وما تجب الإشارة إليه أن قطاع هاتين القبتين من الخارج قد بنى على شكل عقد مدبب ينزل رأسياً فى اتجاه رأسى بعد بدء العقد^(٢٣٢).

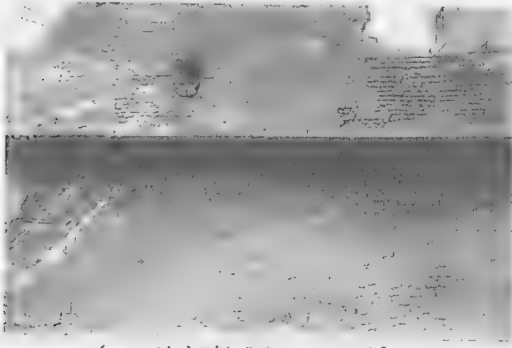
وكما أن وجود الكتابات الكوفية فيهما يعد من مميزات قباب نهاية القرن (٧هـ / ١٣م) وبداية القرن (٨هـ / ١٤م) فقد رأيناها فى قبة الخانقاة البندقدارية (٦٨٤هـ / ١٢٨٥م) وفى قبة زين الدين يوسف (٦٩٧هـ / ١٢٩٧م)^(٢٣٣)، والخلاصة أن تضليع هاتين القبتين كان قد شاع فيما تلاهما من عمائر مملوكية ولا سيما فى قباب أيدكين البندقدارى (٢٨٣هـ / ١٢٨٤م) والصوابى (٦٨٤هـ / ١٢٨٥م) وزين الدين يوسف (٦٩٧هـ / ١٢٩٧م) وقوصون (٧٣٦هـ / ١٣٣٥م) وأم أنوك (٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) ويونس الدوادار (٧٥٠هـ / ١٣٤٨م) وشيخو (٧٥٦هـ / ١٣٥٥م) وتكزيغا (٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) وغيرها.

ك - حوش الخانقاة :

الواقع أن حوش الخانقاة أو منطقة المرافق فيها هو عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل يظهر منها على سطح الأرض ثلاث مقابر ذات تراكيب حجرية خالية من الزخارف، إلا أن الجانب الجنوبي من هذه المساحة به على الجدار شريط زخرفى قوام زخارفه كتابات نسخية تتخللها عناصر نباتية من أوراق وأنصاف مراوح نخيلية نصها :

«فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور»^(٢٣٤) (أنظر

شكل (١٢).



شكل ١٢ : الخانقاة الجاولية (سلاووينجر)
محراب وكتابة بالحائط الشرقي لحوش الخانقاة

هذا وفي الركن الشمالى الشرقى من هذا الحوش توجد حنية ذات عقد نصف دائرى بها فتحة دائرية ربما كانت لسبيل فى هذه المنطقة، وقد ورد فى بعض المراجع العربية أن هذا الحوش هو عبارة عن

صحن مكشوف به بقايا قبور خلفها محلات متخربة كانت خلوات للصوفية من دورين يتصلان بالخلوات العلوية المطلّة على المصلى، وكان بهذا الجزء مزولة من عمل عبد الرحمن الطولونى سنة (١٠٦٤هـ / ١٦٥٣م) (٢٣٥).

ل - المدرسة :

فى الناحية الجنوبية لرحبة سلم المدخل يوجد باب عرضه (١٤٠) متر ذو عقد نصف دائرى يؤدى إلى صحن المدرسة وهو عبارة عن مساحة مستطيلة طولها (٩٤٠) متر وعرضها (٨٧٠) متر يغطيها سقف خشبى خالى من الزخارف حاليا رغم أن ما ورد فى كراسات لجنة حفظ الآثار العربية يشير إلى أن هذا الصحن كان مسقوفا بشخشيخة خشبية من نجارة غير مدهونة (٢٣٦)، ويشتمل الجدار الشمالى لهذا الصحن فى يسار المدخل المشار إليه على شباكين : الشرقى عرضه (١٦٥) متر وعمقه (٢١٥) متر والغربى عرضه (١٤٠) متر وعمقه (١٨٠) متر، كل منهما ذو وضع منحرف أراد المعمار عن طريق انحرافهما أن يخرج إيوان قبلة المدرسة على سمته الصحيح.

ويعلو كلا من هذين الشباكين عقد نصف دائرى، أما الجزء العلوى من هذا الجدار فيه النوافذ التى سبقت الإشارة إليها عند وصف الخلوات فى هذا الجانب، إلا أنه يحيط بأعلى وأسفل هذه النوافذ شريطان زخرفيان، السفلى منهما زخارفه عبارة عن ورقة نباتية ثلاثية مكررة، أما الشريط العلوى فهو عبارة عن كتابات نسخية تتخللها عناصر زخرفية نباتية، وجدير بالذكر أن هذين

الشريطين كانا يحيطان بجدران هذا الصحن الثلاثة: الشمالية والجنوبية والغربية.

ويبدأ الشريط الكتابي المشار إليه من الجدار الغربى بما نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً (ثم جزء فاقد) حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلقى أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً»^(٢٣٧).

أما فى الجهة الغربية من هذا الصحن فيوجد إيوان صغير عبارة عن دخلة عرضها (٢ر٨٠) متر وعمقها (٣ر٣٠) متر يغطيها سقف عبارة عن قبو نصف اسطوانى عل جانبيها فتحتان كل منهما ذات عقد نصف دائرى عرضها (٩٥ر) متر تؤدى كل منهما إلى حاصل مستطيل يغطيه سقف عبارة عن قبو نصف اسطوانى، ويعلو كلا من هاتين الفتحتين (أو المدخلين) مستطيلاً جصياً زخارفه عبارة عن أوراق نباتية ثلاثية وخماسية الفصوص ذات حفر نافذ داخل جامات.

أما الجدار الجنوبى لهذا الصحن ففيه ثلاثة أبواب تشبه البابى فى الجدار الغربى يعقودها وما يعلوها من وحدات زخرفية مستطيلة فيما عدا الباب الغربى فلا توجد فوقه هذه الوحدة، ويؤدى هذا الباب إلى حاصل صغير ذو سقف مستو أما الحاصلين الآخرين فيشبهان بقية الحواصل تماماً، وينتهى هذا الجدار بباب رابع ذو عقد نصف دائرى عرضه (١١٠ر) متر كان يؤدى إلى خلوات بالناحيتين الغربية والجنوبية تهدمت الآن ولم يبق منها شيئاً على سطح الأرض، وجدير بالذكر أن فى كل من جدارى الصحن هذين (الغربى والجنوبى) شقة حجرية على هيئة نافذة مستطيلة تزينها زخارف حجرية مفرغة لأوراق ثلاثية وخماسية وتفرعات نباتية من النوع المعروف بالأرابيسك.

وفى الناحية الشرقية من هذا الصحن يوجد إيوان القبلة وهو عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل طولها (٩ر٧٠) متر وعرضها (٧ر٤٠) متر ذات سقف من عزوق خشبية غير مزخرفة، وليس فى هذا الإيوان شئ من الزخارف اللهم إلا المنبر الواقع على يمين محراب عادى ذو حنية عرضها (١١٥ر) متر وعمقها (٨٥ر) متر ذو عقد نصف دائرى متراجع.

وهذا المنبر يقوم على قاعدة خشبية مستطيلة طولها (٢ر٨٠) متر وعرضها (٩٥ر) متر تقوم فوقها ريشتان متشابهتان تتكون كل منهما من مثلث كبير فى أسفل يتوسطه طبق نجمى، وفى إطاره أنصاف أطباق نجمية، ويعلو هذا المثلث سبع حشوات مختلفة الأشكال ذات خشب خرط، وفى مؤخرة المنبر بابا الروضة ويزين كلا منهما طبق نجمى فى الوسط حوله أجزاء من أطباق نجمية فى الأركان، ويعلو كلا منهما حلقات خشبية على شكل تفريعات نباتية، وأعلى كل من هذين البابين حشوة خشبية نقش عليها بخط النسخ:

«جدد هذا المنبر فى عصر خديوى مصر عباس حلمى الثانى»

أما باب المنبر الرئيسى فيصعد إليه بقدمه ارتفاعها (٤٠ر) متر وهو ذو مصراعين تزينهما خطوط متداخلة، وتعلو حلقات تشبه الحلقات التى تعلو بابى الروضة، وفوق هذه الحلقات حشوة كتابية بخط النسخ نصها:

«إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما» (٢٣٨ر)

ويعلو تلك الحشوة الكتابية حطتان من المقرنصات يعلوهما فى حافة الباب العليا شريط من الزخارف على هيئة ورقة ثلاثية مكررة، ويصعد من هذا الباب إلى جلسة الخطيب، وهى ذات أوجه ثلاثة تزينها نفس الحلقات الموجودة أعلا أبواب المنبر، إلا أن ظهرها زخرف بشكل محراب يقوم على عمودين دائريين يحملان عقدا نصف دائرى فوق زاويتي ميمه دائرية على جانبيها عناصر نباتية لتفريعات وأوراق.

أما جوانب هذه الجلسة من الخارج ففى كل منها حطتان من المقرنصات ويعلوها شرافات على شكل ورقة ثلاثية ويتوج الجلسة رقبة يعلوها شكل كمثرى يتوجه هلال.

والى الشمال من هذا الإيوان توجد دخلة عرضها (٥ر٦٠) متر وعمقها (٥ر٣٠) متر يغطيها سقف عبارة عن قبو نصف اسطوانى فى جدارها الشرقى دخلة عرضها (٢ر٨٥) متر وعمقها (١ر٥٥) متر ذات عقد نصف دائرى، ترتفع عن الأرضية بمقدار (٣ر٥) متر وفى جدارها الغربى دخلة مشابهة، أما فى جدارها الشمالى فيوجد من الشرق شبك عرضه (١ر٦٥) متر وعنقه (١ر٨٥) متر ذو عقد نصف دائرى به أرماع ومخزوات حديدية تطل على الشارع، إلى

الغرب منه توجد دخلة ثالثة عرضها (١٦٠) متر وعمقها (٢٠) متر ذات عقد نصف دائر أيضا.

هذا ويوجد في ذلك الإيوان كرسى السورة وهو عبارة عن مستطيل طوله (١٣٥) متر وعرضه (٧٥) متر وارتفاعه (١٢٠) متر (بما فيه الجلسة) قوام زخارفه أطباق نجمية كاملة من أسفل تعلوها أجزاء من أطباق نجمية وحشوات مخروطية في دروة الجلسة تقوم فوقها ستة بابات.

وفي الجنوب الغربى للمدرسة مطلا على ناحية قلعة الكبش يوجد مدخل آخر ذو سلم حجرى هابط يؤدي بعد انكسارين إلى هذا المدخل، وهو عبارة عن دخلة عمقها (١٢٠) متر وعرضها (٢٤٠) متر تكتنفها مكسلتان حجرتان عرض كل منهما (٥٠) متر وطولها (١٢٠) متر وارتفاعها (٩٠) متر، ويتوج هذه الدخلة عقد ثلاثى الفصوص زخرف داخله بمقرنصات مقعرة ذات دلايات، أما المدخل نفسه فعرضه (١٤٠) متر يعلوه عتب من صنجات حجرية مزورة وبه مصراعان خشبيان خاليان من الزخارف، وكان هذا الباب على ما يبدو خاصا بصوفية الخانقاة ويستجر الجاولى الذى كانت داره مجاورة للخانقاة من هذه الناحية^(٢٣٩).

وقد ورد فى كراسات لجنة حفظ الآثار العربية أن منشئ هذه الخانقاة كان قد بنى منزلين بالقاهرة أحدهما كان مجاورا لها وكانت بقاءه لا تزال قائمة حتى سنة (١٨٩٢) ممثلة فى كتابة محفورة على لوح حجرى ثبت نص إنشائه إلا أن هذا المنزل كان قد هدم وتجدد بعضه على عهد الترك كما يقول محضر اللجنة^(٢٤٠)، ومع ذلك فهناك فيما ورد فى هذا الأمر ظاهرة جديدة بالملاحظة وهى أن النص الذى أورده اللجنة فى محاضرها^(٢٤١) يشتمل على ألقاب سلطان وليس ألقاب أمير فهو يقول:

«أمر بإنشاء هذا المكان المبارك السعيد من فضل الله تعالى وكرمه سيدنا ومولانا ومالك رقابنا سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محبى العدل فى العالمين أبو الفقراء والمساكين ذخر الأراذل والمحتاجين صاحب الصدقات والمعروف المغيث لكل ملهوف ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين الإمام الأعظم والملك المكرم مولانا المقام الشريف السلطان الملك، وغنى عن التعريف أن كل هذه لألقاب التى وردت بهذا النص هى ألقاب سلطان وليس أمير أو نائب للسلطنة.

ليس هذا فقط بل إن اللجنة كانت قد قررت مبلغا قدره (٦٣٠) مليما لأعمال صيانة هذا المنزل وطلبت من الورثة تسديدها فرد الورثة بأنهم فقراء ولا يقدرّون على ذلك فكلفت الميسو هرقس بملاحظة ذلك للتأكد من تنفيذه^(٢٤٢).

ثم جاءت تقارير المجموعة الثانية عشر من هذه الكراسات لتؤكد أن ديوان عموم الأوقاف طلب من اللجنة التنازل بطريق الاستبدال عن المنزلين الملاصقين لهذه الخانقاة من جهة غرب إلى المالك بجوارهما وبعد المعاينة رأى القومسيون الثانى للجنة الموافقة على هذا الاستبدال بشرط ألا يمكن المشتري من إقامة أية أبنية محل هذين المنزلين مستقبلا إلا بعد ترك حرم للخانقاة بعرض مترين بطول الحائط^(٢٤٣).

يضاف إلى ذلك أن ما ورد في كراسة اللجنة عن سنة (١٨٩٧)م يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن هذين المنزلين كانا لا يزالان موجودين بدليل ما أشار إليه التقرير (٢١٠) من أن ديوان عموم الأوقاف طلب من اللجنة هدم جزء من الدور العلوى للمنزل وقف منجر الجاولى الذى له موردة فوق الدور الأرضى يخشى منها على الأمن العام لكونها مفككة فوافق القومسيون الثانى على ذلك شريطة أن تنتقل الأفاريز المنقوشة بالحفر بعد تصويرها إلى متحف الفن الإسلامى مع الكوابيل الحاملة لها^(٢٤٤).

وينضى المدخل المشار إليه إلى دركاة مربعة الشكل طول ضلعها (٢ر٢٠) متر فى صدرها مصطبة عرضها (٩٥ر) متر وارتفاعها عن الأرض (٥٥ر) متر ويغطى كلا من الدركاة والمصطبة قبو مروحى، وفى جدار هذه الدركاة الشرقى يوجد مدخل ذو عقد فارسى مدبب عرضه (١٤٠ر) متر يؤدى إلى ممر حديث فيه كثيرا من التغييرات التى غيرت كل معالمه القديمة ولم تبق منها شيئا.

وفى نهاية الحديث عن هذا الوصف التفصيلى للخانقاة لا يفوتنا أن نشير إلى ما ذكره صاحب كتاب «جامع الكتابات العربية» من وجود مشكاة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة للأمير سيف الدين ملار مصنوعة من الزجاج المموه بالمينا ارتفاعها (٢٥ر) متر نقش عليها كتابة نسخة نصها:

«لما عمل برسم تربة العبد الفقير إلى الله تعالى سيف الدين سلالر نائب السلطنة المعظمة عفا الله عنه» (٢٤٥).

٥ - ترميمات الخانقاة :

الواقع أن المادة التاريخية التي بين أيدينا والتي سجلتها محاضر وتقاير لجنة حفظ الآثار العربية يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن هذه الخانقاة كانت من أول الأبنية الأثرية التي أولتها هذه اللجنة عنايتها ورعايتها محاولة منها لإعادة هذا الأثر الجميل إلى ما كان عليه من رونق وبهاء عن طريق إصلاح ما كان قد تشعت من مبانيه وزخارفه.

وقد بدأت هذه الاهتمامات منذ سنة (١٨٩١م) عندما قرر قلم هندسة اللجنة أن هذا الأثر مقتضى إدراجه ضمن الآثار العربية المسجلة وأنه سيقدم للجنة تقريراً ومقايضة بمفردات الإجراءات اللازمة لترميمه بصفة عاجلة وضرورية (٢٤٦).

وفي سنة (١٨٩٢م) خصص للأعمال الترميمية بهذه الخانقاة مبلغاً قدره (١٠١٥) جنيه ألفاً وخمسة عشر جنيهاً دفعت الأوقاف منها سبعمائة وعشر جنيهاً وأكملت اللجنة مبلغ المقايضة وهو ثلاثمائة وخمسة جنيهاً وقد وزع مبلغ المقايضة الإجمالية بين أعمال تعلقت بهدم ونقل أثرية من الطرقة أمام الأضرحة وبناء للسلم بالحجر الفص النحيت وبين إصلاحات للكسوات الرخامية داخل الأضرحة، وكذا إصلاح وتجديد شبايك الجص والزجاج الملون بها، مع عمل أغطية خارجية لهذه الشبايك من السلك النحاس بالإضافة إلى تجديد الأبواب واستكمال الناقص منها، وكان توزيع ذلك وفقاً لما يلي :

| البيان | لجنة | | أوقاف | | جملة | |
|--|------|------|-------|------|------|------|
| | جنيه | مليم | جنيه | مليم | جنيه | مليم |
| هدم ونقل أثرية من الطرقة وبناء سلم حجرى. | ١٥ | ٧٥٠ | ٥١٨ | ٧٣٣ | ٥٣٤ | ٤٨٣ |
| إصلاح كسوة رخام بالقباب. | ٤٧ | ٣٢٠ | - | - | ٤٧ | ٣٢٠ |
| تجديد شبايك جيس وزجاج ملون بالقباب. | ١٣٨ | ٩٥٤ | ٣٧ | ٥٥٥ | ١٧٦ | ٥٠٩ |
| تجديد واستكمال أبواب. | ٥٩ | ١٠٦ | ٧٤ | ٧٣٦ | ١٣٣ | ٨٤٢ |
| أعمال غير منظورة. | ٤٣ | ٨٧٠ | ٧٨ | ٩٧٦ | ١٢٢ | ٨٤٦ |

وفى سنة (١٨٩٤م) خصصت اللجنة لأعمال ترميمية بسلم هذه الخانقاة مبلغا قدره (١٠٠ر) جنيه مائة جنيه اختصت هى بدفعها دون الأوقاف^(٢٤٧).

وفى سنة (١٨٩٥م) صرفت اللجنة على أعمال ترميمية بهذه الخانقاة مبلغا قدره تسعمائة وخمسة عشر جنيها (٩١٥ر) جنيه خص الأوقاف منها ستمائة وخمسة وثلاثين جنيها (٦٣٥ر) وخص اللجنة مائتان وثمانون جنيها (٢٨٠ر) رغم أن تقرير اللجنة لم يوضح على أية ترميمات صرف هذا المبلغ^(٢٤٨).

وفى سنة (١٨٩٧م) صرفت اللجنة على أعمال حفزية بهذه الخانقاة (لم تحدد) مبلغا قدره (٩٠٠ر) جنيه تسعمائة جنيه نخص الأوقاف منها مبلغ (٧٠٠ر) جنيه سبعمائة جنيه وخص اللجنة مبلغ (٢٠٠ر) جنيه مائتى جنيه^(٢٤٩).

وفى سنة (١٨٩٩م) صرفت اللجنة على ترميمات بهذه الخانقاة (لم تحدد) مبلغا قدره (٩٢٩ر) جنيه اثنان وتسعون جنيها وتسعة مليمات^(٢٥٠).

وفى المجموعة الحادية والأربعين عن السنوات من (١٩٥٤ - ١٩٦١م) ورد أن اللجنة صرفت على أعمال ترميمية (لم تحدد) بهذه الخانقاة مبلغا قدره (١٥٠ر) جنيه مائة وخمسون جنيها^(٢٥١).

وبذلك يتضح أن اللجنة الدائمة لحفظ الآثار العربية ومصلحة الآثار من بعدها قد صرفت على ترميمات هذه الخانقاة اعتبارا من سنة (١٨٩١م) حتى سنة (١٩٦١م) مبلغا قدره (٣١٧٢٩) جنيه ثلاثة آلاف ومائة واثنين وسبعين جنيها وتسعة مليمات، وهو مبلغ لا شك كبير إذا ما قدر بقيمته القديمة، وكان لصرفه أكبر الأثر فى أن بقيت هذه الخانقاة محتفظة بحالتها الجيدة التى هى عليها الآن.

الفصل الخامس

خانقاوات النصف الأول من القرن الثامن الهجرى

النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادى

٤ - الخانقاة الجاشنكيرية ببيرس

٧٠٦ - ٧٠٩ هـ / ١٣٠٦ - ١٣٠٩ م

أثر رقم : ٣٢

أقيمت هذه الخانقاة على جزء من دار الوزارة الفاطمية الكبرى وكانت - كما وصفها المقرئى فيما سيرد الحديث عنه تفصيلا - أجمل خانقاة بالقاهرة بنيانا وأوسعها مقدارا وأتقنها صنعة، وما بقى منها حتى الآن يثبت صدق ما ذهب إليه المقرئى فى هذا الوصف.

وقد أفاضت علينا المصادر والمراجع العربية بالكثير من المعلومات التاريخية المتعلقة بتلك المنشأة الصوفية الهامة وطبقا لما أمكن الوقوف عليه من هذه المادة التاريخية فإن حديثنا عن هذه الخانقاة سينحصر فى ست نقاط رئيسية هى :

١ - تاريخ الخانقاة ومكتبتها.

٢ - أوقاف الخانقاة.

٣ - منشئ الخانقاة.

٤ - موظفو الخانقاة.

٥ - وصف الخانقاة.

٦ - ترميمات الخانقاة.

١ - تاريخ الخانقاة ومكتبتها :

ترك لنا المقرئى وابن تغرى بردى والسيوطى وعلى باشا مبارك وغيرهم معلومات وافية عن تاريخ هذه الخانقاة.

يقول المقرئ في القرن (٩٠٠ هـ / ١٥٠٠ م) أن «هذه الخانقاة من جملة دار الوزارة الفاطمية الكبرى التي أنشأها الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي والتي كانت تمتد على وجه التقريب من وكالة ذى الفقار حتى حارة الروم الجوانية، وهي أجمل خانقاة بالقاهرة بنيانا وأوسعها مقدارا وأتقنها صنعة، بناها المظفر ركن الدين يبيرس الجاشنكير المنصوري قبل أن يلى السلطنة وهو أمير، فبدأ في بنائها في سنة ست وسبعمائة وبني بجانبها رباطا كبيرا يتوصل إليه من داخلها وجعل بجانب الخانقاة قبة بها قبره»^(٢٥٢).

وتشرف شبايك هذه القبة على الشارع المسلك فيه من رحبة باب العيد إلى باب النصر ومن جملتها الشباك الذي حملة الأمير أبو الحارث البساميرى من بغداد لما غلب الخليفة العباسى وأرسل بعمامته وشباكه الذي كان بدار الخلافة في بغداد، وقد ركب هذا الشباك بعد وروده من بغداد بدار الوزارة واستمر فيها إلى أن عمر الأمير يبيرس هذه الخانقاة فنقل هذا الشباك إلى قبتها وقد ظل بها إلى أيام المقرئ الذي قال «وهو بها إلى يومنا هذا وإنه لشباك جليل القدر حشم يكاد يتبين عليه أبهة الخلافة»^(٢٥٣).

وقد رفض بعض الكتاب المحدثين تصديق هذه الرواية التي ذكرها المقرئ فيما يتعلق بشباك دار الخلافة، بحجة أن شباك دار الخلافة كان من الحديد وهذا الشباك من النحاس وتبدو عليه علامات الجدة كما في الشبايك المجاورة، وقد علل ذلك بأن الشيخ محمد الابراشى ناظر الخانقاة كان قد أزال ثلاثة شبائية مما كان في واجهتها وحولها إلى دكاكين^(٢٥٤)، ومع ذلك فنحن لا نجد ما يتعارض بين الأمرين لأن المقرئ كان قد ذكر ذلك وأكد من واقع مشاهدته الشخصية بقوله «وهو إلى يومنا هذا» وهي عبارة تفرض إن كذبناه ضرورة أن تكون هناك حجة داحضة له، وما يمكن اعتقاده في هذا الصدد أنه إذا كان الناظر المذكور - طبقا لما ذكره المعارض نفسه - «كان قد أزال ثلاثة شبايك مما كان في واجهتها وحولها إلى دكاكين» وكان هذا في فترة زمنية لاحقة للمقرئ، فإن الاعتراض بهذا الشكل يكون في غير محله ويكون الناظر من ثم هو الذي قام بتغيير شباك دار الخلافة الحديد ومعه الشباكين الآخرين ليحولا إلى دكاكين^(٢٥٥).

ويضيف المقرئ أنه لما شرع في بنائها سنة (٧٠٦ هـ / ١٣٠٦ م) رفق صاحبها بالناس ولاطفهم ولم يعسف في هذا البناء أحدا ولا أكره صانعا ولا اغتصب من آلتها شيئا، وإنما اشترى

دارى الأمير عز الدين الأفرم والوزير هبة الله بن صاعد الفائزى وكذا دار الأنماط التى كانت برأس حارة الجودرية من القاهرة، وبعض أملاك كانت قد بنيت فى أرض دار الوزارة، وهدم كل هذه الدور وأخذ أنقاضها فكان قياس كل أرض الخانقاة والرباط والقبة نحو فدان وثلاث^(٢٥٦).

وعندما شرع الجاشنكير فى بنائها حضر إليه - طبقا لما ذكره المقرئى أيضا - الأمير بكتاش الفخرى أمير سلاح، وأراد التقرب إليه فأخبره بأن القصر الذى فيه سكن أبيه، فيه مغارة تحت الأرض فيها رخام كثير مسدود عليه، فبعث ييبرس عدة من الأمراء فتحوا المغارة فإذا بها رخام جليل القدر عظيم الهيئة فنقله من المغارة ورخم منه الخانقاة والقبة وداره التى بالقرب من البندقانيين وحارة زويلة وفضل منه شئ كثير رجح المقرئى أنه كان لا يزال حتى أيامه مخزونا بالخانقاة ثم قال «ومن حسن بناء هذه الخانقاة أنها لم تحتج فيها إلى مرممة منذ بنيت إلى وقتنا هذا وهى مبنية بالحجر وكلها عقود محكمة بدل السقوف الخشب وقد سمعت غير واحد يقول أنه لم تبني خانقاة أحسن من بنائها»^(٢٥٧).

ورغم تكرار السيوطى فى القرن (١٠هـ / ١٦م) لما ذكره المقرئى وابن تغرى بردى فيما يتعلق بجلال بناء هذه الخانقاة وسعتها وإتقان صنعتها وشباك دار الخلافة البغدادية الذى فيها، إلا أنه أضاف إلى ذلك أن الناصر محمد بن قلاوون كان قد أغلقها مدة طويلة بعد موت صاحبها فى سلطنته الثالثة ثم عاد وأمر بفتحها^(٢٥٨).

أما على باشا مبارك فقد أضاف فى القرن (١٣هـ / ١٩م) إلى ما ذكره المقرئى عن هذه الخانقاة كثيرا، وكان فيه أكثر تحديدا رغم تسميته لها بالجامع حين قال أن هذا الجامع بخط الجمالية بين حارة المبيضة وحوش عطى على يمينة الذهاب إلى باب النصر بجوار مكتب الجمالية الذى هو موضع جامع سنقر، وبه إيوانان ومقصورتان وأرضيته مفروشه بقطع الرخام الملون وسقفه مرتفع معقود بالحجر وبه منبر ودكة وكان فى صحنه حنفية هدمها ناظره الشيخ محمد الأبراشى وجعل بدلها ميضأة مستعملة إلى الآن وله منارة عظيمة وبه قبر منشئه عليه قبة عظيمة كان بها ثلاثة شبابيك مطلة على الشارع أزالها الناظر محمد الأبراشى وجعل مكانها حوانيت لأجل الربيع وهو مقام الشعائر من الجمعة والجماعة إلى الآن (أى إلى عهده فى القرن (١٣هـ / ١٩م) وكان إنشاؤه أولا خانقاة للصوفية^(٢٥٩).

كذلك فقد أضاف إلى ما ذكره السيوطي فيما يتعلق بغلق الخانقاة حيث قال «فلما خلع من السلطنة (بيبرس) أغلقت وأخذ وقفها ومحا الملك الناصر محمد بن قلاوون اسمه من الطراز الذى بظاهرها فوق الشباييك وأقامت معطلة نحو عشرين سنة ثم فتحت سنة ست وعشرين وسبعمائة وأعيد إليها وقفها»^(٢٦٠) وبهذا يكون الناصر قد فعل بطراز هذه الخانقاة ما فعله المأمون بطراز قبة الصخرة عندما محى منه اسم عبد الملك بن مروان ووضع اسمه بدلا منه ونسى أن يغير التاريخ ففضح أمره.

ولم يقتصر الحديث عن تاريخ هذه الخانقاة على ما ذكرته المصادر العربية المشار إليها، وإنما تكلمت فى ذلك المراجع العربية أيضا، وينحصر مجمل ما ذكرته هذه المراجع فى تكرار ما ورد فى المصادر عن منشئها وتاريخ إنشائها وموقعها ومساحتها وشباييكها ورخامها، ثم قبض الناصر محمد بن قلاوون على منشئها وغلقها والاستيلاء على أوقافها وبفائها معطلة عشرين سنة إلى أن أعيد فتحها فى أول سنة (٧٢٦هـ / ١٣٢٦م)^(٢٦١).

أما فيما يتعلق بمكتبة هذه الخانقاة فقد استقينا معلوماتنا القليلة عنها مما ذكره السخاوى فى القرن (١٠هـ / ١٦م) حين قال فى ترجمة أحمد الشهاب الحجازى نزيل القاهرة القديمة، أنه «تنزل فى صوفية البيبرسية وغيرها وتكلم فى خزانة كتبها لكونه فى ذلك كله من جهة ناظرها مات سنة ثلاث وتسعين (وثمانمائة) عن بضع وستين ظنا»^(٢٦٢)، ولم تزد المراجع العربية الحديثة التى أكدت على وجود هذه المكتبة شيئا فى هذا الصدد يستحق الذكر عما كان فيها من علوم ومعارف وأعداد كتب ومصادر ونحو ذلك^(٢٦٣).

٢ - أوقاف الخانقاة :

أمدنا كل من ابن الجيعان والمقرئزى وعلى باشا مبارك بمعلومات على جانب كبير من الأهمية فيما يتعلق بأوقاف هذه الخانقاة^(٢٦٤)، فيذكر ابن الجيعان فى القرن (٨هـ / ١٤م) من أوقاف هذه الخانقاة قريتان هما العادلية ومختان فيقول:

١ - العادلية :

(من توابع ثغر دمياط) عبرتها (٣٠٠) دينار، وقف الخانقاة الركنية بيبرس الجاشنكير الأحمدي^(٢٦٥).

٢ - مخنان :

(من الأعمال الجيزية) مساحتها (٦٢٠) فدان وقف الخانقاة الركنية بيبرس الجاشنكير^(٢٦٦)، وواضح من ذلك أنه لم يذكر مساحة الأولى وعبرة الثانية، وهو ما يجعل تقدير مدخول الثانية أمرا صعبا لأن أركان القياس هنا منعدمة، فلو أنه ذكر مساحة واحدة وعبرتها مثلا لكان تقدير عبرة الثانية أو مدخلها أمرا سهلا ..

أما المقرئ فقد أشار في القرن (٩هـ / ١٥م) إلى أن صاحب هذه الخانقاة كان قد أوقف عليها عدة ضياع بدمشق وحماة من أرض الشام ومنية المخلص بالجيزة وبعض نواحي بالصعيد والوجه البحري من أرض مصر بالإضافة إلى الربع والقيسارية بالقاهرة، فلما خلع من السلطنة وقبض عليه الناصر محمد بن قلاوون وقتله أمر بفلقها وأخذ سائر ما كان موقوفا عليها ففرقه إقطاعات على أمرائه ومجى اسم صاحبها من الطراز الذي بظاهرها فوق الشبايك، فظلت الخانقاة معطلة نحو من عشرين سنة إلى أن عاد الناصر بعد سعى حثيث لابنة بيبرس وأمر بفتحها في أول سنة (٧٢٦هـ / ١٣٢٥م) وأعاد إليها ما كان موقوفا عليها فعادت الحياة إليها مرة أخرى إلى أن شرقت أرض مصر لقصور ماء النيل أيام الملك الأشرف شعبان سنة (٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) فبطل طعامها وتعطل مطبخها مع استمرار صرف الخبز ومبلغ سبعة دراهم عدلت بعد ذلك إلى عشرة لكل واحد من صوفيتها في الشهر، فلما قصر مد النيل ثانية سنة (٧٩٦هـ / ١٣٩٣م) بطل صرف الخبز أيضا وأغلق مخبز الخانقاة وصار الصوفية يأخذون في كل شهر مبلغا من الفلوس نظير ما تعطل صرفه لهم وظل حالهم على ذلك حتى أيام المقرئ الذي قال «وهم على ذلك إلى اليوم» أي إلى عصره في القرن (٩هـ / ١٥م)^(٢٦٧).

ثم جاء على باشا في القرن (١٣هـ / ١٩م) وكرر ما ذكره المقرئ فيما يتعلق بالضياع التي أوقفت على الخانقاة بكل من دمشق وحماة والقاهرة ومنية المخلص بالجيزة والصعيد والوجه

البحرى، كما كرر أيضا ما ذكره المقرئى فيما يتعلق بأخذ الناصر لأوقافها وتعطيلها ثم عودته لفتحها وإرجاع أوقافها حتى قصر مد النيل وشرقت الأراضى فتقلصت جراياتها جميعا إلى أن صارت مبلغا من معاملة مصر يصرفه الصوفية^(٢٦٨).

٣ - منشئ الخانقاة :

أفاض علينا كثير من المؤرخين ولا سيما ابن حجر والمقرئى وابن تغرى بردى والسيوطى وابن اياس وابن ظهيرة والجبرتى وعلى باشا مبارك بكثير من المعلومات الهامة المتعلقة بترجمة منشئ هذه الخانقاة. فيقول ابن حجر العسقلانى فى القرن (٨هـ / ١٤م) أن الملك المظفر بيبرس البرجى العثمانى الجاشنكير^(٢٦٩) كان أشقر اللون مستدير اللحية موصوفا بالعقل والعفة، وكان فى أصله أحد ممالك المنصور قلاوون وترقى عنده إلى أن قرره جاشنكير وأمره طلبخانة، واستمر على هذا الحال إلى أن قتل الأشرف خليل بن قلاوون، فقام مع من قاموا فى طلب ثأره وقتلوا قتله ونصبوا أخاه الناصر محمد سلطانا فأصبح بيبرس من أكابر الأمراء وولى أستاذارته إلى أن قبض عليه الشجاعى بأمر من العادل كتبغا وسجنه بالاسكندرية فلما تسلطن لاجين أخرجه من السجن وأمره، فلما عاد الناصر كان بيبرس ممن قاموا بتدبير المملكة فالتفت البرجية حوله بينما التفت الصالحية حول سلار فاستقر بيبرس أستاذارا^(٢٧٠) واستقر سلار نائباً للسلطنة^(٢٧١).

وحج بيبرس سنة (٧٠١هـ / ١٣٠١م) وكان من مآثره فى هذه الحجة أنه خلع المسمار الذى كان فى وسط الكعبة ينبطح عليه العوام بسرتهم مكشوفة اعتقادا منهم أن من فعل ذلك عتق من النار فزال البدعة على يديه، كذلك كان من مآثره فى مصر إبطال عيد الشهيد الذى تعود النصارى الخروج فيه إلى ناحية شبرا فى ثامن بشنس فيلقون فى النيل تابوتا فيه إصبع لبعض من سلف منهم لأنهم كانوا يزعمون أن النيل لا يزيد إلا إذا وضع فيه هذا الإصبع.

وفى سنة (٧٠٨هـ / ١٣٠٨م) تسلطن بيبرس ولقب بالملك المظفر، وكتب عهده عن الخليفة ابو الربيع سليمان وكان عنوانه يقول إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم، وركب بالخلعة السوداء والعمامة المدورة والتقليد على رأس الوزير ضياء الدين النشائى، وناب عنه سلار وأطاعه أهل الشام^(٢٧٢).

واذا كانت المصادر العربية قد حفظت له بعض المآثر في كل من مكة والقاهرة قبل أن يتولى السلطنة، فإنها قد حفظت له أيضا بعضا من هذه المآثر بعد ولايته للسلطنة، من ذلك مثلا أنه في جمادى الأولى من السنة المشار إليها (٧٠٨هـ) أبطل ضمان الخمر وقبض على الزانيات وخرب بيوتهم وكسر آلاتهم، فكان ذلك من أجل حسنته^(٢٧٣).

فلما كانت سنة (٧٠٩هـ / ١٣٠٩م) خامر عليه طغاي وجماعة من الأمراء، فذهبوا إلى الناصر بالكرك وصحبوه إلى دمشق، ثم ساروا به في عسكر كبير لا رجاءه إلى الحكم، فجرد اليهم يبيرس عسكرا كبيرا خامر بعضهم على بعض فانهزموا أمام حملة الناصر، فأشار عليه جماعة ممن بقوا معه وعلى رأسهم يبيرس الدوادار بالنزول عن السلطنة والإشهاد على ذلك والخروج إلى اطفيح ومكاتبه الناصر فيه واستعطافه ففعل، وهنا خرج عليه العوام وسبوه ورجموه ففرق فيهم دراهم فلم يرجعوا فسل مماليكه عليهم السيوف فرجعوا، وظل باطفيح يومين ثم رحل طالبا الصعيد، وفي أخميم قدم عليه أمان الناصر وأنه أقطعه قلعة صهيون فقبل ذلك ورجع متوجها إلى غزة، فلما وصلها وجد هناك نائب الشام وغيره فقبضوا عليه وسبوه صحبة قراسنقر إلى القاهرة، فلما كان بالخطارة تلقاه رسول الناصر اسنمر فقيده وأركبه بغلا حتى قدم به إلى القلعة في ثالث عشر ذى القعدة، فلما أحضر بين يدي الناصر عنته وويخه ثم خنق بوتر حتى مات وقيل أنه سقاه سما^(٢٧٤).

ويضيف المقرئ إلى ما ذكره ابن حجر أن يبيرس - على عكس ما كان مفروضا - بعد ما أقيم سلطانا في يوم السبت ثالث عشرى شوال سنة ثمان وسبعمائة، ضعف جانبه وانحط قدره ونقصت مهابته وتغلب عليه الأمراء والمالكيك واضطربت أمور المملكة لما كان من سلال وكثرة حاشيته، علاوة على ميل القلوب إلى الملك الناصر، ثم أضاف إلى مآثره أنه هو الذي عمل الجسر من قلوب إلى مدينة دمياط وهو مسيرة يومين طولاً في عرض أربع قصبات من أعلا وست قصبات من أسفل حتى أنه كان يسير عليه ست من الفرسان معا يحداء بعضهم ثم كرر ما ذكره ابن حجر من إبطاله لسائر الخمارات بسواحل بلاد الشام وغيرها وتسامحه عما كان من المقرر عليها للسلطان، بل وتعويضه للأجناد عنه، بالإضافة إلى غلقه لأماكن الرب والفواحش التي كانت بالقاهرة ومصر وتتبعه لأماكن الفساد ومبالغته في إزالته وعدم مراعاته في ذلك أحدا من الكتاب أو الأمراء حتى خف المنكر وخفى الفساد^(٢٧٥).

وإذا كان ابن حجر لم يعطنا الأسباب الخلفية لمغامرة الأمراء عليه وذهابهم للناصر في الكرك، إلا أن المقرئ قد أوضح لنا ذلك بقوله أن نفسه قد سولت له أن يبعث إلى الملك الناصر بالكرك يطلب منه إرجاع ما كان قد خرج به من الخيل والممالك والأموال وغلظ عليه رسول يبيرس في ذلك فحنق الناصر في نفسه، وكاتب نواب الشام وأمراء مصر سرا يشكو لهم ما حل به، فرقوا له وامتنعوا لما فعله يبيرس فعزوه وساروا معه لمناصرتة حتى كان من أمر تنازل يبيرس عن الحكم بعد مدة سلطنة لم تزد عن عشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما انتهت بقدم الناصر إلى قلعة الجبل للمرة الثالثة في أول شوال سنة (٧٠٩هـ / ١٣٠٩م) وجئ إليه بالمظفر يبيرس في يوم الأربعاء ثالث عشر ذي القعدة من السنة المشار إليها فقبل الأرض بين يديه فعنفه وعدد له أخطاءه ثم أمر به فسجن في موضع إلى ليلة الجمعة خامس عشره وفيها لحق بربه تعالى فحمل إلى القرافة ودفن في تربة الفارس أقطاي ثم نقل منها بعد مدة إلى تربته بسفح المقطم فقبر بها زمانا طويلا ثم نقل منها للمرة الثالثة إلى خانقائه ودفن بقبته، وقد أدرك المقرئ شيخا من صوفيتها أخبره أنه حضر نقله من تربة القرافة إلى قبة الخانقاة وأنه هو الذي تولى وضعه في مدفنه الذي فيها بنفسه^(٢٧٦).

ومع أن رواية المقرئ قد اختلفت مع رواية ابن حجر فيما يتعلق بالكيفية التي مات بها يبيرس فذكر أنه مات بسجنه بينما ذكر ابن حجر أنه مات خنقا أو سما إلا أنه قال أنه «كان خيرا عفيفا كثير الحياء وافر الحرمة جليل القدر عظيما في النفوس مهاب السطوة في أيام إمرته، فلما تلقب بالسلطنة ووسم باسم الملك اتضع قدره واستضعف جانبه وطمع فيه وتغلب عليه الأمراء والممالك، ولم تنجح مقاصده (الخيره) ولا سعد في شيء من تدبيره إلى أن انفضت أيامه وأناخ به حمامه رحمه الله»^(٢٧٧)، ولم يبين لنا المقرئ أسباب ذلك الذي ألم به عندما تسلطن رغم أن ما ذكره عنه قبل السلطنة كان كفيلا باستمرارية موقفه الجيد، وتفسير ذلك بالإضافة إلى ما ذكره ابن حجر كان ينحصر على ما يبدو في أن الناس لم يعجبهم ما قام به من أعمال خيره بكل المقاييس مثل إراقة الخمر وإبطال الخمارات والتنازل عن مقررات السلطنة عليها وغلق أماكن الزنى والفجور وضرب الفساد ومحاولة استئصاله، مما أثار عليه الأجناد الذين اعتادوا هذه المنكرات ومتحصلاتها، كذلك كان لكبسه لأماكن الريب والفواحش وضرب كثير من الناس في ذلك بالمقارع وإزالته للفساد دون مراعاة لأحد من الكتاب أو الأمراء، أكبر الأثر في كثرة أعداد الحانقين

عليه من طوائف المرتزقة والمتنفعين من كل ما أبطله من المفاسد.

أما ما ذكره المقرئ من أمر مطالبته للناصر بالكرك لإعادة ما كان قد أخذه من الخيل والماليك والأموال فليس بكاف - في اعتقادنا - لكل ما حدث له حتى إن العامة الذين قال عنهم بأنهم كانوا يصيحون عليه ويرجمونه ليس تعصبا للناصر بقدر ما كان - على ما يبدو - تعصبا لأنفسهم مما ألم بهم على عهده، إذ لا شك أنهم كانوا في الغالب - بالإضافة إلى تشاؤمهم منه لانحسار النيل وتشريق الأرض وارتفاع الأسعار مما لم يكن له فيه يد حتى أنه اضطر لما بلغه من تغنى العامة بمسبته من القبض على كثير منهم فقطع ألسنة بعضهم وضرب بعضهم الآخر - ممن أضرروا كثيرا مما أبطله من المنكرات والمفاسد وباجذا لو أنه كان قد ناقش ذلك على أنه قضية أخلاق ثلة من قوم عالية الصوت والتأثير لا قضية خلع سلطان وإحلال آخر (٢٧٨) .

والخلاصة في ذلك أنه لم يهنا بالسلطنة منذ توليه لها، لأن الشعب كان قد كرهه لسوء طالع به بسبب ما ألم به من نكبات انحصرت في انحسار ماء النيل وتشريق الأرض وغلاء الأسعار وتحكم الأمراء في الأثمان وتفشى الأمراض وصعوبة الحصول على الدواء، ولأن كثيرا من الأمراء كانوا يخافونه ولا يحبونه لما أصابهم منه عندما أبطل الخمر وأغلق مواطن الفسق والفجور وضرب بيد قوية شرادم الفساد، ولأن الوسوس كانت تشغل باله من ناحية نائب السلطنة سلال الذي ترامي إلى سمعه أنه يتواطأ مع الناصر ضده، وانتهى الأمر به رغم صلاح منهجه - في رأينا - إلى ما كانت عليه نهايته فيما سبقت الإشارة إليه من القتل خنقا أو سما كما ذكر ابن حجر أو الموت سجنًا كما ذكر المقرئ.

ثم كرر ابن تغرى بردى في القرن (٩٠٠ هـ / ١٥٠٠ م) ما ذكره ابن حجر والمقرئ فيما يتعلق بقصة حياة المظفر بيبرس إلا أنه أضاف أن العادل كتبها لما تسلطن بعد قتل الأشرف خليل عزله عن الاستادارية بالأمير بنحاصر وقبض عليه وحبسه مدة ثم أفرج عنه وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف، واستمر على ذلك حتى قتل المنصور حسام الدين لاجين فكان بيبرس أحد من أشاروا بعودة الناصر محمد إلى ملكه، فلما عاد الناصر قرره استادارا على عادته وقرر سلال نائبا، فصار بيبرس وصال كفيلى الممالك الشريفة الناصرية والسلطان معهما آلة في السلطنة لا يقدر على شئ إلى أن ضجر الناصر من ذلك وخرج بحجة الحج وسافر إلى الكرك، فوقع الاتفاق على سلطنة بيبرس

فجلس على تخت الملك في يوم السبت الثالث والعشرين من شوال سنة ثمان وسبعمئة، فكان بذلك السلطان الحادى عشر من ملوك الترك والسابع من مسهم الرق والأول من الجراكسة إن صبح أنه جركسى الجنس^(٢٧٩).

ولم يقتصر الأمر بالنسبة للحديث عن ترجمة المظفر بيبرس على ما ورد فى المصادر العربية، وإنما وردت إشارات كثيرة إلى هذه الترجمة أيضا فى معظم المراجع العربية الحديثة التى تكلمت عن عمارة مصر الإسلامية، وصفوة ما جاء فى هذه المراجع أنه فى أحد شقيه تكرر لما أورده المصادر العربية فى هذا الصدد مما سبقت الإشارة إليه، وفى شقة الآخر إضافة وتفسيرات لبعض ما ذكر فى هذه المصادر بما لا يخرج فى شئ عما أشير إليه^(٢٨٠).

٤ - موظفو الخانقاة :

كانت المصادر العربية المتعلقة بالتراجم هى المصدر الرئيسى الذى استقيناه منه كم المعلومات الهائل عن وظائف هذه الخانقاة، وقد تيسر لنا ذلك من خلال ما أورده تلك المصادر عما شغله من ترجمت لهم من وظائف مختلفة أثناء حياتهم، وقد استطعنا أن نقف فى هذا الصدد على العديد من الشخصيات التى وليت وظائف هذه الخانقاة، وتبعاً لما أمكن الحصول عليه من هذه التراجم فإنه يمكن تقسيم هذه الوظائف إلى قسمين رئيسيين أولهما مجموعة الوظائف الدينية وتشمل شيوخ الخانقاة وأئمتها ونوابها، ومدرسوا الحديث ومعيدوه، وقارئى الصفة، وشيخ الرباط وإمامة الصوفية، وثانيهما مجموعة الوظائف الخدمية وتشمل كاتب الغيبة والمؤذن والصراف والخادم.

أ - مجموعة الوظائف الدينية :

اشتملت هذه المجموعة من الوظائف الدينية - كما قلنا - على شيوخ الخانقاة وأئمتها ونوابها، بالإضافة إلى مدرسى الحديث ومعيديه وقارئى الصفة، وشيخ الرباط وإمامه، وفيما يلى عرض لبعض ممن أمكن الوقوف عليهم فى هذا الصدد:

١ - شيوخ الخانقاة وأئمتها ونوابها:

أمدنا كل من ابن حजर العسقلاني وابن تغرى بردى وابن الصيرفى فى القرن (٩هـ / ١٥م) وكذا السخاوى فى القرن (١٠هـ / ١٦م) بكثير من التراجم الهامة لبعض شيوخ هذه الخانقاة فكان ممن ذكرهم ابن حرأبو بكر بن اسماعيل بن عبد العزيز مجد الدين الزنكلونى الفقيه الشافعى وقال أنه اعتنى بالفقه ومهر فيه وولى مشيخة الخانقاة البيبرسية ودرس بالمسروية وغيرها ومات فى ربيع الأول (٧٤٠هـ)^(٢٨١)، وضياء بن سعد الله بن محمد بن عثمان القرمى قاضى القرم العقيقى الفقيه الشافعى الذى قدم القاهرة وحظى عند الأشرف شعبان وولى مشيخة البيبرسية بعد الرضى فى سنة (٧٦٧هـ)^(٢٨٢)، وعثمان بن سليمان بن رسول بن يوسف بن خليل بن نوح المكرادى (نسبة إلى قبيلة من التركمان) قدم القاهرة فى دولة الأشرف شعبان وتعرف ببرقوق قبل السلطنة، فلما تسلطن جعله إمامه وولاه قضاء العسكر ومشيخة البيبرسية ومات فى ربيع الآخر سنة (٧٩١هـ)^(٢٨٣).

ومن ذكرهم ابن تغرى بردى أحمد بن على بن محمد بن على بن أحمد قاضى القضاة وشيخ الإسلام حافظ العصر ومفتى الفرق وأمير الحديث، شهاب الدين أبو الفضل الشهير بابن حجر الكنانى العسقلانى الأصل المصرى المولد والمنشأ والدار والوفاء الشافعى، ولد فى الثانى والعشرين من شعبان سنة (٧٧٣هـ) وقرأ عليه غالب فقهاء مصر وأملى بخانقاة بيبرس نحواً من عشرين سنة ثم تنزه عن ذلك وتولى مشيخة البيبرسية فى دولة الملك المؤيد وصار إذ ذاك من أعيان العلماء^(٢٨٤).

ومن ذكرهم ابن الصيرفى الشيخ سرى الدين عبد البر بن الشحنة المالكى الذى أشار إليه فى ذكره لحوادث الحرم سنة (٨٧٥هـ) وقال أنه «كان باسمه تصوف بمدرسة جمال الدين وآخر بمدرسة بيبرس الجاشنكير وكان يرمى بأنه شيعى وكان يعرف التجارة والحدادة ويصنع الاسفيداج وغير ذلك من الصنائع»^(٢٨٥).

أما من ذكرهم السخاوى فى القرن (١٠هـ / ١٦م) فمنهم بالإضافة إلى ابن حجر العسقلانى أحمد بن على بن يعقوب الشهاب بن الشمس القاياتى الأصل القاهرى الشافعى الذى

ولد بالقاهرة سنة (٨٢٦هـ) فحفظ وقرأ وعرض واختص بمشيخة البيبرسية إلى أن مات في صفر سنة (٨٧٩هـ)^(٢٨٦)، وحسن بن محمد بن حسن بن إدريس بن علي بن عيسى مبط الشريف النسابة الذي ولى مشيخة هذه الخانقاة عشر سنين وجرت له مع صوفيتها منازعات حتى ثاروا عليه لسؤ سيرته فيهم فعزل عنهم ثم أعيد لهم حتى مات في شوال سنة (٨٠٩هـ)^(٢٨٧)، وعبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن جابر أبو زيد الحضرمي من ولد وائل بن حجر الإشبيلي الأصل التونسي ثم القاهري المالكي المعروف بابن خلدون، ولد في أول رمضان سنة (٧٣٢هـ) بتونس ومات فجأة في يوم الأربعاء لأربع بقين من رمضان سنة (٨٠٨هـ) عن ست وسبعين سنة ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر وكان كما يقول السخاوي «قد ولى مشيخة البيبرسية وقتاً»^(٢٨٨).

وإن دلت هذه السلسلة من شيوخ الخانقاة على شيء فإنما تدل على ما كان لها من عظمة المكانة وجلالة القدر، وبكفيها فخراً أنها كانت محل تدريس كثير من عظماء العصر الشافعية أمثال الزنكلوني والقرمي وابن حجر والقاياتي، كما كانت محل تدريس كثير من عظماء العصر المالكية أمثال ابن الشحنة وابن خلدون وغيرهما.

أما عن نواب مشيخة هذه الخانقاة وأئمتها، فقد ذكر لنا منهم السخاوي حسن بن محمد بن أيوب بن حصن النسابة بن إدريس القاهري الشافعي الذي عرف بالشريف النسابة ولد في أواخر سنة (٧٦٧هـ) بالقاهرة «وولى النيابة في مشيخة هذه الخانقاة وغيرها حتى مات في صفر سنة (٨٦٦هـ)^(٢٨٩)، وأحمد بن عباس بن أحمد بن عمر المناوي (نسبة لنية مسود بالمنوفية) الأزهرى الشافعي قال عنه السخاوي «وناب في إمامه البيبرسية ثم استقل بإمامه سعيد السعداء ولازم ابن الصيرفي وقرأ عليه في البرقوقة حين استقر في التفسير بها»^(٢٩٠).

٢ - مدرسو الحديث ومعيدوه :

أفادنا كل من ابن حجر والسخاوي وابن العماد فيما بين القدينين (٩ - ١١هـ / ١٥ - ١٧م) ببعض تراجم من تولوا تدريس الحديث وإعادته بهذه الخانقاة، فكان ممن ذكرهم ابن حجر في هذا الصدد محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن حاتم الأنصاري الذي ولد في رجب سنة (٧١٨هـ) فدرس وتعلم إلى أن خطب بعد أبيه بجامعة الرقعة ثم درس الحديث بالقبة البيبرسية

حتى مات في ذى القعدة سنة (٧٩٣هـ)^(٢٩١)، ومحمد بن عبد اللطيف بن أحمد بن أبي الفتح بن الكويك الربعى التكريتى الذى صاهر عز الدين بن جماعة وناب عنه ثم باشر نظر الأحباس ودرس بقبة بيبرس للمحدثين حتى وفاته في رمضان سنة (٧٦٩هـ)^(٢٩٢).

وكان ممن ذكرهم السخاوى: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن إبراهيم بن أبى بكر بن أبى زرعة الكردي الأصل المهرانى القاهرى الذى عرف كأبيه بابن الصيرفى، ولد في ذى الحجة سنة (٧٦٢هـ) ودرس الحديث بالبيبرسية حتى مات مبطونا شهيدا في شعبان سنة (٨٢٦هـ) ودفن بجوار والده في قبة طشتمر بالصحراء^(٢٩٣)، على بن عبد الرحمن بن أحمد الرشيدي القاهرى الشافعى الذى لازم البلقينى والدميرى ودرس بعده الحديث بقبة بيبرس إلى أن مات في رجب سنة (٨١٣هـ)^(٢٩٤) وفي هذا ما يشير صراحة إلى أن السخاوى أيضا كان ممن درس الحديث بالقبة البيبرسية بعد الرشيدي والدميرى، يدل على ذلك قوله «درس بعده» (أى بعد الدميرى الحديث بقبة بيبرس ودرست بعده بالقبة) والحديث هنا على لسان المتكلم وهو السخاوى رحمه الله، عبد الحق بن محمد بن الشمس السنباطى ثم القاهرى الشافعى أخو أمين الحكم بسنباط الذى عرف كأبيه بابن عبد الحق، قال عنه السخاوى ولد في إحدى الجمادين سنة (٨٤٢هـ) وولى تدريس الحديث بالقبة البيبرسية^(٢٩٥).

أما معيدو الحديث بهذه الخانقاة فلم نعثر منهم إلا على ترجمة ذكرها ابن حجر تختص بأبى بكر بن يوسف النسائى زين الدين المصرى خادم الشيخ بهاء الدين بن خليل قال عنه «كان معيدا في الحديث بقبة بيبرس ومات سنة أربع وتسعين» (وثمانمائة)^(٢٩٦).

٣ - قارئ الصفة :

الواقع أننا لم نعثر من قراء صفة هذه الخانقاة إلا على ترجمتين ذكرهما السخاوى أولاها ما هي ترجمة أحمد بن محمد بن على بن حسن بن إبراهيم الزكى الذى عرف بالشهاب الحجازى، ولد في شعبان سنة (٧٩٠هـ) بالقاهرة وأكثر الحضور في صفوه عند الكمال الدميرى يدرس الحديث في البيبرسية ثم تنزل في صوفية السعيدية والبيبرسية وكان قال السخاوى أحد قراء الصفة بهما حتى مات في رمضان سنة (٨٧٥هـ) ودفن بترية تجاه الناصرية فرج^(٢٩٧)، أما الثانية

فهى ترجمة إسماعيل المجد خطيب جامع المقس وأحد قراء الصفة بالبيبرسية، كان خيرا حسن التلاوة مات فى ذى الحجة سنة (٨٥١هـ) (٢٩٨).

٤ - شيخ الرباط وإمامه :

لقد وقفنا فيما كتبه السخاوى من تراجم تتعلق بمشيخة رباط البيبرسية على ترجمتين لشيخين هما إبراهيم بن سليمان بن عبد الرحمن السرائى الذى عرف بإبراهيم شيخ «ولى مشيخة الرباط بالبيبرسية وكان خيرا دينا مات فى ربيع الأول سنة اثنتين وثمانمائة» (٢٩٩)، وإبراهيم بن على بن عمر بن حسن بن النور التلوانى الأصل (نسبة إلى تلوانة بالمنوفية) القاهرى الشافعى، ولد سنة (٨١٢هـ) بالقاهرة «وول مشيخة الرباط بالبيبرسية وتنازل عنها بآخره فى سنة تسع وثمانين لعبد القادر بن النقيب، مات فى سنة سبع وتسعين» (٣٠٠).

أما فيما يتعلق بتراجم إمامة الرباط فقد ترك لنا نفس المؤرخ ثلاث تراجم أولاها هى ترجمة إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن بن عوض الطنتدائى الأصل الشافعى الذى كان بيده نصف إمامة الرباط بالبيبرسية حتى مات قريبا من سنة ثمانين (وثمانمائة) (٣٠١)، وثانيها هى ترجمة أخو المتقدم عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن عوض الطنتدائى الأصل القاهرى الشافعى، قال عنه السخاوى «كان شيخا ذا فهم وحسن عشرة من صوفية البيبرسية بل هو إمام الرباط بها يتكسب من صناعة الحرير مات فى المحرم سنة سبع وسبعين ودفن من الغد بحوش البيبرسية» (٣٠٢). أما الثالثة فهى ترجمة عبد المغيث بن عبد الرحيم بن أحمد بن السنقرى الشافعى سبط البرهان الشنهورى الذى عرف بابن الفرات، ولد فى جمادى الآخرة سنة (٨٣٤هـ) بالقراسنقرية واستقر فى إمامة الرباط بالبيبرسية (٣٠٣).

٥ - صوفية الخانقاة ونزلاتها :

حفظت لنا المصادر العربية ولا سيما ما كتبه ابن حجر والمقريزى والسخاوى وعلى باشا مبارك تراجم بعض صوفية هذه الخانقاة، فكان ممن ذكرهم ابن حجر محمد بن على بن إبراهيم الواسطى الواعظ الأديب بن نور الدين أحد الصوفية بالبيبرسية مات فى رجب سنة

(٧٧٧هـ) (٣٠٤)، ومن ذكرهم السخاوي أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن هاشم الشهاب المحلى القاهري ولد قبل الخمسين وسبعمائة وسمع على القلانسي وأجاز له ابن سالم الغزى وكان أحد الصوفية بالبيبرسية ويكتسب بالشهادة فى بولاق، مات فى شعبان سنة ست وتسعين (وثمانمائة) (٣٠٥)، أحمد بن محمد بن أحمد بن شهاب الدين المسيرى القاهري الشافعى الذى عرف بابن حذيفة، قدم القاهرة فاشتغل بالفقه والعربية وتردد لبعض الشيوخ، وكان صوفيا بالصلاحية والبيبرسية، مات فى سنة خمس وسبعين (وثمانمائة) بالطور راجعا من مكة بعد أن حج (٣٠٦)، إسماعيل بن عبد الخالق بن عبد المحيى بن الإمام سراج الدين السيوطى القاهري الشافعى كان شيخا وقورا كثير التلاوة يتكسب بالشهادة، صوفيا بالبيبرسية مات فى المحرم سنة تسع وثلاثين (وثمانمائة) (٣٠٧)، محمد بن إبراهيم بن أحمد بن هشام بن البرهان الأنصارى المحلى ثم القاهري، ولد سنة (٧٣٠هـ) بالمحلة وقدم منها فنزل بخلوة فى الخانقاة البيبرسية مجاورة للمزملة عند الباب على يمين الداخل ودامت معه ثم مع بنيه مدة مائة وعشرين سنة (٣٠٨).

وقد ذكر المقرئى فى القرن (٩هـ / ١٥م) أنه قرر فى هذه الخانقاة لما كملت فى سنة تسع وسبعمائة (٧٠٩هـ / ١٣٠٩م) أربعمائة صوفى وبالرباط مائة جندي، وجعل بها مطبخا يفرق على كل منهم اللحم والطعام فى كل يوم، بالإضافة إلى ثلاثة أرغفة من خبز البر وجعل لهم الحلوى، وقد أدركها المقرئى قائمة عاملة حين قال «وقد أدركتها لا يمكن بوابها غير أهلها من العبور إليها والصلاة فيها لما لها فى النفوس من المهابة، ويمنع الناس من دخولها حتى الفقهاء والأجناد، وكان لا ينزل بها أمرد، وفيها جماعة من أهل العلم والخير وقد ذهب ما هنالك فتتزل بها اليوم (أى على عهده) عدة من الصغار ومن الأساكفة وغيرهم من العامة إلا أن أوقافها عامرة وأرزاقها دائرة بحسب نقود مصر» (٣٠٩).

ثم جاء على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ / ١٩م) وكرر ما ذكره المقرئى قبله بأربعة قرون من الزمان فيما يتعلق ببوابها وعدد صوفيتها وسكان رباطها من الجنود وأبناء السبيل، وما كان يعمل فى مطبخها، إلا أنه أضاف أن هذا المطبخ كان قد تعطل لما شرقت أراضى مصر فى أيام الأشرف شعبان (٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) وصرف لصوفيتها بدل طعام إلى أن بطل الخبز منه

أيضا عندما قصر ماء النيل سنة (٧٩٦هـ) فأخذ الصوفية عوضا عنه فلوما من نقد مصر^(٣١٠).

وقد شرط الواقف أن تكون خلوات الصوفية بالخانقاة سكنا لمن يختار من المتأهل منهم والمتجرد والمقيم والمختار بحيث لا يكون منهم ولا من أهل الرباط من يخدم عند الأمرا أو نحوهم.

هذا فيما يتعلق بصوفية الخانقاة، أما فيما يختص بنزلاتها فلم نعر منهم إلا على من ذكرهم السخاوى فى القرن (١٠هـ / ١٦م) وهم إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن حافظ الشهاب العربانى القاهرى الشافعى، ولد فى جمادى الآخرة سنة (٧٩١هـ) بالقاهرة وولى مشيخة العلائى طييفا الطويل المعروفة بالطويلة بالصحراء وظيفة أبيه وجده وتنزل فى صوفية البيبرسية وغيرها ومع ذلك كان يجاهر بالمعاصى ويسرف فى الخمر حتى سقط فى البحر وهو لمل فى رجب سنة (٨٥٢هـ)^(٣١١) ففرق، إبراهيم بن محمد بن مسعود بن سابق البرهمتشى القاهرى الشافعى أحد أصحاب الغمرى الذى عرف بابن سابق ولد سنة (٨١٠هـ) وتحول إلى القاهرة سنة (٨٤٥هـ) فأقبل عليه الظاهر جقمق لبركته وقرر له معلوما فى الجوالى، قرأ على السخاوى ولازمه كثيرا وتنزل فى صوفية الصلاحية والبيبرسية وغيرهما حتى مات فى شوال سنة (٨٨١هـ) ودفن بحوش الصلاحية^(٣١٢).

ومنهم أيضا أحمد بن محمد بن إبراهيم بن على الشهاب أبو زرة بن البرهان البيجورى الأصل القاهرى الشافعى، ولد فى أيام التشريق سنة (٨٢٠هـ) فحفظ ودرس وأخذ الطب عن الزيد بن الجزرى والميقات عن الشمس الطنتدائى نزيل البيبرسية قال السخاوى عنه «وهو بمن صحبته قديما وسمع بقراءتى وراجعتى فى كثير من الأحاديث ونعم الرجل توددا وتواضعا»^(٣١٣) أحمد بن محمد بن الصدر بن الصلاح الأنصارى القاهرى الشافعى الذى عرف بابن صدر الدين ولد سنة (٧٩٥هـ) فحفظ وقرأ وتفقه وتنزل بالبيبرسية وتكسب بالشهادة فى حانوت بباب القوس داخل باب القنطرة، مات فى رمضان سنة (٨٨٤هـ) ودفن بحوش البيبرسية^(٣١٤)، إسماعيل الرومى الشافعى الصوفى الطيب نزيل البيبرسية الذى عرف بكردئس لكونه كان أعوج الرقة كان صوفيا عفيفا ماهرا بالطب مات فى شوال سنة (٨٣٤هـ)^(٣١٥)، حسن بن على بن محمد البدر المناوى ثم القاهرى الأزهرى المرجوشى الشافعى ولد سنة (٨١٣هـ) بمنية صافور بالشرقية وقدم القاهرة فلازم وقرأ وأخذ وسمع «متقننا بمعلومه فى البيبرسية والجمالية وما لعله يصل إليه من

المبرات^(٣١٦)، داوود بن محمد بن علي القلتاوى الأزهرى المالكي ولد بقلتا بالمنوفية وقدم القاهرة فقلطن الأزهر وحفظ ثم تنزل في البيبرية وسعيد السعداء وغيرهما^(٣١٧).

أما عن دفناء الخانقاة فقد ترك لنا كل من ابن حجر والسخاوى في القرنين (٩ - ١٠هـ / ١٥ - ١٦م) تراجم بعض منهم، لعل من أبرزهم أحمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوى ابن المؤرخ المعروف، وقد مات بالطاعون في جمادى الآخرة سنة (٨٦٤هـ)^(٣١٨) وتقول بعض المراجع العربية الحديثة أن من دفناء قبة هذه الخانقاة الشيخ محمد أمين البغدادي ثالث شيوخ الطريقة العلية النقشبندية المتوفى سنة (١٣٥٨هـ) وكان آخر من أقاموا من الصوفية بهذه الخانقاة^(٣١٩).

ب - مجموعة الوظائف الخدمية :

قلنا أن مجموعة الوظائف الخدمية التي أمكن الوقوف عليها مما كان منها بالخانقاة البيبرية تشتمل على كاتب الغيبة والمؤذن والصراف والخدام، وفيما يلي عرض لتراجم بعض ممن أمكن التعرف عليهم من هؤلاء وأولئك.

١ - كاتب الغيبة :

ترك لنا السخاوى من تراجم كتاب غيبة هذه الخانقاة ترجمتين أولاهما هي ترجمة أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الغنى بن شاكر بن القاضى مجد الدين بن فخر الدين القاهرى الشافعى الذى عرف بابن الجيعان، تخرج في المباشرة وياشر الكتابة في الخانقاة البيبرية حتى مات في ذى القعدة سنة ثمان وثمانين (وثمانمائة) واستقر بعده أخوه عبد الرحيم خاتمة أبيه^(٣٢٠)، أما الثانية فهي ترجمة أحمد بن محمد بن أحمد بن راهب شهاب الدين القاهرى الذى عرف بالدييب، ولد في جمادى الأولى سنة (٧٦٧هـ) وياشر النقابة في بعض الدروس وكتابة الغيبة بالخانقاة البيبرية إلى أن مات في ربيع الأول سنة (٨٤٧هـ)^(٣٢١).

٢ - المؤذن :

لم نعر فيما يتعلق بوظيفة الأذان بالبيبرية فيما أمكن الاطلاع عليه من كتب التراجم إلا على ترجمة واحدة تخص عثمان بن حسين الجزيرى القاهرى الحنبلى المؤذن بالبيبرية والخياط

على بابها كان خيرا محبا للعلم وأهله، سمع على السخاوى بعض المجالس فى شرحه لصحيح مسلم ومات قريب الثمانين^(٢٢٢)، وهكذا يكون الإسلام الذى دعى إلى إقران الدين بالعمل وليس إلى إقرانه بالدعة والكسل، فهو مؤذن الخانقاة وخياط على بابها وهو ما فعله عبد الرحمن بن عوض من إمامة الرباط والتكسب من صناعة الحرير.

٣ - الصراف :

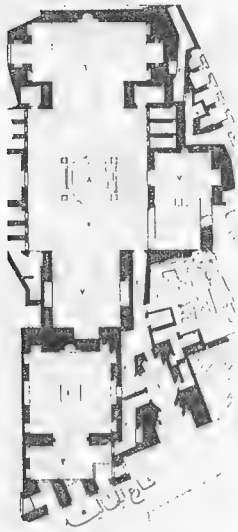
لم نعر فيما يتعلق بهذه الوظيفة من وظائف البيبرسية أيضا إلا على ترجمة واحدة ذكرها السخاوى هى ترجمة أحمد بن أبى بكر حسين شهاب الدين القاهرى الصيرفى الذى عرف بابن حُيَّنة، حفظ القرآن واستقر فى الصرف بالبيبرسية وغيرها، أقام فى الترسيم نحو ست سنين وأهين بالضرب وقاسى ذلا بعد عز استمر كذلك حتى مات فى رمضان سنة أربع وثمانين ودفن بحوش البيبرسية^(٢٢٣).

٤ - الخادم :

آخر الوظائف الخدمية التى أمكن الوقوف عليها فيما يتعلق بهذه الخانقاة هى وظيفة الخادم، وقد ترك لنا السخاوى فيما يخصها ترجمتين أولاها هى ترجمة أحمد بن حسن بن محمد بن سليمان بن عبد الله الشهاب أبو العباس البطائحي المصرى الشافعى نزىل القاهرة، ولد فى رمضان سنة (٧٣٠هـ) وسمع السنن من الخلاطى واستقر فى خدمة البيبرسية حتى مات بها سنة عشر (وثمانمائة)^(٢٢٤) أما الثانية فهى ترجمة على بن محمد بن عمر بن أحمد البطائحي القاهرى الحنبلى كان جده السراج عمر خادم البيبرسية قبل الجنيد ووالده الشهاب أحمد شيخ الرباط بها قبل التلوانى^(٢٢٥).

٥ - وصف الخانقاة : (أنظر لوحة : ٧)

تقع هذه الخانقاة بشارع الجمالية تجاه درب الأصفر بين المدرسة القراسنقرية وحوش عطى، وتقوم على مساحة مستطيلة غير منتظمة طولها (٦٨) متر وعرضا (٢٩,٥٠) مترا، ولها واجهة رئيسية من جزأين يبرزان عن بعضهما بمقدار (٣,١٥) متر، وتطل هذه الواجهة على



جدول

| | |
|---|----------------------------------|
| ■ | بناء من تاريخ الاثر |
| □ | اجزاء تغيرت فى الاثر |
| ▨ | بناء مسجد |
| ▩ | محلات سكن |
| ١ | مدخل |
| ٢ | طرقة |
| ٣ | دركة الضريح |
| ٤ | الضريح |
| ٥ | الصحن |
| ٦ | الليوان الشرقى (مفقود) |
| ٧ | الونه |
| ٨ | حنفيه مستجده ومستعمله الآن للضوء |
| ٩ | ساقية |

خانقاة السلطان بيبرس بشارع الجمالية بالقاهرة
 لوحة ٧ : الخانقاة الجاشنكية (بيبرس) - أثر رقم ٣٢
 (٧٠٦ - ٧٠٩ هـ / ١٣٠٦ - ١٣٠٩ م) - مسقط
 أفقى (عن لجنة حفظ الآثار العربية)

الناحية الغربية بطول

(٢٩٥٠) متر، أما الواجهة

الفرعية فتطل على الناحية

الشمالية بطول (٦٨) متر.

الواجهة الرئيسية

والمدخل :

فى الركن الجنوبي

من الواجهة الرئيسية يقع

المدخل داخل دخلة عمقها

(٤٣٠) متر وعرضها

(٥٨٠) متر يعلوها عقد

نصف دائرى تزينه من داخل العقد وخارجه زخارف عبارة عن مخدات متلاصقة، وخلف العقد يوجد سقف هذه الدخلة وهو عبارة عن عروق خشبية يحيط به من أعلا الجدران إزار من الخشب، وتشتمل دخلة المدخل الفريدة المبتكرة على حنيتين متتاليتين: الخارجية عمقها (٢٤٥) متر وسعتها (٥٩٥) متر يعلوها عقد نصف دائرى ذو صنجات تتألف من مخدات متجاورة، أما الحنية الداخلية فعمقها (١٦٥) متر وسعتها (٣١٥) متر تغطيها نصف قبة مدببة محمولة على مقرنصات ركنية وبها المدخل وهو عبارة عن فتحة عرضها (٢١٥) متر تكتنفها مكسلتان رخاميتان طول كل منهما (١١٥) متر وعرضها (٤٠) متر يزيناها إفريز رخامى بارز، وفى هذه الفتحة باب خشبى ذو مصراعين مصفحين بالنحاس زخارف كل منهما تشبه الأخرى وتتألف من طبقين نجميين كبيرين، يحيط بهما من أعلى ومن أسفل طبقان نجميان صغيران، كما يوجد بينهما طبقان نجميان آخران، وعلى الجوانب توجد أجزاء من أطباق نجمية (انظر لوحة ٨)، ويحيط بهذه الزخارف فى كل من المصراعى جفت بارز تتخلله على أبعاد منتظمة ميمات دائرية، هذا وفى أعلا وأسفل المصراعين يوجد شريطان كتابيان كتابتهما بخط النسخ وتقوم على أرضية من زخارف نباتية نصها: «أمر بإنشاء هذه الخانقاة السعيدة من فيض الله وجزيل إحسانه لجماعة

الصوفية العبد الفقير ركن الدين يبيرس المنصوري راجيا بذلك عفو مولاه وغفرانه»^(٢٢٦) (أنظر شكل: ١٤).

ويعلو هذا المدخل عتب من صنجات حجرية مزورة على شكل زخرفى مكرر من ورقة نباتية ثلاثية، ويحدد هذا العتب إفريز حجرى بارز ويتوسطه من أعلا نافذة مربعة الشكل بها أرماع ومخزرات حديدية، يعلوها شريط من كتابات نسخية بيضاء نقشت على أرضية سوداء نصها:

«فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار»^(٢٢٧).

ويعلو هذا الشريط قمرية دائرية إطارها عبارة عن صنجات مزورة تتبادل اللونين الأبيض والأسود مكونة شكلا مكررا لورقة ثلاثية، ويتوج هذه الدخلة عقد نصف دائرى تزيته فى الجانبين أربع حطات من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا، ويعتبر هذا المدخل من المداخل الفريدة فى آثار القاهرة لأنه يتكون من عقد ثلاثى القصوى بداخله حنيتان يعلوها عقد نصف دائرى مرتفع يتألف من صنجات مزورة.

وعلى جانبيه هذا المدخل يوجد شكلان متشابهان كل منهما عبارة عن شكل محراب عرضه (٦٥ ر) متر وعمقه (٢٥ ر) متر يكتنفه عمودان دائريان لكل منهما قاعدة رمانية وتاج على شكل ورقة الأكائس، ويحمل هذان العمودان عقدا مديا زخرف بأشرطة بيضاء وسوداء بالتبادل، نقش فى وسط طاوية المحراب الأيمن بفصوص رخامية بيضاء على أرضية سوداء لفظ الجلالة «الله» وفى المحراب المقابل كلمة «الواحد».

أما الحنية الخارجية من دخلة المدخل فعلى جانبيها أيضا شكلان متشابهان كل منهما عبارة عن حنية ذات عقد نصف دائرى عرضها (٥٠ ر) متر وعمقها (٤٠ ر) متر تغطيها طاوية مقعرة، وقد نقش فى وسط طاوية الحنية اليسرى منهما كلمة «القهار» أما الكلمة التى كانت منقوشة فى طاوية الحنية اليمنى فقد ضاعت ولم يعد لها وجود، ويغلب على الظن أن كلمات هذه الحنايا الأربع كانت تقول «بسم الله الواحد القهار» وأنه كان لكل حنية من هذه الحنايا وسيلة

للسقاية.

كذلك نجد في زاويتي دخلة الحنية الداخلية عمودان أشبه بالأعمدة التي تكتنف المحرابين على جانبي المدخل، وفوق عقود هذه الدخلات التي على شكل المحاريب يوجد إزار غائر نقشته فيه كتابات نسخية بيضاء على أرضية سوداء نصها «بسم الله الرحمن الرحيم، أدخلوها بسلام آمنين، ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين، لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين، نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم» (٢٢٨).

وعلى امتداد شريط الكتابات الثاني أسفل المقرنصات بالقسم الخارجي من هذه الدخلة يمتد إزار كتابي آخر من الكتابة النسخية البارزة بامتداد الواجهة كلها بدءاً من مسافة (٢ر٥٠) متر خلف الجانب البارز من المدخل مجتازاً حنية المدخل نفسه ومتجاوزاً لها حتى الجانب الشمالي الغربي للضريح في جزء منقوش في الرخام فيما يعلو حنية المدخل وجزء منقوش في الحجر في باقيه نص هذا الشريط يقول:

«بسم الله الرحمن الرحيم. في بيوت الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، يخافون يوماً تنقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله، والله يرزق من يشاء بغير حساب» (٢٢٩) «أمر بإنشاء هذه الخانقاة السعيدة وقفا مؤبداً على جماعة الصوفية من فيض فضل الله تعالى وجزيل إحسانه راجياً بذلك عفوه وغفرانه العبد الفقير إلى الله تعالى ركن الدين (٢٣٠) بيبرس المنصوري عبد الله والفقير إليه الراجي رحمته يوم القدوم عليه ضاعف الله ثوابه وزكى أعماله ويسر له أسباب ما نشط إليه من المعروف بأماله بمنه وكرمه وأفضاله وصلى الله على سيدنا محمد ومن المرجح أنها كانت تشمل على «السلطان الملك المظفر» وهي الكلمات التي أمر بمحوها الناصر محمد حتى لا يعترف له بصفة الملك (٢٣١).

الواجهة الفرعية:

على يسار حنية المدخل تمتد الواجهة الفرعية ناحية الشمال بطول (٥ر٦٥) متر ثم تنكسر ناحية الغرب إلى مسافة (٣ر١٠) متر حيث نجد في انكسارها الأول تحت وفوق شريط الكتابات

التأسيسية نافذتان مستطيلتان بهما مصبعت خشبية متقاطعة، أما الانكسار الثاني فيه شبك مستطيل به أرماع ومخزوات نحاسية عرضه (١ر٣٠) متر يقع داخل دخلة عمقها (٣٥ر) متر وعلوه عتبان حجريان من صنجات مزورة بهما طيلة عقد خالية من الزخارف، ثم يعلو هذه الأعتاب شريط الكتابة التأسيسية المشار إليه، وفوقه نافذة مستطيلة بها مصبعت من خشب الخرط، وتنتهى هذه الدخلة بعقد ثلاثي القصوى يزين باطنها مقرنصات من ثلاث حطات مقعرة ذات دلايات.

ثم تنكسر الواجهة انكسارها الثالث والأخير المتجه ناحية الشمال إلى مسافة (١٥ر٩٠) متر ويوجد في واجهة هذا الجزء ثلاث دخلات متشابهة تماما عمق الجنوبية (٣٥ر) متر وعرضها (١٠ر٢) متر وعمق الوسطى (٣٥ر) متر وعرضها (٥٥ر٣) متر أما الشمالية فمقاساتها هي نفس مقاسات الدخلة الأولى (الجنوبية) وتبدأ كل دخلة منها من أسفل بشباك مستطيل الشكل به أرماع ومخزوات نحاسية يعلوه عتب من صنجات مزورة فوقه عقد عائق به طيلة عقد غير مزخرفة، ويلى هذه الأعتاب من أعلى شريط الكتابة التأسيسية ثم نافذة مستطيلة بها مصبعت خشبية متقاطعة، وتنتهى الدخلة من أعلا بمقرنصات مقعرة ذات دلايات في الدخلتين الأولى والثالثة، وبمقرنصات مضلعة ذات زوايا في الدخلة الوسطى، ويتوج تلك الواجهة شرافات مسننة أما قاعدة كل دخلة من أسفلها فهي منحدرية إلى أسفل وغير مستوية.

دركاة المدخل :

يفضى المدخل الرئيسى إلى دركاة مستطيلة الشكل طولها (٥ر٣٠) متر وعرضها (٨٠ر٣) متر تغطيها قبة ضحلة تقوم على أربع مثلثات كروية مقعرة فرشت أرضيتها بدوائر من الرخام الملون فى صدرها مصطبة عرضها (٧٠ر٢) متر وعمقها (٤٠ر١) متر وارتفاعها (٩٠ر) متر يعلوها عقد نصف دائرى فى جدارها الشرقى شبك مستطيل عرضه (١٠ر١) متر وعمقه (٥٢ر١) متر به أرماع ومخزوات حديدية وتعلوه داخل العقد نافذة مستطيلة بها مصبعت خشبية متقاطعة.

وفى جدارها الجنوبى يوجد بابان متشابهان عرض كل منهما (٨٠ر) متر يعلوه عقد مدبب، يؤدى الشرقى إلى حاصل يتكون من جزأين مستطيلين يغطى أولهما أقبية متقاطعة ويغطى ثانيهما قبة نصف برميلي، وكان موضع هذا الحاصل على ما يبدو ممرا يفضى إلى الرباط، أما

الباب الغربى من هذين البابين فيؤدى إلى سلم المنارة، كذلك ففى جدار هذه الدركاة الشمالى بابان آخران الغربى منهما عرضه (١٢٠) متر وعلوه عقد مدبب يؤدى إلى ممر منكسر يتجه انكساره الأول ناحية الشمال وهو انكسار سماوى غير مسقوف ويصعد منه بثلاث درجات إلى انكساره الثانى المستطيل وطوله (٥٣٠) متر وعرضه (١٨٥) متر ويفطيه قيو نصف برميلى، وفى نهاية الجدار الجنوبى لهذا الانكسار الثانى توجد مصطبة عبارة عن دخلة عمقها (٩٠) متر وعرضها (٢) متر يعلوها عقد نصف دائرى من صنجات حجرية مزروعة، ثم ينكسر الممر فى اتجاهه الثالث ناحية الشمال إلى مسافة (١١٠) متر، وهذا الانكسار عبارة عن دخلة ذات عقد نصف دائرى بصدرها باب عرضه (١٣٠) متر يؤدى إلى منطقة مستطيلة طولها (١١٥٠) متر وعرضها (٤٨٠) متر يفطيه سقف من كتل خشبية فى وسطه خشبيخة مستطيلة ويحيط بأعلا الجدران أسفل هذا السقف إزار خشبى كانت تزينه - كما فى السقف - زخارف ملونة لم يبق منها إلا بعض الآثار التى تدل عليها^(٣٣٢).

وفى جدارها الجنوبى يوجد الشباك المستطيل الذى سبق وصفه عن الحديث عن الانكسار الثانى للواجهة الرئيسية، أما جدارها الغربى فيه ثلاثة شبايك ذات أوضاع منحرفة سبقت الإشارة إليها أيضا عند وصف الانكسار الثالث والأخير للواجهة، وفى جدارها الشمالى دخلتان متشابهتان عرض كل منهما (١٣٠) متر وعمقها (٦٠) متر يعلوها عتب من صنجات حجرية مزروعة، فوقه عقد عائق بينهما طبلية عقد غير مزخرفة.

أما جدارها الشرقى فيه فتحة عرضها (٥٢٠) متر يعلوها عقد مدبب يقوم على عمودين رخامين لكل منهما قاعدة وناج متشابهين على شكل كمثرى، ويحدد عقد هذه الفتحة جفت حجرى لآعب، ولهذه الفتحة واجهة خشبية من خشب الخرط المتقاطع تعلوها حشوة زخرفية قوام زخارفها عناصر نباتية لأوراق ثنائية وثلاثية وأنصاف مراوح نخيلية، ويتوسطها مدخل عرضه (١٣٥) مت يعلوه عقد مدبب على جانبيه وحدات زخرفية نباتية لأوراق وأنصاف مراوح نخيلية، وعلو العقد شريط من كتابات نسخية نصها:

«وافق الفراغ من هذه القبة والخانقاة فى شهر شعبان المعظم سنة تسع وسبعمائة»

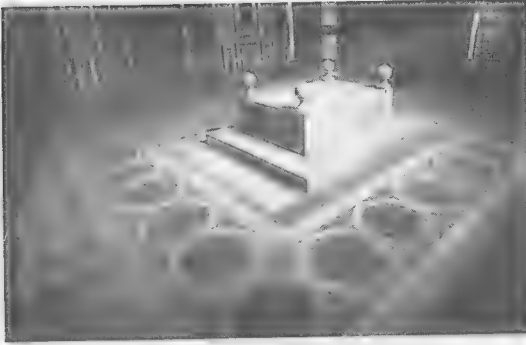
وأعلى هذا الشريط الكتائى توجد لوحة كتابية ذات كتابات نسخية من أربعة أسطر نصها:

١ - بسم الله الرحمن الرحيم إن المتقين فى مقام أمين، فى جنات وعيون، يلبسون من سندس.

٢ - واستبرق متقابلين، كذلك وزوجناهم بحور عين، يدعون فيها بكل فاكهة آمنين، لا.

٣ - يدعون فيها الموت إلا الموتة الأولى، ووقاهم عذاب الجحيم، فضلا من ربك ذلك هو الفوز.

٤ - العظيم، فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب إنهم مرتقبون» (٣٢٣).



القبة الضريحية: (أنظر: شكل ١٤)

شغلت هذه القبة واجهة الخانقاة

بكاملها ويؤدى إليها المدخل الخشبي المشار إليه بالجدار الشمالى للدركاة، وهى عبارة عن حجرة مربعة طول ضلعها (١١ر٣٠) متر أرضيتها مفروشة بالرخام

الملون بالأبيض والأسود على هيئة

شكل ١٤: الخانقاة الجاشنكرية (بيرس) - أرضية القبة وتركيب الضريح

محاريب كما فى المدرسة الطبرسية، وتقوم فى أركانها الأربعة العليا مناطق انتقال كل منها عبارة عن أربع حطات من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا تعتبر أول نموذج فى القباب المصرية لمنطقة الانتقال التى تتألف من أربع حطات، ويتوسط الحطة الثالثة من كل منها نافذة مستطيلة ذات عقد مدبب بها زخارف من الزجاج الملون، وتقوم فوق هذه المقرنصات رقبة القبة الدائرية وبها ثمان نوافذ مستطيلة الشكل بكل منها زخارف جصية مخرمة بأشكال نباتية وهندسية خلفها زخارف من زجاج ملون، وتقوم القبة المبنية من الطوب فوق هذه الرقبة وهى خالية تماما من أية زخارف داخلية فيما عدا أربع صفوف من النوافذ ذات الزجاج الملون والجص المخرم بأشكال نباتية وهندسية مختلفة تقع بين كل منطقتين من مناطق الانتقال بواقع صف سفلى به أربع نوافذ يعلوه صف ثان به

ثلاث نوافذ يعلوه صف ثالث به نافذتان يعلوه صف رابع به نافذة واحدة، وقد بنى هذا الضريح بناء على وصية المنشئ بعد بناء الخانقاة بعامين ليكون مدفنا يقرأ فيه القرآن بصفة دائمة بالليل والنهار خلافا لما ذكره المقرئى من أنها أعدت لدراسة الحديث^(٢٢٤).

ويتوسط جدار هذه القبة الشرقي من الداخل محراب عبارة عن حنية نصف دائرية قطرها (١٠٥) متر وعمقها (١٣٠) متر ذات عقد نصف دائري متراجع يقوم على عمودين رخاميين متشابهين كل منهما مشمن الأضلاع له قاعدة وتاج رمانى الشكل، وتنقسم زخارف هذا المحراب إلى ثلاثة مناطق: السفلية ارتفاعها (١٢٠) متر وقوام زخارفها سبعة أشكال لمحارب يقوم كل منها على عمودين رخاميين دائريين يحملان طاقة المحراب وهى على شكل محارة ذات زخارف مشعة، ويزين واجهة عقود أشكال هذه المحارب زخارف محفورة بأشكال نباتية من أوراق ثلاثية وأنصاف مراوح نخيلية، ويتوسط عقد كل شكل من هذه المحارب وردة متعددة الفصوص.

وتتألف زخارف المنطقة الثانية فى هذا المحراب من فسيفساء رخامية ملونة عبارة عن خطوط متداخلة تكون أشكال عقود مديبة.

أما المنطقة الثالثة فتبدأ من أسفل بشرط من تسعة محارب صغيرة تشبه شرط المحارب فى المنطقة السفلية ثم يعلو هذه المحارب شرط من كتابات نسخية نصها «بسم الله الرحمن الرحيم ومن حيث خرجت قول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره»^(٢٢٥).

ويزين طاقة المحراب من الداخل زخارف مشعة عبارة عن خطوط سوداء وبيضاء بالتبادل، أما واجهة عقده المتراجعة فيزينها فى مستويها الخارجى والداخلى زخارف من أوراق نباتية ثلاثية تتداخل فيها ورقة بيضاء فى ورقة سوداء عكسية لها كما هو الحال فى الإطار الذى يحيط بالمنطقة الزخرفية الثانية من هذا المحراب.

وعلى جانبي المحراب توجد وحدتان زخرفيتان متشابهتان كل منهما مربعة الشكل طول ضلعها (٢٢٥) متر يزينها شريطان رأسيان جانبيان بكل منهما زخارف من فصوص رخامية ملونة تكون أشكالا هندسية مختلفة لدوائر ومعينات ومربعات وغيرها ويحصر هذان الشريطان فيما بينهما مستطيلا زخرفيا رأسيا به بلاطة رخامية حمراء يعلوها مستطيل أفقى تتوسطه كتابات نسخية بيضاء

على أرضية سوداء نصها «لا إله إلا الله» تقابلها فى الوحدة الزخرفية الثانية «محمد رسول الله» وقد أحدثت لجنة حفظ الآثار العربية سنة (١٩٠٩م) خلف هذا المحراب ممرا للتهوية يتوصل إليه من مدخلين على يمين المحراب ويساره كل منهما على هيئة دولا ب بالحائط^(٣٣٦).

أما جدار القبلة لهذه القبة على جانبي المحراب من الشمال والجنوب ففيه كتيبتان لكل منهما باب ذو مصراعين من خشب تزينهما أشكال زخرفية هندسية، ويعلو هذا الباب مستطيل رخامى تزينه زخارف من فسيفساء رخامية ملونة تكون أشكالا هندسية بسيطة مختلفة، كذلك ففى جدار القبة الغربى على جانبي المدخل الخشبي وحدتان زخرفيتان مستطيلتان زخاف كل منهما عبارة عن كلمة «محمد» مكررة بالخط الكوفى المربع، أما جداريها الشمالى والجنوبى فهما متشابهان أيضا، فى ناحية كل منهما الغربية توجد كتبية مستطيلة الشكل يغلط عليها أربعة مصاريع خشبية تزينها نفس زخارف الكتيبتين الموجودتين فى جدار القبلة، ويعلو كلا منهما نفس الشريط الرخامى الذى يعلو الكتيبتين سالفتى الذكر، ويتوسط كلا منهما دخلة عرضها (٣ر١٥) متر وعمقها (٧٠ر) متر ترتفع عن أرضية الضريح بمقدار (٣٥ر) متر يعلوها عقد نصف دائرى وفى وسطها شبك مستطيل عرضه (١ر٣٠) متر به أرماع مخزوات حديدية يعلوه عتب تزينه زخارف من فسيفساء رخامية ذات أشكال هندسية مختلفة إلا أن الشباك الذى يقابل هذا الجدار الشمالى قد سد بسدة حديثة، هذا وعلى جانبي كل من الشباكين فى هذين الجدارين يوجد مستطيلان زخارفهما من فسيفساء رخامية ذات لونين أبيض وأسود وحداتها هندسية بسيطة لأشكال خطوط ومثلثات.

ويحيط بجدران القبة من الداخل شريطان زخرفيان خشبيان العلوى منهما تزينه زخارف نباتية بارزة لأوراق مختلفة، أما السفلى فقد نقشت فيه كتابات نسخية يبدأ نصها من جدار القبلة بما يلى:

«بسم الله الرحمن الرحيم. تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور، الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير، ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين،

واعتدنا لهم عذاب السعير، وللذين كفروا برههم عذاب جهنم وبئس المصير، إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور، تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير، قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير، وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير، فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير، إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير، وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير^(٢٣٧).

هذا وكان يحيط بالقبة من الداخل أيضا مئمن كانت تعلق فيه المشكاوات التي تضيئها، أما أسفل جدرانها فتقوم وزرة رخامية ملونة زخارفها عبارة عن أشرطة بالأوان الأبيض والأسود والأحمر، وتتوسطها تركيبة خشبية حديثة تقوم فوق ضريح العارف بالله الشيخ محمد الأمير البغدادي آخر الصوفية بالقبة وقد سبقت الإشارة إليه عند الحديث عن دفناء الخانقاة.

وفي الجدار الشمالي للدكة المدخل الرئيسي توجد فتحة باب عرضها (١ر٨٠) متر يعلوها عقد مدبب وتؤدي هذه الفتحة إلى الممر المنكسر الذي يفضى إلى داخل الخانقاة، ويتجه انكساره الأول ناحية الشرق بطول (٤ر٥٠) متر ويغطيه قبو نصف برميلي في جداره الشرقي شبكا الضريح المشار إليهما عند الحديث عن الجدار الجنوبي للقبة، ثم ينكسر هذا الممر ناحية الجنوب بطول (١ر٩٠) متر ويغطيه قبو نصف برميلي أيضا يتعامد على قبو اتجاهه الأول إلا أن به فتحة سماوية مسطيلة للتهوية والإنارة..

وفي الجدار الغربي يوجد الشباك المستطيل الذي سبق وصفه عند الحديث عن الجدار الشرقي للدكة، أما الجدار الجنوبي فيه فتحة باب عرضها (١ر٣٠) متر ذات عقد مدبب تؤدي إلى سلم صاعد يفضى إلى الميضأة يعلوها شبك مستطيل به أسياخ حديدية حديثة، وإلى الشرق من هذا الباب توجد دخلة عرضها (٩٥ر) متر وعمقها (٥٠ر) متر ذات عقد فارسي يعلوها شبك يشبه الشباك السابق، وخلف عقد هذه الدخلة توجد نافذة مسلوكة للتهوية والإنارة.

أما الانكسار الثالث لهذا الممر فينتجه ناحية الشرق بطول (٩٩٠ر) متر في جداره الجنوبي شبك مستطيل به مصبغات خشبية سقفه عبارة عن قبو نصف اسطواني، أما الأرضيات في هذا الممر فهي من فسيفساء رخامية ملونة ذات أشكال هندسية مختلفة منها المستطيلات والمعينات

والمثلثات والدوائر، وينتهى هذا الممر في جداره الشرقى بفتحة باب عرضها (١٥٠) متر ذات عتب حجرى مزرر يعلوه عقد عاتق بينهما طيلة عقد غير مزخرفة.

الصحن :

يؤدى هذا المدخل المشار إليه إلى صحن غير مسقوف عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل طولها (١٩٩٠) متر وعرضها (١٦٥٠) متر، تحيط به أربعة إيوانات أهمها إيوان القبلة فى الناحية الشرقية، يقابله الإيوان الغربى فى الناحية الغربية، اما فى الجهتين الشمالية والجنوبية فيقع الإيوانات الشمالى والجنوبى وعلى جانبي كل منهما حواصل تعلوها خلوات للمتصوفة.

الإيوان الشرقى :

هذا الإيوان عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل طولها (١٢١٥) متر وعرضها (٩٩٠) متر ترتفع أرضيتها عن أرضية الصحن بمقدار (٢٠) متر يفطئها قبو نصف اسطوانى على جانبيه حنيتان متشابهتان عرض كل منهما (٨٢٥) متر وعمقها (٣١٠) متر وبنهاية كل منهما تجويف مكشوف على هيئة ملقف للهواء عرضه (٢٨٠) متر، ويعلو كل من هاتين الحنيتين قبو نصف دائر، وتؤدى كل منهما إلى دخلة ثانية عرضها (٢٨٠) متر وعمقها (٢١٥) متر ذات عقد نصف دائرى أيضا يحيط بها جفت لاعب ذو ميممات دائرية على جانبيها شباكان مستطيلان عرض كل منهما (١٣٠) متر وعمقه (٥) متر ويعلو كلا منهما عتب من أحجار مزررة فوقه عقد عاتق بينهما طيلة عقد خالية من الزخارف، هذا وفى جدارى الدخلة الثانية الشرقى والغربى دخلتان أخريان عرض كل منهما (٧٥) متر وعمقها (٤٠) متر، وهذه الدخلة سماوية غير مسقوفة.

أما جدار القبلة فيتوسطه المحراب وهو عبارة عن حنية نصف دائرية قطرها (١٥٠) متر وعمقها (١١٠) متر يعلوها عقد دائرى متراجع يحمله عمودان رخاميان مثنان لكل منهما قاعدة وتاج متشابهين كل منهما على شكل بصلى، ولا يزين هذا المحراب شئ من الزخارف اللهم إلا جفتين لاعبين يحددان عقديه المتراجعين وعلى يمينه يوجد منبر خشبى حديث.

الإيوان الغربى :

يقابل هذا الإيوان إيوان القبلة من الناحية الغربية وهو عبارة عن مستطيل طوله ٩١٠ ر٥٠ متر وعرضه (٩٤٠) متر أرضيته مفروشة ببلاطات من الحجر الجيرى وترتفع عن أرضية الصحن بمقدار (٢٠) متر وسقفه عبارة عن قبة نصف اسطوانى فى كل من جدرانه الشمالى والجنوبى والغربى ثلاث دخلات متشابهة عرض كل منها (٣٥٠) متر وعمقها (١٦٠) متر يعلوها عقد نصف دائرى يحدده إزار حجرى بارز مجدول، إلا أن الدخلة الموجودة بالجدار الغربى بها خلف العقد سقف من عروق خشبية جزؤه الشمالى عبارة عن ملقف للتهوية والإنارة ولها جلسة حجرية مفروشة بالبلاط.

الإيوان الشمالى :

يقع هذا الإيوان فى الناحية الشمالية للصحن وهو عبارة عن سدلة صغيرة مستطيلة الشكل طولها (٦٣٥) متر وعرضها (٦٣٠) متر يغطيها سقف عبارة عن قبة نصف اسطوانى يفتح فى جدارها الجنوبى على الصحن ثلاث مداخل أحدها رئيسى أوسط عرضه (٢٠٥) متر يعلوه عتب من صنجات حجرية مزورة فوقه عقد عاتق بينهما طيلة عقد غير مزخرفة، ويعلو هذا المدخل نافذة مربعة تقع داخل دخلة يتوجها ثلاث حطات من المقرنصات، وعلى جانبى هذا المدخل مدخلان آخران متشابهان فتحة كل منهما (١) متر يعلوها عتب حجرى من صنجات مزورة فوقه عقد عاتق بينهما طيلة عقد خالية من الزخارف، وفوق العتب نافذة مربعة كان بها خشب مصبغات، تقع كل نافذة منها داخل دخلة ذات عقد زخارفه مشعة يحدده جفت لاعب.

وفى جدار هذا الإيوان الشرقى يوجد محراب بسيط عبارة عن حنية نصف دائرية عرضها (٩٥) متر وعمقها (٧٠) متر يعلوها عقد مدبب، أما جداره الشمالى فيه دخلة عمقها (٦٠) متر وعرضها (٢٥٠) متر يغطيها سقف مستو على جانبيها دخلتان متشابهتان عرض كل منهما (٨٥) متر وعمقها (٥٠) متر.

وعلى كل من جانبي المدخلين المشار إليهما توجد ثلاث مداخل أخرى تشبهها تماما فى التكوين المعمارى وفيما يعلوها من أعتاب ونوافذ يؤدى كل منها إلى حاصل مستطيل الشكل

طوله (٤٣٠) متر وعرضه (١٧٥) متر يغطيه سقف عبارة عن قبة نصف اسطوانى، إلا أن ما يعلو هذه الأبواب الثلاثة من شبايك يتكون من دورين بكل منهما دخلة بها نافذة مستطيلة يعلوها مقرنصات بعضها مضلعة ذات زوايا وبعضها مقعرة ذات دلايات وبعضها عبارة عن عقد ذو زخارف مشعة.

أما فى الناحيتين الشرقية والغربية على جانبى عقد إيوان القبلة فيوجد بابان متشابهان عرض كل منهما (١١٠) متر يؤدى إلى حاصلين يغطى كلا منهما قبة نصف اسطوانى، ويعلو كلا من هذين البابين عتب من أحجار مزورة فوقه عقد عاتق بينهما طلبة عقد يتوسطها نافذة عبارة عن فتحة مستطيلة، ويعلو كل مدخل منهما دخلة ذات عقد مدبب يحدده جفت لاعب بداخله مستطيل زخرفى به عناصر من أوراق نباتية، وفوق الدخلة الأولى توجد دخلة ثانية ذات عقد على شكل ورقة ثلاثية، وأسفل كل من الدخلتين يوجد شباك مستطيل به قوائم وعوارض خشبية حديثة.

ويقابل الباب على يسار عقد إيوان القبلة فى الناحية الغربية باب ثالث يشبه البابين السابقين بتكوينهما وبما فوقهما من دخلتين ويؤدى هو الآخر إلى حاصل يغطيه قبة نصف اسطوانى.

الإيوان الجنوبى :

يقع هذا الإيوان فى الناحية الجنوبية ويشبه الإيوان الشمالى تماما بفتحته الرئيسية وبما حولها من فتحتين جانبيتين، وبما يعلو كلا منها من دخلات أسفلها نوافذ وأعلها عقود ذات زخارف مشعة ومقرنصات مضلعة ذات زوايا، وبما فى جداره الشرقى من محراب على جانبيه دخلتان، وبما فى جداره الجنوبى من دخلة رئيسية كبيرة تكتنفها دخلتان صغيرتان، إلا أن وجه الاختلاف بين هذا الإيوان وبين الإيوان الشمالى يتخلص فى وجود عقدين كبيرين متشابهين لكل منهما عقد نصف دائرى مسدود من أسفل يفتحان على الميضأة وفى الدخلتين اللتين تكتنفان المحراب فى الجدار الشرقى، وبما فى ذلك أيضا من الحواصل الثلاثة السفلية على كل من جانبى المدخلين الأخيرين، وبما يعلوهما من دورى الخلوات الثانى والثالث التى تتألف من أربع وعشرين خلوة فى الجانب الشمالى ومثلها فى الجانب الجنوبى.

ومن الباب الواقع فى دركاة المدخل الرئيسى الجنوبى يصعد إلى سلم يتجه أولاً ناحية الشرق ويغطيه سقف عبارة عن قبو نصف اسطوانى من حجرين يعلوان بعضهما كما هو الحال فى سقف سلم الخانقاة الجاولية، ثم يتجه ناحية الشمال فالجنوب حيث يؤدى إلى فتحة باب عرضها (٨٠) متر ذات عتب مستو من الخشب تؤدى إلى ممر مستطيل طوله (٢٧٠) متر يغطيه سقف عبارة عن قبو نصف اسطوانى فى جداره الغربى شباك مستطيل عرضه (٨٠) متر وارتفاعه (١٥٠) متر وهو الشباك الذى سبق وصفه فى جدار دركاة المدخل الشرقى.

وفى جدار هذا الممر الشرقى توجد فتحة مستطيلة عرضها (٣٠) متر عبارة عن مزغلة للتهوية والانارة، ويؤدى هذا الممر إلى خلوة مستطيلة يغطيتها سقف عبارة عن قبو نصف اسطوانى فى جدارها الغربى شباك مستطيل به مصبغات خشبية يطل على الرحبة السماوية التى تلى المدخل الرئيسى، وفى ركنها الشمالى الشرقى توجد فتحة سماوية غير مسقوفة على يمينها فتحة باب عرضها (٨٠) متر وارتفاعها (١٣٠) متر تؤدى إلى خلوة ثانية مستطيلة الشكل تتكون من دخلة ذات عتق نصف دائرى وسقف نصف اسطوانى تتقدمها رحبة مستطيلة سقفها من الناحية الجنوبية عبارة عن قبو مروحى ومن الناحية الشمالية نصف اسطوانى به منور للتهوية والانارة.

وبعد أربع انكسارات يؤدى السلم فى انكساره الأخير المتجه إلى الغرب إلى فتحة باب تعلو الفتحة فى الدور السابق عرضها (٩٠) متر ذات عتب حجرى مستو تؤدى إلى رحبة مستطيلة الشكل بها السلم ذو الاتجاهات الثلاثة المؤدى إلى المئذنة.

المئذنة : (أنظر شكل : ١٥)



شكل ١٥ : الخانقاة الجاشنكرية (بيرس)
المئذنة والقبة وجزء من الواجهة.

بنيت مئذنة هيه الخانقاة من الطوب فى ثلاث دورات تقوم على قاعدة مربعة طول ضلعها (٣٥٠) متر، ويلتف سلم المئذنة حول هذه القاعدة على عكس ما هو مألوف فى المآذن المصرية التى اعتاد المعمار أن يجعل سلمها الحلزونى فى وسطها، وتتكون الدورة الأولى من بدن مربع الشكل فى كل ضلع من أضلاعها الأربعة توجد نافذة مستطيلة يعلوها عتب حجرى مستو

وفوقها عقد مدبب تزينه مقرنصات مضلعة ذات زوايا، ويكتنفه من الجانبين حيتان متشابهتان لكل منهما عقد مدبب تزينه أيضا زخارف المقرنصات، ويعلو كل جانب من جوانب هذه الدورة الأربعة مقرنصات مضلعة ذات زوايا تتكون من أربع حطات فوقها دورة خشبية حديثة.

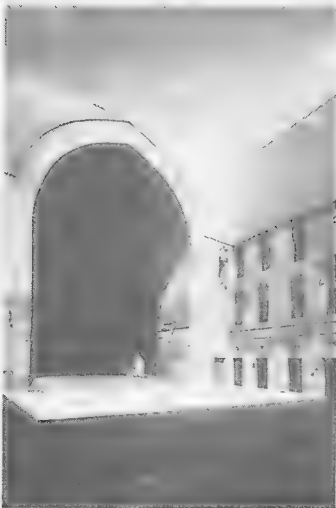
أما الدورة الثانية فهي ذات بدن مثنى الأضلاع بها ثمان دخلات متشابهة ويعلوها حطات لمقرنصات مضلعة ذات زوايا تساقط معظمها، وتنتهى هذه الدورة بمقرنصات أخرى مضلعة ذات زوايا تتخللها ثمان فتحات مستطيلة نافذة.

أما الجوسق الذى يعلو هذه الدورة فيقوم على ثمان أكتاف حجرية يعلو كل كتفين منها عقد مدبب، وينتهى هذا الجوسق من أعلا بحطتين من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا، وتتوجه خوذة مضلعة تتألف من مجموعة من المخدات المتجاورة، وقد اقتبست خوذة هذه المئذنة من مبائر العصر الأيوبي، فنجد مثيلا لها فى مئذنة مدرسة الصالح نجم الدين، وفى مئذنة زاوية الهنود، وفى مئذنتى جامع الحاكم اللتين جددتهما بيبرس الجاشنكير سنة (٧٠٣هـ)، وترجع أهمية هذه الخوذة بالإضافة إلى ذلك كله إلى أنها لازالت تشتمل فى الجهة الجنوبية الغربية منها على ست بلاطات من القاشانى، وتلتها فى ذلك مئذنة الناصر محمد بالقلعة، ويوجد بمرقى سلم هذه المئذنة مسكن علوى لشيخ الخانقاة تتكون من غرفتين إحداهما مستطيلة تطل على الصحن والأخرى شبه مربعة تطل على الدهليز، وقد سدت بعض فتحات هذا المسكن الداخلية^(٢٣٨).

خلوات الصوفية: (أنظر شكل: ١٦)

تقع خلوات الصوفية بهذه الخانقاة فى الناحية الشرقية والجزء الشرقى من الناحية الشمالية، أما الناحية الجنوبية فكلها متهدم ومن غير الممكن الصعود إليها أو وصفها.

وتشير وثيقة الخانقاة إلى أنها كانت تشتمل فى ثلاث طوابق على مائة خلوة أو مسكن للمتصوفة المقيمين بها بصفة دائمة، وقد دخلت غالبية هذه الخلوات للأسف ضمن المباني الحديثة المجاورة ومابقى



شكل ١٦: الخانقاة الجاشنكيرية (بيبرس)
حوامل مظلة على الصحن

منها حاليا لا يتعدى إحدى عشرة خلوة منها خلوتان تكتنفان إيوان القبلة طول كل منهما (٣٥٠) متر وعرضها (٢٠) متر، وخلوة غير منتظمة فى الركن الشمالى الغربى من الخانقاة، وخمس خلوات تكتنف لإيوان الشمالى أو المجلس البحرى، وثلاث خوات شرق الإيوان الجنوبى أو المجلس القبلى، أما غرب هذا الإيوان فقد اندثرت كل خلواته تماما ولم يبق منها إلا المداخل فقط.

والواقع أن هذه الخلوات لم تكن هى كل ما اندثر من هذه الخانقاة وإنما اندثرت منها أيضا بقية ملحقاتها الكثيرة التى كانت تشتمل على المطبخ والمخبز والمغسل وحظائر الدواب ونحوها وكان مطبخ هذه الخانقاة عامرا يطهى فيه اللحم والخضروات يوميا كما تعمل فيه الحلوى شهريا بالإضافة إلى التوسعات التى كانت تقرر للصوفية فى المواسم والأعياد.

٦ - ترميمات الخانقاة :

مما لا شك فيه أن هذه الخانقاة كانت موضع رعاية لجنة حفظ الآثار العربية منذ عصرها المبكر فى سنة (١٨٩١م) وظل هذا الاهتمام ساريا حتى سنة (١٩٠٩م) وخلال هذه الفترة المدينة أجرت اللجنة فى تلك الخانقاة العديد من أعمال الترميم والصيانة التى كان لها الفضل الأكبر فى استمرار المحافظة على هذا الأثر القريد الذى قيل عنه فى أول تقرير للقومسيون الثانى للجنة المشار إليها أنه ذو وضع لطيف وغريب وتعلوه قبة جميلة بداخلها زخرفة عظيمة من رخام (بوليكروم) برسومات نفيسة غير عادية، ولذلك يرى هذا القومسيون ضرورة أن يقوم المسير هرتس بعمل المقايسة اللازمة لإصلاحه^(٣٣٩).

وبناء على أهمية هذه الخانقاة قامت اللجنة فى سنة (١٨٩٢م) بإجراء أعمال تقوية وصيانة لقبقتها بلغت تكاليفها (١٥٥٠) جنيهها تحملت اللجنة منها مبلغا قدره (١٢٧٠) جنيه وتحملت الأوقاف الباقى وقدره (٢٨٠) جنيه^(٣٤٠)، وقد خصص هذا المبلغ الكبير فى حينه لأعمال ترميمية كثيرة انحصرت فى إصلاح ما كان قد تفكك من رخام الحوائط الفاخر الذى كان بارتفاع (١٣٦٠) متر عن طريق الفك والرد بعد تنكيس هذه الحوائط بالمونة المائية المركبة من الجير والحمرة، وكذا تحديد رخام الأرضية من جنس ما بقى منه، وتكميل الشبايك الجصية ذات الرسومات الدقيقة البديعة، وتحديد سقف الطرقة الواقعة تجاه القبة، وتنظيف التكبسية النحاسية للباب العمومى مع كمال الفاقد منها وإصلاح الأرضية أسفل باب الدخول وقد وزعت هذه الأعمال على النحو التالى:

| بيان الاعمال | على الأوقاف | | على اللجنة | | جملة | |
|----------------------|-------------|------|------------|------|------|------|
| | جنيه | مليم | جنيه | مليم | جنيه | مليم |
| (أ) هدم وبناء وتجارة | ٢٥٣ | ٦٧٦ | ٣٩٢ | ٥٥٥ | ٦٤٦ | ٢٣١ |
| (ب) رخام أجناس | - | - | ٥٥٠ | ٦٧٩ | ٥٥٠ | ٦٧٩ |
| (د) النحاس | - | - | ٢٢٠ | - | ٢٢٠ | - |
| احتياطى وملاحظة | ٢٦ | ٣٢٤ | ١٠٦ | ٧٦٦ | ١٣٣ | ٠٩٠ |
| الإجماليات | ٢٨٠ | - | ١٢٧٠ | - | ١٥٥٠ | - |

كذلك فقد رأت اللجنة ضرورة أن يقوم ديوان الأوقاف بإزالة الدكاكين التى بنيت بجناح الشبايك الأربعة، ونزع ملكية المحلات التى بنيت لصق حائط الأثر من الجهة البحرية للقبة، وهدم المصطبة التى بنيت لصق الحائط البحرى بجناح المنارة ومطالبة نظارة الأشغال بتسوية ميزانية أرضية الشارع لتتناسب مع عتبة الأثر^(٣٤١).

وفى سنة (١٨٩٤م) صوفت اللجنة مبلغا قدره (١٢٠ر) جنيها لتجديد الكسوة الرخام والأرضية والتجارة بداخل الضريح بالإضافة إلى أشغال النحاس والتجارة اللازمة لباب الخانقاة^(٣٤٢)، وفى نفس السنة صوفت اللجنة أيضا على أشغال الرخام المؤزر لجدر الخانقاة مبلغا قدره (٧٠٠ر) جنيه^(٣٤٣).

وفى سنة (١٨٩٦م) أجرت نظارة الأشغال تسوية الشارع الكائن أمام الخانقاة حتى منسوب عتبة الباب العمومى، ولما قامت اللجنة بإصلاح أرضية الخانقاة على وزن فتحة البوابة أتضح أن أرضية الشارع يجب أن تخفض مرة ثانية بمقدار (٢٤ر) متر فأخطرت نظارة الأشغال لخفض منسوب الشارع للمرة الثانية حتى يتلاءم مع منسوب أرضية الخانقاة^(٣٤٤).

وفى سنة (١٨٩٨م) صرفت اللجنة على ترميم قبة الخانقاة مبلغا قدره (٩٢٦ر٩٠٨) جنيه

دفعت اللجنة منها مبلغا قدره (٦٦٦,٣٣٠) جنيه ودفعت الأوقاف باقى المبلغ المطلوب لهذا الترميم وقدره (٥٧٨,٢٦٠) (٣٤٥).

وفى سنة (١٨٩٩م) أخبر ديوان عموم الأوقاف اللجنة بأنه هو الناظر الحالى على وقف السلاحدار التابع له الوكالة المسدود بحائطها الشباك البحرى من ضريح الخانقاة، وأنه لمضى (٤٥) سنة على هذه الحائط فإنه من غير الممكن هدمها لفتح الشباك المشار إليه، فقدم هرتس بك مشروعا للتخليية يقضى بإزالة الحائط المحكى عنه وبناء حائطين خلفها من الجهتين وقدر لذلك مبلغا قدره (-٤٠) جنيهها فأقر القومسيون هذا المشروع (٣٤٦)، وفى نفس السنة المشار إليها ورد فى محاضر جلسات اللجنة أن هذه الخانقاة خصصها من الأعمال المقررة لترميم الآثار مبلغا قدره (٥١٧,٧٢٩) جنيه رغم أنه لم يرد فى ذلك على أية ترميمات بالخانقاة صرف هذا المبلغ (٣٤٧).

وفى سنة (١٩٠٨م) وافق القسم الفنى للجنة على المقاييسات والشروط التى تم طرحها لإجراء الأعمال الترميمية ببعض الآثار التى أدرجت فى خطة الترميم، وقد خص هذه الخانقاة منها مبلغا قدره (-٢٨) جنيه تقرر صرفها على تجديد مبانى سبيل وقف ييبرس الجاشنكير، وكان هذا السبيل بحذاء الخانقاة فى شارع الجمالية، وقد أدمج ضمن أوقافها رغم أن مشيده هو الأمير قيطاس وقد بناه بعد منضى قرن ونصف من الزمان على بناء الخانقاة وخصص بعض ريع الأعيان التى أوقفها على الخانقاة لصيانة هذا السبيل الذى كان خارجا عن باب الدرب الأصفر بنحو (١٥٠) متر وهو خروج يكفى لتكوين واجهة ثانية ضيقة بها من أسفل شباك السبيل فى الدور الأرضى وقوس الكتاب فى الطابق العلوى، أما الواجهة الأخرى فكانت أكثر اتساعا وكانت تلاصق بيتا مجاورا تم هدمه، وكان يعلو هذا السبيل فى القديم طابق ثالث لم يبق منه إلا الكواويل والماوردة التى تحملها.

وقد تم ترميم هذا السبيل بشكل غير جيد فى فترة زمنية سبقت لجنة حفظ الآثار العربية مما اضطر هذه اللجنة إلى هدم واجهته وإعادة بنائها بنفس المواد التى كانت مستعملة فيها ويشتمل لإفريز سقف هذا السبيل على الكتابات التالية :

أمير اللوا قيطاس بك الذى علا ورب السما بالفضل فى مصر أظهره

بنى مكتبا لله قصد ثوابه وخير سبيل قد سقى الناس كوثره

لقد قلت فيه مادحا ومؤرخا سبيل فريد الحسن قيطاس عمره

ورغم أن مجموع جمل حروف الشطرة الأخيرة يشير إلى أن تاريخ بناء هذا السبيل هو سنة (١٠٤٠هـ) فإن هذه الإشارة كانت على ما يبدو غير صحيحة لأن الأمير قيطاس كان من رجال القرن الثاني عشر الهجرى حيث كان قد عين سنة (١١٤٢هـ) - طبقا لما ذكره تقرير اللجنة نقلا عن الجبرتي - أميرا لركب المحمل ومات بمبنى ودفن بها^(٣٤٨).

وفى سنة (١٩٠٩م) رأت اللجنة أنه لتعذر كشف الشباك البحرى من تربة الخانقاة بسبب ركوب مباني الوكالة المجاورة لها والتابعة لوقف السلاحدار لمنع الرطوبة عن تلك القاعة تم فتح منافذ وراء الدواليب ليتجدد الهواء على الدوام وقرر لذلك مبلغا قدره (٦٠٠) جنيهها فوافق القسم الفنى على هذا المشروع وعلى المقايضة التى أعدت له^(٣٤٩).

وخلاصة ما يمكن ملاحظته على ما قامت به لجنة حفظ الآثار العربية فى هذه الخانقاة من أعمال ترميمية شملت معظم جوانبها المعمارية والفنية فى القبة والخانقاة والسبيل أن مجموع ما صرفته اللجنة على هذه الأعمال بلغ مبلغا قدره (٤١٩٤٠٠٠) أربعة آلاف ومائة وأربعة وتسعين جنيهها وستمائة وسبعة وثلاثين مليما، وهو مبلغ إذا ما قدرت قيمته بقيمة النقد فى ذلك الحين الذى أجريت فيه الترميمات لأمكننا أن نعرف حجم ما قامت به اللجنة من جهد وما بذلته من مال من أجل إصلاح هذه الخانقاة وإرجاعها إلى الصورة المشرقة التى كانت عليها عند بنائها.

٥ - الخانقاة المهندارية أحمد

٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م

أثر رقم : ١١٥

تقع هذه الخانقاة خارج باب زويلة فيما بين رأس حارة اليانسية وجامع المارداني، والذي بناها هو الأمير شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيزي المهندار سنة (٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م).

وطبقا لما لدينا من مادة تاريخية أثرية، فإن حديثنا عن هذه الخانقاة سيشتمل على خمس نقاط رئيسية هي:

١ - تاريخ الخانقاة.

٢ - منشئ الخانقاة.

٣ - موظفو الخانقاة.

٤ - وصف الخانقاة.

٥ - ترميمات الخانقاة.

١ - تاريخ الخانقاة:

الواقع أن ما وصلنا عن تاريخ هذه الخانقاة ليس بالوفرة التي وصلتنا عن الخانقوات السابقة ولا سيما الصلاحية والباشنكيرية والجاولية، وقد انحصرت معلوماتنا في هذا الصدد فيما ذكره كل من المقرئ في القرن (٩ هـ / ١٥ م) وعلى باشا مبارك في القرن (١٣ هـ / ١٩ م).

يقول المقرئ وقد ذكرها مرة في الخانقوات ومرة في المدارس أنها تقع خارج باب زويلة فيما بين جامع الصالح وقلعة الجبل، ويعرف خطها بخط جامع المارداني خارج الدرب الأحمر، وهي تجاه مصلى الأموات على يمنة السالك من الدرب الأحمر طالبا جامع المارداني، ولها باب

آخر في حارة اليانسية، وقد بناها الأمير شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيزي المهندار ونقيب الجيوش في سنة خمس وعشرين وسبعمائة وجعلها مدرسة وخانقاة وجعل طلبة درسها من الفقهاء الحنفية وبنى إلى جانبها القيسارية والربيع^(٣٥٠).

أما على باشا مبارك فقد سماها «زاوية المهندار» وقال أنها بخط البرادعية من الدرب الأحمر بين جامعي المارداني وأبي حرية (قجماس الإسحاقى) ولها بابان أحدهما على الشارع والآخر على حارة اليانسية وكان أصلها مدرسة تعرف بالمدرسة المهندارية لأن الذى بناها هو الأمير شهاب الدين أحمد بن أقوش المهندار سنة (٧٢٥هـ) وجعلها مدرسة وخانقاة ثم أضاف أنه فى سنة (١١٣٥هـ / ١٧٢٢م) جدد بها سليمان أغا القازدغلى منارة ومنبراً، وهى عامرة مقامة الشعائر وفيها المنبر يخطب عليه للجمعة والعيدى ولها مطهرة وأخيلة ومنارة ولها أوقاف تحت نظر الديوان^(٣٥١).

والذى لا شك فيه أن ذكر كل من المقرئى وعلى باشا مبارك لهذه الخانقاة بالمدرسة أمر لا غرابة فيه لأن وظيفة المنشأتين (الخانقاة والمدرسة) لم تكن تختلف كثيراً، فكلاهما تقام فيه شعيرة الصلاة وما يستتبعها من خطبة وجماعة، وكلاهما تدرس فيه علوم الدين وما تقتضيه من ضرورة تواجد العلماء والفقهاء والدارسين، ولا تزيد الخانقاة عن المدرسة إلا فى وجود الصوفية المقيمين المنقطعين للزهد والتصوف.

٢ - منشئ الخانقاة :

يقول ابن حجر فيما ذكره من ترجمة مختصرة لمنشئ هذه الخانقاة أنه «أحمد بن أقوش العزيزى نقيب الجيوش بالقاهرة ولى المهندارية ومات فى ربيع الأول سنة تسع عشرة وسبعمائة»^(٣٥٢).

٣ - موظفوا الخانقاة :

انحصرت معلوماتنا عن موظفى هذه الخانقاة فقط فى شيوخها ودارسيها، وقد حفظ لنا السخاوى فيما ذكره فى القرنين (٩ - ١٠هـ / ١٥ - ١٦م)، ثلاث تراجم تخص أولها أحد

شيوخ المهندارية، وتخص ثانيها أحد شيوخ إعادتها وتخص ثالثها أحد الدارسين فيها.

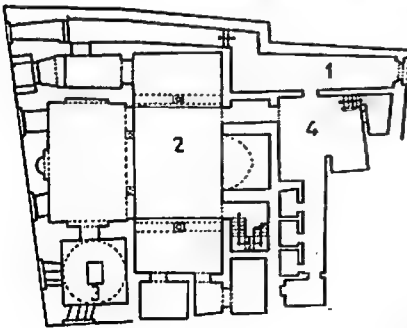
فذكر لنا في الترجمة الأولى إبراهيم بن محمد إبراهيم الأمير صارم الدين بن القاضي نجم الدين البشبيشى المولد، المصرى الشافعى المهندار، الذى عرف بابن الشهيد، ولد سنة إحدى وثمانين وسبعمائة بمدينة بشبيش حين كان أبوه كاتب مرها ثم انتقل إلى القاهرة فأكمل حفظ القرآن والعمدة وسمع الصحيح، وولى المهندارية سنة عشرين وثمانمائة فدام فيها مدة إلى أن مات فى صابع عشر ذى الحجة من السنة المذكورة بالقاهرة (٣٥٣).

وذكر فى الترجمة الثانية إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل بن الزينى المغربى أبى هريرة الذى ولد فى تاسع رمضان سنة خمس وثلاثين وثمانمائة وولى الإعادة بالمهندارية (٣٥٤).

وذكر فى الترجمة الثالثة على بن سليمان الطيبى الذى أخذ عن الولى العراقى وكان يدرس بالمهندارية ويسكن بالبياطرة قرأ عليه الشمس الفارسكورى فى سنة خمس وأربعين (ثمانمائة) (٣٥٥).

٤ - وصف الخانقاة : (أنظر لوحة : ٩)

مسجد أحمد المهندار



- 1 المدخل
- 2 حجرة المسجد
- 3 المقام
- 4 حوض مياه

تقع هذه الخانقاة - كما قلنا - بشارع التبانة بين جامع الماردانى ودرب اليانسية بالدرب الأحمر، وقد أنشأها شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيزى المهندار للصوفية الحنفية، وتشغل الخانقاة فى الوقت الحاضر مساحة صغيرة من الأرض لا تمثل مساحتها الأصلية نظرا لضيق معظم ملحقاتها ضمن الأبنية الحديثة المجاورة، وتتكون هذه الخانقاة من مدخل بديع غنى بالزخارف المختلفة، ومن ضريح ذى القبة

لوحة ٩ : الخانقاة المهندارية (أحمد)
أترقم ١١٥ (٧٢٥هـ / ١٣٢٤م) - مسقط أنقى

صغيرة مضلعة من الخارج، خلفها صحن غير سماوى تتعامد عليه أربعة إيوانات، بالإضافة إلى ساحة خربة كانت تشتمل على المرافق التى لم يبق منها إلا بعض الشواهد الدالة عليها، وفيما يلى وصف أثرى لما بقى من عمارتها وما يزينه من زخارف.

الواجهة والمدخل: (أنظر شكل : ١٧)



شكل ١٧ : الخانقا المهندارية (احمد)
اثر رقم ١١٥ (٧٢٥هـ / ١٣٢٤م) - الواجهة والمئذنة

تطل الواجهة الرئيسية لهذه الخانقا على الناحية الشرقية بطول (٢١٧٠) متر وتضم مع المدخل الرئيسى خمس دخلات رأسية ضحلة ترفع إلى أعلى جدار الواجهة وينتهى كل منها بمقرنصات متنوعة متقنة تتخللها فتحات من دورين تتميز الفتحات السفلية منها بوجود مدامكين باتساعها واستطالتها وبوجود أعتاب حجرية وعقود عاتقة سد اثنان منها جزئيا، أما الفتحات العلوية التى تعلو الطراز الكتابى بمقدار مدامكين فعبارة عن فتحات قندلية يتكون كل منها من فتحة مزدوجة

بينها عمود صغير من الرخام، وقد كسيت واجهات تلك الفتحات بالرخام الأبلق، وبين التجويفين الأول والثانى جهة الشمال والتجويف الثالث عقد مقرنص أصم، أسفله قمرية مستديرة، أما الطراز فيبدأ خلف الجنب الشمالى للواجهة ثم يتجاوزها ليمضى مجتازا حنية المدخل والجانب الجنوبى الشرقى لها.

ومعنى ذلك أن الجانب الأيسر من هذه الواجهة يشتمل على دخلة عرضها (١٣٠) متر وعمقها (٢٥) متر كان بها من أسفل شباك مستطيل مسدود تعلوه نافذة قندلية من غير قمرية يحمل عقديهما النصف دائريين بالإضافة إلى كتفين فى الناحيتين الشمالية والجنوبية عمود رخامى مثنى الأضلاع وتنتهى الدخلة من أعلى بثلاث حطات من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا.

أما الجانب الأيمن فبه ثلاث دخلات متشابهة تشبه الدخلة الموجودة على الجانب الأيسر

بما فيها من شباك سفلى به أسياخ حديدية متقاطعة وبما يعلوه من عتب مستطيل فوقه عقد عاتق تعلوه نافذه قنولية يتوجها مقرنصات ذات زوايا من ثلاث حطات، إلا أنه في المنطقة بين الدخلتين اللتان تليان المدخل توجد دخلة غير واصلة للأرض بها قمرية دائرية يعلوها عقد مدبب زين بزخرفة مشعة.

ويمتد بامتداد هذه الواجهة شريط من كتابات نسخية نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم»^(٢٥٦) امر بإنشاء هذه التربة والمسجد المبارك من خالص ماله مما أفاء الله عليه وطيبه لجماعة المسلمين ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة والرغبة فى عماره بيوت الله وأداء فرضه وتلاوة كتابه ومداومة ذكره العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد المهنندار^(٢٥٧) نقيب نقباء الجيوش المنصورة الناصرية إذ يقول تقدر وتعالى فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب^(٢٥٨)، وذلك فى شهر المحرم سنة خمس وعشرين وسبعمئة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وتنتهى الواجهة كلها بصف واحد من الحنايا الصغيرة التى تعلوها شرافات حجرية مزخرفة.

أما الجانب الشمالى لهذه الخانقاة ففيه دخلة خامسة تشبه باقى الدخلات بالواجهة الشرقية المشار إليها.

أما المدخل الرئيسى لهذه الخانقاة الذى كسيت واجهته بالحجر والرخام الملون فيقع فى الجانب الجنوبى للواجهة الشرقية داخل دخلة عرضها (٢,٥٥) متر وعمقها (١,٣٥) متر تكتنفها مكسلتان حجريتان عرض كل منهما (٠,٥٠) متر وارتفاعها (٠,٦٠) متر يحيط بها جفت لاعب ذو ميممات دائرية، أما عرض المدخل فهو (١,٤٠) متر ويعلوه عتب مستو نقشته فيه زخارف مزورة

لأوراق نباتية متداخلة باللونين الأبيض والأسود، وفوق هذا العتب المستطيل عقد عاتق من صنجات مزروعة بينهما طبلية عقد غير مزخرف، ويعلو العقد العاتق قمرية دائرية بها مصبغات خشبية، ويتوج هذه الدخلة عقد ثلاثي الفصوص زيت بواطنه بمقرنصات ذات زوايا من أسفل وذات دلايات من أعلا، وعلى جانبي الفص العلوى توجد نافذتان صغيرتان مستطيلتان بكل منهما مصبغات خشبية تقع كل منها داخل دخلة تنتهى بعقد على شكل ورقة ثلاثية.

ويمتد على جانبي هذا المدخل إزار غائر نقش فيه كتابات نسخية بأشرطة رخامية بيضاء على أرضية سوداء بطريقة التنزيل أو التليس نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين» (٣٥٩).

دركاة المدخل :

يؤدى مدخل الخانقاة المشار إليه إلى دركاة مستطيلة الشكل طولها (٤٣٠) متر وعرضها (٢١٠) متر أرضيتها مفروشة ببلاطات من الحجر الجيري وسقفها خشبي مستو على هيئة مربوعات مغلقة بفروخ مدهونه وألواح مستوية تزينها زخارف بالطلاء لعناصر نباتية وهندسية مختلفة فى جانبها الجنوبي مدخل عرضه (١٢٠) متر يقضى إلى منطقة خربة، وفى صدرها مدخل ثان عرضه (١٤٠) متر تعلوه نافذة مستطيلة يؤدى مباشرة إلى الإيوان الجنوبي للخانقاة.

الصحن والإيوانات :

يشغل صحن هذه الخانقاة مساحة مستطيلة طولها (٧٧٠) متر وعرضها (٥٩٠) متر، وقد فرش أرضيته ببلاطات من الحجر الجيري، وغطى بسقف خشبي حديث يتوسطه مربع رأسى للتهوية والإنارة عبارة عن شخشيخة مستحدثة.

الإيوان الجنوبي :

فى صدر دركاة المدخل باب عرضه - كما قلنا - (١٤٠) متر تعلوه نافذة مستطيلة

يؤدي مباشرة إلى هذا الإيوان وهو عبارة عن مساحة مستطيلة طولها (٥ر٨٠) متر وعرضها (٣ر٨٠) متر يتكون من بلاطة واحدة يغطيها سقف خشبي مجدّد، يفتح هذا الإيوان على الصحن بعقدّين مديبين يحملهما بالإضافة إلى كتفين في الناحيتين الشرقية والغربية عمود رخامي دائري البدن يقوم على قاعدة مستطيلة ويعلوه تاج على شكل ورقة الأكثس.

الإيوان الشمالي :

يشبه هذا الإيوان الإيوان الجنوبي تماما فيما عدا أن جداره الشمال يشتمل على بابين متشابهين عرض كل منهما (٩٥ر) متر يؤدي كل منهما إلى خلوة مستطيلة الشكل يغطيها سقف خشبي، والجدار الغربي للخلوة الجنوبية باب آخر عرضه (٩٥ر) متر يؤدي إلى خلوة ثالثة متداخلة ذات شكل مستطيل أيضا يغطيها سقف خشبي يشبه سقفي الخلوتين المشار إليهما، أما الباب الشمالي فيؤدي إلى خلوة رابعة مستطيلة الشكل يغطيها سقف خشبي مشابه لبقية السقوف، ومن ذلك يتضح أن مساكن الصوفية كانت تقع أساسا خلف هذا الإيوان وقد تلاشى أمرها كما تلاشى أمر مطبخها وحظائرهما.

الإيوان الغربي :

هذا الإيوان عبارة عن دخلة (سدلة) عرضها (٣ر٧٥) متر وعمقها (٣ر٣٠) متر، تفتح على الصحن بعقد نصف دائري كبير، ويشتمل على دكة للمبلغ تقوم على سقف من عروق خشبية ولها دروة تتكون من سبع حشوات من خشب الخرط، كما تشتمل في ناحيتها الشمالية والجنوبية على بابين متشابهين عرض كل منهما (١ر١٠) متر.

الإيوان الشرقي :

يشغل هذا الإيوان مساحة مستطيلة طولها (٧ر٨٠) متر وعرضها (٥ر٨٠) متر تفتح على الصحن بثلاثة عقود تتكون من عقد أوسط ذو عتب خشبي مستوي يكتفه عقدان جانبيان مديبان، ويحمل هذه العقود بالإضافة إلى كتفين في الناحيتين الشمالية والجنوبية عمودان رخاميان دائريان يعلو كلا منهما تاج على شكل ورقة الأكثس ويغطي هذا الإيوان سقف من كتل خشبية كان يزيناها ويزين المناطق فيما بينها زخارف مدهونة لعناصر نباتية وهندسية مختلفة، كما يحيط به أعلى

الجدران إزار خشبي نقش فيه نفس الزخارف المشار إليها في الإيوانات السابقة بالإضافة إلى كتابات نسخية ضاعت غالبية معالمها.

ويتوسط الجدار الشرقي لهذا الإيوان محراب عبارة عن حنية عرضها (١١٠) متر وعمقها (٦٠) متر ذات عقد نصف دائري يحمله عمودان دائريان تعلوه قمرية تزينها زخارف من زجاج ملون على جانبيها شباكان مستطيلان بهما نفس الزخارف الزجاجية الملونة بأشكال نباتية وهندسية مختلفة، وعلى جانبي هذا المحراب شباكان مستطيلان عرض كل منهما (١٤٠) متر وعمقه (٩٥) متر لكل منها عتب مستو، أما جدارى هذا الإيوان الشمالى والجنوبى فبكل منهما دخلة عرضها (٢٧٥) متر وعمقها (٣٠) متر تعلوها عتب خشبي مستو تزينه نفس الزخارف النباتية والهندسية، إلا أنه يتوسط دخلة الجدار الشمالى مدخل عرضه (١١٠) متر ذو عتب حجري مستطيل يؤدي إلى الضريح.

وعلى يمين المحراب يوجد المنبر ويقوم على قاعدة مستطيلة طولها (٢٨٠) متر وعرضها (٩٠) متر تقوم فوقها ريشتان يزينهما من أسفل مثلث كبير به خطوط متداخلة تعلوه سبع حشوات من خشب الخرط وله باب تعلوه حشوة كتابية تثبت أنه صنع لهذه الخانقا سنة (١١٣٩هـ / ١٧٢٦م) على يدى أحمد المخلص صانع الأخشاب المعروف.

القبّة :

يتوصل إلى هذه القبّة من فتحة باب في الجدار الشمالى لإيوان القبلة وهى عبارة عن حجرة مربعة الشكل طول ضلعها (٤٣٥) متر تغطيها قبة تقوم على أربع مناطق انتقال تتكون كل منها من حطتين من المقرنصات المعمولة على شكل حنايا ذات عقود مدببة، إثنان فى أسفل وثالثة فى أعلى، أما ربة القبّة فيها ست عشر نافذة تشبه النوافذ الموجودة بين مناطق الانتقال، وفيما عا ذلك فليس فى القبّة من الداخل أى نوع من الزخارف.

أما جدرانها ففي الجدار الشرقي منها نافذة مستطيلة من أسفل تعلوها شباك مستطيل به زخارف جصية مخرمة تتكون من شجرة سرو مما يثبت أنها مجددة فى زمن لاحق خلال العصر العثمانى، ويشبه الجدار الشمالى الجدار الشرقي بنافذته السفلية وشبাকে العلوى، ويتوسط أرضية

هذه القبة تركيبة رخامية ذات شكل مستطيل طولها (١٥٠) متر وعرضها (١٠٥) متر ذات جوانب أربعة تعلوها أربع بابات نقشت في جوانبها الشرقية والغربية والشمالية آية الكرسي وفي جانبها الجنوبي المرم نص إنشاء التركيبة وتبدأ كتابات هذه الجوانب الأربعة بعد البسملة بقوله تعالى «الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم» (٣٦٠) كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور (٣٦١) هذا ما أعد في حياته العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد أمير مهمندار وأمير نقباء الجيوش المنصورة الناصري ولد الجتاب المهمندار تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته برحمة منه.

القبة من الخارج :

من الباب الشمالي بجدار الصحن الغربي يفضى إلى سلم يؤدي بعد انكسارات ثلاثة إلى مدخل عرضه (٨٥) متر يوصل إلى دكة المبلغ، وبعد ستة انكسارات أخرى إلى السطح حيث القبة في الركن الشمالي الشرقي للخانقاة وهي من الخارج ذات بدن مضلع كان يحيط برقبتها شريط من كتابات نسخية بارزة نصها :

«بسم الله الرحمن الرحيم. إنا فتحنا لك فتحا مبينا، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا» (٣٦٢) وهذه الكتابات في حالة سيئة وكثير منها ضائع.

المئذنة :

تقوم مئذنة هذه الخانقاة في الركن الجنوبي الشرقي، وهي مئذنة صغيرة جددت في عصر لاحق يغلب على الظن أنه العصر العثماني، وقد شمل هذا التجديد بالإضافة إلى المئذنة نوافذ الجدار الشرقي للقبة التي ملئت بجص مخرم على هيئة شجرة السرو التي كانت من أخص سمات الفن في العصر العثماني.

ملحقات الخانقاة :

من مدخل جنوبي في جدار الصحن الغربي يفضى إلى رجة مستطيلة طولها (٢٣٠) متر وعرضها (١٦٠) متر ذات سقف خشبي مستو بصدورها مدخل عرضه (١١٠) متر ذو عتب مستو يؤدي إلى منطقة مستطيلة يتقدمها من الناحية الغربية سلم ينتهي بفتحة عرضها (٨٠) متر تؤدي إلى حجرة مستطيلة يغطيها سقف خشبي مجدّد في جانبها الشمالي حوض مستطيل إلى الجنوب منه بئر مشمئة الأضلاع، وفي الجانب الشمالي من هذه المنطقة عمر مستطيل به أربع دورات مياه متشابهة مجددة، أما في جدارها الجنوبي فيوجد باب مجدّد يفضى إلى استطراق مستطيل في ناحيته الغربية مدخل مجدّد وفي ناحيته الشرقية فتحة في الجدار الجنوبي مما يشير إلى أن هذه المنطقة كانت عبارة عن مiazza ودورة مياه.

٥ - ترميمات الخانقاة :

نالت الخانقاة عناية كبيرة من لجنة حفظ الآثار العربية استهدفت من خلال الترميمات المعمارية والفنية التي أجريت فيها أن تعيد الخانقاة إلى ما كانت عليه من كمال عمارة وجمال زخرف، وقد صرفت اللجنة على هذه الأعمال أموالاً كثيرة ويمكن حصر هذه الأعمال فيما يلي :

في سنة (١٨٨٤م) قامت اللجنة بصرف مبلغ قدره (٤١٥٠١) جنيه على ترميم الجزء الأسفل من المئذنة وأكتاف الباب الكائن في الواجهة الشرقية وهدم وبناء الواجهة الشرقية وبعض الأجزاء الداخلية، وترميم الأكتاف التي تركز عليها القبة مع إبقاء الأحجار السليمة وتغيير التالف، كذلك تجديد جميع الأحجار المنحوتة ولا سيما المكتوب والمنقوش منها وسد شبابيك الضريح بأحجار نحت جيدة وترميم الأعمدة والرخام والسقف^(٣٦٣).

وفي سنة (١٨٨٦م) صرفت اللجنة مبلغاً قدره (٤٥٤) جنيه على ترميمات بهذه الخانقاة لم نستطع تحديدها^(٣٦٤)، وفي سنة (١٨٨٧ - ١٨٨٨م) صرفت اللجنة مبلغاً قدره (٥٠) جنيه على ترميم المنزل الملاصق لهذه الخانقاة^(٣٦٥). وفي سنة (١٨٨٨م) صرفت اللجنة مبلغاً قدره (١٩٠٢٢٠) جنيه على أعمال ترميمية بالخانقاة لم تحدد^(٣٦٦).

وفي سنة (١٨٨٩م) تم تقسيم مبلغ (٢٣١٣) جنيه على أعمال ترميمية قامت بها اللجنة وخص الخانقاة المهندارية من هذا المبلغ ما قدره (٥٠) جنيه شريطة أن تتحمل الأوقاف

مبلغا قدره (٢٥٠ر) جنيه وبذلك يصبح إجمالى ما صرف على الخانقاة فى هذه السنة هو مبلغ (٣٠٠ر) جنيه تم صرفه على تجديد واجهة الخانقاة والمدخل العمومى والمثدنة مع التحفظ على ما فيها من زخارف وأجزاء قديمة^(٣٦٧)، وفى سنة (١٨٩٠م) تم ترميم رخام الخانقاة وشبايكها الجبس وبلغ إجمالى ذلك مبلغا قدره (٣٥٠ر) جنيه خص اللجنة منها خمسون جنيهًا وخص الأوقاف ثلاثمائة جنيه^(٣٦٨).

وفى سنة (١٨٩٢م) صرفت اللجنة من حساب الأوقاف مبلغا قدره (٣٢٤٨٨ر) جنيه على أعمال ترميمية لم تحدد^(٣٦٩)، كذلك فقد تم فى نفس السنة المشار إليها أن صرفت اللجنة من حساب الأوقاف أيضا مبلغا قدره (١٠٠ر) جنيه فى أعمال ترميمية شملت إصلاح المدخل العمومى وبعض الأجزاء الداخلية^(٣٧٠) بالإضافة إلى صرف مبلغ قدره (١٠ر) جنيهات على تجديد الجزء المفقود من التاريخ المنقوش على باب الخانقاة بالرخام الأبيض الملبس على الحجر الأسود^(٣٧١)، وبذلك تكون جملة ما صرفته اللجنة على ترميمات الخانقاة فى السنة المذكورة هو مبلغ (١٤٢٤٨٨ر) جنيه.

وفى سنة (١٨٩٤م) صرفت اللجنة مبلغا قدره (٥٥١ر) جنيه على أعمال ترميمية أخرى لم نستطيع تحديدها^(٣٧٢).

وفى سنة (١٨٩٧م) صرفت اللجنة على حساب الأوقاف مبلغا قدره (٧٠ر) جنيهًا لتغطية صحن الخانقاة بسقف بسيط لا يغير شيئا من أوضاعها^(٣٧٣)، وفى سنة (١٨٩٩م) صرفت اللجنة مبلغا قدره (٩ر) جنيه لعمل سلك لشبايك القبة^(٣٧٤).

وبذلك يتضح أن جملة ما صرفته لجنة حفظ الآثار العربية على ترميم هذه الخانقاة بما فى ذلك ما صرفته من ميزانيتها وما صرفته من ميزانية الأوقاف بلغ مبلغا قدره (١٦١٢٣٦٠ر) ألفا وستمائة واثنى عشر جنيهًا وثلاثمائة وستون مليما، وهو مبلغ لا يمكن مقارنته بالمبالغ الأخرى التى صرفتها اللجنة على الخانقאות المشار إليها، ومع ذلك فقد كان هذا المبلغ على ما يبدو كافيا بالنسبة لحجم هذه الخانقاة وأهميتها إذا قورنت بالخانقאות الأخرى ذات المساحات الواسعة والزخارف الكثيرة المتعددة، ومهما يكن من أمر فإنها قد استطاعت بالترميمات التى أجرتها بالمبلغ المشار إليه أن توصل الخانقاة بشكلها إلى مصلحة الآثار لتتابع المهمة التى بدأتها.

٦ - الخانقاة الجمالية مغلطاي

٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م

أثر رقم : ٢٦

يقول المقرئ أن «هذه الخانقاة بالقرب من درب راشدة يسلك إليها من رحبة باب العيد، والذي بناها هو الأمير الوزير مغلطاي الجمالي في سنة ثمانين وسبعمائة، وجعلها مدرسة للحنفية و خانقاة للصوفية، وتعد من أجمل مدارس القاهرة، ولها أرقاف عدة بالقاهرة وظواهرها وفي البلاد الشامية، وقد تلاشى أمرها لسوء ولائها وتخريبهم أوقافها حتى تعطل منها حضور الدرس والتصوف وصارت منزلا يسكنه أخلاط ممن ينسب إلى أسم الفقه وقرب الخراب منها»^(٣٧٥).

والواقع أن هذه الخانقاة قد نالت حظا من كتابات الكتاب القدامى والمحدثين، وما أمكن الوقوف عليه من هذه الكتابات يجعل حديثنا عنها منحصرا في ست نقاط رئيسية هي:

١ - تاريخ الخانقاة.

٢ - أوقاف الخانقاة ومكتبتها.

٣ - منشئ الخانقاة.

٤ - موظفو الخانقاة.

٥ - وصف الخانقاة.

٦ - ترميمات الخانقاة.

١ - تاريخ الخانقاة:

اختلفت روايات الكتاب الذين تعرضوا للحديث عن تاريخ هذه الخانقاة كثيرا فذكر بعضهم أنها أنشئت سنة (٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م)^(٣٧٦) وذكر بعضهم الثاني أنها بنيت سنة (٧٨٠ هـ /

(١٣٧٨م)^(٣٧٧) وذكر بعضهم الثالث أنها أسست سنة (٨١٠ - ٨١١هـ / ١٤٠٧ - ١٤٠٨م)^(٣٧٨)، بل إن هناك من المستشرقين من أعطاهما تاريخاً يرجع إلى سنة (٧٠٣هـ / ١٣٠٣م)^(٣٧٩)، ومن هذا نرى أن التواريخ التي أعطيت لهذه الخانقاة ترجع فيما بين سنتي (٧٠٣هـ / ١٣٠٣م ، ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م) وقد أثرنا أن نأخذ في ذلك بتاريخ سنة (٧٣٠هـ / ١٣٢٩م) لأسباب منها أولاً أن هذا التاريخ يأتي مباشرة قبل وفاة المنشئ بعامين وهو ما يتفق مع منطق حرص رجال الدولة في هذا العصر على تخليد ذكراهم قبل وفاتهم، ومنها ثانياً أن التاريخ الذي ذكره كل من المقرئى وعلى باشا مبارك وهو سنة (٧٨٠هـ / ١٣٧٨م) لا يتفق مع إمكانية التصديق بأن الخانقاة كانت قد أنشئت بعد وفاة صاحبها بثمان وأربعين عاماً، حتى المقرئى نفسه الذي ذكر سنة (٧٨٠هـ / ١٣٧٨م) كتاريخ للإنشاء هو الذى أشار إلى وفاة المنشئ سنة (٧٣٢هـ / ١٣٣١م) ومنها ثالثاً أن هذا التاريخ هو الذى أخذت به معظم الكتب العربية التى تحدثت عن هذه الخانقاة.

وقد حدد المقرئى موقعها - كما سبق القول - على أنه «قريب من درب راشدة على باب الزقاق المعروف قديماً بدرب سيف الدولة نادر ويسلك إليها من رحبة باب العيد»^(٣٨٠)، وأشار على باشا مبارك إلى «أنها واقعة بين حارة الفراخنة وقصر الشوك»^(٣٨١)، وقال فى موضع آخر أن الخانقاة الجمالية هى المدرسة الجمالية التى بين حارة الفراخنة وقصر الشوك»^(٣٨٢)، كذلك قيل أنها عرفت باسم المدرسة الجمالية ثم عرف شارعها بنفس الاسم^(٣٨٣)، وخلاصة القول أن هذه الخانقاة كانت - على ما يبدو - ذات شأن كبير على عهد صاحبها ثم بدأ أمرها يتلاشى تدريجياً بتلاشى الاهتمام بها وتخريب أوقافها.

وقد ورد فى وثيقة الخانقاة^(٣٨٤) أن من شروط مؤدب الكتاب أن يكون متزوجاً صحيح العقيدة متديناً عاقلاً من حملة كتاب الله عالماً بالقراءات السبع، صالحاً لتعليم القرآن والحديث والخط والآداب والاستخراج، وأن يعلم الأطفال ما يطيقون، وأن يعاملهم بالإحسان والتلطف والاستعطاف، ومن أتى منهم بما لا يليق أدبه ويفعل ما أباحه الشرع ولا يضرب الضرب المبرح^(٣٨٥).

٢ - أوقاف الخانقاة ومكتبتها :

أشار المقرئ إلى أن «شأن هذه الخانقاة كان كبيرا، وكان يسكنها أكابر فقهاء الحنفية وتعد من أجل مدارس القاهرة، ولها أوقاف بالقاهرة وظواهرها وفي البلاد الشامية»^(٢٨٦) وقد فسر لنا ذلك كل من ابن الجيعان في القرن (٨هـ / ١٤م) وابن دقماق في القرن (٩هـ / ١٥م) فأشار الأول إلى أن أوقاف هذه المدرسة الخانقاة كانت تشتمل على ما يلي :

١ - منزل نعيم (شرقية)

لم يعين لها مساحة ولكنه قال أن عبرتها كانت (٢٠٠) دينار، كانت باسم الأشراف من عريان الحجاز ثم صارت وفقا للجمالي ناظر الخواص الشريفة^(٢٨٧).

٢ - محلة نسيب : (غربية)

مساحتها (٨٠٠) فدان وعبرتها (٣٠٠٠) دينار، كانت باسم الأمير موسى بن قمارى ثم صارت وفقا على مدرسة الجمالي ناظر الخواص الشريفة^(٢٨٨).

٣ - أفلاحة : (بحيرة)

مساحتها (٢٧٠٤) فدان، كانت عبرتها (٣٠٠٠) دينار ثم صارت (٢٠٠٠) دينار وكانت باسم الأمير مغلطاي ثم آلت للأمير أزيك اليوسفي^(٢٨٩).

٤ - محللتا نصر ومسروق (بحيرة)

مساحتهما (٦٢٨) فدانا وعبرتهما (١٤٠٠) دينار كانتا باسم عامل ثغر الاسكندرية ثم صارتا وفقا للجمالي ناظر الخواص الشريفة^(٢٩٠).

٥ - ببيج أنقاش (بحيرة)

مساحتها (١٢٤٠) فدانا وعبرتها (٣٤٠٠) دينار، كانت باسم أقتمر عبد الغنى ثم صارت وفقا للجمالي ناظر الخواص الشريفة^(٢٩١).

٦ - قلناو: (أخيم)

مساحتها (٣٣٢٥) فداناً وعبرتها (٧٠٠٠) دينار، كانت باسم الأمير علمدار الحمدى ثم صارت وقفا للجمالى ناظر الخواص الشريفة^(٣٩٢).

وذكر الثانى أن أوقاف الجمالى الأستاذار كانت تشتمل على ما يلى :

٧ - بردنوه: (فيوم)

عبرتها (٧٠٠٠) دينار ومساحتها (١٩٦٦) فداناً^(٣٩٣).

٨ - مطاي وبنى محمد: (فيوم)

عبرتهم (٢٣٠٠٠) دينار ومساحتهم (٤٩٩٠) فداناً^(٣٩٤).

٩ - هرب شنت والكواشرة: (فيوم)

عبرتهما (١٠٠٠٠) دينار ومساحتهما (١٢٧٠) فداناً^(٣٩٥).

١٠ - البرقا وجزائرها:

عبرتها (٩١٠٠٠) دينار ومساحتها (٢٢١٩) فداناً^(٣٩٦).

١١ - القلندون:

عبرتها (١٣٠٠٠) دينار ومساحتها (٣٤١٠) فداناً^(٣٩٧).

١٢ - تنوف:

عبرتها (١٠٠٠٠) دينار ومساحتها (٤٠٧٢) فداناً^(٣٩٨).

١٣ - زفيتى شطنوف:

عبرتها (١٠٠٠٠) دينار ومساحتها (لم تذكر)^(٣٩٩).

ومعنى ذلك أن حصرا عاما لأوقاف صاحب هذه الخاتقة يوضح ما يلى :

| مصدر | عبرة بالدينار | مساحة بالفدان | جهة | مسلسل |
|---------------|---------------|---------------|-------------------|-------|
| التحفة السنية | ٢٠٠ | - | منزل نعيم | ١ |
| » » | ٣٠٠٠ | ٠٨٠٠ | محلة نسيب | ٢ |
| » » | ٣٠٠٠ | ٢٧٠٤ | أفلاقة | ٣ |
| » » | ١٤٠٠ | ٠٦٢٨ | محلتا نصر ومسروق | ٤ |
| » » | ٣٤٠٠ | ١٢٤٠ | بييج أنفاش | ٥ |
| » » | ٧٠٠٠ | ٣٣٢٥ | قلفار | ٦ |
| الانتصار | ٧٠٠٠ | ١٩٦٦ | بردنوه | ٧ |
| » | ٣٠٠٠ | ٤٩٩٠ | مطاي وبنى محمد | ٨ |
| » | ١٠٠٠٠ | ١٢٧٠ | هرب شنت والكواشرة | ٩ |
| » | ١٠٠٠٠ | ٢٢١٩ | البرقا وجزائرها | ١٠ |
| » | ١٣٠٠٠ | ٣٤١٠ | القلندون | ١١ |
| » | ١٠٠٠٠ | ٤٠٧٢ | تنوف | ١٢ |
| » | ١٠٠٠٠ | - | زفتى شطنوف | ١٣ |
| | ١٠١,٠٠٠ | ٢٦,٦٢٤ | جملة الأوقاف | |

وهي أواق ذات عائداث هائلة بلغت ستة وعشرون ألفا وستمائة وأربعة وعشرون فدانا، قيمة عائدها كانت قد بلغت مائة ألف دينار وألف، وعلى ذلك فلا غرابة أن تكون خائنة مغلطاي الجمالي هذه واحدة من أهم عمائر عصرها، ولا غرابة أيضا أن ينتهي إليها أجل فقهاء الحنفية كما ذكر المقرئ.

أما فيما يتعلق بمكتبة الخائنة فقد أشارت بعض المراجع العربية إلى أن الأمير جمال الدين الأستاذار حينما شيد مدرسته برحبة باب العيد جمع لها الكتب واشترى الكثير من مكتبة المدرسة الأشرفية بعد هدمها^(١٠٠)، بل لقد ورد أن أمين مكتبة هذه الخائنة كان يتقاضى أجرا قدره عشرة

دراهم^(٤٠١)، وكان أمناء المكتبات يتقاضون مرتبات متفاوتة تبعا - على ما يبدو - لأهمية المنشأة وإمكاناتها فأمين مكتبة قانى باى الرماح مثلا كان يتقاضى أجرا قدره ستة عشر درهما، وأمين مكتبة الناصرية فرج كان يتقاضى أجرا قدره عشرون درهما، وأمين مكتبة الأشرفية برسباى كان يتقاضى أجرا قدره مائتى درهم، وأمين مكتبة أزبك من ططخ كان يتقاضى أجرا قدره ثلاث مائة درهم، وأمين مكتبة الغورى كان يتقاضى أجرا قدره ألفا وخمسمائة درهم يضاف إلى هذا الأجر بضعة أرطال من الخبز يوميا كانت تتفاوت أيضا تبعا لتفاوت أهمية المنشأة وإمكاناتها^(٤٠٢).

٣ - منشئ الخانقاة :

منشئ هذه الخانقاة هو الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالى بن عبد الله الأستاذار الذى عرف بخنزور (وهى كلمة تركية معناها الديك)، اشتراه الملك الناصر محمد بن قلاوون ونقله وهو شاب من الجامكية إلى الإمرة على إقطاع الأمير صارم الدين إبراهيم نقيب المماليك السلطانية فى صفر سنة (٧١٨هـ / ١٣١٨م)، ثم قرية السلطان إليه وصار يتتدبه إلى المهمات الخاصة به ويطلعه على سره ولا سيما بعد أن عينه أستاذارا لدولته.

ثم أرسله إلى الحجاز فى السنة المشار إليها أميرا للركب ليقبض على صاحب مكة الشريف أسد الدين رميته بن أبى نعى، فقبض عليه وأحضره إلى القلعة فى الثامن عشر من المحرم سنة (٧١٩هـ / ١٣١٩م) ولما قبض السلطان على القاضى كريم الدين عبد الكريم بن هبة الله ناظر الخواص خلع على مغلطاي الجمالى عند قدومه من دمشق بعد سفره إليها لإحضار شمس الدين غبريال وجعله أستاذارا عوضا عن الأمير سيف الدين بكتمر العلائى وكان ذلك فى جمادى الأولى سنة (٧٢٣هـ / ١٣٢٣م).

ثم أضاف إليه السلطان بعد ذلك الوزارة وخلع عليه فى يوم الخميس ثامن رمضان سنة (٧٢٤هـ / ١٣٢٤م) عوضا عن الصاحب عبد الله بن الغنام، وقيل إنه لم يكن أهلا لهذه الوزارة ولا أهلا لتصرف أمور المملكة أو الأموال الديوانية.

وخلال الفتنة التى حدثت بالاسكندرية بين أهلها وبين الفرجة غضب السلطان على أهل الاسكندرية وبعث إليهم بمغلطاي الجمالى فى رجب سنة (٧٢٧هـ / ١٣٢٦م) فقبض على كثير

من العامة ووسط بعضهم، وقطع أيدى وأرجل بعضهم، وصادر أصحاب الأموال منهم، وبلغت متحصلاته التي أحضرها للسلطان مائتى ألف دينار، ومع ذلك فقد صرف من الوزارة فى ثانى شوال سنة (١٣٢٨م) وأبقى له على الأستاذية.

ثم سافر إلى الحجاز وتوفى فى طريق عودته عند أيله فى يوم الأحد سابع عشر المحرم سنة (٧٣٢هـ / ١٣٣١م) فصبر وحمل إلى القاهرة ودفن بهذه الخانقاة فى يوم الخميس حادى عشرى المحرم المذكور بعد ما صلى عليه بالجامع الحاكمى، فولى الأستاذية بعده الأمير أقبغا عبد الواحد، وأشار المقرئى إلى أنه كان حسن الطباع ميالا للخير يقبل الهدايا ويحب التقادم فحلت له الدنيا وجمع منها شيئا كثيرا لأنه كان يعزل ويولى بالمال وكان له عقب بالقاهرة غير صالحين ولا مصلحين^(٤٠٣).

٤ - موظفوا الخانقاة :

مما لا شك فيه أن إمكانات هذه الخانقاة التى أشير إليها من خلال الأوقاف التى كانت لمنشئها قد جعلتها واحدة من أهم خانقاوات القاهرة وأكثرها نفقة، وقد ارتبط بهذه الإمكانيات كثرة عدد موظفيها الذين وقفنا منهم - طبقا لما أمكن الاطلاع عليه من المصادر العربية المتعلقة بالتراجم - على ست مجموعات هى :

أ - شيوخ الخانقاة وأئمتها.

ب - نظار الخانقاة ونوابهم.

ج - مدرسو الخانقاة.

د - قراء السيرة بالخانقاة.

هـ - نزلاء الخانقاة.

و - خدم الخانقاة.

أ- شيوخ الخانقاة وأئمتها:

أفاض علينا كل من المقرئى وابن الصيرفى والسخاوى فى الفترة ما بين القرنين (٨/هـ / ١٤م)، (١٠هـ / ١٦م) بتراجم عدد غير قليل من شيوخ هذه الخانقاة وأئمتها.

ومن ذكرهم السخاوى من شيوخها على بن عبد الوهاب بن أحمد بن أبى زرع العراقى الأصل القاهرى الشافعى، ولد بعد سنة (٨١٠هـ / ١٤٠٧م) فدرس واشتغل بالعلم حتى مات جده فأضيفت إليه جهاته كلها ومنها مشيخة الجمالية وتدريسها فيما عدا درس الحديث الذى أسند بوصيته من الجد إلى شيخ السخاوى العلامة ابن حجر، مات فى رمضان سنة (٨٣٣هـ / ١٤٢٩م) (٤٠٤).

أما شيوخ صوفيتها فمنهم - كما ذكر المقرئى - الشيخ علاء الدين على بن عثمان التركمانى الحنفى وابنه قاضى القضاة صدر الدين محمد بن عبد الله التركمانى الحنفى ثم قريبهم حميد الدين حماد (٤٠٥)، ومنهم - كما ذكر ابن الصيرفى فى حوادث المحرم سنة (٨٧٥هـ / ١٤٧٠م) - الشيخ سرى الدين عبد البر بن الشحنة المالكى الذى صار يسعى عند الأكابر حتى قرروا له نظر الجوالى وربوا له على الأوقاف الشافعية والحنيفة وكان باسمه تصوف الجمالية والبيبرسية (الجاشكيرية) وكان يرمى بأنه شيعى، ثم قال عنه أنه كان يعرف النجارة والحدادة ويصنع الإسفيداج وغير ذلك من الصنائع (٤٠٦).

ومنهم - كما ذكر السخاوى - إبراهيم بن على بن محمد بن ظهيره القرشى الخزومى المكى الشافعى عالم الحجاز ورئيسة الذى عرف بابن ظهيرة، ولد فى النصف من جمادى الأولى سنة (٨٢٥هـ / ١٤٢٢م) بمكة فحفظ وتعلم إلى أن حج السلطان سنة (٨٨٤هـ / ١٤٧٩م) بعد انتهاء مدرسته التى أنشئت له بمكان رباط السدرة ونحوه فزاد فى تعظيمه وقرره شيخ الصوفية والدرس بها وحضر معه أول يوم وحيثذو رغب لابنه عن مشيخة الجمالية (٤٠٧).

ومنهم عبد الرحمن بن عنبر بن على بن يعقوب الزين العثمانى البوتيجى ثم القاهرى الشافعى، ولد سنة (٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) بابى تيج من الصعيد ققرأ وحفظ وسار على قانون السلف فى غالب أحواله ومزيد التودد وكمال العقل وملازمته لمباشرة ما كان باسمه من تصوف الجمالية

ومشيخة سعيد السعداء وغيرها من الوظائف الجليلة، ومات في الثالث عشر من شوال سنة (٨٦٤هـ / ١٤٥٩م) ^(٤٠٨).

أما عن أئمة الخانقاة فلم نعر منهم إلا على ترجمة واحدة ذكرها السخاوى هي ترجمة عمر بن حسين بن أحمد بن البدر العبادى الطنتدائى ثم القاهرى الأزهرى الشافعى، ولد تقريبا سنة (٨٠٤هـ / ١٤٠١م) بمنية عباد من الغربية ثم تحول منها إلى طنتدا فأكمل بها وحفظ إلى أن «ولى إمامة الجمالية فى سنة ست وعشرين (وثمانمائة) ومشيخة التصوف بالباسطية وتدرىس الفقه بالبرقوقية بعد المحلى وبالقراسنقرية ومشيخة سعيد السعداء بعد التقى القلقشندى، مات فى ربيع الأول سنة خمس وثمانين (وثمانمائة)» ^(٤٠٩).

ومن هذا يتضح أن مشيخة هذه الخانقاة كان قد وليها غير واحد من أفاضل علماء العصر مثل ابن أبى زرة العراقى الشافعى وابن الشحنة المالكى وابن ظهيره الشافعى الذى كان كما قال السخاوى عالم الحجاز ورئيسه، وكفا الخانقاة بهؤلاء فخرا وتعظيما.

ب - نظار الخانقاة ونوابهم :

ترك لنا السخاوى ترجمة اثنين من نظار هذه الخانقاة يعرف أولهما من سياق ترجمته لعلى بن عبد الوهاب بن أحمد بن أبى زرة العراقى المشار إليه حين قال «وقر الناظر فى الجمالية ناصر الدين البارنبائى نائباً عنه فى وظيفته فيها (أى نائباً عن على بن عبد الوهاب العراقى الناظر)» ^(٤١٠)، أما ثانيهما فهو أحمد بن محمد بن خليل بن عرفات الشهاب بن الخباز الشافعى نزيل المنكوتعمرية وقتا قرأ القرآن والمنهاج واشتغل فى الفقه والعربية وغيرها «وباشر بالمدرسة الجمالية ناظر الخاص نيابة» ^(٤١١).

ج - مدرسو الخانقاة :

انحصر مدرسو هذه الخانقاة - طبقا لما أمكن الوقوف عليه من تراجم - فى مدرسى المذاهب الأربعة ومدرسى الحديث ومدرسى التفسير ومدرسى القراءات وفيما يلى بعضا من تراجم هؤلاء وأولئك :

أ - مدرسو المذاهب :

يؤكد ما أمكن الوقوف عليه من تراجم هؤلاء المدرسين أن الخانقاة التي بين أيدينا كانت واحدة من المدارس التي درست فيها المذاهب الفقهية الأربعة (الشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية)، وقد ترك لنا كل من المقرئى وابن الصيرفى والسخاوى بعض تراجم هؤلاء فذكر السخاوى من مدرسى شافعيته أحمد بن على ابن محمد بن أحمد الكنانى العسقلانى المصرى ثم القاهرى الشافعى الذى عرف بابن حجر لقب بعض آبائه، ولد فى ثانى عشرى شعبان سنة (٧٧٣هـ / ١٣٧١م) بمصر العتيقة ونشأ بها يتيما فى كنف الزكى الخروبى (أحد أوصيائه) فحفظ القرآن وهو ابن تسع سنين والعمدة وألفية ابن العراقى وغيرها، ودرس فى أماكن كالتفسير بالحسينية والمنصورية والحديث بالبيريسية والجمالية والشيخونية وجامع ابن طولون والقبة المنصورية وغيرها وولى الإفتاء بدار العدل والخطابة بالجامع الأزهرى، ولم يزل على جلالة وعظمته فى النفوس إلى أن توفى فى أواخر ذى الحجة سنة (٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) ودفن بجاء تربة الديلمى بالقرافة^(١٢)، ويكفى الجمالية فخرا أن يكون ابن حجر العسقلانى علامة عصره أحد مدرسى المذاهب فيها.

وذكر ابن الصيرفى من مدرسى مالكيته الشيخ نور الدين على بن القاضى شمس الدين محمد المشهور بابن التنسى المالكى، ولد بالقاهرة سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة (١٤٢٧م) فحفظ واشتغل ولم يزل يدأب فى التحصيل حتى تقدم ومهر واستقر فى تدريس الجمالية بعد عمه القاضى بندر الدين التنسى، مات فى سابع شوال سنة (٨٧٥هـ / ١٤٧٠م) ودفن بحوش الصوفية بسعيد السعداء^(١٣) وأضاف السخاوى إلى مدرسى المالكية بهذه الخانقاة عبد الرحمن بن تقى الدين القبائى القاهرى المالكى ناب فى القضاء عن البساطين، ودرس للمالكية بالجمالية برغبة الشمس البساطى له عنها إلى أن مات واستقر فى الجمالية بدلا منه البدر بن التنسى^(١٤).

أما عن مدرسى حنفيته فقد سبقت الإشارة إلى ما ذكره المقرئى من أنه كان يسكنها أكابر فقهاء الحنفية^(١٥)، ومع انه لم يذكر لنا بعضا من تراجم هؤلاء الحنفية فقد أمكن الوقوف - مما ذكره السخاوى - على ترجمة اثنين أولهما أحمد بن اسماعيل ابن إبراهيم بن المجد القاهرى الحريرى الجوهري القادري الحنفى، ولد سنة خمس وأربعين وثمانمائة (١٤٤١م)

فحفظ القرآن والعمدة وألفية ابن مالك والجرومية وتنزل في جهات كالأشرفية برسباى والصرغتمشية والشيخونية واستقر في تدريس الجمالية إلى أن مات في صفر سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة (١٤٨٧) (١٦).

وثانيهما أحمد بن إبراهيم بن نصر بن القاضي عز الدين أبو البركات بن ناصر الدين الكنانى العسقلانى الأصل القاهرى الصالحى الحنبلى ولد فى سادس عشر ذى القعدة سنة ثمانمائة (١٣٩٧م) بالمدرسة الصالحية ونشأ بها فى كفالة أمه لموت والده فحفظ القرآن وجوده وتفقه وناب فى القضاء عن شيخه المجد سالم وهو ابن سبع عشرة سنة، وصعد بها إلى الناصر وألبسه خلعه، بل لما ضعف استتابه فى تدريس الجمالية الحسينية والحاكم وأم السلطان فباشرها مع وجود الأكابر، ثم ولى قضاء الحنابلة بعد البدر البغدادي - مات ليلة السبت الحادى عشر من جمادى الأولى سنة ست وسبعين (وثمانمائة) (١٤٧١م) وشهد السلطان الصلاة عليه فى جمع حافل ثم رجعوا به إلى حوش الحنابلة عند قبر أبويه ولم خلف بعده مثله (١٧).

ب - مدرسو الحديث ونوابهم :

ترك لنا السخاوى ثلاث تراجم لمدرسى الحديث بهذه الخانقاة ونوابهم أولهم عبد السلام بن داود بن عثمان بن عبد السلام بن عباس العز السلطى الأصل المقدسى الشافعى الذى عرف بالعز القدسى ولد سنة إحدى أو اثنتين وسبعين وسبعمائة بكفر الماء (قرية بين عجلون وحبراف) ثم انتقل به قريه ابن هلال العجلونى فى حدود سنة سبع وثمانين إلى القدس فحفظ حتى أذن له فى الإفتاء والتدريس سريعاً، واستقر فى تدريس الحديث بالجمالية عقب الكمال الشمسى فانتفع به الفضلاء، قال عنه السخاوى أنه كان إماماً علامة داهية لسنا فصيحا فى التدريس والخطابة وغيرها، مات يوم الخميس خامس رمضان سنة خمسين ببيت المقدس (١٨).

وثانيهم عبد القادر بن على بن مصلح القاهرى الشافعى الذى عرف بابن مصلح ثم بابن النقيب، ولد سنة أربع وأربعين وحفظ القرآن ومختصر أبى شجاع والمنهاج واستقر فى تدريس الحديث بالجمالية وفى مشيخة الرباط بالبيبرسية برغبة إبراهيم التلوانى، قال عنه السخاوى «وما رأيت أحداً يحكى عن دروسه شيئاً يؤثر» (١٩).

أما نواب مدرسى الحديث بهذه الخاتقة فقد أشار السخاوى إلى ترجمة واحد منهم هو عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن على القطب القلقشندى الأصل القاهرى الشافعى، ولد فى سادس رجب سنة سبع عشرة وثمانمائة (١٤١٤م) بالقاهرة فحفظ ودرس «ثم ناب عن ابن النواجى فى درس الحديث بالجمالية ومات ليلة الثلاثاء ثالث شعبان سنة إحدى وسبعين وثمانمائة (١٤٦٦م)»^(٢٠).

ج - مدرسو التفسير:

لم نثر من هؤلاء إلا على ترجمة واحدة ذكرها السخاوى هى ترجمة عبد البر بن محمد بن محمود سرى الدين بن المحب الحلبى ثم القاهرى الحنفى سبط الولوى السفطى عرف بابن الشحنة، ولد فى تاسع ذى القعدة سنة (٨٩١هـ / ١٤٤٧م) بحلب وانتقل منها صحبة أبويه إلى القاهرة فحفظ واشتغل حتى ولى خطابة جامع الحاكم وتدرس الحديث بالحمينية والتفسير بالجمالية عوضا عن التقى الحصنى ولما عجز أبوه ناب عنه فى الشيخونية تصوفا وتدرسا (ولم يذكر وفاته)^(٢١).

د - مدرسو القراءات:

لم نجد من مدرسى القراءات الذين عملوا بهذه الخاتقة إلا ترجمة واحدة ذكرها السخاوى هى ترجمة طاهر بن محمد بن على بن مكين الدين بن النور النويرى ثم القاهرى الأزهرى المالكى، ولد بعد التسعين وسبعمائة بقرية دنديل بالقرب من النوية وانتقل إلى القاهرة فحفظ وسمع ثم ولى مشيخة الإقراء بجامع طولون بالقاهرة وبالجمالية، مات فى ربيع الأول سنة ست وخمسين وصلى عليه بالصحراء ودفن بترية طشتمر^(٢٢).

هـ - قراءة السيرة بالخاتقة:

ترك لنا السخاوى أيضا ترجمة من تراجم قراءة السيرة بالجمالية هى ترجمة خضر بن محمد بن داود بن يعقوب الحلبى ثم القاهرى الشافعى الذى عرف كأبيه بابن المصرى، ولد بحلب سنة (٧٨٥هـ / ١٣٨٣م) فحفظ واشتغل وأخذ ثم استقر بعد موت والده فى قراءة الحديث بالأشرفية

الجديدة وقراءة السيرة بالجمالية وكان أحد صوفية الخانقاة السعيدية، مات في ذى القعدة سنة سبعين (وثمانمائة)^(٤٢٣).

و- نزلاء الخانقاة :

انحصر ما أمكن الوقوف عليه من تراجم نزلاء الخانقاة التي بين أيدينا فيمن ذكرهم السخاوى ومنهم إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل بن برهان الدين بن قطب الدين القلقشندي الأصل المصري الشافعي الأطروش، اشتغل يسيرا وكتب المنسوب وتنزل في صوفية البيبرسية والجمالية حتى مات في ثاني عشرى ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين (وثمانمائة)^(٤٢٤).

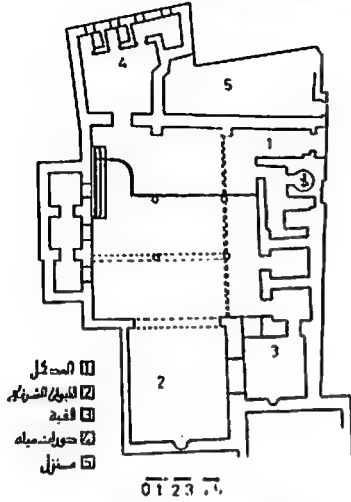
ومنهم إبراهيم بن أحمد بن خلف البمبي ثم القاهري المالكي التاجر بسوق العمى خارج باب الفتوح، كان خيرا متعبدا وتنزل في الخانقاة الجمالية وغيرها، مات في عشر رجب سنة ثمان وستين (وثمانمائة)^(٤٢٥)، ومنهم أحمد بن محمد الشهاب البالسي الأصل القاهري الشافعي الماوردي ابن أخت النواجي ممن اشتغل قليلا وسمع الحديث وتنزل في الجمالية وغيرها حتى مات بعد التسعين ظنا^(٤٢٦).

ومنهم أحمد بن علي بن حسين بن الشهاب العبادي ثم القاهري الأزهرى الشافعي ابن أخى السراج عمر، ولد في سنة سبع وثمانمائة بمنية عباد، وقدم القاهرة فحفظ القرآن والمنهاجين وألفيتي الحديث والنحو، مع المداومة على التلاوة وتصوفاته بالجمالية والبيبرسية وغيرهما، مات في تاسع عشر ربيع الأول سنة ثمانين (وثمانمائة) ودفن بحرش سعيد السعداء^(٤٢٧).

ز- خدام الخانقاة :

لم نعر من خدم هذه الخانقاة أيضا إلا على ترجمة واحدة ذكرها السخاوى هي ترجمة أحمد بن محمد بن قاسم الشهاب الطوخى ثم القاهري الشافعي الذى وصفه السخاوى بخدام الجمالية، ولد في صفر سنة (٧٨٣هـ / ١٣٨١م) واشتغل وتنزل في الجهات حتى مات في ثاني عشر ذى الحجة سنة ثلاث وخمسين بعد أن تعلل مدة واستقر بعده في الخدمة الشمس بن أخت الشيخ مدين رحمه الله^(٤٢٨).

٥ - وصف الخانقاة: (أنظر لوحة : ١٠) مسجد مغلطاي الجمالي



لوحة ١٠: الخانقاة الجمالية (مغلطاي)
أثر رقم ٢٦ (٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م) مسقط أقي

تقع بقايا هذه الخانقاة بشارع قصر الشوك بحى الجمالية، ولها واجهة رئيسية بحرية طولها (٢١٦٠) متر بها دخلتان متشابهتان عمق كل منهما (٢٥) متر وعرضها (١٩٠) متر فى أسفلها شباك مستطيل الشكل عرضه (١٣٠) متر وارتفاعه (٢٣٠) متر به أرماع ومخزرات حديدية يعلوه عتب حجري من صنجات مزورة على شكل ورقة نباتية ثلاثة الفصوص واحدة فى وضع معتدل وواحدة فى وضع معكوس، وفوق هذا العتب عقد عائق بينهما طيلة عقد ضاعت معالمها، يلى ذلك شباك قنصلية ذو عقدين نصف دائريين يحملهما فى الوسط عمود رخامى دائرى البدن له قاعدة وتاج كمثرى الشكل، تعلوه قمرية دائرية إلا أن زخرفة هذا الشباك قد ضاعت، وتنتهى هذه الدخلة بعتبتين من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا، يمتد بطول هذه الواجهة إزار غائر نقش فيه كتابات نسخية بارزة نصها:

«يوما تنقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب»^(٢٩)، أمر بإنشاء هذه الخانقاة المباركة السعيدة من فواضل إنعام وجزيل عطاء الله المقر الكريم^(٣٠) العالى المولوى الأميرى الأجلى الكبيرى المجيرى^(٣١) الخدمى الاسفهلارى العلائى عمدة الملوك^(٣٢) والساطين مغلطاي الجمالى أستاذ الدار العالية الملكى الناصرى، وكان الفراغ (غير كامل) وكان يتوج هذه الواجهة شريط من شرافات مسننة، ومن هذا يتضح أن معالم هذه الواجهة كانت قد تغيرت تماما يدل على ذلك أن بداية النص الإنشائى ونهايته غير موجودة الآن^(٣٣) (أنظر شكل : ١٨).

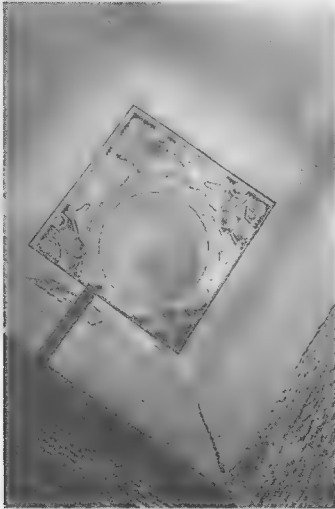
المدخل والدركاة والقبة :



شكل ١٨ : الخانقاة الجمالية (منطاي) أثر رقم ٢٦
(١٣٣٠هـ / ١٣٢٩م) جزء من الواجهة

تبدأ الواجهة المشار إليها من الناحية الغربية بالمدخل المنخفض عن أرضية الشارع بحوالي (٢) متر وهو عبارة عن دخلة عرضها (٢) متر وعمقها (٧٥ر) متر يعلوها عقد ثلاثي الفصوص يحده جفت لاعب ذو ميمات دائرية غير منتظمة الأبعاد، وفوق الباب نافذة مستطيلة فاقدة لما كان فيها، ويدخل من هذا الباب عبر دهليز إلى صحن المدرسة الخانقاة التي لم يبق من عمارتها غير القبة^(٤٣) التي تقع في الناحية الشرقية ويؤدي إليها مدخلان في جدارها الغربي عرض كل منهما

(١) متر ويعلوه عتب مستو، وهذه القبة عبارة عن حجرة مربعة طول ضلعها (٤٣٠ر) متر تقوم في أركانها الأربعة العليا مناطق انتقال عبارة عن حطتين من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا (انظر شكل ١٩) تعلوها رقبة القبة وبها ست عشرة نافذة مستطيلة كل منها ذات عقد مدبب.



وبين كل منطقتين من مناطق الانتقال توجد ثلاث نوافذ قندلية أخرى (اثنان في أسفل وثالثة في أعلا) لكل منها عقد مدبب أيضا إلا أنه لا يوجد بأى منها ولا بنوافذ رقبة القبة أية زخارف، ويعلو الرقبة في أسفل القبة شريط من كتابات بارزة بخط الثلث نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم أدخلوها بسلام

آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين لا يمسه فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبي عبادي أنى أنا الغفور الرحيم^(٤٣٥)»، كذلك فإن صرة القبة من الداخل تشتمل على

شكل ١٩ : الخانقاة الجمالية (منطاي) مقرنص القبة

كتابة أخرى تقول «الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم»^(٤٣٦).

المحراب :

يقع هذا المحراب فى جدار القبة الشرقى وهو عبارة عن حنية نصف دائرية عرضها (٩٠) متر وعمقها (٧٠) متر ذات عقد مدبب يحمله عمودان رخاميان مشمتان لكل منها قاعدة وتاج كمثريا الشكل، وهذا المحراب خال من الزخارف تماما، أما جدارى القبة الشمالى والجنوبى فبكل منهما شباك عرضه (١٤٠) متر وعمقه (١٤٠) متر فوقه عتب خشبى مستو.

التركيبة :

يتوسط القبة تركيبة رخامية تقوم على قاعدة مستطيلة طولها (١٧٠) متر وعرضها (١٣٠) متر، أما التركيبة نفسها فهى ذات جوانب أربعة ارتفاع كل منها (٣٥) متر يغطيها سقف من لوح رخامى واحد وتقوم فى أركانها الأربعة أربع بابات رمانية الشكل.

وكان يحيط بجدران هذه القبة فوق زاوية عقد المحراب شريط خشبى كانت تزيينه زخارف نباتية وهندسية مختلفة، أما باقى الخانقاة فيما عدا ذلك فكله حديث.

٦ - ترميمات الخانقاة :

نالت هذه الخانقاة بعضا من رعاية لجنة حفظ الآثار العربية منذ سنة (١٨٨٤م) حتى سنة (١٩٠٩م) يدل على ذلك ما ورد خاصا بهذا الشأن فى محاضر اللجنة وتقاريرها، ومن ذلك ما جاء فى الكرامة الثانية عن سنة (١٨٨٤م) خاصا بوصف حالة الأثر حينذاك وفيه أن هذا الجامع (الخانقاة) ذو تصميم غريب إذ يشتمل على مربع مكشوف الصحن محاط بعقود ستينية كبيرة وقد بنى فى زمن كانت الفنون فيه متقدمة، وكان بناؤه فى غاية الافتخار من الرخام النادر والأحجار الصلبة الموضوعة كالألواح وسط أسفله المصنوعة من الرخام الأبيض المزينة بأشكال على هيئة فروع بارزة قليلا، وكان لها منظر موفق ورونتى زاهر، ومن سوء الحظ أنه لم يعتنى به على مرور الزمان

حتى أن معظم الألواح المذكورة فصل من السور وتشتت قطعها فى جملة بلاط الصحن المنتزع هو أيضا من البناء الملاصق فتشقت وفقدت توازنها، ورأت اللجنة ضرورة ترميم هذا الأثر وإعادة حدوده الأصلية إلى ما كانت عليه على أن يبدأ قسمها الهندسى بتقوية ألواح الرخام التى لم تزل فى مكانها بواسطة قضبان حديدية أو كلاليب برونزية والانتفاع بالقطع المشتتة بين البلاط وترميم الحائط والعقد الغربى للمحراب وتجديد تبليط القاعة التى من الرخام على حسب طرازها القديم^(٤٣٧).

وبدل عليه أيضا أنه فى سنة (١٨٩١م) حدث ميل فى الواجهة الشرقية لهذه الخانقاة وقد عاينت اللجنة ورأت ضرورة ترميمها وترميم باقى الأثر وقررت لذلك مبلغا قدره (٨٠٠ ر) جنيه^(٤٣٨) ولم يرد فى المحاضر تفصيلا له، وفى سنة (١٨٩٢م) قامت اللجنة بالإشراف على ترميم واجهتى الخانقاة، وقد تمت هذه العملية على حساب ناظرها وتكلفت مبلغا قدره (١٢٥ ر) جنيه^(٤٣٩)، وفى سنة (١٨٩٣م) قامت اللجنة بشد الكتف الأيسر لدخل الخانقاة وكذا عتب الباب العمومى بواسطة مقاول أشغال جامع يرقوق حيث كانت تقاسى من ضغوط معمارية اقتضى الأمر ضرورة إيقافها وتكلفت هذه العملية مبلغا قدره (١١ ر) جنيه^(٤٤٠).

وفى سنة (١٩٠٩م) قامت اللجنة بترميم الواجهة البحرية وبنيت الإيوان البحرى وتكلفت هذه العملية مبلغا قدره (٥٠٠ ر) جنيه^(٤٤١).

ومن ذلك يتضح أن اللجنة لم تصرف على هذا الأثر الذى وصفته بكل مدح وإطراء غير ما يقرب من (١٣١١ ر) جنيه ويبدو أن عذرها فى ذلك كان بسبب أنه كان فى نظارة الشيخ محمد شمس الدين، ولم يقبل هذا الناظر التنازل عنه لديوان الأوقاف لكى تباشر اللجنة فيه أعمالها، وعلى ذلك فقد كان هذا الوضع على ما يبدو عائقا كبيرا فى سبيل إصلاح هذا الأثر وترميمه مما كان له أكبر الأثر فى تلاشيهِ وضياح معظم معالمه المعمارية^(٤٤٢).

٧ - الخانقاة القوصونية "قبة الغفير"

٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م

أثر رقم : ٢٩١

كانت الخانقاة القوصونية واحدة من أجمل خانقاوات القاهرة المملوكية شمال القرافة مما يلي قلعة الجبل أنشأها تجاه جامعة الأمير سيف الدين قوصون وكملت عمارتها سنة (٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م) وطبقا لما لدينا من مادة تاريخية فإن حديثنا عن هذه الخانقاة سيشتمل على خمس نقاط رئيسية هي:

١ - تاريخ الخانقاة وأوقافها.

٢ - منشىء الخانقاة.

٣ - موظفو الخانقاة.

٤ - وصف الخانقاة.

٥ - ترميمات الخانقاة.

١ - تاريخ الخانقاة وأوقافها:

ترك لنا المؤرخون العرب - ولا سيما المقرئى وابن تفرى بردى والسيوطى وعلى باشا مبارك وغيرهم - معلومات جيدة عن تاريخ هذه الخانقاة منذ القرن (٨ هـ / ١٥ م) وحتى القرن (١٣ هـ / ١٩ م).

يقول المقرئى فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) ١ هذه الخانقاة كما سبقت الإشارة إلى ذلك شمال القرافة مما يلي قلعة الجبل، أنشأها تجاه جامعة الأمير سيف الدين قوصون وكملت عمارتها فى سنة ست وثلاثين وسبعمائة^(١٤٣)، وقد نقل محقق المنهل الصافى فى تعليقه على ذكر ابن تفرى

بردى لهذه الخانقاة ما ذكره المقرئى حيالها بالنص من حيث موقعها ومنشعها وسنة اكتمال عمارتها^(٤٤).

وقد ترك لنا السيوطى فى القرن (١٠هـ / ١٦م) ما يتفق من حيث كمال عمارتها مع ما ذكره كل من المقرئى وابن تغرى بردى، إلا أنه أضاف أنها «كانت من أعظم جهات البر وأعظمها خيرا إلى أن حصلت الحن سنة ست وثمانمئة فتلاشى أمرها كما تلاشى غيرها»^(٤٥).

أما على باشا مبارك فقد كرر فى القرن (١٣هـ / ١٩م) ما ذكره المقرئى خاصا بموقع الخانقا ومنشعها وكمال عمارتها، ثم أضاف إلى ذلك ما يتفق مع ما ذكره السيوطى حين قال: «وقد تخرت هذه الخانقاة وبنى محلها زاوية سيدى محمد المجاهد التى هى خارج باب الوزير مما يلى القلعة تجاه جامع باب الوزير الذى هو جامع قوصون»^(٤٦)، ثم قال فى موضع آخر من نفس الكتاب «أنها عرفت بالشيخ المعتقد سيدى محمد المجاهد المدفون بها على ضريحه مقصورة من الخشب أنشأها الحاج على المجاهد سنة (١٢٦٨هـ) وشعائرها مقامه إلى اليوم» أى إلى عصره فى القرن (١٣هـ / ١٩م)^(٤٧).

وقد تعرضت هذه الخانقاة للتخريب مرتين أولاها عندما نهبها العامة هى والمسجد تجاهها خلال ثورتهم على قوصون فى سلطنة الناصر محمد الأولى، وثانيتهما أيام الحملة الفرنسية عندما اعتدى الفرنسيون على كثير من آثار منطقة باب القرافة بالتدمير البارود كما حدث بالنسبة للخانقاة النظامية القرية وغيرها.

وقبل أن نهى الحديث عن تاريخ هذه الخانقاة يجب أن نشير إلى أن لجنة حفظ الآثار العربية قد سجلت بقايا الخانقاة تحت رقم (٢٩١ - أثر) بينما سجلت بقايا المسجد تحت رقم (٢٩٠ - أثر) وهو الجامع الذى اندثر وأقيم فى جزء من مكانه - على ما يبدو - مسجد مسيح باشا والى وفى الجزء الآخر زاوية الإمام جلال الدين السيوطى التى حقق أحمد تيمور باشا موقعها فى هذا المكان، وبذلك لم يبق من هذا المسجد إلا مئذنة فريدة فى شكلها عظيمة فى بنائها تمتاز بمقرنصاتها المتعددة وبدنها العالى الذى يتكون من قاعدة مربعة تعلوها دورة مشعنة فوقها دورة دائرية تنتهى بجلسة مقرنصة تحمل خوذة مضلعة، وتقف هذه المئذنة وحيدة على حائطها الغربى

والجنوبى بقايا شرافات المسجد^(٤٤٨).

أما عن أوقاف الخانقاة فإن معلوماتنا فيما يتعلق بها تنحصر فيما ذكره ابن الجيعان في القرن (٨هـ / ١٤م) وابن دقماق في القرن (٩هـ / ١٥م) وفي هذا يشير الأول إلى أن أوقاف صاحب هذه الخانقاة كانت تشمل على:

١ - العدوية والوقف السيفى:

«وقف قوصون ومنجك، لم يكن لها مساحة، عبرتها (٤٥٠٠) دينار»^(٤٤٩).

٢ - طرا:

مساحتها (لم تذكر) وعبرتها (١٠٠٠) دينار كانت وقفا للأشراف وقوصون^(٤٥٠)، وقد حدد ابن دقماق مساحة هذه البلدة بمائتى وستة وعشرون فدانا، أما عبرتها فقد اتفق فيها مع ما ذكره ابن الجيعان وهى ألف دينار، إلا أنه زاد على ذلك قوله «وكان بها الجميزة التى طرح تابوت موسى من تحتها والتى ظلت باقية حتى سنة (٣٥٢هـ / ٩٦٣)»^(٤٥١).

٣ - حجر الأعلام:

لم تحدد مساحته، أما عبرته فكانت (٢٢٥٠) دينار كانت وقفا لقوصون ومن معه^(٤٥٢).

٤ - قشش:

مساحتها (٣٢٦) فدانا وعبرتها (٤٢٢٠) دينار، كانت وقفا لقوصون ومن معه^(٤٥٣).

ويبدو أن أوقاف منشئ هذه الخانقاة لم تكن وقفا عليه وحده، بل كانت مشاركة بينه وبين الأشراف تارة وبين الأمير منجك تارة أخرى وبينه وبين الأمير بردبك السيفى تارة ثالثة - يدل على ذلك ما ذكره ابن الجيعان - فيما سبقت الإشارة إليه - عندما تحدث عن وقف العدوية فسماه العدوية والوقف السيفى، وبدل عليه أيضا أن هناك حجة محفوظة فى أرشيف وزارة الأوقاف تحت رقم (٣١١٦) باسم بردبك السيفى وقوصون، ورغم أننا لم نستطع الاطلاع عليها إلا أن اسم

الواقف الذى شمل الأميرين معا ربما يدل أيضا على صدق ما ذهبنا إليه بالنسبة لأوقاف هذه الخانقاة.

وأيا كان الأمر فإن نظرة فاحصة لهذه الأوقاف توضح أنها كانت بالأرقام كما يلي:

| مسلسل | جهة | مساحة بالفدان | عبرة بالدينار | مصدر |
|---------|-----------------------|---------------|---------------|----------------|
| ١ | العدوية والوقف السيفى | — | ٤٥٠٠ | التحفة السينية |
| ٢ | طرا | ٢٢٦ | ١٠٠٠ | الانتصار |
| ٣ | حجر الأعلام | — | ٢٢٥٠ | ، ، |
| ٤ | قشش | ٣٢٦ | ٤٢٢٠ | ، ، |
| المجموع | | ٥٥٢ | ١١٩٧٠ | |

ومن هذا يتضح أن جملة متحصلات هذه الأوقاف كانت تبلغ حوالى اثنى عشر ألف دينار، إذا قسمناها مناصفة بين شركاء قوصون وبينه على اعتبار أنه كان عاملا مشتركا مع كل منهم أمكن القول أن ما كان بحصته من هذه الأوقاف كان يبلغ ستة آلاف دينار سنويا، وهو مبلغ ليس بالكبير إذا ما قيس بما سبقت الإشارة إليه من أوقاف الخانقاوات الأخرى ذات الإيرادات الهائلة، ولكنه مع ذلك كان كافيا للوفاء بالتزامات موظفى الخانقاة طبقا لإمكاناتها المتاحة.

٢ - منشىء الخانقاة:

يقول ابن حجر أن قوصون الساقى الناصرى كان قد أحضر لمصر مع الجماعة الذين أحضروا ابنة القان أزيك زوج الناصر محمد، فلما رآه (الناصر أكرم كبير الجماعة يبيعه له واشتراه بثمانية آلاف درهم، ثم عظمت منزلته عند الناصر فأمره وبالحق فى الإحسان إليه حتى زوجه ابنته سنة (٧٢٧هـ / ١٣٢٣م)، ولما توفي الناصر تعصب قوصون للمنصور أبى بكر حتى سلطنه وقام هو بتدبير المملكة فقبض على بشتاك وسجنه بالاسكندرية إلى أن أرسل إليه من قتله فخلا له الجوى

واستبد بتدبير السلطنة عن طريق نيابته للمنصور، وظل الأمر على ذلك حتى وقعت الوحشة بينه وبين المنصور، وانتهت هذه الوحشة إلى إخراج المنصور إلى قوص فظل بها حتى دس إليه قوصون من قتله، وجلس فى نيابة السلطنة حتى أيام الأشرف كجك، ثم ترفع عن ذلك ونهى له دارا داخل باب القلة من القلعة كان يمد فيها سباطا أعظم من سباط السلطان، وظل على هذا الحال حتى خامر الأمراء عليه العامة، فثاروا عليه ونهبوا اسطبله وخانقائه ثم امسكوه وقيدوه وسبق معتقلا إلى الاسكندرية حتى رجع الناصر إلى مصر فأرسل إليه أحمد بن صبيح فقتله ف محبسه بالاسكندرية فى أواخر شوال سنة (٧٤٢هـ / ١٣٤٢م) ^(١٥٤).

أما المقرئى فكان فيما ذكره عن قوصون أكثر تفسيراً للأحداث من ابن حجر حيث يقول أنه حضر إلى مصر من بلاد بركة ^(١٥٥) صعبة خوند ابنة أربك امرأة الناصر محمد فى ثالث عشرى ربيع الآخر سنة عشرين وسبعمائة، ومعه من البضائع ما قيمته خمسمائة درهم ليتجر فيها فى أسواق القاهرة وتحت القلعة وفى داخلها، واتفق أنه دخل فى بعض الأوشاقية لأنه كان صبيبا جميلا طويلا له من العمر ما يقارب الثمانى عشرة سنة، وظل يتردد إلى الأوشاقى حتى رآه السلطان (الناصر) فأمر بإحضاره إليه وإبتاع منه نفسه وصار من جملة مماليكه المحبيين إليه.

وهنا أسلمه للأمير بكتمر الساقى وجعله أمير عشرة، ثم أعطاه إمرة طلبخانة ثم جملة أمير مائة ومقدم ألفورقاه حتى بلغه أعلا المراتب وزوجه ابنته وتزوج (السلطان) أخته فلما احتضر السلطان عهد بالسلطنة لابنه أبى بكر وجعل قوصون وصيا على أولاده، ولم يبق أبى بكر فى السلطنة إلا شهرين خلعه بعدهما قوصون ونفاه إلى قوص ثم قتله ونصب أخاه الأشرف كجك وله من العمر خمس سنين، وتقلد معه نيابة السلطنة وأمر من حاشيته وأقاربه ستين أميراً، وظل الأمر على ذلك حتى اخفق قوصون فى التدبير لأحمد بن الناصر الذى كان مقيما بالكرك فحرك على نفسه ما كان ساكنا فطلب أحمد الملك لنفسه وكاتب الأمراء والنواب بالشام ومصر فأذعنوا وركبوا لحرب قوصون وقبضوا عليه بقلعة الجبل آخر شهر رجب سنة (٧٣٢هـ)، ونهبت داره ودور حواشيه وحمل إلى الاسكندرية صاحبه الأمير قبلان فقتل بها، وكان كريما وله من الآثار بمصر الجامع والخانقاة بباب القرافة والوكالة بباب النصر وداره التى بالرميلة تحت القلعة بجاء باب السلسلة ^(١٥٦) وكان يعيش فيها - كما تروى بعض المراجع العربية الحديثة - عيشة بدخ وترف

زائد حتى قيل أنه وجد في مخازن قصره كميات كبيرة من الأبسطة بلغت (١٨٠) زوجا منها ما كان طوله من (٣٠ - ٤٠) ذراعا ومنها أربعة أبسطة من الحرير الخالص^(٤٥٧).

٣ - موظفوا الخانقاة :

أمدتنا المصادر العربية ببعض التراجم التي أمكن من خلالها حصر موظفي هذه الخانقاة في قسمين رئيسين أولهما وظائف دينية تشمل بعض شيوخ الخانقاة وبعض مدرسيها وبعض صوفيتهما ونزلاتها، ثانيهما وظائف خدمية وتشمل بعض المؤذنين والفناء والكحال (طبيب أمراض العيون) وفيما يلي عرض لما أمكن الوقوف عليه من تراجم هؤلاء وأولئك.

أولا أصحاب الوظائف الدينية :

يتحصر ما عثر عليه من تراجم وظائف هذه الخانقاة الدينية - كما قلنا - في بعض شيوخ الخانقاة وبعض مدرسيها وبعض صوفيتهما.

أ - شيوخ الخانقاة :

ترك لنا ابن حجر والمقريزي وابن تغري بردي والسيوطي والسخاوي بعض تراجم من ولوا مشيخة هذه الخانقاة، ومنهم محمود بن عبد الرحمن بن احمد بن محمد بن أبي بكر بن علي العلامة شمس الدين أبو الثناء الأصبهاني الذي طلب - كما يقول ابن حجر - على البريد إلى القاهرة في ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين (وسبعمائة) بسفارة الشيخ مجد الدين الأقصري شيخ خانقاة سرياقوس فنزل عنده وعمل له سماع وبنى له قوصون الخانقاة ورتبه شيخا لها وكانت وفاته في ذي القعدة سنة تسع وأربعين (وسبعمائة) بالطاعون العام^(٤٥٨)، ويضيف المقريزي أن قوصون «رتب له معلوما سنيا من الدراهم والخبز واللحم والصابون والزيت وسائر ما يحتاج إليه حتى جامكية غلام بلغته، واشتقر ذلك في الوقت من بعده لكل من ولى المشيخة بها»^(٤٥٩). وربما هذه - على قدر علمنا - هي أول سابقة من نوعها في التاريخ المملوكي حيث تبنى خانقاة من أجل شيخ لم يكن حتى من أهل القاطنين فيها وإنما استدعى إليها على البريد بسفارة الأقصري شيخ خانقاة سرياقوس الذي كان يعرف بشيخ الشيوخ.

ويبدو أن سفارة الأقصري هذه كانت سببا في قيام علاقة وطيدة بين خانقاة سرياقوس وخانقاة قوصون، يدل على ذلك أن ابن تغرى بردى في ترجمته لشيخ السرياقوسية أحمد بن اسحاق بن عاصم بن نظام الدين الأصبهاني الحنفى (٧٦٠ - ٨٠٢ هـ / ١٣٥٨ - ١٣٩٩ م) قال «وتولى عوضه فى مشيخة خانقاة سرياقوس الشيخ إيليا شيخ خانقاة قوصون»^(٤٦٠)، وقد ذكر السخاوى هذا الشيخ بتحريف فى ثنايا ترجمته للشيخ أحمد بن اسحاق بن عاصم فقال - «إذا لم يكن خطأ مطبعيا - واستقر بعده (أى بعد أحمد بن اسحاق بن عاصم فى المشيخة ابنيا شيخ الخانقاة القوصونية، ثم أضاف نقلا عن المقرئى فى عقوده أنه لم ير فى شيوخ الخوانك من يداينه فى حشمته ورياسته ومرؤته وتجملته وأفضاله»^(٤٦١)، ورغم أن ابن تغرى بردى لم يذكر شيئا عن حياة الشيخ إيليا هذا، إلا أنه أضاف لنا شيئا آخر من شيوخ هذه الخانقاة حين قال «واستقر فى مشيخة خانقاة قوصون الشيخ شرف الدين يعقوب بن رسولا بن أحمد بن يوسف التبانى المتوفى سنة سبع وعشرين وثمانمائة»^(٤٦٢).

ثم أضاف السخاوى من شيوخ هذه الخانقاة على بن أقبرس العلاء القاهرى الشافعى الذى عرف بابن أقبرس، ولد سنة (٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م) بالقاهرة «وتنزل فى قراء الصفة بالجمالية لطراوة صوته ثم اقتصر فيها على التصوف ولازم الظاهر جمقمقى حتى عرف به فولاه وظائف منها نظر البيوت والأوقاف ومشيخة خانقاة قوصون بالقرافة، ومات فى منتصف صفر سنة اثنتين وثمانمائة»^(٤٦٣).

وكان آخر من ذكرهم السخاوى من شيوخ هذه الخانقاة «عبد الله بن محمد بيرم بن مظفر بن صعلوك القرشى الميمونى القاهرى الشافعى سبط التاج الدندرى ولد فى شعبان سنة ثلاث سبعين واستقر فى مشيخة خانقاة قوصون ورافع فيه صوفيتها بحيث عزل عنها بل وعن نيابة الحكم، مات فى شعبان سنة سبع وخمسين»^(٤٦٤).

ب - مدرسو الخانقاة :

لم نعر من تراجم مدرسى هذه الخانقاة إلا على ثلاث تراجم ذكر أولاها وثانيتهما ضمنا ابن حجر العسقلانى فى القرن (٩ هـ / ١٥ م)، وذكر ثالثتها الجبرتى فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م)، يقول

ابن حجر أن عبد الله بن عمر بن داود الكقيرى المعروف بأخى يعقوب جمال الدين، اشتغل وأذن له الخابورى بالإفتاء ودرس بالقوصونية عوضاً عن تقي الدين بن رافع بعناية القاضى تاج الدين وكان يحبه ويكرمه وقرره فى قراءة درسه، ومات فى ذى الحجة سنة سبعين ولم يكمل الأربعين^(٤٦٥).

أما الجبرتي فيقول فى ذكر من مات سنة (١١٨١هـ / ١٧٦٧م) «ومات الشيخ الإمام العلامة المتفنن المتقن الفقيه الأصولى النحوى الشيخ محمد بن موسى العبيدى الفارسى الشافعى، أصله من فارسكور، كان آية فى المعارف والزهد والورع والتصوف وكان يلقى دروساً بجامع قوصون^(٤٦٦) وهو مالا يستبعد معه إلقاء للدروس فى خانقائه أيضاً.

ج - صوفية الخانقاة ونزلاؤها :

يقول المقرئى أن قوصون قرر فى هذه الخانقاة بعد بنائها «جماعة كثيرة من الصوفية ورتب لهم الطعام واللحم والخبز فى كل يوم وفى الشهر المعلوم من الدراهم والحلوى والزيت والصابون، وما زالت على ذلك إلى أن كانت المحن سنة ست وثمانمائة فبطل الطعام والخبز منها وصار يصرف لمستحقيها مال من نقد مصر، وتلاشى أمرها بعد ما كانت من أعظم جهات البر وأكثرها نفعا وخيراً^(٤٦٧)، وهكذا يؤول العبء فى كثير من الخانقاوات لفساد إدارة أوقافها إل نقد مصر فيصرف منه لهؤلاء المتقطعين ويكونون عالة على خزانة الدولة دون عمل إنتاجى مشعر، وزعم هذا كان لهم - على ما يبدو - صوت مسموع عند أهل الحل والعقد، يدل على ذلك ما ذكره السخاوى - فيما سبقت الإشارة إليه عند ترجمته لعبد الله بن محمد بن يرم القرشى المومنى حين قال عنه واستقر فى مشيخة خانقاة قوصون ورافع فيه صوفيتها بخيى عزل عنها بل وعن نيابة الحكم^(٤٦٨).

وقد ترك لنا السخاوى من تراجم صوفية القوصونية أيضاً ترجمة «عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الرحمن بن السقط الرشيدى القاهرى الشافعى الخليفى الصوفى بخانقاة قوصون بالقرافة الصغرى ولد سنة إحدى وأربعين وثمانمائة بسقط رشيد^(٤٦٩).

أما عن نزلاء الخانقاة فلم نعر منهم إلا على ترجمة واحدة ذكرها السخاوى فقال «حسن

بن على بن جوشن بن محمد البدر أبو محمد القاهري البدوي الركاب بالاسطبلات السلطانية كأسلافه، نزيل الخانقاة القوصونية من القرافة الصغرى، ولد بالقاهرة سنة ستين وسبعمائة تقريبا ومات في جمادى الأولى سنة اثنين وأربعين وثمانمائة ودفن بالقرافة^(٧٠).

ثانيا : الوظائف الخدمية :

انحصرت الوظائف الخدمية بالخانقاة القوصونية طبقا لما أمكن الوقوف عليه من التراجم التي وردت في بعض المصادر العربية في بعض المؤذنين والدفناء والكحالين.

د - مؤذنو الخانقاة :

لم نعر من مؤذني هذه الخانقاة إلا على ترجمة واحدة ذكرها السخاوي فقال «خليل بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الجليل الشيخ أبو الصفا القرافي المصري المقرئ الحنبلي ظنا يعرف بالمشيب ولد سنة خمس عشرة وسبعمائة تقريبا فسمع وقرأ على عبد المعطي مؤذن خانقاة قوصون وألف كراسا في النحو، كان سنة إحدى (وثمانمائة)^(٧١)»، ولم يذكر لنا السخاوي شيئا عن حياة عبد المعطي هذا لأن الأذان لم يكن - على ما يبدو - وظيفة هؤلاء المؤذنين الأولى والأخيرة، وإنما كان وظيفة لهم بجانب وظائف أخرى اختلفت باختلاف مدى علم المؤذن ومتحصلاته فيه، ولأن حياة هؤلاء المؤذنين وأمثالهم لم تكن من الأمور التي غنى بها المؤرخون كثيرا لأنهم لم يهتموا إلا بحياة السلاطين والأمراء ومن في حكمهم من علية القوم دون العمال والصناع وأصحاب المهن الخدمية.

دفناء الخانقاة :

اتسمت معظم الخوايق بصفة عامة باشتغالها على حوش لدفن الصوفية من أهل الورع والعلم، وكذلك فعل قوصون بخانقائه حيث أعد بها حوشا لدفن صوفيتها، ويحصر ما أمكن الوقوف عليه من تراجم دفناء هذه الخانقاة - كما كان الحال في المؤذنين والتزلاء - في ترجمة واحدة ذكرها ابن الغزى في القرن (١١هـ / ١٧م) حين قال «عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي سابق الدين بن عثمان بن العلامة كمال الدين السيوطي الخضيرى الشافعى ولد

فى مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة وكانت وفاته فى ناسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة ودفن فى حوش قوصون خارج باب القرافة^(٤٧٢)، وهذا يدل على أن القوصونية كانت تشمل على مدافن صدقة مثل غالبية الخانقارات.

و- الكحال على باب الخانقاة :

ترك السخاوى ترجمة واحدة فى هذا الصدد هى ترجمة عبد الرحمن بن محمد بن موسى المنوفى ثم القاهرى الكحال على باب جامع (وخانقاة) قوصون كان بارعا ف الكحل، ازدحم عليه العامة فيه وراج أمره حتى مات فى مستهل صفر سنة اثنتين وثمانين بعد أن تكسح ورعت السوداء بيدنه ولم يكمل الستين عفا الله عنه^(٤٧٣).

٤ - وصف الخانقاة :



لم يبق من هذه الخانقاة الواقعة فى شارع الشعراء بصحراء قايتباى إلا قبة مضلعة مبنية بالطوب تعرف حالا «بقبة الغفير» ومعدنة بديعة تتكون من أربع دورات كل منهما منفصل عن الآخر وقائم بذاته.

أ - القبة : (أنظر شكل : ٢٠)

شكل ٢٠ : الخانقاة القوصونية (قبة الغفير) - أثر رقم ٢٩١
(٧٣٧هـ / ١٣٣٦م) - القبتان من الخارج

تقوم على مساحة مربعة طول

ضلعها من الخارج (١١٣٥) متر تغطيها قبة متدرجة عند منطقة الانتقال بثلاث درجات تعلوها رقبة كانت مغطاة بالجص المزخرف الذى كان يحوى نقوشا زالت آثارها ولم يبق منها إلا ما يدل عليها، ولهذه القبة من الخارج أربع واجهات نوضح وصفها فيما يلى :

الواجهة الشمالية :

وبها من الناحية الغربية دخلة عرضها (١٧٥) متر بها من أسفل شباك مستطيل أسفله صنجات حجرية مزورة وأعلاه عتب حجرى مزور أيضا، فوقه عقد عاتق بينهما طبله عقد يزيناها فرع نباتى، وكان يعلو هذا الشباك قندلية سدت حديثا، ويتوج هذه الدخلة حطتان من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا.

والى الشرق من الدخلة الواقعة بالضلع الشمالى للقبة يقع مدخلها المعقود - بمقعد مدبب واسع داخل دخلة عرضها (١٤٠) متر - يعلوه عتب من صنجات حجرية مزورة فوقه عقد عاتق بينهما طبله عقد تزيناها زخارف نباتية، وكان يعلو هذا المدخل أيضا شباك قندلية مسدود بسدة حديثة وينتهى بمظلة كبيرة من الخشب.

وفى نهاية هذه الواجهة من الناحية الشرقية يوجد شباك يشبه الشباك القائم بالجانب الغربى إلا أنه لا يقع داخل دخلة ويعلوه نفس العتب ونفس العقد العاتق ونفس الشباك القندلية المسدود، وفى الركن الشمالى الغربى من هذه الواجهة يوجد عامود مخلق ذو بدن اسطوانى تزينه زخارف هندسية لخطوط متداخلة تحصر فيما بينها عناصر نباتية من أوراق الشجر الثنائية والثلاثية وأنصاف المراوح النخيلية.

الواجهة الشرقية :

بهذه الواجهة دخلتان متشابهتان تشبه كل منهما الدخلة التى سبق وصفها فى الجانب الأيمن من الواجهة الشمالية بما فيها من شباك سفلى مسدود وبما يعلوها من عتب مزور وبما فوقه من عقد عاتق (إلا أن طبلتى العقدتين فى هاتين الدخلتين غير مزخرفتين) وبما يعلو كلا منهما من شباك قندلية مسدود، إلا أن نهاية كل دخلة منهما ليست بها حطتى المقرنصات الموجودة فى الدخلة السابقة، وفى المنطقة بين هاتين الدخلتين توجد قمرية دائرية الشكل.

الواجهة الجنوبية :

بهذه الواجهة أيضا دهلتان تشتمل الدخلة الشرقية منهما على شباك عادى فوقه شباك قندلية يشبه ما سبق وصفه فى الواجهتين الشمالية والشرقية، أما الدخلة الغربية فعرضها (٤٨٠) متر

وعمقها (١٥ ر) متر وبها شباك كان مسدودان من أسفل يعلو كلا منهما عتب من صنجات حجرية مزورة تزينها عناصر نباتية لأنصاف مراوح نخيلية وأوراق ثنائية وثلاثية داخل جامات دائرية، وفوق هذا العتب عقد عاتق من صنجات مزورة أيضا أسفله طبلية عقد بها زخارف نباتية مشابهة، ويعلو كلا من هذين الشباكين شباك قنولية مسدود، هذا وفى المنطقة بين عقدى الشباكين يوجد مربع زخرف قوام عناصره أنصاف مراوح نخيلية وأوراق نباتية ثنائية وثلاثية، ويتوج هذه الدخلة من أعلا حطتان من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا.

الواجهة الغربية :

تشتمل هذه الواجهة على دخلة عرضها (٧٠ ر) متر وعمقها (٢٥ ر) متر بها من أسفل ثلاثة شبايك تشبه الشبايك المشار إليها فى الواجهات الأخرى بما فوقها من أعتاب وبما يعلوها من عقود عاتقة وبما فيها من شبايك قنولية، إلا أنه يعول الشباك الأوسط فى هذه الواجهة قمرية دائرية يحيط بها إطار حجرى بارز بداخله شكل بخارية بارزة أيضا، وعلى جانبيه عقد هذا الشباك الأوسط توجد تربعتان زخرفيتان متشابهتان قوام زخارف كل منهما طبق نجمى تتوسط وحداته عناصر نباتية لأوراق ثلاثية وأشكال ورود متعددة الفصوص، هذا ويتوج تلك الواجهة من أعلا حطتان من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا. أما فى باقى أركان هذه القبة فتوجد أعمدة مخلقة تشبه العمود المشار إليه.

القبة من الداخل :

عبارة عن مساحة مربعة طول ضلعها (٧٠ ر) متر تقوم فوقها قبة على أربع مناطق انتقال تتكون كل منطقة منها من سبع حطات من المقرنصات على شكل حنايا عبارة عن عقود نصف دائرية كانت مغلقة بالخشب تقوم فوقها رقبة القبة وبها ست نوافذ صغيرة مستطلة ذات قمم مثلثة تتألف من ثلاث نوافذ تحتية يعلوها اثنتان تقوم فوقهما النافذة السادسة وقد سدت هذه النوافذ بسدات حديثة.

ويزن القبة من الداخل زخارف بالطلاء تتكون من عناصر نباتية وهندسية مختلفة، وفيما بين كل منطقتين من مناطق الانتقال توجد وحدة مكررة كل منها عبارة عن ثلاثة شبايك

مستطيلة ذات عقود نصف دائرية، فوقها ثلاث قمریات دائرية، وقد مدت هذه الشباييك والقمریات بسدات حديثة.

محراب القبة :

يتوسط هذا المحراب الجدار الشرقى للقبة وهو عبارة عن حنية عرضها (٩٥ر) متر وعمقها (٦٥ر) متر يعلوها عقد نصف دائرى متراجع كان يكتنفها عمودان غير موجودين، وهذا المحراب خال من الزخارف فيما عدا مثلثين على جانبى عقدة زخارف كل منهما تتكون من تفریعات نباتية وأنصاف مراوح نخيلية وأوراق ثنائية وثلاثية.

وفوق المحراب قمرية دائرية مسدودة يحيط بها جفت لاعب وتحددها من الداخل بخارية دائرية، وعلى جانبيه من الشمال والجنوب يوجد شباكان متشابهان عرض كل منهما (٢٠ر) متر وعمقه (٣٥ر) متر يعلوه عقد نصف دائرى وفوقه نافذة مستطيلة ذات عقد نصف دائرى أيضا.

وعلى جانبى هذا المحراب شريط من كتابات نسخية بارزة يمتد أسفل طاقة المحراب بداخل الحنية أيضا نصه «بسم الله الرحمن الرحيم قد نرى ثقلب وجهك فى السماء فلتولینك قبله ترضاه فاول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره. صدق الله العظيم» (٤٧٤). وكان الفراغ فى رمضان المعظم قدره سنة سبع وثلاثين وسبعمائة.

أما الجدار الغربى لهذه القبة فيشبه تماما جدارها الشرقى إلا أنه بدلا من المحراب الذى يتوسط جدارها الشرقى نجد شباكا يشبه باقى الشباييك تعلوه نفس الوحدة الزخرفية التى تحدد القمرية فوق المحراب بجفتها اللاعب وبالبخارية الدائرية فى داخلها.

أما الجدارين الشمالى والجنوبى فيشبهان بعضهما بعضا، حيث نجد بكل منهما من أسفل ثلاثة شباييك فوقها ثلاثة نوافذ، وتشبه هذه الشباييك وتلك النوافذ شباييك ونوافذ الجدارين الشرقى والغربى، وكان يحيط بأعلا جدران هذه القبة شريط من كتابات نسخية لآيات من القرآن الكريم ضاعت معالمه تماما.

ب - المئذنة :

هذه المئذنة هي أول ما يقابل الداخل من آثار بقرافة السيوطي، وهي ذات شكل مستطيل يشبه الأبراج، وتتكون من ثلاث دورات تقوم على قاعدة مستطيلة الشكل تعلوها شرفة حجرية على هيئة ورقة ثلاثة الفصوص محمولة على مجموعة من المقرنصات أسفلها بقايا شريط كتابي يحيط بأضلاع هذه القاعدة الأربعة نصه «واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون، إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون، قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون» (٤٧٥).

أما الضلع الشمالي لهذه القاعدة فبه بروز يخرج عن سمت الجدار يغلب على الظن أنه كان يشتمل على المدخل الذي يقضى إلى المئذنة من الداخل، ويعلو هذا البروز فتحة توجت بعقد نصف دائري تطل على سلم المئذنة، ومن الملاحظ أن هذه القاعدة محاطة من ثلاث جهات بشرفة تتكون من وحدة زخرفية مكررة على هيئة الورقة النباتية الثلاثية يستلفت النظر فيها أنها ملتصقة بيدن الدورة الأولى للمئذنة مما يرجح أن تغييراً حدث عليها في فترة زمنية ما.

أما الدورة الأولى فهي أقل حجماً من القاعدة وذات بدن مربع فتحت في ثلاثة جوانب منه ثلاث فتحات ضيقة مستطيلة أشبه بالمزاول للتهوية والإنارة، وقد عمل المعمار في الجزء العلوي من هذه الدورة شرافات محمولة على ثلاث حطات من المقرنصات الحجرية ذات الدلايات تسمح كل شرفة منها بمساحة كافية لمن قوم بالآذان، ويكتنف كل شرفة منها من الجانبين عمودان حجريان، ويعلوها صدر مقرنص تشبه خطاته السفلى أشكال المحاريب، وفي أركان هذه الدورة السفلية زريعة أعمدة حجرية مندمجة تحمل تيجاناً كورنشية الشكل ويؤزر هذه الدورة شريط كتابي نصه :

١ - بسم الله الرحمن الرحيم الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة ٢ - وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة ٣ - الأمور الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. صدق الله العظيم (٤٧٦).

يلى ذلك مباشرة شرفة كبيرة مربعة تدور بنفس حجم تربع المئذنة أقامها المعمار على أربع

حطات من المقرنصات الحجرية الضخمة وعمل لها سورا (دروة) من الجهات الأربع ذات شقق حجرية تعلوها ثمان بابات بكل ضلع بينما زخرفت المساحة المحصورة بين كل بابتين (الشقة) بزخارف نباتية من تلك التى عرفت باسم الزخارف الحجرية المفرغة حيث يختلف كل شكل فيها عن الآخر، وأسفل هذه الشرفة يوجد شريط كتابى يلتف حول أضلاع هذه الدروة الأربعة نصه .:

١ - بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكر ٢ - ١ كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذى يصلى عليكم وملائكته ٣ - ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلق ٤ - ونه سلام وأعد لهم أجرا كريما^(٧٧). وذلك بتاريخ سنة سبع وثلاثين وسبعمائة.

أما الدروة الثانية فهى عبارة عن بدن مشمن الأضلاع غنى بالزخارف وأكثر ما يميزه أنه عمل فى كل ضلع من أضلاعه الثمانية زخارف على هيئة المحارِبِ الفاطمية المشعة يتكون كل منها من ثمانية عشر ضلعا تتوسطها دائرة مطموسة تذكرنا بزخارف المحارِبِ فى الجامع الأحمر ومحراب ضريح السادات الثعالبية وغيره من أضرحة المشاهد الفاطمية الشهيرة كالحصوانى والسيدة رقية وبحى الشبيه وغيرها.

ويتوج كل ضلع من هذه الأضلاع الثمانية ذات المحارِبِ الزخرفية المشعة عقد منكسر أسفله فتحة تؤدى إلى السلم من الداخل زخرفها المعمار بعقد حجرى إلا أنه لم يفتح من هذه الفتحات إلا اثنتين فقط هما اللتان تؤديان إلى الشرفة المشار إليها، ويعلو هذه العقود المنكسرة شريط كتابى بالخط الكوفى البارز نصه :

«إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وأتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين^(٧٨). يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا^(٧٩)».

ويعلو هذه المنطقة شرفة دائرية أخرى على أربع حطات من المقرنصات وتوجت بدروة حجرية تعلوها ثمان بابات تشتمل على شقق حجرية ذات زخارف تشبه الزخارف الموجودة فى الشرفة السفلى.

أما الدورة الثالثة فهى عبارة عن جوسق شتمل عل مئة عقود يرتكز كل منها على عمودين حجريين يعلوهما شريط كتابى نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم (متأكل) .. عملوا الصالحات (.. متأكل)

ثم يلى ذلك خوذة المثذنة وهى على هيئة المبخرة الأيوية يخرج من أسفلها ما يشبه المزاغل المحمولة على أربع حطات من المقرنصات الحجرية، والمثذنة بشكل عام ذات طراز جمع بين الطرازين الأيوى والفاطمى من حيث الشكل المعمارى والزخرفى، وكان عليها نص كتابى لم يبق منه شئ وضاعت معالمه تماما.

٥ - ترميمات الخانقاة :

رغم أن أعمال الترميم التى أجرتها لجنة حفظ الآثار العربية فى بقايا هذه الخانقاة لم تكن ذات أهمية كبيرة بالقياس إلى الأعمال التى أجريت فى الخانقاوات الأخرى نظرا لاندثار غالبية مبناها وانحصار الباقي منها فى القبة والمثذنة إلا أنه كان للأعمال التى قامت بها رغم قلتها الفضل فى الحفاظ عليهما.

ففى سنة (١٨٩٠)م عملت مقايسة بمبلغ (٥٠) خمسة جنيهاات لبعض الإصلاحات التى لم تحدد بضريحى قوصون والغورى^(٤٨٠)، وفى سنة (١٩٠٢)م قررت اللجنة لتقوية قبة قوصون وترميمها مبلغا قدره (١٠٠٠)مائة جنيه إلا أن هذا المبلغ المقرر لم كف الأعمال الترميمية المطلوبة واقتضى الأمر زيادته إلى (٢٥٠٠)مائتين وخمسين جنيها على أن يؤخذ الباقي من الاعتمادات غير المنظورة^(٤٨١).

وبذلك كون جملة ما صرفته اللجنة على ترمم بقايا هذه الخانقاة من سنة (١٨٩٠)م إلى سنة (١٩٠٢)م هو مبلغ (٢٥٢٥٠٠) مائتان واثنان وخمسون جنيها وخمسمائة مليم.

٨ - الخانقاة الناصرية «أم أنوك»

٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م

أثر رقم : ٨١

تقع هذه الخانقاة خارج باب البرقية بالصحراء والتي أنشأتها سنة (٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) هي الخوندة الكبرى الناصرية زوجة السلطان الناصر محمد بن قلاوون وأم ولده الأمير أنوك، وقد وردت في المصادر والمراجع العربية بمسميات مختلفة فسمّاها ابن حجر «طفای أم أنوك»^(٤٨٢) وسمّاها المقرئ مرة «أم أنوك» ومرة «طفای الخوندة الكبرى» ومرة «الخاتون طفای»^(٤٨٣) بينما سمّاها الجبرتي «خوند طفای الناصرية»^(٤٨٤).

وأيا كان الأمر فإن حديثنا عن هذه الخانقاة سيشتمل - طبقا لما أمكن الوقوف عليه من مادة تاريخية - على خمس نقاط رئيسة هي :

١ - تاريخ الخانقاة.

٢ - منشى الخانقاة.

٣ - موظفو الخانقاة.

٤ - وصف الخانقاة.

٥ - ترميمات الخانقاة.

١ - تاريخ الخانقاة :

أفادنا كل من المقرئ في القرن (٩ هـ / ١٥ م) والجبرتي في القرن (١٢ هـ / ١٨ م) وعلى باشا مبارك في القرن (١٣ هـ / ١٩ م) ببعض المعلومات القمة عن تاريخ هذه الخانقاة من حيث موقعها ومنشئها وصوفيتها وأوقافها، يقول المقرئ أن «هذه الخانقاة خارج باب البرقية بالصحراء،

والتي أنشأها الخاتون طغاي تجاه تربة الأمير طشتمر الساقى فجاءت من أجل المباني وجعلت بها صوفية وقراء ووقفت عليها الأوقاف الكثيرة لكل جارية من جواربها مرتبا يقوم بها»^(٤٨٥).

أما الجبرتي فيقول أن «بخارج باب البرقية خانكاة أنشأها خوند طغاي الناصرية بالصحراء على يمنا السالك إلى وهذه الجبانة المعروفة الآن بالبستان فلما ولج الفرنساوية أراضي مصر وأحدثوا القلاع فوق التلول هدموا منارة هذه الخانكاة وبعض الحوائط الشمالية وتركوها على ذلك، فلما ارتحلوا عن أرض مصر بقيت على وضعها من التخرب»^(٤٨٦) وقد دخلت هذه الخانكاة فى أواخر القرن الماضى فوجدت بها روحانية لطيفة وبها مساكن وسكان قاطنون، ثم كرر ما ذكره المقرئى عنها من حيث الموقع والمنشئة والجوارى والأوقاف والصوفية والقراء ونحو ذلك.

ومع تكراره لبعض ما ذكره المقرئى عن هذه الخانقاة إلا أنه ترك لنا معلومات هامة عن ساقيتها فقال - من واقع مشاهدته العينية - أن هذه الساقية كانت تجاه بابها فى علوة يصعد إليها بمزلقان، ويجرى الماء منها إلى الخانكاة على حائط به قنطرة مر من تحتها المارون، وتحت الساقية حوض لسقى الدواب^(٤٨٧)، وظل الأمر بالنسبة لهذه الساقية على حاله المروى إل أن ولى أوقاف الخانقاة الشيخ الشرقاوى فأبطل تلك الساقية وبنى مكانها زاوية وعمل لنفسه بها مدفنا وعقد عله قبة وجعل تحتها مقصورة بداخلها تابوت عمال مربع على أركانه عساكر فضة وبن بجانبها قصرا يحتوى على أوراق ومساكن ومطبخ .. وذبيت الساقية وجعلها بشرا عليه خرزة ملؤون منها بالدلو^(٤٨٨).

أما على باشا مبارك فقد أشار هو الآخر إلى ما ذكره المقرئى والجبرتي وقال أن هذه الخانقاة «بأول القرافة خارج باب البرقة المعروف الآن بالغريب، كانت موجودة ذات إيراد إلى زمن دخول الفرنساوية أرض مصر فتخرت وبنى فى مكانها الشيخ عبد الله بن حجازى الشرقاوى زاويته المعروفة وقد استولى على جهات إيرادها وكان الناظر عليها قبله شخصا من شهود المحكمة يقال له ابن الشاهينى»^(٤٨٩) ثم كرر بعد ذلك بالنص ما ذكره الجبرتي خاصا بالساقية من حيث موقعها ووصفها وحوض الدواب الذى كان تحتها وقصة الشيخ الشرقاوى من إبطالها وبناء زاويته ومدفنه وقصره فى مكانها، إلى أن قال «ولم يبق الآن هناك سوى جدران قديمة بجوار زاوية الشيخ الشرقاوى يظن أنها من آثارها فسبحان من له الدوام والبقاء»^(٤٩٠).

والواقع أننا لم نستطيع الوقوف على أية معلومات تفصيلية عن أوقاف هذه الخانقاة التي لا شك في أنها كانت قائمة بتأكيد أكثر من مصدر من المصادر العربية، يدل على ذلك أولاً ما ذكره المقرئ بقوله «أنشأتها الخاتون طغاي .. وجعلت بها صوفية وقراء ووقفت عليها الأوقاف الكثيرة وقررت لكل جارية من جواربها مرتباً يقوم بها»^(٤٩١) ويدل عليه ثانياً ما ذكره الجبرتي بقوله «وكان الناظر عليها شخص من شهود المحكمة يقال له ابن الشاهيني فلما مات تقرر في نظرها المترجم (الشيخ الشرقاوي) واستولى على جهات إيرادها»^(٤٩٢)، ويدل عليه ثالثاً ما ذكره على باشا مبارك بقوله أنها «كانت موجودة ذات إيراد إلى زمن دخول الفرنسية أرض مصر»^(٤٩٣).

وإذا جاز لنا القول أن ما ذكره ابن الجيعان في التحفة السنية خاصاً بأوقاف الأمير أنوك أخى الأشرف شعبان كان من الأوقاف التي آلت إليه من أمه صاحبة هذه الخانقاة، أمكننا القول أن تلك الأوقاف كانت تشتمل على:

١ - الميما والعسكر :

مساحتها (١٠٠٥) فدان وعبرتها (٣٠٠٠) دينار، كانت باسم الأمير أنوك ثم صارت للأمير سودون العلائي^(٤٩٤).

٢ - دبيق :

مساحتها (٣٦٣) فداناً وعبرتها (١٦٠٠) دينار، كانت ملك الأمير أنوك ثم صارت للمقطعين^(٤٩٥).

٣ - دكتور :

مساحتها (٢٠٣٤) فداناً وعبرتها (٥٠٠٠) دينار، كانت باسم الأمير أنوك ثم صارت للمقطعين^(٤٩٦).

٤ - شبين الكوم :

مساحتها (٣١٢١) فداناً وعبرتها (٧٥٠) دينار، كانت باسم الأمير أنوك ثم صارت للمقطمين^(٤٩٧).

٥ - الصف :

مساحتها (لم تذكر) وعبرتها (٤٠٠٠) دينار كانت باسم الأمير أنوك ثم صارت لديوان الذخيرة الشريفة^(٤٩٨).

٦ - أهوى :

مساحتها (١٩٣٤) فداناً وعبرتها (٧٠٠٠) دينار كانت باسم الأمير أنوك ثم صارت للأمير جاني بك^(٤٩٩).

٧ - دلهاش :

مساحتها (١٣٠٠) فداناً وعبرتها (٦٠٠٠) دينار كانت باسم الأمير أنوك ثم صارت للأمير جاني بك^(٥٠٠).

وبذلك يتضح أن جملة هذه الأوقاف كانت قد بلغت - وفقاً للحصر التالي - تسعة آلاف وسبعمائة وسبعة وخمسين فداناً، كانت عبرتها سبعة وعشرون ألفاً وثلاثمائة وخمسين ديناراً سنوياً:

| مصدر | عبرة بالدينار | مساحة بالفدان | جهة | مسل |
|----------------|---------------|---------------|--------------|-----|
| التحفة السيئية | ٣٠٠٠ | ١٠٠٥ | الما والعسكر | ١ |
| الانتصار | ١٦٠٠ | ٠٣٦٣ | ديق | ٢ |
| ، ، | ٥٠٠٠ | ٢٠٣٤ | دهتور | ٣ |
| ، ، | ٠٧٥٠ | ٣١٢١ | شبين الكوم | ٤ |
| ، ، | ٤٠٠٠ | — | الصف | ٥ |
| ، ، | ٧٠٠٠ | ١٩٣٤ | أهرى | ٦ |
| ، ، | ٦٠٠٠ | ١٣٠٠ | دلهاس | ٧ |
| | ٢٧٣٥٠ | ٩٧٥٧ | المجموع | |

٢ - منشئة الخانقاة :

ترجم كل من ابن حجر والمقرئى وابن تغرى بردى وعلى باشا مبارك لمنشئة هذه الخانقاة الخوند الكبرى الناصرية طغاي أم أنوك^(٥٠١)، فقال ابن حجر أن تنكريفا كان قد اشتراها بتعسين ألف درهم قيمتها يومئذ نحو خمسة آلاف دينار، ثم باعها للناظر فأعتقها وتزوجها وحظيت عنده بعد أن ولدت له سنة (٧٢١هـ / ١٣٢١م) ولده الأمير أنوك واستأذنته فى الحج ففعل وبسببها أبطل عن مكة المكس الذى كان يؤخذ على القمح، وكانت عفة كريمة معظمة فى أيامه وبعده إلى أن ماتت فى شوال سنة (٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) وبلغت عدة معتقاتها من الجوارى ألف نسمة ومن الخدام ثمانين طواشيا ولم يستمر الناصر على محبة غيرها من النساء ولم تنكب قط إلى أن ماتت^(٥٠٢).

ومع أن المقرئى لم يذكر شيئا عن قصة شراء تنكريفا لها وبيعها للناصر حين قال أنها كانت من جملة إماء الناصر فأعتقها وتزوجها، إلا أنه أضاف إلينا بعض المعلومات الأخرى عن شخصية هذه المرأة ومنها ما قيل من أنها أخت الأمير أقبغا عبد الواحد وكانت بدية الحسن باهرة الجمال رأت من السعادة ما لم يره غيرها من نساء الملوك الترك بمصر، وتنعمت فى ملاذ ما وصل

سواها لمثلها ولم يدم السلطان على محبة امرأة سواها، وصارت خوند كبرى بعد ابنة توكاي أكبر نساء الناصر حتى من ابنة الأمير تنكر، وحج بها القاضي كريم الدين الكبير وحمل لها يقول في محابر طين على ظهور الجمال كما أخذت الأبقار الحلاية فسارت معها طوال الطريق وكان يقلى لها البجن في الغذاء والعشاء، وكان القاضي وأمير المجلس يترجلون عند نزولها ويمشون في محفتها ويقبلون الأرض لها كما يفعلون للسلطان، فلما مات الناصر استمرت عظمتها من بعده إلى أن ماتت - كما قلنا - في شوال سنة (٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) أيام الوباء عن ألف جارية وثمانين خادما وأموال كثيرة جدا ودفنت بخانقائها هذه، وكانت عفة طاهرة كثرة الخير والصدقات والمعروف، جهزت سائر جواربها وجعلت على قبر ابنها بقبة المدرسة الناصرية بين القصرين قراء ووقفت على ذلك وقفا جعلت من جملة خبزا يفرق على الفقراء في كل يوم^(٥٠٣).

أما ابن تغرى بردى فقد اختصر الحديث عن ترجمتها كثيرا وقال «خوند طغاي أم أنوك زوجة السلطان الملك الناصر تركت مالا كثيرا جدا وهي صاحبة التربة بالصحراء .. وهي التي تولت تربية السلطان الملك الناصر حسن بعد موت أمه أيام الملك الناصر محمد وكانت من أعظم النساء وقتها وأحشمن وأسعدهم»^(٥٠٤).

ثم جاء على باشا مبارك في القرن (١٣هـ / ١٩م) ولم يزد في تسميتها على كلمة «طغاي» ولم يخرج في ترجمتها عما ذكره المقرئ من حيث تكرار القول عن زوجها وابنها وأخيها وحسنها وجمالها وحجها وترجل القاضي وأمير المجلس عند نزولها إلى أن ماتت في الوباء سنة (٧٤٩هـ) عن ألف جارية وثمانين خصيا وأموال كثيرة^(٥٠٥).

٣ - موظفوا الخانقاة:

طبقا لما لدينا من مادة تاريخية قليلة - لا تقاس بما أمكن الوقوف عليه خاصة ببعض الخانقاوات الكبيرة - فإنه يمكن تقسيم وظائف هذه الخانقاة إلى قسمين يتعلق أولهما ببعض وظائفها الدينية ولا سيما الناظر والصوفية، ويتعلق ثانيهما ببعض وظائفها الخدمية ولا سيما المؤذن والوقاد والكناس والملاء.

أولاً: الوظائف الدينية:

تتخصص معلوماتنا عن هذه الوظائف فيما ذكره كل من الجبرتي وعلى باشا مبارك خاصة بالنظارة والصوفية فقط، وهو رغم قلته وعدم التفصيل فيه، إلا أنه يعطينا أسماء بعض الشخصيات التي كانت قد وليت نظارة أوقاف هذه الخانقاة، فيقول الجبرتي فيما سبقت الإشارة إليه «وكان الناظر عليها شخص من شهود المحكمة يقال له ابن الشاهيني فلما مات تقرر في نظرها الشيخ عبد الله بن حجازي الشراوي فاستولى على جهات إيرادها وأزال ساقيتها وبنى لنفسه في محلها ضريحاً فاستولى على جهات وبيتاً^(٥٠٦)، وقد نقل على باشا مبارك ما ذكره الجبرتي بنصه خاصة بهاتين الشخصيتين اللتين وليتا نظارة أوقاف هذه الخانقاة ولم يزد عليه شيئاً^(٥٠٧).

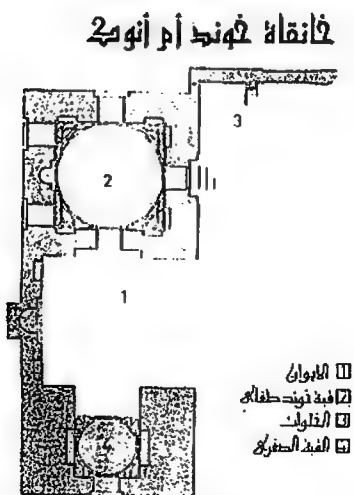
أما ما يتعلق بالصوفية فلم ترد معرفتنا عنه أيضاً على ما ذكره كل من المؤرخين السابقين، فيقول الجبرتي فيما سبقت الإشارة إليه «وقد دخلت هذه الخانقاة في أواخر القرن الماضي فوجدت بها روحانية لطيفة وبها مساكن وسكان قاطنون»^(٥٠٨) وهو يقصد بالمساكن والسكان القاطنين خلوات الصوفية والمتصوفة الساكنين فيها، ويقول على باشا مبارك أن هذه الخانقاة «أنشأها الخاتون طغاي تجاه تربة الأمير طشتمر الساقى فجاءت من أجل المباني وجعلت بها صوفية وقراء»^(٥٠٩).

ثانياً: الوظائف الخدمية:

يختص ما أمكن الوقوف عليه من هذه الوظائف فيما ذكره الجبرتي عندما دخلها ووجد فيها روحانية لطيفة ومساكن وسكان قاطنون بقوله «وفيهم (أى سكانها) أصحاب الوظائف مثل المؤذن والوقاد والكناس والملاء»^(٥١٠)

٤ - وصف الخانقاة: (أنظر لوحة: ١٢)

تقع هذه الخانقاة بشارع قارفة باب الوزير وكانت تشغل مساحة غير منتظمة لم يبق منها إلا



لوحة ١٢: الخانقاة الناصرية (خوند طغاي - أم أنويزة)
أثر رقم ٨١ (٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) مسقط ألقى

إيوان كبير وقبتان إحداهما جنوبية كبيرة والأخرى شمالية صغيرة بالإضافة إلى مساحة خربة كانت تشمل على مرافق الخانقاة.

القبة الجنوبية الكبيرة: (أنظر شكل : ٢١)



شكل ٢١ الخانقاة الناصرية (خوندطفاى -
أم انوك) ٨١ (٧٤٩هـ / ١٣٤٨)
القبة من الخارج ويظهر معها إيوان الخانقاة

تقوم هذه القبة على حجرة مربعة طول ضلعها من الداخل (٧.٠٥) متر فى أركانها الأربعة العليا أربع مناطق انتقال تتكون كل منها من ثلاث حطات من المقرنصات كل وحدة منها عبارة عن حنية ذات عقد مدبب، وتختصر كل منطقتين من مناطق الانتقال هذه فيما بينها نافذتان مستطيلتان كل منهما ذات عقد مدبب تعلوها نافذة ثالثة مستطلة ذات عقد مدبب أيضا.

وفوق مناطق الانتقال المشار إليها تقوم رقبة القبة وبها اثنتى عشرة نافذة مستطيلة متشابهة ذات عقود مدببة يعلوها شريط من كتابات نسخية نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. الله لا إله إلا هو الحى لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم»^(٥١١).

أما صرة القبة من الداخل فيها دائرة إطارها عبارة عن كتابات نسخية بيضاء على أرضة زرقاء نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد»^(٥١٢).

محراب القبة : (أنظر شكل : ٢٢)



شكل ٢٢ : الخانقة الناصرية
(خوند طفاى - أم انوك) محراب القبة

يتوسط الجدار الشرقى لهذه القبة محراب عبارة عن حنية عرضها (١٠ر١) متر وعمقها (١) متر كان يكتنفها عمودان غير موجودين، ويعلوها عقد نصف دائرى متراجع تزينه فى المستويين صنجات مزورة بالألوان الأبيض والأسود والأحمر، وعلى جانبى هذا المحراب من الناحيتين الشمالية والجنوبية يوجد شباكات متشابهان عرض كل منهما (٣٥ر١) متر وعمقة (٧٠ر١) متر يغطيه سقف خشبى.

مدخل القبة :

يقع هذا المدخل فى جدار القبة الغربى داخل دخلة عمقها (٤٠ر١) متر وعرضها (٥٠ر١) متر يعلوها عقد نصف دائرى ممتد، على جانبيه يوجد شباكات متشابهان عرض كل منهما (٤٠ر١) متر وعمقها (٣٥ر١) متر يعلوه سقف خشبى.

أما الجدارين الشمالى والجنوبى لهذه القبة فهما متشابهان تماما، يتوسط كل منهما شباك كبير (يشبه الشباكين القائمين على جانبى المحراب) يكتنفه عن يمين وشمال شباكات يشبهان الشباكين الواقعين فى الجدار الغربى إلا أنه يعلو الشباك الأوسط بالجدار الجنوبى نافذة مستطيلة، وكانت أرضيات هذه الشبايك مفروشة بفسيفساء رخامية ملونة ضاعت معالمها.

وهذه القبة ذات بدن مضلع من الخارج يتكون من مخدات متجاورة تحملها رقبة كان يزينها شريط من بلاطات القاشانى الخضراء المنقوشة بكتابات نسخة بيضاء نصها بعد البسملة آية الكرسي، إلا أن معالم هذه الكتابات قد ضاعت، وتعد هذه التكرسية هى ثالث ظاهرة فى تغطية رقاب القباب المعمارية المملوكية فى مصر بالبلاطات الخزفية بعد قبة طشتمر (٧٣٥هـ / ١٣٣٤م) وقبة أصلم الهائى (٧٤٥هـ / ١٣٤٥م) (٥١٣).

كذلك قد ضاعت معالم التركيبة الرخامية البيضاء التي عل قبر المنشئة والتي وصفها الجبرتي بقوله «ودخلت إلى مدفن الواقعة وعلى قبرها تركيبه من الرخام الأبيض وعند رأسها ختمة شريفة كبيرة على كرس بخط جميل، وهى مذهبة وعليها اسم الواقعة رحمها الله تعالى فلو أن الشيخ الشوقاوى عمر هذه الخانقاة بدل هذا الذى ارتكبه من تخريبها لكان بذلك متقبة وذكر حتى فى حياته وبعد مماته وبالله التوفيق» (٥١٤).

القبة الشمالية الصغيرة :

يؤدى إلى هذه القبة مدخل فى جانبها الغربى يقع داخل دخلة عرضها (٢ر٥٠) متر وعمقها (ر٥٥) متر تكتنفها مكسلتان حجريتان طول كل منهما (ر٦٥) متر وعرضها (ر٥٠) متر وارتفاعها (ر٨٠) متر يحدها كلا منهما جفت لاعب ذو ميمات دائرية، أما المدخل نفسه فعرضه (١ر٢٠) متر يعلوه عتب حجرى مستو فوقه عقد عاتق من صنجات مزورة بينهما طيلة عقد غير مزخرفة، ويعلو هذا العقد العاتق نافذة مربعة، ويتوج الدخلة مقرنصات مقعرة ذات دلايات، وعلى جانب هذا المدخل يوجد إزار غائر نقش فى كتابات نسخية نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. إن المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين» (٥١٥)، ويحدد هذا المدخل جفت لاعب ذو ميمات دائرية كما كان يحدد عتبة المستوى إطار رخامى قوام زخارفة أشكال هندسية تتكون من أجزاء من أطباق نجمية.

الحواصل :

وعلى يمين هذه القبة الصغيرة كانت توجد مجموعة من الحواصل لم يبق منها إلا بقايا جاصلين متهدمين، الشرقى منهما مستطيل الشكل طوله (٣ر٩٠) متر وعرضه (٢ر٩٠) متر يغطيه سقف نصف برميلى من قوالب الطوب الأحمر، فى جداره الجنوبى نافذة مستطلة عرضها (ر٥٥) متر تنتهى من الخارج بمزغلة، ويغلب على الظن أن حواصل الخانقاة كانت تمتد فى هذه الناحية تجاه الغرب وكانت تقوم فوقها خلوات الصوفية التى لم يبق منها لا فى هذه الناحية ولا فى الناحية المقابلة (الشمالية) شيئا.

وعلى يسار هذا المدخل يوجد إيوان مستطيل طوله (١٠) متر وعرضه (٨٫٦٠) متر يغطيهِ سقف نصف برميلي، ويفتح هذا الإيوان على الناحية الغربية بعقد نصف دائري كبير كان يحده إطار من كتابات نسخية بارزة لم يبق منها إلا آثارها، يليه إطار ثالث من كتابات نسخية أيضا، وبما يؤسف له أن هذه الكتابات ضاعت معالمها تماما.

محراب الإيوان :

يتوسط الجدار الشرقي لهذا الإيوان محراب عبارة عن حنية عرضها (١٫٧٠) متر وعمقها (١٫١٠) متر كان يكتنفها عمودان (غير موجودين) يحملان عقدا نصف دائري متراجع، أما زخارف هذا المحراب فكانت تتكون في أسفل من وزرة رخامية ذات أشربة رأسية ضاعت معالمها، وفي داخل الطاقية من أعلا من تفرعات نباتية بها أوراق ثنائية وثلاثية وأنصاف مراوح نخلية، وفي واجهة العقد من نفس العناصر النباتية الموجودة في طاقيته.

ويعلو هذا المحراب منطقة مستديرة تزينها نفس الوحدات النباتية في دائرتين متداخلتين تحصران بينهما دائرة ثالثة تتكون من أشكال دائرية وبيضاوية كانت بها كتابات نسخية لم يبق منها إلا البسملة في إحدى وحداتها البيضاوية بينما ضاعت باقى معالمها تماما، وتذكرنا هذه الدوائر بالدوائر الحجرية الموجودة على واجهة الجامع الأقمر (١١٩٠ هـ / ١١٢٥ م) وبالزخارف المنقوشة في مسجد ألماس الحاجب (٧٣٠ هـ / ١٣٣٠ م) وفي ضريح قوصون (٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م) (٥١٦).

وفوق المنطقة المستديرة المشار إليها توجد ثلاثة صفوف من النوافذ الصغيرة المستطيلة ذات العقود المدببة تتكون من ثلاث نوافذ في الصف الأول تليها نافذتان في الصف الثانى ثم نافذة واحدة في الصف الثالث، (وتشبه في ذلك تماما نوافذ رقة القبة في خانقاة قوصون)، وعلى جانبيها توجد وحدتان زخرفيتان متشابهتان كل منهما على شكل نافذة ذات عقد نصف دائري تمت تزينها نفس العناصر الزخرفية النباتية، أما جانبي المحراب فعلى كل منهما دخلتان متشابهتان عرض كل منهما (١٫٢٥) متر وعمقها (٠٫٦٠) متر.

أما الجدارين الشمالي والجنوبي لهذا الإيوان فهما متشابهان في تكوينهما المعماري بكل منهما دخلة عرضها (٤٫٣٥) متر وعمقها (٠٫٥٥) متر يعلوها عقد مدبب، يتوسطها في الناحية

الجنوبية شباك عرضه (١٦٠ ر) متر به أسياخ حديدية متقاطعة، وهو الشباك الذى يتوسط الجدار الشمالى للقبة الجنوبية.

ويعلو عقد هذا الدخلة منطقة دائرية تشبه زخارفها زخارف المنطقة الدائرية أعلى المحراب إلا أنه من المناطق البيضاء والدائرية فى الدائرة الثانية يوجد بها صرر دائرية تحصر كل صرتين منها كتابات نسخية لآيات من القرآن الكريم غير واضحة المعالم. (أنظر شكل: ٢٣)



شكل ٢٣ : الخانقاة الناصرية (خوند طغاي - أم أنوك) زخارف جصية وكتابات بالقبة

وكان يحيط بجدران هذا الإيوان (الشرقى والشمالى والجنوبى) شريط من الكتابات النسخية القائمة على أرضية موزقة نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم.
يس والقرآن الحكيم إلى قوله تعالى
وما علينا إلا البلاغ المبين» (٥١٧)،
وقد ضاعت هذه الكتابات تماما فى
كل من الجدارين الشرقى والشمالى
(راجع شكل: ٢٣).

القبة المتهادمة:

فى جدار هذا الإيوان الشمالى دخلة تشبه الدخلة الموجودة فى الجدار الجنوبى بتكوينها المعمارى وبما يعلوها من دائرة ذات صرر بارزة إلا أن هذه الدخلة تفتح على قبة ثالثة فى هذه الناحية كانت تعلو حجرة مربعة طول ضلعها (٤٣٠ ر) متر تقوم فى أركانها الأربعة مناطق انتقال تتكون كل منها من حطة واحدة من المقرنصات التى عملت على شكل حنية ذات عقد مدبب، وتحصر كل منطقتين من مناطق الانتقال هذه نافذتان متشابهتان متجاورتان، كل منهما ذات

شكل مستطيل يعلوه عقد مدبب، أما رقة القبة فيها ستة عشر دخلة ذات عقود مدببة إلا أن القبة التي كانت تقوم فوق هذه الرقة قد تهدمت، في جدارها الشرقي والغربي بابان مسدودان متشابهان عرض كل منهما (٢٤٥) متر وعمقه (٥٥) متر يعلوه عتب من خشب مستو، أما الجدار الشمالي فيه شباك مسدود أيضا عرضه (١٧٥) متر وعمقه (٨٥) متر.

٥ - ترميمات الخانقاة :

لم تنل هذه الخانقاة من رعاية لجنة حفظ الآثار العربية إلا نذرا يسيرا انحصر في مبلغ (٥٠ر) جنيه صرفت سنة (٨٧ - ١٨٨٨ م) على أعمال ترميمية لم تحدد^(٥١٨) ومبلغ (٣٠ر) جنيه صرفت سنة (١٩٠٨) على أعمال تقوية للتربة^(٥١٩)، وبذلك لم يتعد ما صرفته اللجنة على هذا الأثر سوى ثمانين جنيها، وربما كان ذلك سببا جوهريا في ضياع معالمها التي لم تبق لنا الأيام منها إلا الإيوان والقبتين.

الفصل السادس

خانقاوات النصف الثاني من القرن الثامن الهجري

النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي

٩ - الخانقاة الدودارية يونس

ح : ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م

أثر رقم : ١٥٧

الواقع أن المعلومات التي أمكن الحصول عليها فيما يتعلق ببقايا هذه الخانقاة ليست بالوفرة التي وجدناها في الخانقאות الأخرى، والذي لا شك فيه أن هذا النقص فيما تركه المؤرخون والباحثون خاصا بها يرجع إلى أنه لم يبق منها إلا قبة صغيرة لا تستلفت النظر لا من حيث الضخامة ولا الفخامة التي اعتادها هؤلاء وأولئك فيما يكتبون عنه، وقد آثرنا ألا ننهج نفس منهجهم ونترك الحديث عنها رغم قلة ما تركته المصادر والمراجع فيما يتعلق بها عسى أن يكون ذلك مقدمة لإضافات أخرى عنها، وعلى ذلك فإن حديثنا عن بقايا هذه الخانقاة سينحصر طبقا لما لدينا من معلومات في أربع نقاط رئيسية هي:

١ - تاريخ الخانقاة وأوقافها.

٢ - منشئ الخانقاة.

٣ - موظفو الخانقاة.

٤ - وصف الخانقاة.

١ - تاريخ الخانقاة وأوقافها:

يقول المقرئ أن «هذه الخانقاة من جملة ميدان القبق بالقرب من قبة النصر خارج باب النصر، أدركت موضعها وبه عدة عواميد تعرف بعواميد السباق وهي أول مكان بنى هناك» (٥٢٠)، ومعنى ذلك أن هذه الخانقاة كانت قد اندثرت على عهد المقرئ في القرن (٩ هـ / ١٥ م) ولم يبق منها إلا آثارها، بدليل قوله المشار إليه «أدركت موضعها وبه عدة عواميد تعرف بعواميد السباق».

أما على باشا مبارك فإنه رغم تكراره لما ذكره المقرئى عن هذه الخانقاة ترك لنا فى القرن (١٣هـ / ١٩م) معلومات أخرى عنها أكثر تفصيلا مما ذكره المقرئى، وقد أشار إليها فى ثلاثة مواضع من كتابه المشهور ذكرها فى أول موضع منها تحت مسمى «زاوية الشيخ يونس» وقال أن التى أنشأتها هى الست عائشة اليونسية وشعائرها مقامة وبها عمودان من الرخام وميضاة وحوض ماء وبیت خلاء، وفى مقابلتها برأس باب شارع الدوارية زاوية تعرف أيضا بزاوية اليونسية كانت أول أمرها مدرسة أنشأتها الست عائشة اليونسية المذكورة نسبة إلى زوجها الأمير يونس السيفى الدوادار الكبير^(٥٢١).

ثم تكلم فى موضع آخر من نفس الكتاب عن زاوية اليونسية فقال أنها «كانت أول أمرها مدرسة أنشأتها الست عائشة اليونسية نسبة إلى زوجها الأمير يونس السيفى الدوادار، فلما هدم رأس الزقاق لتوسعة الطريق هدم منها الجانب الذى به الباب، وبها ضريح الست عائشة اليونسية، ولما اختل نظامها جددتها محمد مناو سنة (١٢٨٠) ولها أوقاف تحت نظره وشعائرها مقامة إلى الآن^(٥٢٢)» ومعنى ذلك أن زاوية اليونسية هذه ظلت مقامة الشعائر من ريع أوقافها حتى القرن (١٣هـ / ١٩م) ثم أضاف إلى ذلك فى موضع ثالث قوله، والظاهر أن هذه الخانقاة محلها الآن (أى على عهده فى القرن ١٣هـ / ١٩م) زاوية الشيخ يونس السعدى التى خارج باب النصر، وهى زاوية صغيرة بداخلها قبر عليه قبة تقول العامة أنه قبر الشيخ يونس مجدد طريقة السعدية بالديار المصرية، وهذا القول ليس بصحيح، لأننا لم نجد ما يدل على ذلك فى كتب التاريخ ولا فى النقل الصحيح، فلعل هذا القبر أنشأه الأمير يونس النوروزى منشئ الخانقاة لنفسه ولم يدفن به كما تقدم^(٥٢٣)، ولا ندرى لماذا دار على باشا مبارك كل هذه الدورات الثلاثة فيما يتعلق بيونس السعدى إلى أن وصل إلى أنه قبر يونس الدوادار الذى هو جزء من خانقاته التى بين أيدينا.

أما فيما يتعلق بأوقاف هذه الخانقاة فإننا لم نعثر منها إلا على ما ذكره ابن الجيعان فى التحفة السنية، ومنه يتضح أن ما أمكن الوقوف عليه من أوقاف هذا الأمير كان يشتمل على ثلاث جهات هى:

١ - الغرفة :

مساحتها (١٨٣) فدانا وعبرتها (٢٠٠) دينار وكانت وقفا للأمير يونس الدوادار^(٥٢٤).

٢ - دمشوية :

مساحتها (٥٤٥) فدانا وعبرتها (٤٠٠) دينار كانت للمقطعين ثم صارت وقفا للأمير يونس الدوادار^(٥٢٥).

٣ - طوخ وجانة :

مساحتها (١٦١٩) فدانا وعبرتها (٤٠٠٠) دينار كانت باسم الأمير حاج بن مقلطاي ثم صارت للديوان المفرد والأمير يونس النوروزي (الدوادار)^(٥٢٦).

وبذلك يتضح أن جملة أوقاف هذه الخانقاة كانت قد بلغت وفقا للاحصاء التالي ألفا وخمسمائة وثمانية وثلاثين فدانا كانت عبرتها ألفين وستمائة دينار منويا.

| مصدر | عبرة بالدينار | مساحة بالفدان | جهة | مسلل |
|---------------|---------------|---------------|-----------|------|
| الحفة السيئية | ٢٠٠ | ١٨٣ | الغرفة | ١ |
| ، ، | ٤٠٠ | ٥٤٥ | دمشوية | ٢ |
| ، ، | ٢٠٠٠ | ٨١٠ | طوخ وجانة | ٣ |
| | ٢٦٠٠ | ١٥٣٨ | المجموع | |

٢ - منشئ الخانقاة :

تتحصّر معلوماتنا عن ترجمة منشئ هذه الخانقاة فقط فيما ذكره المقرئى فى القرن (١٥هـ / ١٥م) وما ذكره على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ / ١٩م) الذى كان ينقل فى غالب الأحيان ما يذكره المقرئى بنصه ثم يعلله أو يضيف إليه من التفسيرات والإضافات ما يراه ضرورياً.

يقول المقرئى أن الأمير النوروزى الدوادار (منشئ هذه الخانقاة) كان من ممالك الأمير سيف الدين جرجى الإدريسى أحد الأمراء الناصرية وأحد عتقائه، ترقى فى الخدم منذ أواخر أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى أن صار من جملة الطائفة اليلبغاوية، فلما قتل الأمير يلبغا الخاصكى خدم بعده الأمير أسندمر الناصرى الأتابك وصار من جملة دوداريتيه، وما زال يونس هذا ينتقل فى الخدم إلى أن قام الأمير برقوق بعد مقتل الأشرف شعبان فى طلب السلطنة فكان يونس ممن أعانه وقاتل معه فرعى له ذلك ورقاه إلى أمير مائة ومقدم ألف حتى جعله دواداره عندما تسلمن (٥٢٧).

ويبدو أن يونس هذا كان مغرماً بالبناء والتشييد فقد ذكر المقرئى أنه أنشأ بالقاهرة ربعا وقيسارية بخط البندقانيين، وتربة خارج باب الوزير تحت القلعة، كما أنشأ بظاهر دمشق مدرسة بالشرف الأعلى، وخانا عظيما خارج مدنة غزة، بالإضافة إلى الخانقاة التى بين أيدينا والتى يقول المقرئى أنه جعل بجانبها مكتبا يقرأ فيه أيتام المسلمين كتاب الله تعالى وبنى بها صهريجاً ينقل إليه ماء النيل (٥٢٨).

وظل يونس النوروزى الدوادار على وافر حرمة ونفاذ كلمته إلى أن خرج الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب على الملك الظاهر برقوق سنة (٧٩١هـ / ١٣٨٨م) فجهز السلطان جيشاً لقتاله جعل على رأسه الأمير أيتمش والأمير يونس الدوادار والأمير جهاركس الخليلي وعدة أخرى من الأمراء والمماليك، فلقوه بدمشق وقاتلوه فهزمهم وقتل الخليلي وفر أيتمش إلى دمشق ونجا يونس بنفسه يريد مصر فأخذه الأمير عيفا بن شطى أمير الأمراء وقتله يوم الثلاثاء ١٢ ربيع الآخر سنة (٧٩١هـ)، ولم يعرف له قبر رغم أنه كان قد أعد لنفسه عدة مدافن فى غير ما مدينة من مصر والشام (٥٢٩).

وقد كثر على باشا مبارك في القرن (١٣هـ / ١٩م) كل ما ذكره المقرئى خاصة بترجمة الأمير يونس الدوادار، إلا أنه أضاف أنه عندما تسلطن برقوق سلك يونس هذا طريقة جلييلة من كثرة الصيام والصلاة ومحبة الفقراء وحضور السماع^(٥٣٠).

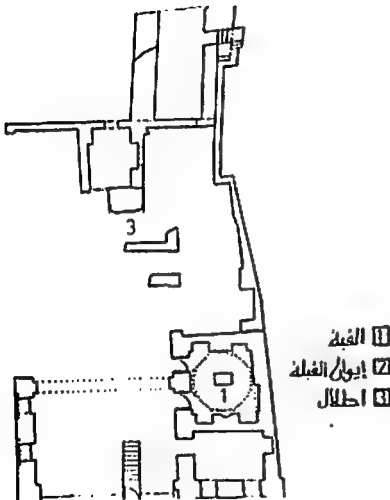
٣ - موظفو الخانقاة :

لم نغثر - فما أمكن الاطلاع عليه من كتب التراجم - على كثير من سير الرجال الذين مارسوا العمل فى وظائف هذه الخانقاة الدينية مثل شيوخها ومدرسيها وناظر وقفها وصوفييتها، أو من الرجال الذين مارسوا العمل فى وظائفها الخدمية مثل المؤذنين والخدم وما إلى ذلك، وما أمكن الوقوف عليه من هؤلاء وأولئك ينحصر فى ترجمتين ذكر ابن حجر أولاهما بقوله : «محمود بن على بن اسماعيل بن يوسف التبريزى محب الدين بن الإمام علاء الدين القونوى ولد سنة (٧١٩هـ) واشتغل بالعلم فأفتى ودرس بالشرقية وغيرها وولى مشيخة الخانقاة الدوادارية إلى أن مات فى ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين و(سبعمئة)^(٥٣١)».

وذكر السخاوى ثانيتهما حين قال «عبد الرحمن بن احمد بن عمر بن عرفات بن عوض الزينى بن الشهاب بن السراج الأنصارى الاطفيحي القمنى ثم القاهرى الشافعى ولد سنة (٧٩٠هـ) باطفيح من الوجه القبلى ونشأ بها فحفظ ودرس وولى مشيخة الصوفية بترية يونس الدوادار المجاورة لترية الظاهر برقوق التى كان أحد صوفييتها .. مات فى سنة ستين ظنا أو قبلها ييسير^(٥٣٢)».

٤ - وصف قبة الخانقاة :

(أنظر لوحة : ١٣)



لوحة ١٣ : بقايا الخانقاة الدوادارية (يونس) أثر رقم ١٥٧
(ح ٧٥٠هـ / ح ١٣٤٩م) سقط أنقى

إلى الشمال من مدخل تربة الناصر فرج بن برقوق بالقرافة هناك ممر مستطيل لم يبق منه إلا جانبيه الشمالي والغربي، بالجانب الغربي منهما سبع عقود نصف دائرية تحملها ستة أكتاف حجرية ضخمة وبالجانب الشمالي عقدان، يؤدي هذا الممر إلى قبة مضلعة مبنية بالطوب تقوم على مساحة مربعة طول ضلعها (٧٦٠) متر هي كل تبقى من الخانقاة الدوادارية يونس.

مدخل القبة :

يقع هذا المدخل في الواجهة الشمالية للقبة داخل دخلة عرضها (٢٥٠) متر وعمقها (٥٠) متر تكتنفها مكسلتان حجريتان عرض كل منهما (٥٠) متر وطولها (١٦٠) متر وارتفاعها (٧٠) متر، أما المدخل نفسه فعرضه (١١٠) متر يعلوه عقد حجري فريد فوقه نافذة مستطيلة، وتنتهي دخلة هذا المدخل بعقد نصف دائري ممتد تزينه زخارف مخدات متوازية، وكان على جانبي هذا المدخل إزار به كتابات نسخية ضاعت معالمها ولم يبق منها بعد البسمة إلا «أمر بإنشاء هذه القبة والمدفن المبارك آمين».

ويؤدي هذا المدخل إلى الضريح وهو عبارة عن حجرة مربعة طول ضلعها من الداخل (٥٧٠) متر تقوم في أركانها الأربعة أربع مناطق انتقال تتكون كل منها من حطتين من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا، بين كل منطقتين منها توجد ثلاث نوافذ اثنتان سفليتان متجاورتان وثالثة تعلوهما، وفي رقية القبة ثمان نوافذ أخرى مشابهة، أما القبة من الداخل فتزينها زخارف مضلعة متوازية.

محراب القبة :

في الجدار الشرقي لهذه القبة يوجد محراب عبارة عن حنية عرضها (٨٠) متر ذات عقد نصف دائري كان يكتنفها عمودان، ويزين طاقية هذا المحراب من الداخل زخارف لحطتين من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا، ويمتاز هذا المحراب بوجود تجويفين متداخلين للداخل بينهما طاقية مخصصة لها مقرنص من ثلاث حطات، وهو بهذا الشكل يعد محرابا غريبا في تصميمه فريدا في شكله.

وعلى جانبي هذا المحراب من الشمال والجنوب يوجد شبّاكان متشابهان عرض كل منهما (٨٥ر) متر وعمقه (٥٥ر) متر إلا أنّهما مسدودان الآن، أما الجدار الغربي فيقابل المحراب فيه دخله عرضها (١٤٠ر) متر وعمقها (٢٥ر) متر ذات عقد نصف دائري يعلوه شبّاك قنصلية يحمل عقديه السفليين في الوسط عمود حجري مثنى الأضلاع، وفوق هذا الشبّاك قمرية دائرية.

وعلى جانبي هذه الدخلة من الشمال والجنوب أيضا يوجد شبّاكان متشابهان مع الشبّاكين على جانبي المحراب، أما الجدار الجنوبي فتتوسطه دخله تشبه دخلة الجدار الغربي على جانبيها شبّاكان يشبهان باقي الشبّايك وفوقها شبّاك قنصلية يشبه الشبّاك الموجود بالجدار الغربي.

ويغلب على الظن أن الدخلتين في وسط الجدارين الغربي والجنوبي كل منهما كان عبارة عن باب يدخل منه إلى باقي الخانقاة من هاتين الناحيتين، كذلك يوجد على جانبي المدخل شبّاكان مستطلان يتشابهان مع باقي الشبّايك إلا أنّهما مسدودان بسدات حديثة.



شكل ٢٤: الخانقاة الدوادرية (يونس) أثر رقم ١٥٧
(ح ١٧٥٠ هـ / ح ١٤٤٩ م) القبة من الخارج

أما واجهات هذه القبة من الخارج (أنظر شكل: ٣٤) فالشرقية مصممة والجنوبية بها دخلة عرضها (١٩٠ر) متر وعمقها (٢٠ر) متر كان بأسفلها الباب المشار إليه بالداخل يعلوه عتب فوقه عقد عاتق يعلوه الشبّاك القنصلية المشار إليه، وكان يتوج الدخلة مقرنصات تهدمت تماما، أما الواجهة الغربية فبها دخلة تشبه الدخلة الموجودة في الواجهة الجنوبية، بها من أسفل شبّاك مستطيل الشكل عرضه (١٤٠ر) متر به أرماع ومخزرات حديدية ويعلوه عتب مستو نقشت فيه كتابات نسخية من سطرين نصهما:

«بسم الله الرحمن الرحيم. بتاريخ يوم السبت ثامن عشر شوال سنة ثمانين وسبعمائة توفي المقر المرحوم الشرفي^(٥٢٣) تغمده الله برحمته والد المقر الأشرف العالي السيفي^(٥٢٤) برقوق أتاك^(٥٢٥) العساكر عز نصره».

ونظرا لوجود هذا النص الذي يشير إلى وفاة والد السلطان الظاهر برقوق في ١٨ شوال سنة

(٧٨٠هـ) ودفنه بهذه القبة فقد نسبت القبة خطأ إليه، وهذا يعني أن السلطان الظاهر برقوق كان لا يزال حتى بناء هذه الخانقاة آتابك العسكر، وقد أيدت ذلك بعض المراجع العربية الحديثة التي أوردت أن هذه القبة نسبت خطأ إلى والد السلطان برقوق لأنه مدفون فيها رغم أنها هي كل ما تبقى من خانقاة كبيرة كانت قائمة في تلك الصحراء باسم الأمير يونس النوروزي الدوادار^(٥٣٦).

١٠ - الخانقاة الشيوخونية

٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م

أثر رقم : ١٥٢

كانت الخانقاة الشيوخونية واحدة من أهم خانقاوات الممالك البحرية التي أنشئت بالقاهرة، يدل على ذلك ما تركته لنا المصادر والمراجع العربية من معلومات في هذا الصدد، وقد أمكن تقسيم هذه المعلومات طبقاً لما اشتملت عليه من موضوعات إلى ست نقاط رئيسية هي:

١ - تاريخ الخانقاة وأوقافها.

٢ - منشئ الخانقاة.

٣ - موظفو الخانقاة.

٤ - صوفية الخانقاة.

٥ - وصف الخانقاة.

٦ - ترميمات الخانقاة.

١ - تاريخ الخانقاة وأوقافها:

حظيت هذه الخانقاة بكتابات كثيرة من المؤرخين القدامى مثل المقرئى وابن تغرى بردى والسيوطى وعلى باشا مبارك، وبكتابات كثيرة غيرهم من الباحثين المحدثين.

يقول المقرئى أن هذه الخانقاة فى خط الصليبية خارج القاهرة (يقصد القاهرة الفاطمية) تجاه جامع شيخو، أنشأها الأمير الكبير سيف الدين شيخو العمرى الناصر فى سنة ست وخمسين وسبعمائة، وكان موضعها من جملة قطائع ابن طولون اشتراه الأمير شيخو من المساكن التى كانت مقامه عليه وهدمها فى المحرم من هذه السنة، فكانت مساحة أرضها زيادة على فدان اختط فيها

الخانقاة وحمامين وعدة حوانيت تعلوها بيوت لسكنى العامة ورتب بها دروسا عدة منها أربعة دروس لطوائف الفقهاء الأربعة ودرسا للحديث النبوي ودرسا لإقراء القرآن بالروايات السبع وجعل لكل درس مدرسا وعنده جماعة من الطلبة وشرط عليهم حضور الدرس وحضور وظيفة التصوف^(٥٣٧).

أما السيوطي فيقول أن «خانقاة شيخو بناها الأمير الكبير رأس نوبة الأمراء الجمدارية سيف الدين شيخو العمرى، جالبة خواجه عمر وأستاذه الناصر محمد بن قلاوون، ابتداء عمارتها في الحرم سنة ست وخمسين وسبعمائة وفتح من عمارتها سنة سبع وخمسين وسبعمائة^(٥٣٨)» وفي موضع آخر من نفس الكتاب يقول «ورتب فيها (منشؤها) أربع دروس على المذاهب ودرس حديث ودرس قراءات ومشیخة إسماع الصالحين والشفاء^(٥٣٩)» وبذلك أضاف لنا مشیخة الإسماع زيادة على ما ذكره المقرئى وهذا يعنى إما أن يكون المقرئى قد نسى ذكرها عندما تحدث عن دروس هذه الخانقاة وإما أنها لم تكن موجودة على عهده فى القرنين (٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م) ثم أضيفت إليها على عهد السيوطى فى القرنين (٩ - ١٠ هـ / ١٥ - ١٦ م).

ثم جاء على باشا مبارك فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) وذكر هذه الخانقاة تحت اسم جامع شيخو حين قال أن «جامع شيخوا اسم جامعين بشارع الصليبية متقابلين ذكرهما المقرئى فى خططه، أحدهما باسم جامع شيخوا والآخر باسم خانقاة شيخو لأنه جعل الأول لخصوص الصلاة ونحوها والثانى جعل فيه صوفية، وبنى لهم مساكن وجعل فى الجامع عشرين صوفيا، ثم لما عمر الخانقاة تجاه الجامع نقل الصوفية إليها وزاد عدتهم^(٥٤٠)» ثم عاد فى موضع آخر من نفس الكتاب وسمها بالخانقاة حين قال «خانقاة فى خط الصليبية تجاه جامع شيخو أنشأها الأمير شيخو العمرى سنة ست وخمسين وسبعمائة وهى عامرة إلى الآن وشعائرها مقامة^(٥٤١)».

ولم يقتصر الحديث عن تاريخ الخانقاة الشيخونية على ما ورد فى المصادر العربية فيما سبقت الإشارة إليه، وإنما كان هناك مما أورده فى هذا الصدد أيضا بعض المراجع العربية الحديثة ما لم يخرج عن دائرة ما ذكرته المصادر المشار إليها من حيث المنشئ وتاريخ الإنشاء ودروس المذاهب والحديث والقراءات ومشیخة الإسماع ونحو ذلك^(٥٤٢)، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا صاحب فهرست وثائق القاهرة الذى ذكر أن بناء هذه الخانقاة كان قد تم بعد بناء الجامع بست سنوات

تماماً^(٥٤٣)، ولا ندرى من أين جاء بهذا الجزم رغم أن نص إنشاء الخانقاة سنة (٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م) كان قد سجل فى الكتابات المنقوشة على مدخلها ولم يترك بذلك مجالاً لأى اجتهاد فيه.

وأخيراً يضيف القاضى مجير الدين الحنبلى إلى معلوماتنا عن شيخونيتى القاهرة (الجامع والخانقاة) شيخونية القدس فيقول أنها بالقرب من الصلاحية، عند سوق باب حطة واقفها الأمير سيف الدين قطيشا بن على بن محمد من رجال حلقة دمشق كان مجاوراً بالقدس الشريف وجعل نظرها لنفسه ثم من بعده لولده شيخون فسميت بالشيخونية نسبة لولد الواقف، وتاريخ وقفها مستهل صفر سنة إحدى وتسعين وسبعمائة^(٥٤٤).

أما عن أوقاف هذه الخانقاة فقد وردت الإشارات إليها فيما ذكره كل من المقرئى وابن الجيعان والجبرئى وعلى باشا مبارك منذ القرن (٩ هـ / ١٥ م) إلى القرن (١٣ هـ / ١٩ م)، يقول المقرئى «ورب (أى المنشئ) لكل من الطلبة فى اليوم الطعام واللحم والخبز، وفى الشهر الحلوى والزيت والصابون، ووقف عليها الأوقاف الجليلة .. ولما حدثت المحن كان بها مبلغ كبير من المال الذى فاض عن مصروفها فأخذه الملك الناصر فرج، وأخذت أحوالها تتناقض حتى صار المعلوم يتأخر صرفه لأرباب الوظائف بها عدة أشهر، وهى إلى اليوم على ذلك»^(٥٤٥) ومع أن هذا الذى ذكره المقرئى يشير صراحة إلى أن أوقافها كانت كثيرة وذات عائد وافر كان يفيض عن مصروفات أرباب الوظائف الكثيرة فيها، إلا أنه لم يوضح لنا ما هية هذه الأوقاف.

وعلى عكس ما ذكره المقرئى مجملًا غير مفصل، فقد أشار ابن الجيعان إلى أن أوقاف منشئ هذه الخانقاة كانت تشمل من الأراضى على ما يلى :

١ - طنبور والخريطة :

«مساحتها (٤٠٧) فدان وعبرتها (٧٠٠) دينار وهى وقف المرحوم شيخو والمرحوم منجل^(٥٤٦).

٢ - القصيعة :

«مساحتها (٢٦٣٩) فداناً وعبرتها (٦٣٠٠) دينار، كانت باسم الشواني بثمر دمياط المحروس لم صارت وقفاً للخانقاة الشيخونية»^(٥٤٧).

٣ - بنابوصير :

«وقف الخانقاة الشيخونية (ولم يزد)»^(٥٤٨).

٤ - حصّة قسطة :

«مساحتها (١٩٠) فداناً وعبرتها (٤٠٠) ديناراً وقف الأمير شيخو»^(٥٤٩).

٥ - محلة الأمير :

«عبرتها (١٥٠٠) دينار ملك المرحوم شيخو»^(٥٥٠).

٦ - الواقية :

«من كفور دير أسود مساحتها (٢٠٠) فداناً وعبرتها (١٠٠٠) دينار وقف شيخو»^(٥٥١).

٧ - قوارير بني أحمد :

«مساحتها (٢١٠) فداناً وعبرتها (٦٠٠) دينار وقف الجامع والخانقاة إنشاء الأمير شيخو العمرى بالصليبية الطولونية رحمه الله تعالى»^(٥٥٢).

وبذلك يتضح أن جملة أوقاف هذه الخانقاة كانت قد بلغت وفقاً للإحصاء التالي ثلاثة آلاف وستمائة وستة وأربعين فداناً، كانت عبرتها عشرة آلاف وخمسمائة دينار سنوياً وذلك بخلاف ما لم تحدد مساحته ولا عبرته من هذه الأوقاف :

| مصدر | عبرة بالدينار | مساحة بالفدان | جهة | مسلل |
|----------------|---------------|---------------|-----------------|------|
| التحفة السينية | ٠٧٠٠ | ٤٠٧ | طنبور والخريطة | ١ |
| » » | ٦٣٠٠ | ٢٦٣٩ | القصيعة | ٢ |
| » » | — | — | بنا بوصير | ٣ |
| » » | ٠٤٠٠ | ٠١٩٠ | حصنة قسطة | ٤ |
| » » | ١٥٠٠ | — | محلة الأمير | ٥ |
| » » | ١٠٠٠ | ٠٢٠٠ | الواقية | ٦ |
| » » | ٠٦٠٠ | ٠٢١٠ | قوارير بنى أحمد | ٧ |
| | ١٠٠٥٠٠ | ٣٦٤٦ | المجموع | |

ثم جاء على باشا مبارك في القرن (١٣هـ / ١٩م) وكرر ما ذكره المقرئى والجبرئى خاصا بأوقاف هذه الخانقاة من حيث كثرتها ووفرة مالها الذى أخذ فائضه الناصر فرج وعطل صرف رواتب أصحاب الوظائف فيها حتى كانت حوادث سنة (١٢٣١هـ) عندما عين الشيخ أحمد الطهطاوى الحنفى ناظرا لوقف الشيوخونيتين واستخلص أماكنهما وجمع إيردهما ثم شرع فى تعميرها، وساعده على ذلك كل من كان يحب الإصلاح فجدد عمارة المسجد وأنشأ بها صهريجاً^(٥٥٣)، ثم أضاف إلى ما ذكره نقلا عن الجبرئى فى حوادث سنة (١٢٠١هـ) «أن الأمير أحمد بجاروش وضع فى خزانة هذا الجامع كتباً نفيسة ف علوم شتى وجعلها وقفا فى حال حياته تحت يد الشيخ موسى الشيوخونى الحنفى»^(٥٥٤).

٢ - منشئ الخانقاة :

ترجم كثير من المؤرخين القدامى لمنشئ هذه الخانقاة ولا سيما ابن حجر والمقرئى وابن تغرى بردى والقاضى مجير الدين الحنبلى وعلى باشا مبارك وغيرهم، كما ترجم له غير واحد من الباحثين المحدثين، فيقول الحنبلى أن شيخون هذا هو ابن الأمير سيف الدين قطيشا بن على بن محمد الذى كان من رجال حلقة دمشق^(٥٥٥)، ويضيف ابن حجر أنه تقدم فى أيام المظفر حاجى

واستقر في أول دولة الناصر حسن أحد رؤوس المشورة إلى أن صار زمام الملك بيده فعظم شأنه، حتى كتب له في شوال سنة إحدى وخمسين (وسبعمائة) بناية طرابلس وهو في الصيد، فساروا به إلى دمشق غير أنه لم يلبث أن قبض عليه وسجن بالاسكندرية، فلما استقر الصالح صالح أفرج عنه في رجب سنة اثنتين وخمسين، إلا أنه قام في خلع الصالح وإعادة الناصر حسن في شوال سنة خمس وخمسين فحملها الناصر له حتى قرره مدبرا للملكة إلى أن كان ثامن شعبان سنة ثمان وخمسين فوثب عليه مملوك يقال له آى قجا أحد المماليك السلطانية المرجعة عن منجك فجرحه بالسيف في وجهه ويده وهو في دار العدل بحضرة السلطان، فقبض على هذا المملوك وسمر وطيف به وظل شيخو متعللا بجراحه لا يطلع إلى القلعة والعسكر كله يتردد دون إليه ويقفون في خدمته، وتكرر نزول السلطان إليه لمعاودته إلى أن مات في سادس عشرى ذى القعدة من سنة ثمان وخمسين وسبعمائة^(٥٥٦).

أما المقرئ فقد كان حديثه عن ترجمة الأمير شيخو أكثر تفصيلا مما ذكره ابن حجر، وأكثر تفسيراً للعديد من أحداث حياته حيث يقول أنه كان أحد ممالك الناصر محمد بن قلاوون ثم نال خطوة عند ابنه المظفر حاجي، وزادت وجاهته حتى أنه كان يشفع في الأمراء لإخراجهم من السجن، واستقر في أول دولة الملك الناصر حسن أحد امراء المشورة، فكانت القصص تقرأ عليه بحضرة السلطان في أيام الخدمة، وصار زمام الدولة في يده فسامها أحسن سياسة بسكون وعدم شر، وكان يمنع كل حزب من الوثوب على الآخر فعظم شأنه، فلما كان يوم السبت رابع عشرى شوال سنة إحدى وخمسين وسبعمائة أمسك السلطان الأمير منجك الوزير وكتب تقليدا لشيخو بناية طرابلس وهو في الصيد في ناحية طمان من الغربية وجهزه إليه مع الأمير سيف الدين طينال الجاشنكير فسار إلى دمشق حتى وصلها رابع ذى القعدة، وظهر مرسوم السلطان بإقامة شيخو في دمشق على إقطاع الأمير بليك السالمى وتجهيز بليك إلى القاهرة، وتم ذلك فعلا^(٥٥٧).

وما كاد يليك يصل إلى القاهرة حتى وصل دمشق مرسوم بإمساك شيخو وتجهيزه إلى السلطان وتقييد ممالكه واعتقالهم بقلعة دمشق، فأمسك وجهز مقيدا، فلما وصل إل قطيا توجهوا به إلى الاسكندرية فسجن بها إلى أن خلع الناصر حسن وتولى أخوه الصالح فأفرج عن شيخو في رابع شهر رجب سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة وأنزل في الأشرفية بالقلعة فأخذ في تتبع رؤوس

الفتنة ولا سيما الأمير يلبغا روس وابن دلفار والأحذب الذى خرج بالصعيد وغيرهم فأمسكهم جميعا ووسط بعضهم وحز رؤوس بعضهم الآخر وعلقها على باب زويلة فسكنت الفتن فى أواخر سنة أربع وخمسين وأوائل السنة التى بعدها، ثم حدث أن خلع شيخو الملك الصالح وأقام بدله أخاه الناصر حسن فى ثنى شوال، وأخرج الأمير طاز إلى حلب نائبا لها فصارت الأمور كلها راجعة إليه وزادت عظمته وكثرت أمواله وأملاكه ومستأجراته حتى كاد يكائر أمواج البحر بما ملك وقل له قارون عصره وعزيز مصره^(٥٥٨).

وكانت أمواله خير معين له على تقوية حزبه فجعل فى كل مدينة بعض أمرائه الكبار حتى قيل أن دخل ديوانه بلغ فى اليوم الواحد أكثر من مائتى ألف درهم نقرة، وهو ما لم يسمع بمثله فى الدولة التركية، وذلك غير الإنعامات السلطانية والهدايا التى كانت ترد إليه من مصر والشام، وما كان يأخذ من البراطيل (الرشوة) على ولاية الأعمال، ولم يزل على حاله هذه إلى كان يوم الخميس ثامن شعبان سنة ثمان وخمسين وسبعمئة فخرج عليه شخص من المماليك السلطانية المرجعة عن الأمير منجك يقال له باى فضربه بالسيف فى وجهه ويده وهو جالس بدار العدل فارجت القلعة كلها، وركب عشرة من الأمراء الكبار بسلحهم حتى أمسك باى هذا وسجن ثم سمر وطيف به فى الشوارع وبقي شيخو عليلا إلى أن مات ليلة الجمعة سادس عشرى ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وسبعمئة ودفن بالخانقاه الشيوخية وقبره بها يقرأ عنده القرآن دائما^(٥٥٩).

ورغم أن ترجمة ابن تغرى بردى للأمير شيخو لم تكن بالتفصيل الوافر الذى ذكره المقرئى، ولا حتى بالحديث المختصر الذى أشار إليه ابن حجر، إلا أنه لم يضيف إلينا بعضا مما اختلف فيه بين ابن حجر والمقرئى ولا سيما فيما يتعلق بالملوك الذى طعنه بدار العدل فى حضرة السلطان، بل أضاف إلينا بعضا مما يتعلق بشخصيته هو ما لم يذكره أى منهما فعلى حين ذكر ابن حجر لطاعته باسم أى قجا وذكر المقرئى له باسم أى، أفادنا ابن تغرى بردى أن اسمه قُطْلُوخَجَا السلاح دار ثم أضاف أنه الأمير الكبير أتابك العسكر شيخون بن عبد الله العمرى الناصرى اللالا كان أصله من كتابية الملك الناصر محمد وكان تركى الجنس، وهو أول من سمي بالأمير الكبير، وليها بخلة ثم صارت من بعده وظيفة^(٥٦٠) وفى هذا ما يشير إلى أن شيخو كان مريبا لأبناء السلطان بدلالة التسمية التى ذكرها ابن تغرى بردى مضافا إليها لقب «لا لا».

وقد نقل على باشا مبارك ترجمته من المصادر التي سبقته ولا سيما المقرئى فأشار إلى أصله بين مماليك الناصر وحظوته عند المظفر حاجى وزيادة وجامته حتى شفع فى الأمراء وأخرجهم من السجن، ثم ولايته لنيابة طرابلس ثم القبض عليه وإحضاره مقيدا إلى القاهرة حيث سجن بالاسكندرية إلى أن خلع الناصر حسن وتولى الصالح صالح فأفرج عنه وزادت عظمته وكثرت أمواله وممتلكاته^(٥٦١).

ومع ذلك فلم تقتصر ترجمة الأمير شيخو على ما ذكرته المصادر العربية المشار إليها، وإنما تكلمت عنه أيضا بعض المراجع العربية الحديثة التي تناولت منشأته بالذكر، ومجمل ذلك لا يتعدى فى الواقع ما ورد فى المصادر مما سبقت الإشارة إليه تفصيلا رغم اشتماله على بعض الإضافات ولا سيما ما ورد فيها من أنه لما ولي الملك الصالح بن الملك الناصر محمد أفرج عنه من سجن الاسكندرية فى رجب سنة (٧٥٢هـ / ١٣٥١م) وأنعم عليه بتقديمه ألف، وأنه كان صاحب منشآت خيرية كثيرة لم يبق منها إلا سبيلا جميلا نادر المثال محفورا فى الصخر بالحطابة بالإضافة إلى الجامع والخانقاة بالصليبية^(٥٦٢)، وأنه جلب من أواسط آسيا حيث المغول الذين وضعوا نهاية للخلافة العباسية فى بغداد سنة (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) ولذا يرجح البعض أنه مغولى الأصل^(٥٦٣).

٣ - موظفو الخانقاة :

لقد حفظت لنا المصادر العربية كثيرا من تراجم الشخصيات التى وليت وظائف هذه الخانقاة، مما كان له أمبر الأثر فى وقوفنا على نوعيات هذه الوظائف ومن ثم على نوعيات التخصصات التى قرر المنشئ أن تمارس فيها، وطبقا لما أمكن الوقوف عليه من هذه التراجم فقد أمكن تقسيم وظائف هذه الخانقاة إلى قسمين رئيسيين يختص أولهما بالوظائف الدينية ويختص ثانيهما بوظائف الخانقاة الخدمية.

أولا الوظائف الدينية :

شملت وظائف هذه الخانقاة الدينية - طبقا لما أمكن الوقوف عليه من تراجم العديد من التخصصات ولا سيما شيخ الخانقاة ومدرسو المذاهب والحديث والتفسير والقراءات بالإضافة إلى

شيوخ الإسماع والإقراء وإمام الخانقاة وخطيبها.

أ - شيوخ الخانقاة :

ترك لنا ابن حجر والمقرئى وابن تغرى بردى والسيوطى والسخاوى وابن العماد وعلى باشا مبارك وغيرهم كثيرا من تراجم شيوخ هذه الخانقاة ممن شرط الواقف فيهم أن يكونوا عارفين بالتفسير والأصول، وألا يكون أحدهم قاضيا، فكان ممن ذكرهم ابن حجر محمد بن محمد بن محمود بن احمد البابرئى الشيخ أكمل الدين الحنفى الذى قرره شيخو فى مشيخة الشيخونية بصفة شيخها الأكبر وعظم عنده جدا ثم عند من بعده إلى أن زادت عظمته عند الظاهر برقوق الذى كان يجرى إلى شباك الشيخونية فيكلمه وهو راكب ويتنظره حتى يخرج فيركب معه، وقد أضاف المقرئى والسيوطى إليه علاوة على مشيخة الخانقاة تدريس الحنفية بها والنظر فى أوقافها، كان فاضلا صاحب فنون، مات سنة ست وثمانين وسبعمائة وقد جاوز السبعين^(٥٦١)، ومحمد بن محمد بن عبد الله القيصرى أبو الشاء جمال الدين الذى اشتغل وتفقه ومهر فى المعانى والعربية وقدم القاهرة فنزل بالصرغتمشية ثم ولى الحسبة سنة ثمان وسبعين (وسبعمائة) واستقر فى قضاء العسكر وتزوج بنت الطولونى وأختها تحت برقوق، ثم ولى نظر الجيش فى ربيع الأول سنة إحدى وتسعين (وسبعمائة) ثم أضيفت إليه مشيخة الشيخونية فلم يزل (بها) إلى أن مات سنة تسع وتسعين (وسبعمائة)^(٥٦٥).

وكان من ذكرهم ابن تغرى بردى أحمد بن محمود بن عبد الله العلامة صدر الدين الحنفى الشهير بابن العجمى محتسب القاهرة وشيخ الشيخونية الذى ولد بالقاهرة سنة (٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م) ولازم علماء عصره إلى أن برع فى الفقه والأصول والعربية وتولى عدة وظائف منها نظر جيش دمشق وحسبة القاهرة ونظارة الجوالى ومشيخة الشيخونية وكان يجالس الملك المؤيد ويناديه حتى مات سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)^(٥٦٦).

أما السيوطى فقد ذكر كثيرا من مشايخ هذه الخانقاة بترتيب توليهم ابتداء من عز الدين يوسف بن محمود الرازى الذى وليها بعد أكمل الدين البابرئى ومات فى المحرم سنة (٧٩٤هـ) فولى بعده جمال الدين محمود ابن احمد القيصرى المعروف بابن العجمى، ثم عزل منها بعد عام

واحد سنة (٧٩٥هـ) ووليها الشيخ سيف الدين السيرامي مضافا لمشيخة الظاهرية، ثم وليها بدر الدين الكلسماني إلى أن عزل فوليها الشيخ زاده ثم الشيخ جمال الدين بن العديم سنة (٨٠٨هـ) ثم والده ناصر الدين سنة (٨١١هـ) ثم الشيخ أمين الدين بن الطرابلس سنة (٨١٢هـ) ثم أعيد إليها ابن العديم ثم وليها من بعده شرف الدين بن التبانى سنة (٨١٥هـ) إلى أن مات في صفر سنة (٧٢٧هـ) فوليها الشيخ سراج الدين قارئ الهداية إلى أن مات سنة (٨٢٩هـ) فوليها الشيخ زين الدين التفهني ثم صرف منها في سنة (٨٣٣هـ) بالقضاء ووليها صدر الدين بن العجمي إل أن مات في رجب من عامة ووليها البدر حسن بن أبي بكر القدسي^(٥٦٧).

وإذا كان السيوطي قد ذكر كل هؤلاء الشيوخ إجمالاً بترتيب توليتهم لمشيخة هذه الخاتقة دون أن يعطى أية معلومات عن سيرهم الشخصية، فقد غطى السخاوي من بعده بعض جزئيات هذه الحلقة (السيوطية) في ترجمته لكثير من هؤلاء الشيوخ الذين كان منهم أحمد بن محمود بن محمد بن عبد الله الصدر بن الجمال القيسري القاهري الحنفي الذي عرف بابن العجمي وهو صاحب الترجمة الوحيدة التي ذكرها ابن تغري بردي - فيما سبقت الإشارة إليه - وصاحب الوظائف العديدة المشار إليها إلا أن السخاوي أضاف إلى معلوماتنا عنه كثيراً من الصفات التي لا نحمد فقال أنه «ولى وظائف عدة ولم يتفصل عن واحدة منها بخير ولا شكر، ولى الحسبة في الأيام المؤبدية فخرج منها خائفاً يترقب، ونظر الجيش بدمشق فعزل عنه بالضرب والعصر والمصادرة، ونظر الموارث في الأيام المؤبدية فخرج غير مشكور، وكذا نظر الكسوة، وآخر الأمر تولى مشيخة الشيوخونية فأخذ من وقفها مقدار سبعين ألف ومات وهي في ذمته (كأشياء كثيرة لأناس معينين)»^(٥٦٨).

والحسن بن أبي بكر أحمد بن الشهاب القدسي ثم القاهري الحنفي الذي عرف بابن بقميرة، ولد سنة (٨٦٨هـ) ببيت المقدس فاشتغل وأخذ بالقدس ودمشق والقاهرة ثم استقر في مشيخة الشيوخونية لما أعيد التفهني إلى القضاء في رجب سنة (٨٣٣هـ)، مات في ربيع الآخر سنة (٨٣٦هـ) وقد قارب السبعين ودفن في جامع شيخون بالفسقية التي فيها العز الرازي^(٥٦٩).

وزاده العجمي الجرزياني الحنفي الذي عرف بالشيخ زاده «قدم من بلاده إلى حلب سنة أربع وتسعين (وثمانمائة) ثم دخل القاهرة وولى بعد ذلك تدريس الشيوخونية ومشيختها، ولم يلبث

أن مات واستقر جمال الدين بولده في تدريس الحنفية بمدرسته جبرا لما وقع من إخراج الشيخونية عن أبيه مع كونه ناب عنه فيها^(٥٧٠).

وعبد البر بن محمد بن محمود سرى الدين بن المحب الحلبي ثم القاهري الحنفى سبط الولوى السفطى الذى عرف بابن الشحنة، ولد فى تاسع ذى القعدة سنة إحدى وخمسين (وثمانمائة) بحلب وانتقل منها إلى القاهرة فحفظ واشتغل حتى صار - كما يقول ابن الغزى - جليس السلطان الغورى وسميره ولما عجز أبوه ناب عنه فى الشيخونية تصوفا وتديسا^(٥٧١).

وقد وردت ألقاب ابن الشحنة فى البطور من (١٠ - ١٢) من وثيقة استبدال من القرن (١٠هـ / ١٦م) نشرها الأستاذ الدكتور محمد أمين جاء فيها :

١٠ - قاضى قضاة المسلمين خالصة أمير المؤمنين أبو البركات عبد البر بن الشحنة الحنفى الناظر فى الأحكام

١١ - الشرعية بالديار المصرية وسائر المملكة الإسلامية كوالده وجديه لأبويه ذوى المناصب السنية وشيخ

١٢ - الشيوخ بالمدرسة الشيخونية كوالده ووالده وجده ذوى الرتب العلية وما أضاف إلى ذلك من الوظائف الدينية.

ويقول الناشر أن هذه الألقاب التى شغلت ثلاثة أسطر كاملة لم يظفر بها قاضى قضاة آخر، ولا غرابة فى ذلك خاصة وأن ابن الشحنة هذا سليل بيت من بيوت العلم فأبوه قاضى القضاة محب الدين محمد بن غازى الثقفى المتوفى سنة (٨٩٠هـ / ١٤٨٩م) وجده محب الدين أبو الدليلد محمد المتوفى بحلب سنة (٨٢٥هـ / ٢٤٢٢م)^(٥٧٢).

وفى ترجمة عبد الرحمن بن محمد بن اسماعيل الزين الكركى والد الإمام إبراهيم يقول السخاوى أنه «تنزل فى صوفية الشيخونية قديما وسع فيها على القوى والجمال عبد الله الحنبلى وغيرهما كشيخنا، مات فى يوم الخميس رابع عشر رمضان سنة ثمانين (وثمانمائة)^(٥٧٣)، فإذا كان عبد الرحمن الكركى هذا كان قد سمع بالشيخونية على القوى والجمال الحنبلى وشيخ

السخاوى، فإن هذا يعنى أن ابن حجر علامة عصره كان أحد مدرسى هذه الخانقاة.

كذلك كان ممن ذكرهم السخاوى من شيوخ هذه الخانقاة عبد الوهاب بن محمد بن أحمد الشمس الطرابلسى الأصل القاهرى الحنفى الذى عرف بابن الطرابلسى، ولد فى ثامن عشرى ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين فحفظ ودرس ثم ولى قضاء العسكر ثم القضاء الأكبر فى ١٢ جمادى الثانية سنة (٨٠٣هـ) عقب موت الجمال المملوكى، ثم صرف عنه الكمال بن العديم ثم أعيد إليه فى رجب سنة (٨١١هـ) ثم صرف عنه بتاصر الدين بن العديم «واعتنى به الجمال الأستاذار فانتزع له مشيخة الشيخونية منه (ابن العديم) فباشرها إلى رجب سنة (٨١٥هـ) فاسترجعها ابن العديم بمال، فاستمر بطالا حتى مات بالطاعون فى ربيع الأول سنة تسع عشرة (وثمانمائة)» (٥٧٤).

وعمر بن على بن فارس السراج ابو حفص الكنانى القاهرى الحسينى الحنفى الذى عرف بقارئ الهداية، ولد بالحسينية .. واستقر بآخره فى مشيخة الشيخونية بعد الشرف بن التبانى فى صفر سنة سبع وعشرين (وثمانمائة)» (٥٧٥).

أما ابن العماد فلم يذكر من شيوخ هذه الخانقاة إلا «سيف الدين سيف وقيل يوسف الذى سماه المقرئى ابن عيسى السيرامى الحنفى نزيل القاهرة، كان منشأه بتبريز ثم قدم حلب (مثل الشيخ زاده العجمى المشار إليه) وظل بها إلى أن استدعاه الظاهر من حلب وقرره فى التدريس بمدرسته ثم ولاه مشيخة الشيخونية بعد وفاة عز الدين الرازى» (٥٧٦).

ب - مدرسو المذاهب بالخانقاة :

اشتملت هذه الخانقاة على دروس للمذاهب الفقهية الأربعة (الشافعية والحنيفية والمالكية والحنابلة) وجعل لكل درس شيخا وطلبة اشترط عليهم - كما يقول على باشا مبارك - حضور الدرس وحضور وظيفة التصوف (٥٧٧)، فقيما يتعلق بفقه الشافعية، أورد كل من ابن حجر والمقرئى

والسखाوى وابن ظهيرة وابن العماد بعض تراجهمهم، فكان من ذكرهم ابن حجر من درسوا مذهب الشافعية بهذه الخائفة بن سعد الله بن عثمان القرمى بن قاضى العزم العفيفى الشيخ ضياء الدين القزوينى الفقه الشافعى، قدم القاهرة وحظى عند الأشرف شعبان حتى ولاه مشيخة مدرسته والتدريس فيها قبل أن تكمل وسماه شيخ الشيوخ وأمر بإسقاط هذا الإسم عن شيخ سرياقوس^(٥٧٨)، ولم يذكر المقرئى فى هذا الصدد أكثر من أن منشئها كان قد قرر فى تدريس شافعيته الشيخ بهاء الدين أحمد بن على السبكى^(٥٧٩).

أما السखाوى فقد ذكر من مدرسى الشافعية بهذه الخائفة: أحمد بن محمد بن على بن موسى الشهاب الإبيهى المحلى الشافعى، ولد بالمحلة فحفظ وكتب وأخذ، ثم قدم القاهرة فقرأ على النظام الحنفى فى العربية وبرع وناب فى القضاء، وأكثر من التردد للأمير تماراز حتى قرره فى تدريس الشافعية بالشيخونية، مات فى تاسع عشر ذى القعدة سنة اثنتين وتسعين (وثمانمائة)^(٥٨٠).

وعبد الرحمن بن أحمد بن اسماعيل بن محمد بن على بن القطب القلقشندى الأصل القاهرى الشافعى، ولد فى سادس رجب سنة سبع عشرة (وثمانمائة) فحفظ وقرأ وعرض ثم استقر فى تدريس الفقه بالشيخونية شركة بينه وبين ابن الجمال ابراهيم، ثم فى مشيخة الفقه بالشيخونية عقب السراج الورورى، مات فى ثالث شعبان سنة إحدى وسبعين (وثمانمائة)^(٥٨١)، وهذا يدل على أن فقه الشيخونية الشافعى كان يدرس أحيانا شركة أو مناصفة بين شخصين.

كذلك فقد أشار السखाوى إلى عبد الرحمن بن محمد أحمد بن البدرى الأييارى الأصل القاهرى الشافعى الذى عرف بابن الامانة ولد فى خامس صفر سنة ثلاثة وعشرين (وثمانمائة) بخزانة البنود من القاهرة فحفظ ودرس حتى ولى تدريس الفقه الشافعى بالزنكلونية نيابة وبالشيخونية استقلالا بعد الشهاب الإبيهى، وكان متين العقل كثير التودد حسن العشرة^(٥٨٢).

وعلى بن أحمد بن اسماعيل بن محمد بن على القطبى القرشى القلقشندى الأصل القاهرى الشافعى، ولد فى ذى الحجة سنة ثمان وثمانين (وثمانمائة) بالقاهرة فحفظ ودرس وأخذ، ويعناية الدوادار الكبير تغرى يردى المؤذى استقر فى تدريس الفقه بالشيخونية^(٥٨٣).

ولم يذكر ابن ظهيرة من مدرسى فقه الشافعية بهذه الخانقاة غير شيخه محمد بن علي بن يعقوب العلامة شمس الدين القاياني قاضى القضاة الشافعى النحوى (٧٨٥ - ٨٥٠هـ) الذى برع - كما قال - فى الفقه والعربية ودرس الشافعى بالشيخونية^(٥٨٤).

أما ابن العماد فقد ذكر من تراجم هؤلاء صدر الدين أبو المعالى بن ابراهيم بن اسحق السلمى المتاوى ثم القاهرى الشافعى الذى نشأ فى حجر السعادة فحفظ ودرس حتى قام بالتدريس فى المدرسة الشيخونية^(٥٨٥)، شمس الدين محمد بن علي بن محمد بن يعقوب القاياني (نسبة إلى بلدة قايات قرب الفيوم) ثم القاهرى الشافعى قاضى القضاة، تولى التدريس فى المدرسة الشيخونية وولى قضاء الشافعية بمصر^(٥٨٦)، وقد أضاف على باشا مبارك إلى كل هؤلاء الشيخ بهاء الدين أحمد بن على السبكى^(٥٨٧).

ومن هذه التراجم يتضح لنا أن فقه الشافعية بالشيخونية كان أحد الدروس التى حظيت بمجموعة هائلة من شيوخ المذهب منهم ضياء الدين القرمى الذى سمي بشيخ الشيوخ وبهاء الدين بن على السبكى وأخيه أحمد، وأحمد الإبيشى المحلى وعبد الرحمن بن القطب القلقشندى وأخيه على وابن الأمانة وشمس الدين القاياني وصدر الدين المتاوى.

ومع كثرة عدد من وقفنا على تراجمهم ممن تولوا تدريس الشافعية بهذه الخانقاة فإننا لم نعثر فيما يتعلق بمدرسيها من الحنفية إلا على ما ذكره على باشا مبارك حين قال أن صاحبها «أقام الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود (البابرتى) فى مشيخة الخانقاة وفى تدريس الحنفية بها»^(٥٨٨).

أما فيما يتعلق بمدرسى المالكية، فقد ترك لنا كل من ابن حجر والمقريزى والسخاوى وابن العماد تراجم بعضهم، فكان ممن ذكرهم ابن حجر : أحمد بن عبد الرحمن ابن محمد الاسكندراني، ولى الدين المالكى الذى استغل وهو صغير وتقرر فى بعض وظائف والده بعد موته كالشيخونية، ثم أدركه الموت بعد يسير فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين (وسبعمائة)^(٥٨٩).

وخليل بن اسحاق بن موسى المالكي المعروف بالجندى وكان يسمى محمدا ويلقب ضياء الدين، شرع في الاشتغال بعد شيخه وتخرج به جماعة ثم درس بالشيخونية، وأفتى وأفاد وكان حيا عفيفا نزها، مات في ربيع الأول سنة سبع وستين (وسبعمائة) (٥٩٠).

ولم يذكر المقرئى - كما فعل في فقه الشافعية إلا واحدا من مدرسى الفقه المالكي بهذه الخانقاة حين قال «وقرر (المنشى) في تدريس المالكية الشيخ خليل وهو متجند الشكل وله اقطاع في الحلقة» (٥٩١)، وهى نفس الترجمة التى ذكرها على باشا مبارك وزاد عليها أنه صاحب المختصر (٥٩٢).

كذلك فقد ترك لنا السخاوى ترجمتان من تراجم مدرسى المالكية بالشيخونية هما أحمد بن محمد بن على الشهاب بن التقى الدميرى القاهرى المالكى الذى عرف بابن تقى وبابن أخت بهرام، ولد بقوة سنة خمس وثمانين (وثمانمائة) وانتقل إلى القاهرة مع والده فحفظ وأخذ حتى ولى تدريس الشيخونية برغبة البساطى عقب موت الجمال الافقهسى، مات فى شوال سنة ثلاث وأربعين (وثمانمائة) (٥٩٣).

وعبادة بن على بن صالح بن عمرو الزين الأنصارى الخرزى الزرازى القاهرى المالكى، ولد فى جمادى الأولى سنة سبع وسبعين (وثمانمائة) بزراز من قرى مصر، ثم انتقل إلى القاهرة فحفظ وسمع حتى درس للمالكية بالشيخونية بعد ابن تقى، مات فى سابع شوال سنة ست وأربعين (وثمانمائة) وصلى عليه بالأزهر ولم يخلف بعده فى المالكية (٥٩٤).

كذلك لم يذكر ابن العماد من مدرسى المالكية بالشيخونية إلا شمس الدين أبو عبد الله محمد بن غنام البساطى المالكى الذى ولد ببساط ثم انتقل إلى مصر (القاهرة) واشتغل بها كثيرا فى عدة فنون إلى أن ولى تدريس المالكية بالشيخونية (٥٩٥).

أما فيما يتعلق بمدرسى فقه الحنابلة فلم نعر منهم إلا على من ذكرهم ابن الصيرفى والمقرئى والسخاوى وعلى باشا مبارك، فكان ممن ذكرهم ابن الصيرفى فى ذكره لحوادث رمضان

سنة (٨٧٦هـ) القاضي بدر الدين السعدى الذى قرأ على الشيخ تقي الدين الشمنى وشهاب الدين الآمدى وعبد السلام البغدادى الحنفى وشيخ مشايخ الإسلام ابن حجر والشرف المناوى ولازم العز الحنبلى إلى أن رقاء وصيره كبير النواب، وأخذ تدريس الشيخونية عن شيخه عز الدين (الحنبلى) قاضى القضاة بعد وفاته^(٥٩٦).

وكان ممن ذكرهم المقرئى قاضى القضاة موفق الدين الحنبلى (ولم يزد)^(٥٩٧) وقد نقل ذلك عنه على باشا مبارك دون زيادة^(٥٩٨).

أما من ذكرهم السخاوى من مدرسى الحنابلة بالشيخونية فمنهم عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله بن الشمس الذى عرف بالزركشى صنعه أبيه، ولد فى السابع عشر من رجب سنة ثمان وخمسين (وثمانمائة) بالقاهرة فحفظ ودرس إلى أن استقر فى تدريس الحنابلة بالشيخونية مع الإسماع بها، مات فى ثامن عشر صفر سنة ست وأربعين (وثمانمائة)^(٥٩٩).

وأحمد بن نصر الله بن أحمد المحب بن السراج أبى حفص التستري الأصل البغدادى المولد والدار نزىل القاهرة الحنبلى، ولد فى سابع عشر رجب سنة خمس وستين وسبعمائة ببغداد، ولما استقر بالقاهرة امتدح الظاهر برقوق بقصيدة فقرره فى تدريس الحديث بمدرسته ثم فى تدريس الفقه بها سنة خمس وتسعين، ثم ولى تدريس الشيخونية بعد العلاء بن المغلى، مات فى النصف من جمادى الأولى سنة أربع وأربعين (وثمانمائة)^(٦٠٠)، وفى هذا ما يشير صراحة إلى أن تعيين المدرسين فى علوم الدين كان يتم بقصيدة مدح وكفى بذلك شاهدا.

مدرسو غير المذاهب بالخانقاة :

ينحصر ما أمكن الوقوف عليه من تراجم غير مدرسى المذاهب فى هذه الخانقاة من سبقت الإشارة إليهم فى مدرس الحديث والتفسير والقراءات والإسماع بالإضافة إلى إمام الخانقاة وخطيبها.

١ - مدرسو الحديث :

ترك لنا كل من ابن حجر والسيوطي والسخاوي بعض تراجم من تولوا تدرس الحديث بالشيخونية، فكان ممن ذكرهم ابن حجر «خليل بن عثمان الشيخ جمال الدين الروم الحنفى خطيب جامع شيخون وشيخ الحديث بخانكااه ذكره المقرئ فيمن مات سنة اثنتين وستين (وسبعمائة) من الأعيان»^(٦٠١).

وعبد الله الزولى الحنف الذى سمع على الدمياطى وابن الصواف وغيرهما، ونسخ بخطه الصحيحين وقدمهما لشيخو، فقرره فى تدريس الحديث بالشيخونية فكان أول من وليها، وقرره أيضا فى خطابة الجامع فباشرهما إلى أن مات، فاستقر فى تدريس الحديث (بعده) صدر الدين عبد الكريم القونوى، فسعى عليه كمال الدين محمد بن عبد الباقي السبكى بجاء قريه الشيخ بهاء الدين بسبب أنه أحد الطلبة بالدرس وأن الواقف شرط أن لا يقدم أحد من الغرباء عليهم فاستقر بها ولم يحضر القونوى أصلا^(٦٠٢).

ومحمد بن عبد الرحيم بن يحيى أبو البركات السبكى كمال الدين تفقه قليلا وعنى بالحديث وقرر مدرسا له بالشيخونية بعناية ابن عمته بهاء الدين السبكى، مات فى شوال سنة ست وسبعين (وسبعمائة)^(٦٠٣).

وكان ممن ذكرهم السخاوي أحمد بن محمد بن ابراهيم بن الشمس الشطنوفى الأصل القاهري الشافعى ولد سنة سبع وتسعين (وثمانمائة) بالقاهرة فحفظ وكتب واشتغل إلى أن ولى تدريس الحديث بالشيخونية، مات فى صفر سنة خمس وخمسين (وثمانمائة) واستقر بعده (فى الشيخونية) الفخر عثمان المقسى نيابة واستقلالا^(٦٠٤).

وعبد الرحمن بن أبى بكر بن ناصر الدين السيوطى الأصل الطولون الشافعى الذى عرف بابن الأسيوطى، ولد فى رجب سنة تسع وأربعين (وثمانمائة) مطعوناً مبطوناً غريباً، وقدم السخاوي للصلاة عليه ودفن بحوش البيبرسية^(٦٠٥).

وعثمان بن عبد الله بن موسى الحسينى (نسبة إلى منية أبى الحسين من الشرقية) القاهري

المقسى الشافعى الذى عرف بالمقسى، ولد فى ذى القعدة سنة ثمان عشرة وثمانمائة واستناب عن والده أخى زوجة ابن شيخه المناوى فى تدريس الحديث بالشيخونية، مات فى رجب سنة سبع وسبعين وثمانمائة ولم يخلف بعده فى حسن تقدير الفقه مثله^(٦٠٦).

٢ - مدرسو التفسير :

لم نعث من تراجم مدرسى التفسير بالشيخونية - فيما أمكن الاطلاع عليه من مصادر - إلا على ترجمة واحدة ذكرها السخاوى هى ترجمة شيخه إمام الإئمة الشهاب ابو الفضل الكنانى العسقلانى المصرى ثم القاهرى الشافعى الذى عرف بابن حجر، ولد فى شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بمصر العتيقة ونشأ بها يتيما فى كنف أحد أوصيائه فاشتغل وحفظ حتى درس فى أماكن عدة كالتفسير بالشيخونية إلى أن توفى فى ذى الحجة سنة اثنين وخمسين وثمانمائة^(٦٠٧).

٣ - شيخ الإقراء ومدرسية :

لم نعث فى هذا الصدد أيضا إلا على ترجمتين ذكر إحداهما السخاوى لشيخ إقراء الخانقاة حبيب بن يوسف بن عبد الرحمن الزينى الرومى القجى الحنفى الذى قرأ واشتغل وسمع وأن بالأشرفية ثم استقر فى مشيخة القراء بالشيخونية وبالمؤيدية سنة اثنين وأربعين (وثمانمائة)^(٦٠٨).

وذكر ثانيتهما ابن حجر وتخص محمد بن على بن عبد الله اليمنى شمس الدين أبو القاسم، أقام بمصر مدة ملازما للقاضى عز الدين بن جماعة ثم ولى درس القراءات بالشيخونية إلى أن وقع الخلاف بينه وبين الشيخ أكمل الدين البابرى فخرج إلى الشام واستوطنها حتى مات فى المحرم سنة تسع وسبعين وسبعمائة^(٦٠٩).

٤ - شيوخ الإسماع بالخانقاة :

ذكر السخاوى ترجمتين لشيخين من شيوخ الإسماع بالشيخونية أولاهما هى ترجمة رضوان بن محمد بن يوسف بن شيخه (شيخ السخاوى) العقبى، ولد فى رجب سنة تسع وستين وسبعمائة بمنية عقبة بالجيزة ونشأ بخانقاة شيخو فحفظ ودرس إلى أن ولى مشيخة الإسماع

بالشيخونية بعد الزين الزركشى، مات فى رجب سنة اثنتين وخمسين بسكنه بترية قجماس ودفن بها،^(٦١٠).

والثانية هى ترجمة ابن رضوان العقبى المشار إليه المسمى عبد الرحمن الذ ولد سنة أربع وثلاثين وثمانمائة بترية قجماس أيضا، ونشأ بها فى كنف أبيه فحفظ وعرض إلى أن مات أبوه فأضيفت إليه جهاته كالإسماع فى الشيخونية، مات فى جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وثمانمائة^(٦١١).

٥ - إمام الخانقاة وخطيبها :

أشار السخاوى إلى ترجمتين فى هذا الصدد أيضا تتعلق أولاهما بإمام الخانقاة أحمد بن محمد بن موسى بن الشمس القاهرى الصوفى الحنفى إمام الشيخونية وابن إمامها الذى عرف بابن إمام الشيخونية، مات فى جمادى الثانية سنة إحدى وتسعين (وثمانمائة) بعد أبيه بقليل،^(٦١٢).

وتتعلق الثانية بخطيبها محمد بن أحمد بن إبراهيم بن حزم الأذرعى الأصل القاهرى ولد سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة بدمشق فحضر وسمع وأخذ إلى أن ولى مشيخة الجامع الجديد بمصر وخطابة الشيخونية حتى مات فى ذى القعدة سنة خمس وثمانمائة^(٦١٣).

ثانيا : الوظائف الخدمية :

انحصر ما عثر عليه من تراجم أصحاب الوظائف الخدمية بهذه الخانقاة فى ناظر الوقف وأحد عدول الباب والخادم والسقاء.

١ - ناظر الوقف :

أشار على باشا مبارك فى خططه إلى ناظر وقف هذه الخانقاة حين قال «وأقام (أى المنشئ) الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود (البابرى) فى مشيخة الخانقاة وتدریس الحنيفة وجعل إليه النظر فى أوقافها»^(٦١٤).

٢ - أحد عدول الباب :

ذكره السخاوى فى ضوئه حين قال «حسن بن على بن محمد البدر البهوتى القاهرى المالكى نزىل مدرسة السلطان حسن بالرملىة وأحد العدول على باب خانقاة شيخو، ولد سنة خمس وسبعين وسبعمائة بالقاهرة ونشأ بها يتيما فاشتغل وسمع وحدث ومات فى عيد النحر سنة خمس وأربعين وثمانمئة رحمه الله»^(٦١٥).

٣ - خادم الخانقاة :

أشار السخاوى إلى أحد خدم هذه الخانقاة فى ضوئه حين قال «أحمد بن ايتال شهاب الدين الحنفى خادم الشيخونية، مات فى ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين (وثمانمئة) واستقر عوضه فى الخدمة أبو الطيب السيوطى ولم يلتفت لولده»^(٦١٦).

٤ - سقاء الخانقاة :

ذكره السخاوى بقوله «ريحان الزنجى الحلبي ذكر بالخير والدين وأنه كان يتعاطى حلق رؤوس الأكابر من الأمراء وغيرهم (يعنى حلاق) ويسقى الماء بطاسة بين العشائين بخانقاة شيخو سنين إلى أن استقر به الأشرف قايتباى بالسبيل الذى أنشأه بزيادة جامع ابن طولون، مات فى ذى الحجة سنة عشر بمكة ودفن بالمعلاة»^(٦١٧).

٤ - صوفية الخانقاة ونزلاتها :

كان لهؤلاء كما يقول على باشا مبارك وغيره من الباحثين المحدثين «مساكن أرضية فوقها مساكن علوية يسكنها جميعا جماعة من صوفية الأتراك ولهم مراتب كافية وشيخ يقرأ لهم الدروس باللغتين التركية والعربية»^(٦١٨) وقد ترك لنا كل من السخاوى وابن حجر وعلى باشا مبارك بعض تراجم صوفية هذه الخانقاة ودارسيها، فكان ممن ذكرهم السخاوى أحمد بن محمد بن أحمد بن عثمان بن المحب الطوخى الأصل القاهرى الشافعى سبط النور القوى خطب جامع الفاكهى، ولد تقريبا سنة ثمان وثمانمئة فحفظ ودرس وعرض واقتصر على ما باسمه من مراتب ووظائف كالصوف بالشيخونية حتى مات فى جمادى الأولى سنة تسعين (وثمانمئة)^(٦١٩).

وعبد الرازق بن أحمد بن أبي بكر البقلي (لسكناء بزاوية على البقلي) القاهري الحنفى أحد صوفية الشيخونية ولد سنة خمس وأربعين (وثمانمائة) فحفظ وجود حتى قدم عل غيره فى تدريس القراءات بالبرقوقية بعد أبى الفضل بن أسد^(٦٢٠).

وعمر بن عبد الرحمن بن يوسف السراج الأنصارى الشافعى البسطامى كان رأس صوفية الشافعية بخانقاة شيخو متقدما فى الغرائض والحساب إلى أن مات فى سنة تسع وعشرين (وثمانمائة)^(٦٢١)، ويعنينا من هذه الترجمة ما ذكره السخاوى بقوله كان رأس صوفية الشافعية بخانقاة شيخو «لأن فى هذا ما يعنى أن صوفية الخانقاة كان لهم رأس أو متقدم، ربما كان عمله ذا شقين يختص أولهما بالعلاقات بين الصوفية بعضهم وبعض وحل ما قد ينشأ بينهم من مشكلات، ويختص ثانيهما بالعلاقة بين الصوفية وبين أولى الأمر فى الخانقاة فيكون رأس الصوفية بذلك هو حلقة الوصل بين الإثنين فى كل ما يعن للطرفين من أمور يتجاء الآخر.

أما عن الدارسين بهذه الخانقاة فقد ترك لنا ابن حجر والسخاوى وعلى باشا مبارك بعض تراجمهم، فكان ممن ذكرهم ابن حجر حرمى بن هاشم بن يوسف الفاقوسى العامرى الفقيه الشافعى وكيل بيت المال، قرأ على الباجى والسيف البغدادى ومهر فى الفقه، كان طويلا رقيقا لازم الاشتغال مع الشيخونية حتى مات فى ذى الحجة سنة أربع وثلاثين (وسبعمائة)^(٦٢٢).

ومن ذكرهم السخاوى عبد الباسط بن خليل بن ابرهيم القاهرى، ولد سنة أربع وثمانين وسبعمائة بدمشق ونشأ فى خدمة كاتب سرها البدر بن موسى ثم قدم إلى مصر بعد مقتل الناصر فرج، فلما تسلطن المؤيد شخ أعطاه نظر الخزانة والكتابة بها فلزم النجم القرمى فى العربية والمعانى والبيان، كما لازم الشرف يونس الرومى نزيل الشيخونية فى المنطق والحكمة والكلام، وبرع فى المباشرات بالشيخونية والأشرفية والمؤيدية والصلاحية وأثنى على مباشراته وشدة ضبطه ونزاهة قلمه حتى مات فى ذى القعدة سنة تسع وثمانين (وثمانمائة)^(٦٢٣)، ويعنينا فى هذه الترجمة ما تشير إليه من أن الخانقاة كانت تشمل على دروس فى المنطق والحكمة والكلام إل جانب دروس الفقه والتصوف ونحوها، وهو ما يشير إلى سعة دائرة البحث والدراسة فى هذه الخانقاوات بما يثبت أنها كانت مدارس علم مختلف أنواع العلوم الشرعية واللغوية والفلسفية ونحوها.

ومن ذكرهم السخاوى أيضا من دارسى هذه الخانقاة عبد الرحمن بن على بن عبد الرحمن بن هاشم الزين أبو هريرة التفهنى ثم القاهرى الحنفى، ولد سنة أربع وستين وسبعمائة بتفهننا بالقرب من دمياط، ثم قدم إلى القاهرة فتتزل بعناية أخيه فى مكتب الأيتام بالصرغتمشية ثم ترقى إلى عرافتهم وحفظ ولازم حتى صار من أفاضل طلبة الشيخونية حين كان الكمال شيخها يجلس ثانى من يجلس عن يمينه فى الدرس والتصوف إلى أن قرر فى مشيخة الشيخونية بعد السراج قارئ الهداية وانفصل عنها بالصدر بن العجمى واستمر قاضيا إلى أن مرض وطال مرضه ولم يلبث أن مات فى شوال سنة خمس وثلاثين (وثمانمائة)^(٦٢٤).

وقد رتب المنشئ لهؤلاء الدارسين - كما يقول على باشا مبارك - فى اليوم اللحم والطعام والخبز، وفى الشهر الحلوى والزيت والصابون^(٦٢٥).

أما فيما يتعلق بنزلاء الخانقاة فإن ما أمكن الوقوف عليه من تراجمهم ينحصر فىمن ذكرهم السخاوى وابن تغرى بردى والجبرتى، فكان ممن ذكرهم السخاوى أحمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله اليمانى الأصل الرومى الزاهد نزىل الشيخونية الذ عرف بابن عرب، أصله من اليمن ثم انتقل أبوه منها إلى بلاد الروم فسكنها، وولد له صاحب الترجمة، فنشأ بمدينة برصا ثم قدم وهو شاب إلى القاهرة، وتنزل فى القاعة التى استجدها أكمل الدين البابرتى صوفيا بالشيخونية وكان الناس يبيتون بالخانقاة رجاء رؤيته، وأقام على هذه الطريقة أكثر من ثلاثين سنة، وكراماته كثيرة، مات فى ربيع الأول سنة ثلاثين (وثمانمائة) وتقدم العينى للصلاة عليه فى الرملة وأعيد إلى الخانقاة فدفن بها بجوار شيخها الأكبر أكمل الدين المشار إليه^(٦٢٦).

ومنهم أحمد بن ابنى بكر بن اسماعيل بن سليم بن قايماز الكتانى البوصيرى القاهرى الشافعى، ولد فى المحرم سنة اثنتين وستين وسبعمائة بأبى صير من الغربية وتنزل فى صوفية الشيخونية ثم المؤيدية، مات فى المحرم عام أربعين (وثمانمائة) بالحسينية ودفن بترية طشتمر الدوادار^(٦٢٧).

وأحمد بن عبد الله بن محمد الشهاب القلع المصرى الحنبلى نزىل مكة الذى عرف بشيخ المنبر، تردد على القاهرة مرارا وتنزل فى الشيخونية حتى مات بها فى رمضان سنة اثنتين وثمانين

(وثمانمائة) ودفن من غده^(٦٢٨).

وأحمد بن محمد بن صالح الشهاب الحلبي ثم القاهري الحنفى نزيل الشيخونية الذى عرف بابن العطار، انتمى للزين التفهنى وأخذ عنه الفقه وغيره وتنزل بالصرغتمشية والشيخونية واستمر مقيماً بالقاهرة يدرس ويحدث إلى أم مات رحمه الله^(٦٢٩).

وأحمد بن محمد بن على بن عبد الدايم بن رشد الدين الشهاب السلمى المنصورى الشافعى ثم الحنبلى الذى عرف بالمنصورى، ولد سنة ثمان وتسعين وسبعمائة بالمنصورة، ثم انتقل إلى القاهرة وتنزل فى حنابلة الصوفية بالشيخونية إلى أن مات فى جمادى الثانية سنة سبع وثمانين (وثمانمائة)^(٦٣٠).

وأحمد بن محمد بن يوسف بن سلامة بن ناصر الدين الشافعى الذى عرف بالعقبى، ولد سنة ثمان وستين وسبعمائة بمنية عقبة ثم انتقل إلى القاهرة واشتغل وقرأ وحضر وتنزل فى صوفية الشيخونية حتى مات فى ذى الحجة سنة إحدى وستين (وثمانمائة)^(٦٣١).

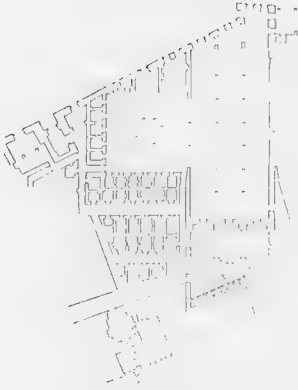
وحسين بن زيادة بن محمد البدر الفيومى الأزهرى الحنفى نزيل خاتقة شيخو، ولد سنة ثمان وستين وسبعمائة بالفيوم ثم انتقل أبوه إلى القاهرة فقرأ واشتغل وسمع جزءاً من آخر السيرة لابن هشام على النور القوى بخاتقة شيخو^(٦٣٢).

ومن ذكرهم ابن تغرى بردى أحمد بن ابراهيم بن محمد اليمنى الأصل، البرصاوى المولد والمنشأ (نسبة إلى برصا أو بروسة فى آسيا الصغرى)، المصرى الدار والوفاة الحنفى الشهير بابن عرب، أحد أفراد الدنيا فى الزهد والورع والعبادة، نزيل الخاتقة الشيخونية وأحد الصوفية بها توفى فى ربيع الأول سنة ثلاثين وثمانمائة وحضر الملك الأشرف برسباى للصلاة عليه ثم أعيد إلى الخاتقة الشيخونية بالصليية فدفن بها^(٦٣٣).

أما الجبرتي فقد أشار فى حوادث شهر صفر سنة (١٢١٨ هـ) فى معرض حديثه عن مقتل طاهر باشا الوالى إلى أنه لو طال عمره لأهلك الحرث والنسل .. كان فيه هوس وانسلاخ وميل للمجاذيب والدرائش حتى أنه عمل له خلوة بالشيخونية كان يبيت فيها كثيراً ويصعد مع الشيخ

عبد الله الكردى إلى السطح فى الليل ويذكر معه ثم سكن هناك بحرية^(٦٣٤).

٦ - وصف الخانقاة : (أنظر لوحة : ١٤)



لوحة ١٤ : الخانقاة الشخونية - أثر رقم ١٥٢
(٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م) - سقط أنقى

تقع هذه الخانقاة - كما قلنا - فى شارع الصليبة بحى الخليفة فى جزء من قطائع ابن طولون وتبلغ من السعة حالياً ما يقرب من (٧١) متر طولاً، (٦٥) متر عرضاً وتشتمل على مدخل ضخيم خلفه صحن مربع مكشوف ورواق عرضى كبير فى الشرق وبقايا مساكن كانت لصوفيتها، بالإضافة إلى حمام مدخله من دهليزها، ومعالم حظيرة لدابة شيخها على امتداد الجدار الخلفى للرواق الشرقى وفيما يلى وصف تفصيلى لمكوناتها المعمارية:

أ - الواجهة الرئيسية والمدخل :

تقع هذه الواجهة فى الضلع الشمالى للخانقاة ويبلغ طولها (٨١ر٥٠) متر وتتكون من جزئين أولهما طوله (٧١ر٥٠) متر وثانيهما طوله (١٠) متر ويرز ثانيهما عن أولهما بمقدار (٣ر٥٠) متر ويضم القسم الأول من الواجهة حنية المدخل الرئيسى وثمان دخلات رأسية مستطيلة ضحلة ترتفع كل منها إلى أعلا جدار الواجهة حيث تنتهى بثلاثة صفوف من المقرنصات وتحتوى هذه التجاويف على صفين من الشبايك يرتفع السفلى منها عن الطريق بمقدار (٥٠) متر ويشتمل على فتحات ذات أعتاب مزروعة وعقود عاتقة، أما العلوية فهى عبارة عن شبايك قندلية ترتكز على أعمدة من الرخام غطيت من الخارج بمصبغات خشبية، أما القسم الثانى من الواجهة فيضم ثلاثاً من هذه الدخلات الرأسية المتشابهة لدخلات القسم الأول. وتبدأ هذه الدخلات من الجانب الغربى للواجهة بدخلة عمقها (٢٣) متر تنتهى من أعلا قرب الحافة العليا بحطتين من المقرنصات، ووجد بها من أسفل شباك مستطيل الشكل به أرماع ومخزرات نحاسية، ويعلو الشباك عتب حجرى مزرز فوقه عقد عاتق مكون من صنجات معشقة، ثم يعلو هذا الشباك المستطيل نافذة

مربعة الشكل تقريباً ذات إطار خشبى بها أرماع ومخزرات حديدية. تعلوها قندلية تتكون من نافذتين مستطيلتين كل منهما ذات عقد نصف دائرى يحمله عمودان رخاميان دائريان، ويعلو العمود الأوسط قمرية دائرية، ويزين كل من النافذتين والقمرية زخارف جصية لوحات زخرفية هندسية (٦٣٥).

وبلى الدخلة الأولى من الناحية الشرقية دخلة ثانية بها مدخل رئيسى عمقها (٢١٠) متر ذات عقد ثلاثى الفصوص ملئت طاقيته بمقرنصات بدعة تكتنفه مكسلتان حجرتان طول كل منهما (٢١٥) متر وعرضها (٦٠) متر وارتفاعها (١١٠) متر كان يزين كلا منهما أفاريز رخامية بارزة خالية من أية زخارف، وتنتهى هذه الدخلة بعقد ثلاثى الفصوص تزده زخارف لمقرنصات غائرة ذات دلايات.

أما المدخل نفسه فعرضه (٢١٠) متر به باب خشبى ذو مصراعين عليه شريطان من النحاس أحدهما فى أعلا الباب والآخر فى أسفله خاليان من الزخارف فيما عدا إطارى كل منهما العلوى والسفلى الذى يترزين بوحدة زخرفية مكررة لورقة ثلاثية الفصوص.

ويعلو هذا المدخل عتب حجرى من البازلت الأسود به بعض الكتابات المصرية القديمة (الهيروغليفية) فوقه لوحة تأسيسية من الرخام الأبيض طولها (٢١٠) متر وعرضها (٧٠) متر ذات كتابات نسخية بارزة من ستة أسطر نصها :

سطر ١ : بسم الله الرحمن الرحيم. فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله (٦٣٦) أمر بإنشاء هذا المكان

سطر ٢ : المبارك والموطن الذى ساهم العمل فيه انية وشارك العبد الفقير إلى ربه جلا وعلا وتبارك المغترف من بحر نواله المغترف من أفضاله بكل لطف تدارك الأمير شيخون.

سطر ٣ : العمرى الناصرى عمره الله ببقائه ونصره وضاعف أسباب ثوابه وأجره وعوضه بقصور الجنان بعد امتداد عمره وتقبل أعماله الصالحة فى سر القول وجهه وجعله

سطر ٤ : خالصاً لوجهه جائزاً به على الصراط المستقيم يوم معاده وحشره تقرب به إلى ربه احتساباً وإيماناً وابتغى به عند ربه فوزاً وغفراناً وآوى به كل أشعث أغبر لو أقسم

سطر ٥ : على الله لأبره فأولاه إحساناً وجمع به قوما كفاهم همّ المؤونة فكفاه الله شر يوم الفزع الأكبر ولقاه أماناً يواصلون العمل بالعلم ويقطعون الليل تسبيحاً وقرآناً (Sic)

سطر ٦ : تراهم ركعاً سجداً يتفتنون فضلاً من الله ورضواناً وكان ابتداء الشروع فيه في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين وسبعمائة والفراغ منه ومما حواه في شهر شوال من السنة المذكورة (٦٣٧).

وعلى يمين ويسار هذه اللوحة صنجيات مزورة يعلوها نافذة مستطيلة الشكل ذات إطار خشبي به أرماع ومخزرات نحاسية يحيط بها عمودان دائريان يقوم كل منهما على كابولي حجري يحملان كورنيشا مكونا من حطتين من المقرنصات.

هذا وعلى جانبي المدخل يوجد إفريز غائر نقش في بخط النسخ البارز كتابات نصها :

«بسم الله الرحمن الرحيم إن المتقين في جنات وعيون، ادخلوها بسلام آمين، ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين، لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين، نبي عبادى أنى أنا الغفور الرحيم، صدق الله العظيم» (٦٣٨).

والى الشرق من دخلة المدخل توجد دخلة ثالثة تشبه تماماً الدخلة الأولى من حيث التكوين المعماري وما بها من نوافذ وشبابيك وزخارف، يجاورها فى الشرق نافذتان صغيرتان مربعتا الشكل لكل منهما إطار خشبي به أرماع ومخزرات حديدية.

وبلى هذه الدخلة الثالثة دخلة رابعة تشبه الدخلتين الأولى والثالثة إلا أن العمود الأوسط من أعمدة القنصلية ذو شكل حلزوني مضلع، وفيما بين الدخلتين الثالثة والرابعة من الناحية الغربية توجد نافذتان مربعتا الشكل لكل منهما إطار خشبي به أرماع ومخزرات حديدية، إلى الشرق منهما يوجد شباكان مستطيلان يعلو كل منهما نافذتان مربعتان، وبكل من الشباكين والنافذتين أرماع ومخزرات حديدية متقاطعة، كما يعلو النافذتين ثلاث نوافذ أخرى بالعلويتين أرماع ومخزرات

حديدية، أما السفلية فقد استعير فيها عن الأرماع والمخزئات بألواح خشبية.

والى الشرق من الدخلة الرابعة توجد دخلة خامسة تشبه الدخلات السابقة إلا أنه يوجد بين هاتين الدخلتين الأخيرتين مدخل عرضه (١٠٥ ر) متر يعلوه عقد فارسي مدبب فوق زاويته توجد نافذة مربعة ذات إطار خشبي به أرماع ومخزئات حديدية، وبلى هذه الدخلة الأخيرة أربع دخلات أخرى تتشابه مع باقى الدخلات السابق الإشارة إليها فى هذه الواجهة.

وتنكسر الواجهة بعد الدخلة الأخيرة ناحية الشمال إلى مسافة (٦٥٠) متر حيث توجد بها دخلة أخرى تتشابه أيضاً مع كل الدخلات المشار إليها، ثم تعود الواجهة فتتجه ناحية الشرق حيث توجد دخلتان تتشابهان تماماً مع ما سبق ذكره من دخلات، ويمتد على طول هذه الواجهة أسفل مقرنصات الدخلات شريط من كتابات نسخية بارزة نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء ومع كرميه السموات والأرض ولا يؤوده () حفظهما وهو العلى العظيم، لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد (استمسك) بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم، الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون^(٦٣٩) لله ما فى السموات وما فى الأرض وإن تبدو ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير، آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين^(٦٤٠) الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاج كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء وضرب الله الأمثال للناس والله بكل

شئ عليم، في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة^(٦٤١)، وتنتهى الحافة العليا لهذه الواجهة بوحدة مكررة لشريط من شرافات مستنة.

ب - دركاة المدخل والممر:

يؤدى مدخل الخانقاة المشار إليها إلى دركاة مستطيلة الشكل طولها (٤ر٧٠) متر وعرضها (٣ر٩٥) متر أرضيتها مفروشة ببلاطات من الحجر الجيري فى صدرها مصطبة طولها (٣ر٣٠) متر وارتفاعها (٦٥ر) متر وعمقها (عرضها) (١ر٦٠) متر، ويغضى هذه الدركاة سقف من أقبية متقاطعة، وفى جدارها الشرقى مدخل عرضه (١ر٧٥) متر ذو عقد مدبب يحيط به جفت لآعب ذو ميممات دائرية، ويفضى هذا المدخل إلى ممر منكسر ذو اتجاهين يتجه أولهما ناحية الشرق بطول (٣ر٤٥) متر ويتجه ثانيهما ناحية الجنوب بطول (١٢ر٢٠) متر، وعلى يسار الاتجاه الأول من هذا الممر توجد قاعة مستطيلة الشكل ذات سقف خشبى مجدد فى جدارها الشمالى شباك سبق ذكره فى الدخلة الثالثة من الواجهة.

أما الاتجاه الثانى لهذا الممر المنكسر ففيه بالجدار الغربى ثلاثة أبواب متشابهة كل منها عبارة عن فتحة عرضها (١ر٢٠) متر يعلوها عقد فارسى مدبب يؤدى المدخل الأول منها إلى ممر مستطيل مغضى بقبو طولى مبنى بالطوب الأحمر، ويبدأ هذا الممر مما يلى الباب برحبة سماوية وينتهى ببابين أحدهما فى نهاية الجدار الشمالى عرضه (١ر٢٥) متر يؤدى إلى إيوان مستطيل الشكل طوله (٧ر٢٥) متر وعرضه (٤ر٦٥) متر يتقدمه من الناحية الجنوبية عمودان رخاميان دائريان يقوم كل منهما على قاعدة مختلفة تاج الشرقى منهما على شكل ورقة الأكشش وتاج الغربى على شكل زهرة اللوتس.

أما فى الجدار الشرقى فيوجد شباك مستطيل عمقه (١ر١٠) متر تعلوه نافذة سبقت الإشارة إليها عند الحديث عن الدخلة الأولى من الواجهة، ويغضى هذا الإيوان سقف من كتل خشبية كان مزخرفاً بطريقة المربوعات إلا أنه بحالة سيئة ولم يبق من زخارفه شئ، ويتقدم هذا الإيوان استطارق سماوى فى منتصفه تغطيه من الجانبين الشرقى والغربى كتل خشبية على هيئة مربوعات،

هذا وفي الناحية الجنوبية من الجدار الغربي توجد فتحة باب عمقها (٨٠ر) متر مسدودة بسدة حديثة.

ويؤدي الباب الثاني من أبواب الممر إلى سلم يتجه في انكساره الأول ناحية الغرب ثم ينكسر في اتجاهه الثاني ناحية الجنوب ثم ناحية الشرق ثم ناحية الشمال حيث توجد نافذة مربعة الشكل تقابل الممر المؤدى إلى داخل الخانقاة، ثم الاتجاهين ناحية الغرب والجنوب حيث يوجد في الأخير شبّاكان مستطيلان أحدهما مسدود والآخر مرمر، ثم الاتجاهين ناحية الشرق والغرب حيث يؤدي الأخير إلى رحبة مستطيلة الشكل في جدارها الغربي نافذة مربعة بها مصبغات خشبية، وفي جدارها الشرقي من الناحية الجنوبية مدخل عرضه (٨٥ر) متر يؤدي إلى ممر مستطيل يغطيه سقف حديث به في الجدار الجنوبي نافذة صغيرة مستطيلة يليها دورتا مياه صغيرتان، ثم مدخل ثان في الناحية الشمالية عرضه (١٥٠) متر يصعد منه بست درجات إلى بسطة مستطيلة في جدارها الشرقي نافذة مستطيلة الشكل وفي جدارها الشمالي مدخل عرضه (١١٠) متر ذو عتب مستو يؤدي إلى حجرة مستطيلة في جدارها الشرقي شبّاك مقسم إلى قسمين بالسفلى منهما أرماع ومخزرات حديدية وبالعلى مصبغات خشبية متقاطعة.

وفي الجانب الشرقي من جدارها الجنوبي نافذة مستطيلة بها مصبغات خشبية متقاطعة، ويغطي هذه الحجرة سقف خشبي مجدّد، أما جدارها الشمالي فبه فتحة عرضها (٢٧٠) متر تؤدي إلى دخلة ذات قبو اسطواني يزينها إفريزان حجريان في كل من الجانبين الشرقي والغربي، وفي جدار هذه الرحبة الشمالي توجد فتحة عرضها (١٥٠) متر تؤدي إلى رحبة ثانية مربعة الشكل في جدارها الغربي شبّاك مستطيل به مصبغات خشبية عريضة، وعلى جانبي هذا الشباك في الشمال والجنوب توجد دخلتان متشابهتان عمق كل منهما (٥٠ر) متر وعرضها (٧٠ر) متر.

وفي الجدار الشمالي لهذه الرحبة يوجد مدخل آخر عرضه (١٦٠) متر يؤدي إلى حجرة مستطيلة ذات سقف عبارة عن كتل خشبية كان يزين وجوها الثلاثة المرئية ويزين ما بينهما من مربوعات زخارف ملونة نباتية وهندسية، هذا ويحيط بأعلا جدران هذه القاعة أسفل السقف إفريز خشبي كانت تزينه زخارف تشبه زخارف السقف، أما في جانب هذا السقف الشرقي فيوجد منور للتهوية والإنارة، وفي جدار هذه القاعة الشمالي توجد القندلية التي تعلق الشباك السابق وصفه

بالدخلة الأولى من الواجهة.

وفى النهاية الغربية لجدارها الجنوبي يوجد مدخل عرضه (١,٥٠) متر يعلوه شباك من مصبغات خشبية يؤدى إلى قاعة ثانية مستطيلة الشكل أصغر حجماً من هذه القاعة، فى جدارها الشرقى يوجد شباك يشبه تماماً الشباك الذى سبق وصفه بالجدار الغربى للرحبة الثانية.

وينتهى السلم باتجاهين أحدهما شرقى والآخر غربى يؤدى إلى رحبة مستطيلة فى جدارها الشرقى مدخل صغير عرضه (١) متر يؤدى إلى حجرة صغيرة فى جدارها الغربى شباك مستطيل الشكل، ثم يصعد من الجانب الشمالى لهذه الرحبة إلى امتداد السلم حيث اتجاهين يؤدى الأخير منهما إلى السطح حيث المئذنة.

ج - المئذنة : (أنظر شكل ٢٥)



شكل رقم ٢٥ : الخانقاة الشىخونية - أفر رقم ١٥٢
(١٣٥٧ هـ / ١٩٣٥ م) القبة والمئذنة

تقوم هذه المئذنة على قاعدة مستطيلة طولها (٤,٣٠) متر وعرضها (٣,٦٠) متر فوقها منطقة انتقال حولت المستطيل إلى مئمن بنى عليه بدن المئذنة التى تتكون من ثلاث دورات، الأولى مئمنة الأضلاع يزين كل ضلع منها وحدة زخرفية مكررة عبارة عن منطقة غائرة مربعة الشكل من أسفل تعلوها منطقة مستطيلة بنفس الغور ذات عقد فارسى مدبب، ويزين كلا من المنطقتين وحدات زخرفية نباتية لأوراق مكررة ثلاثية الفصوص وأنصاف مراوح نخيلية، هذا وفى ضلع هذه

الدورة الشمالى توجد فوق المدخل شرفة بارزة تتكون زخارفها من ثلاث حطات من المقرنصات، ويعلو هذه الدورة أسفل أفاريزها الحجرية الثلاثة التى استعيرت عنها بالمقرنصات شريط لكتابات نسخية نصها فى أضلاع الدورة الثمانية كما يلى:

ضلع ١ - بسم الله الرحمن الرحيم.

ضلع ٢ - وأذن في الناس بالحج يأتوك

ضلع ٣ - رجالا وعلى كل ضامر

ضلع ٤ - يأتين من كل فج عميق، ليشهدوا

ضلع ٥ - منافع لهم ويذكروا اسم

ضلع ٦ - اسم () الله في أيام معلومات على ما رزقهم

ضلع ٧ - من بهيمة الأنعام فكلوا منها

ضلع ٨ - وأطعموا البائس الفقير^(٦٤٢).

أما الدورة الثانية للمئذنة فهي ذات بدن مثنى الأضلاع أيضاً إلا أنها خالية من الزخارف فيما عدا حطتين من خطوط رأسية متجاورة ومتوازية، ويعلو هذه الدورة الثانية جوسق سداسى البدن تعلوه حطة من المقرنصات كل واحدة منها أشبه بعقد ثلاثى القصوص، ويلى الجوسق رقبة المئذنة وهى ذات بدن اسطوانى تقوم فوقه قلة بصلية الشكل كان يعلوها هلال نحاسى، والحققة أن هذه المئذنة مبنية كلها بالحجر خلافا لما عرف من مآذن الممالك البحرية.

وينتهى الممر المذكور المفضى إليه من الدركاة فى الناحية الجنوبية بجزء متخرب إلا أن فى جداره الشرقى مدخلان أولهما عرضه (١٦٥ ر) متر يفضى إلى الباب المؤدى إلى صحن الخانقاة، ويغطيه سقف نصف اسطوانى، وثانيهما عرضه (١٢٠ ر) متر يعلوه عقد نصف دائرى يؤدى إلى سلم يفضى بعد خمسة انكسارات إلى مدخل عرضه (١١٠ ر) متر ذو عتب مستو يؤدى إلى ممر مستطيل عرضه (١٢٠ ر) متر على جانبيه توجد مجموعة الخلوات.



شكل رقم ٢٦ : الخانقاة الشيعونية خلوات الصوفية

د - خلوات الصوفية : (أنظر شكل : ٢٦)

تتكون خلوات الصوفية التى تقع بالجهة الجنوبية الخلفية للخانقاة فى ثلاثة طوابق من ثلاث وحدات سكنية تقع أولاها فى أقصى الجنوب من ثلاث خلوات فردية كل منها ذات شكل منحرف، وتتكون ثانيتهما من خمس خلوات حبيس مزدوجة كل منها ذا شكل مستطيل، وتتكون ثالثتها من ثلاثة أدوار فى الأرضى منها عشر خلوات حبيس مزدوجة فى قسمين، وفى كل من الدورين الثانى والثالث عشر خلوات متقابلة بينها عمر مسقوف، بالإضافة إلى

ست خلوات تطل على الصحن منها اثنتان فى الجهة الشمالية وأربع خلوات فى الجهة الغربية. وتفصيلاً لهذا الوصف يمكن القول أنه على محور المدخل المشار إليه (المدخل الثالث بالمر) يوجد مدخل آخر عرضه (٨٠ر) متر يفضى إلى دورتى مياه وحمام، وعلى جانبى هذا الممر توجد خمس عشرة خلوة متشابهة، كل منها عبارة عن حجرة مستطيلة طولها (٢٦٠ر) متر وعرضها (٢٤٠ر) متر ذات سقف من عروق خشبية بكل منها شبك مستطيل الشكل عرضه (٨٠ر) متر به من أسفل أرماع ومخززات حديدية ومن أعلى أرماع ومخززات نحاسية، ثم دخلة ثانية عمقها (٣٠ر) متر وعرضها (٧٥ر) متر كانت تستخدم ككتيبة لحفظ متعلقات الصوفى القاطن فيها.

ومعنى ذلك أنه يوجد على كل جانب من جوانب هذا الممر سبع خلوات إلا أن الخلوة الشرقية فى جانبه الشمالى تتداخل مع خلوة أخرى تقع إلى الشرق منها وهى الخلوة الخامسة عشر.

وفى الجانب الغربى من هذا الممر يوجد ممر آخر فى بدايته من الناحية الجنوبية مدخل عرضه (٧٠ر) متر يؤدى إلى حجرة صغيرة يغلب على الظن أنها كانت دورة مياه فى جدارها الغربى نافذة مستطيلة الشكل، أما الجانب الشرقى من هذا الممر فبه مدخل ثالث عرضه (١٠ر) متر يؤدى إلى خلوة تطل على الصحن ذات شكل مستطيل تشبه الخلوات السابق وصفها فى الممر

الأول، تليها من الناحية الشمالية خلوة تشبه الخلوة الأولى فى الركن الغربى من جدارها الشمالى مدخل عرضه (٩٠ ر) متر يؤدى إلى خلوة ثالثة.

ويؤدى هذا الممر إلى سلم من أربع درجات يصعد منها إلى استمرار لهذا الممر جانبته الغربى عبارة عن مصبغات خشبية تطل على الفتحة الثانية التى تعلو مدخل الدركاة، وعلى يمين هذا الممر توجد خلوة رابعة ينزل إليها بأربع درجات من سلم فى مواجهته مدخل يؤدى إلى خلوة خامسة عرضه (٩٠ ر) متر وخلوة سادسة أكبر حجماً من الخلوات السابقة يطل شباكها فى الجدار الشمالى على الشارع ويطل شباكها فى الجدار الجنوبى على المنور المشار إليه.

ويجاور الخلوة الرابعة من الشمال خلوة سابعة تشبهها تماماً تليها خلوة ثامنة بها شبّاكان يطل الكبير منهما على الصحن ويطل الصغير على الشارع، ويهبط من الركن الشمالي الشرقي لهذه الخلوة بثلاث درجات تؤدي إلى مدخل عرضه (٨٠ر) متر يقضى إلى خلوة تاسعة بها أربعة شبّايك تطل على الشارع اثنان سفليان كبيران يعلوهما اثنان علويان صغيران وفي جدارها الجنوبي شبّاك خامس يطل على الصحن.

ويستمر السلم حتى يؤدي بعد خمسة انكسارات عبر مدخل عرضه (١١٠ر) متر إلى خلوات الدور الثاني، وتنقسم هذه الخلوات إلى قسمين يعلو الأول منهما الخلوات الخمسة عشر المشار إليها بالدور الأول، ويضم أربع عشرة خلوة بنفس النظام المعماري، أما القسم الثاني فيقع في الناحية الغربية فوق القسم الثاني من خلوات الدور الأول ويتكون من حمام في ناحيته الجنوبية وخلوة صغيرة في الجانب الجنوبي من جداره الغربي تعلو الحجرة الصغيرة التي أشير إليها بالدور الأول على أنها ربما كانت دورة مياه، وفي الجدار الشرقي لمر هذا القسم توجد خمس خلوات متشابهة تتسابه أيضاً مع الخلوات التي توجد تحتها في الدور الأول.

وفي النهاية الشمالية لهذا الممر توجد خلوة سابعة أصغر حجماً من الخلوات السابقة وتشبه الخلوة التي تحتها في الدور الأول، وينكسر هذا الممر ناحية الشرق حيث نجد في جداره الشرقي شبّاك يطل على الصحن به أرواح ومخزّات حديدية من أسفل ومصبغات خشبية من أعلا، وينتهي هذا الإنكسار بمدخل عرضه (١) متر يؤدي إلى رجة مستطيلة الشكل بها ثلاث نوافذ تطل على الشارع ونافذة رابعة تطل على الصحن.

وفي جدار هذه الرجة الشرقي توجد فتحة مدخل عرضها (١١٥ر) متر تؤدي إلى خلوة كبيرة ذات سقف مجدّد في جدارها الجنوبي شبّاكان كبيران بهما مصبغات خشبية على جانبيها نافذتان مستطيلتان بهما مصبغات خشبية أيضاً، وتطل هذه الشبّايك على الصحن، وفي جدارها الشمالي دخلة عمقها (٧٠ر) متر ذات عقد نصف دائري بداخلها شبّاك قنولية من الشبّايك المطلّة على الشارع، وفي جدارها الشرقي شبّاكان مستطيلان كبيران مخريان ثم باب عرضه (٩٥ر) متر يؤدي إلى خلوة كبيرة في جدارها الشرقي شبّاكان كبيران كل منهما ذو عقد نصف دائري بداخله خشب من الخرط الدقيق قرأ على الشبّاك الجنوبي كلمتي « بسم الله » وعلى

الشباك الشمالي «ما شاء الله» ويطل هذان الشباك على إيوان القبلة.

وفي جدارها الشمالي يوجد شباك آخر ذو عقد نصف دائرى به خشب من الخرط الدقيق يطل على الشارع، وفي جدارها الجنوبي شباك آخر مستطيل الشكل ذو عتب مستو به مصبغات خشبية متقاطعة يطل على الصحن، وسقف هذه الخلوة متهدم وغير موجود.

ويؤدى المدخل الأول فى الإنكسار الثانى من الممر إلى ممر صغير مغطى بقبو نصف دائرى ينتهى بباب عرضه (١٤٥) متر يقضى إلى صحن مربع الشكل طول ضلعه (٢٠) متر فى جداره الجنوبي توجد سبعة حواصل متشابهة كل منها عبارة عن حجرة مستطيلة مغطاة بقبو نصف دائرى يؤدى إليها فتحة باب عرضها (٩٠) متر ذات عقد مدبب يحيط به إفريز حجرى مائل نقشت فوق زائوته بالحفر ورقة ثلاثية الفصوص تعلوها فتحة مستطيلة الشكل للتهوية والإنارة أشبه بالمزاغل طولها (٣) متر وعرضها (٢,٨٠) متر.

وفي الجدار الغربى توجد خمسة حواصل أخرى تشبه تماماً حواصل الجدار الجنوبي إلا أن عقودها نصف دائرية ممتدة، وفي الجدار الشمالى يوجد حاصلان متشابهان مع حواصل الضلع الجنوبي.

هـ - السبيل :

يلى الحاصل الشرقى بالجدار المشار إليه سبيل عبارة عن إيوان عمقه (٤٢٠) متر وعرضه (٥,٩٠) متر واجهته المطلّة على الصحن عبارة عن عقد على هيئة حدوة الفرس فى جداره الشمالى يوجد شباك عبارة عن دخلة عرضها (٢,٥٥) متر وعمقها (١,١٠) متر ذات عقد نصف دائرى، وفي جداره الغربى لوحة خشبية عليها كتابات نسخية نصها «بسم الله الرحمن الرحيم إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً، عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً، يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً، إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً، فوقاهم ربهم شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً، وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً»^(٦٤٣) ويغطى هذا السبيل سقف عبارة عن كتل خشبية قسمت الأجزاء فيما بينها إلى مربعات زينت بالإضافة إلى

الكتل بزخارف ملونة ذات أشكال هندسية بسيطة ومركبة وأشكال نباتية مختلفة، وكان يحيط بجدران هذا السبيل الثلاثة شريط زخرفى ملون، وفى مقدمة السبيل يوجد بئر له فتحة دائرية قطرها (٧٠) متر تغطيها خرزة من الرخام.



و - الصحن والفسقية : (أنظر شكل : ٢٧)

يقع هذا الصحن فى وسط الخانقاة وهو مربع الشكل تقريباً طوله (٢٠ر١٥) متر وعرضه (١٩ر٦٥) متر وتتوسطه فسقية مشمعة الأضلاع تحمل أعمدتها الدائرية الثمانية عقوداً خشبية نصف دائرية، ويغضى هذه الفسقية سقف خشبى مستو تزينه دوائر ملونة فى الوسط كان أصله - كما يقول ابن اياس - عبارة عن قبة خشبية من عمل نوروز الحافظى^(٦٤٤).

شكل ٢٧ : الخانقاة الشيعونية
الصحن والسدة الشمالية

ز - إيوان القبلة :

يقع هذا الإيوان فى الناحية الشرقية من الصحن وتطل واجهته على هذا الصحن بثلاثة عقود نصف دائرية ممتدة يحملها عمودان رخاميان ودعامتان بالجانبين الشمالى والجنوبى كل منهما مشمن الأضلاع يقوم على قاعدة بصلية وينتهى بشكل رمانى، ويرتفع هذا الإيوان عن أرضية الصحن بمقدار (٣٠) متر، وينقسم إلى ثلاث بلاطات وبه صفان من الأعمدة بكل منهما ستة أعمدة ذات أبدان مشمعة ودائرية تقوم على قواعد مختلفة الشكل وتعلوها تيجان مختلفة الشكل أيضاً، وتحمل هذه الأعمدة عقوداً نصف دائرية ممتدة يعلوها أسفل السقف ثلاثة أزهر كل منها أسفل سقف بلاطة من البلاطات الثلاث التى يتألف منها الإيوان، وكلها كتابات بالبوية الزرقاء على أرضية من زخارف نباتية ملونة وتشتمل كلها على أبيات شعرية مختلفة لحكم ومواعظ.

ح - المحراب :

يتوسط الجدار الشرقي لهذا الإيوان محراب عبارة عن حنية نصف دائرية قطرها (١٦٠ر) متر وعمقها (١١٥ر) متر يكتنفها عمودان رخاميان متشابهان كل منهما ذو بدن مشمن الأضلاع، ويزين هذه الحنية وحدات زخرفية مكررة تتكون من ورقة ثلاثية وورقة ذات فص واحد تنبثق كل منهما من تفرعات نباتية متماوجة، ويعلو كلا منهما تاج ذو زخارف ورقية بارزة، وتنتهى هذه الحنية من أعلا بطاقيّة المحراب وهى ذات عقد نصف دائرى متراجع تزينا زخارف مشعة باللونين البنى والأصفر، وكان يزين جانبى واجهة هذا العقد (كوشية) زخارف نباتية ضاعت معظم معالمها ولم يبق منها إلا أنصاف مراوح نخيلية مكررة.

ويعلو عقد هذا المحراب قمرية دائرية تزينا زخارف جصية مجددة يكتنفها من الجانبين ست قمريات أخرى مستطيلة ذات عقود مدببة ملئت بزخارف زجاجية ملونة، ويغضى المنطقة أمام المحراب قبة خشبية تقوم فى أركانها الأربعة مقرنصات غائرة ذات دلايات، وبرقيتها ذات الأضلاع الإثنى عشر إتنا عشر شباكاً كل منها ذو عقد نصف دائرى كان به خشب من الخرط الدقيق.

ط - المنبر :

على يمين المحراب يوجد المنبر ويقوم على قاعدة خشبية طولها (٤٣٠ر) متر وارتفاعها (٢٥ر) متر، تقوم فوقها مجنبتان متشابهتان (ريشتان) تتكون زخارف كل منهما من مثلث فى أسفل به مجموعة من الأطباق النجمية وأنصافها يعلوه تسع حشوات من الخرط منها أربع حشوات رأسية مستطيلة تحيط بثلاث حشوات عرضية مستطيلة أضاً، وفى الجانبين يوجد مثلثان بهما مصبغات خشبية، وفى مؤخرة المنبر يوجد بابا الروضة وعرض كل منهما (٦٠ر) متر تحيط بهما من أعلا وحدات زخرفية أشبه بأوراق نباتية، أما باب المنبر فيتكون من ستة أضلاع تزينا زخارف بأنواع الخرط المختلفة.

ويعلو هذه الأضلاع زخارف عبارة عن حطتين من المقرنصات يعملوها شريط من شرافات

على شكل ورقة نباتية مكررة، وفوقه قبة خشبية يعلوها شكلان رمانيان يتوجهما هلال ويصعد من قدمته السداسية عبر سلم صاعد إلى جلسة الخطيب، وهى ذات جوانب ثلاثة مفتوحة يعلو كل جانب منها زخارف أشبه بالزخارف التى تعلو بابى الروضة، وتعلوها مقرنصات ملونة باللونين الأزرق والذهبي تتألف من حطتين يتوجهما شريط من شرافات عبارة عن ورقة ثلاثية مكررة، وهذه الجلسة ذات سقف خشبي مستو تقوم فوقه قبة خشبية أشبه بالقبة التى تقوم فوق مدخل المنبر.

هذا وفى جدار القبلة ستة شبابيك مستطلة ذات عقود نصف دائرية يزين كل منها زخارف جصية مخرمة ذات أشكال نباتية وهندسية يتخللها زجاج ملون.

ويتوسط الجدار القبلى للصحن باب عرضه (١٧٠) متر وعمقه (١٢٠) متر تحيط به من الجانبين شباكان مستطيلان بكل منهما أرماع ومخزرات نحاسية متقاطعة، ولهذا الباب عتب خشبي مستو وهو يؤدي إلى حوش مستطيل الشكل تغطيه خشبيخة خشبية مجددة.

٥ - الإيوان الشمالى،

قع هذا الإيوان فى الناحية الشمالية من الصحن وهو يطل عليه بعقد واحد نصف دائرى كبير، ويغطى هذا الإيوان سقف عبارة عن كتل خشبية كان يزينها وزين المربوعات التى بها زخارف نباتية وهندسية ملونة، وأسفل هذا السقف يوجد إزار خشبي مثبت على الجدار الغربى لهذا الإيوان قوام زخارفه كتابات نسخية فى أربعة أسطر نصها :

سطر ١ - بسم الله الرحمن الرحيم إن ابرار (Sic) يشربون من كأس كان مزاجها كافورا
عينا يشرب بها عباد الله

سطر ٢ - يفجرونها تفجييرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون
الطعام على حبه

سطر ٣ - مسكيننا ویتیمنا وأسیرا إنما نطعمکم لوجه الله لا نريد جزاء ولا شکورا إنا
نخاف

سطر ٤ - من ربنا يوما عبوسا قمطريرا، فوقيههم (Sic) الله ذلك اليوم ولقيهم (Sic) نضرة ومرورا. صدق الله العظيم^(٦٤٥).

ويعلو الفتحات الثلاثة السفلية بجدار إيوان القبلة الجنوبي ثلاثة شبايك تشبه الشبايك الموجودة في جدار القبلة مع بعض اختلاف في التفاصيل الزخرفية النباتية والهندسية، أما الجزء الجنوبي من الجدار الغربي والذي يعتبر الجدار الشرقي لحواصل الجانب الجنوبي فيه شباكات مستطيلة الشمالى منهما أصلى وتزينه زخارف جصية مخزمة بأشكال نباتية وهندسية وكتائية.

والجانب الشمالى من هذا الجدار الغربى لإيوان القبلة فيه شباكات من خشب الخرط سبقت الإشارة إليهما عند وصف الخلوة الأخيرة من الدور الثالث، أما الجدار الشمالى فيه من أسفل أربعة شبايك كل منها عبارة عن دخلة عمقها (١) متر وعرضها (٢) متر يعلوها عقد نصف دائر، ويعلو هذه الشبايك أربع نوافذ أخرى مجددة زينت بالجص المخرم والزجاج الملون.

ك - الضريح :

فى النهاية الشمالية الشرقية للإيوان الشمالى توجد حجرة مستطيلة الشكل ترتفع عن أرضية الإيوان بمقدار (٥٠ر) متر يحدها من الجانبين الغربى والجنوبى حجاب خشبى عبارة عن قوائم يعلوها شريط من ورقة نباتية ثلاثية مكررة.

وفى كل من جداريها الشرقى والشمالى شباكات أشبه بالشبايك السابقة يعلو كلا منهما شباكات آخران كان يزين كلا منهما زخارف جصية وزجاجية ملونة، ويزين الجدار الشرقى لهذه الحجرة طبقة جصية نقش عليها رسم مكرر لشكل الكعبة، أما باقى الجدار (وكذا الحال فى الجدار الشمالى ابتداء من محاذة عقود الشبايك إلى أسفل السقف) فقد نقش فى وحدة زخرفية مكررة كل منها عبارة عن شكل مربع بداخله زهرة أو وردة متعددة الفصوص.

ويغطفى هذه الحجرة قبة خشبية تشبه القبة التى تعلو المنطقة أمام المحراب برقيبتها اثنى عشر شباكات كانت تزينها زخارف نباتية وهندسية بالألوان، أما الأرضية فكان فيها بعض التراكيب لم يبق منها إلا بقايا تركيبتين لضريحين أحدهما للأمير شيخو والآخر لبعض مشايخ الخانقاة ولا سيما

الشيخ أكمل الدين البابر تولى أول شيوخها المشهورين.

وفي الجدار الشمالي لهذا الضريح توجد لوحة رخامية غير كاملة نقشت عليها كتابات نسخية في سبعة أسطر نص الباقي منها كما يلي :

سطر ١ - بسم الله الرحمن الرحيم

سطر ٢ - شيخ أكمل

سطر ٣ - شارح الحديث

سطر ٤ - بالرحمة والرضوان في شهر

سطر ٥ - وثمانين من الهجرة النبوية

سطر ٦ - العقد بلال أغا دار السعادة الناظر

سطر ٧ - سنة ١٠٩٥ .

ويتقدم القبة التي تعلو المنطقة أمام المحراب في البلاطة الوسطى على محور العقد الأوسط من عقود هذا الإيوان التي تفتح على الصحن خشبيّة خشبية مثمّنة الأضلاع كان يوجد أسفلها زخارف لأشكال مقرنصات ملونة عليها زخارف نباتية.

أما السقف فهو عبارة عن كتل خشبية يزين وجوها المرئية ويزين مناطق المربعات فيما بينها زخارف ملونة لوحات زخرفية نباتية وهندسية مختلفة، كما أنه يحيط بأعلى العقود وأسفل السقف في كل بلاطة من البلاطات الثلاثة إزار خشبيّ نقش عليه كتابات نسخية باللونين الأزرق والأسود لبعض آيات من القرآن الكريم، هذا وأمام العقد الشمالي من عقود هذا الإيوان المطل على الصحن توجد دكة المبلغ وتقوم على أربعة أعمدة رخامية دائرية بغير قواعد ولا تيجان يعلوها سقف الدكة وهو عبارة عن عروق خشبية خالية من الزخارف، يعلوه من الجهات الأربع دروة خشبية عبارة عن حشوات من خشب الخرط.

وقد عثر في جامع الكتابات العربية على نص منقول من مشكاة من الزجاج المموه بالمينا ارتفاعها (٣٦ر) متر محفوظة في متحف الفن الإسلامى يقول :

« (ما عمل) برسم المقر الأشرف العالى المولوى المخذومى السيفى شيخو الناصرى، (٦٤٦) وواضح من النص أن هذه المشكاة كانت قد نقلت إلى المتحف المشار إليه من إحدى الشيوخونيتين (المسجد أو الخانقاة).

٦ - ترميمات الخانقاة :

أولت لجنة حفظ الآثار العربية منذ نشأتها فى سنة (١٨٨٢م) وحتى سنة (١٩٠٩م) هذه الخانقاة بقدر لا بأس به من عنايتها ورعايتها.

فبين سنتى (٢٨٨٢ - ١٨٨٤م) صرفت اللجنة على أعمال ترميمية (لم تحدد) بهذه الخانقاة مبلغاً قدره (٢١٦ر٨٢٨) جنيه، (٦٤٧) وفى سنة (١٨٩٥م) صرفت اللجنة مبلغاً قدره (٨ر٧٠٨) جنيه على أعمال ترميمية تتعلق بفك بعض ألواح السماق التالف بالصحن وعمل بدلها ألواح وترابيع من رخام عادى^(٦٤٨).

وفى سنة (١٨٩٦م) حدث أن حوتل حجرة كانت توصل إلى داخل الخانقاة من خلال باب تم سدده كان لها شباك على الشارع للتهوية والإنارة تحوى مصبغات حديدية، وقد خلعت هذه المصبغات وهدمت جلسة الشباك حتى مستوى أرضية الحجرة وعمل المكان دكاناً، وقامت لجنة حفظ الآثار بمعانة الموقع وطلبت إعادة الأثر إلى ما كان عليه^(٦٤٩)، وفى سنة (١٨٩٩م) قررت اللجنة أن تؤخذ من بند الاحتياطى الوارد فى توزيع العشرين ألف جنيه المخصصة لأعمال الترميم عن هذه السنة مبلغاً قدره (٩٥ر) جنيه للأعمال الترميمية المطلوبة لسبيل الخانقاة^(٦٥٠).

وفى سنة (١٩٠٠م) صرفت اللجنة مبلغاً قدره (٦ر٨٠٠) جنيه على ترميم برطوم من براطيم السقف غربى القبة، وعلى حاجز بالبناء فوق سطح الخانقاة حتى يمنع السكان المجاورين لها من استخدامه منشراً لهم وملعباً لأبنائهم كما ورد فى تقرير اللجنة^(٦٥١)، وفى سنة (١٩٠٢م) حدث أن شخصاً يدعى محمد أبو عسكر قد أقام عششاً على سبيل الخانقاة، ورأت اللجنة أن هذا

يضرر بالسبيل لاسيما وأنه بالواجهة، وبعد مباحثات بين المالك والأوقاف قرر المالك أنه يمكن التنازل عن هذه العنش نظير مبلغ قدره خمسون جنيها بصفة التعويض فوافقت اللجنة على تقسيم دفع هذا المبلغ بواقع خمسة وثلاثين جنيها من الأوقاف وخمسة عشر جنيها من اللجنة وقد تمت هذه العملية بدفع المبلغ المذكور وتحرير عقد التنازل وعمل رسم عنه أودع بمحكمة مصر المختلطة وسلم السطح للجنة فعملت فيه حائطاً للفصل بين الأثر وبين ممتلكات الورثة^(٦٥٢).

وفى نفس السنة المشار إليها صرفت اللجنة مبلغاً قدره (٢٢٨) جنيه على ترميم السبيل بالخانقاة ولو أن تفاصيل هذا الترميم لم يحدد بالتقرير الذى أشار إليها^(٦٥٣).

وفى سنة (١٩٠٩ م) أجرت الأوقاف بعض الأعمال بصحن الخانقاة تنحصر فى إصلاح دورة المياه وتحويل الميضأة إلى حوض بحنفيات، فقام هرتس بك بمعاينة الموقع على الفور وقدم تقريراً للجنة يقضى بالاستعاضة عن تركيب الحنفيات فى الطرقة المسدودة الواقعة فى الزاوية الجنوبية الشمالية الغربية للصحن وبين الباب العمومى على أن يفتح فى جدار إحدى الخلوات الملاصقة له باباً يتوصل منه إلى الصحن، على أن يكون الوصول إلى هذا المكان الذى سيعد للوضوء عن طريق الدهايز الواقعة بين مساكن الصوفية فوافقت اللجنة على ذلك وقررت تنفيذه^(٦٥٤) وأخيراً قامت مصلحة الآثار سنة (١٩٥٧ م) بصرف مبلغ قدره (٥٩٥) جنيه على ترميم قبة الخانقاة.

وبذلك يتضح أن اللجنة الدائمة لحفظ الآثار العربية ومصلحة الآثار من بعدها قد قامت بصرف مبلغ قدره (١٢٠٠ ر ٣٣٦) جنيه ألفاً ومائتى جنيه وثلاثمائة وستة وثلاثين مليماً على ترميمات هذه الخانقاة حتى وصلت إلينا مبانيها بحالتها الرائنة التى لازالت فى حاجة إلى استكمال الترميمات اللازمة لها لتعود الخانقاة إلى سابق عهدها الزاهر الذى كانت عليه.

١١ - الخانقاة النظامية

٧٥٧ هـ / ١٣٥٦ م

أثر رقم : ١٤٠

تقوم هذه الخانقاة على المرتفع المستوى خلف القلعة من الناحية الشمالية الذى نهايته الشرقية حتى برج الصحراء وحدوده الغربية خلف قصور الحريم (المتحف الحربى حالياً) وحدوده الشمالية شارع قرافة باب الوزير وجزء من ميدان الجامع الیوسفى وشارع باب الوداع، وحدوده الجانبية سور القلعة الشمالى من جهة مسجد سليمان باشا (سارية الجبل) ويتوصل إليها من طريقين أحدهما من شارع باب الوداع التفرع من شارع الباب الجديد والآخر من طريق صلاح سالم.

ومن المعالم المحيطة بالخانقاة النظامية بقايا سور القاهرة الشرقى المتصل من خلفها، وهو سور من الدبش يختلف فى الشكل عن السور الشمالى، ويتصل من ناحية الجنوب ببقايا أسوارجامع السبع سلاطين وهو مسجد أثرى متخرب لم يبق منه إلا بعض أسوار بها محراب حجرى سليم وبعض قبوات فى الأرض كانت فى غالب الظن قبور من أهمها قبر الشيخ الترابى الذى كان مدفوناً فى الجامع قبل تخريبه، كذلك يحيط بالخانقاة من المعالم الأثرية تجاه جامع السبع سلاطين من جهة القلعة بقايا سور القاهرة الشرقى يلاصقه بناء كان على ما يبدو ساقية تابعة لمسجد سارية الجبل.

والذى أنشأ هذه الخانقاة سنة (٧٥٧هـ / ١٣٥٦م) على عهد الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون هو شيخ الشيوخ نظام الدين الأصبهاني الحنفى، وطبقاً لما لدينا من مادة علمية قليلة فإن حديثنا عن هذه الخانقاة سينحصر فى أربع نقاط رئيسية هى:

١ - تاريخ الخانقاة وأوقافها.

٢ - منشئ الخانقاة.

٣ - وصف الخانقاة.

٤ - ترميمات الخانقاة.

١ - تاريخ الخانقاة وأوقافها:

لم نعثـر - فيما أمكن الأطلاع عليه من المصادر العربية - على معلومات شافية عن هذه الخانقاة، على الرغم من أن المادة العلمية القليلة التى وقفنا عليها تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنها كانت خانقاة فعلية أنشأها - كما قلنا - شيخ الشيوخ إسحق بن عاصم الأصفهاني الحنفى سنة (٧٥٧هـ/١٣٥٦م) خلال عهد السلطان الناصر حسن.

يدل على ذلك أولاً ما ذكره ابن تغرى بردى فى القرن (٩٠٠هـ/١٥٠٠م) حين قال فى ترجمته لابن عاصم المشار إليه «وما يدل على اتساع ماله عمارته لخانقائه بالقرب من قلعة الجبل تجاه باب الوزير على بعد على شرف الجبل وما وقف عليه من الأوقاف، كل ذلك فى سنة ثلاثة وخمسين وسبعمائة»^(٦٥٥) ويدل عليه ثانياً ما ذكره صاحب كتاب «جامع الكتابات العربية» علاوة على اقتباسه لقول ابن تغرى بردى المشار إليه حين قال «وفى ربيع الأول توفى الشيخ نظام الدين إسحاق بن عاصم الأصفهاني الحنفى وهو صاحب الخانقاة النظامية التى تحت القلعة». ^(٦٥٦)

كما يدل عليه ويؤكد ذلك النص الإنشائي الذى ورد فى المرجع المشار إليه ويقول «بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بإنشاء هذه الخانقاة المسمى بالنظامية العبد الفقير إلى الله تعالى الجنب الكبير العالى المولوى نظام الملك والدين اسحق القرشى الأصفهاني نفع الله تعالى بيركته شيخ الشيوخ بالديار المصرية والبلاد الشامية وسائر المملكة الإسلامية من ولد الظهر والبطن سنة سبعة وخمسين وسبعمائة»^(٦٥٧) ويدل هذا النص على أن التاريخ الذى ذكره ابن تغرى بردى لم يكن صحيحاً وإنما جانبه التوفيق حين سبقه بأربع سنوات.

ويدل عليه أخيراً ما أشار إليه الجبرتي عند ذكره لأحدث سنة (١٢١٥هـ/١٨٠١م) مما ارتكبه الفرنسيون من أعمال الهدم والتخريب من أبنية رأس الصوة حيث الحطاية وباب الوزير تحت القلعة وعلى رأسها المدارس القديمة والقباب المرتفعة التى شيدت فى هذه المنطقة وفيها المدرسة

(الخانقاة) النظامية حيث قال « وهدموا أعلى المدرسة النظامية ومنارتها وكانت غاية في الحسن وجعلوها قلعة ونبشوا ما بها من القبور فوجدوا الموتى فى توابيت من الخشب فظنوا داخلها دراهم فكسروا بعضها فوجدوا بها عظام الموتى فأنزلوا تلك التوابيت وألقوها إلى الخارج فاجتمع أهل تلك الجهة وحملوها وعملوا لها مشهدا ودفنوها داخل التكية المجاورة لباب المدرج». (٦٥٨)

والواقع أن شكل بناء هذه الخانقاة الذى كان - على ما يبدو - على هيئة القلاع لأن جدرانها كانت سميكة ضماء من أسفل وبها مزاغل من أعلا، علاوة على وقوفها على مرتفع يشرف على القاهرة من الشرق، كل ذلك ساعد الفرنسيين عندما جاءوا إلى مصر سنة (١٧٩٨م) وأرادوا أن يحيطوا القاهرة بعدد من القلاع لمحاصرتها وإخماد أية فتن تنشأ فيها ولم يجدوا لديهم الوقت الكافى لبناء مثل هذه القلاع، على لقيام بتخريب الأبنية الأثرية الواقعة فى أماكن ملائمة فى أطراف المدينة، وجعلوها أشبه بالقلاع المطلوبه عن طريق إحداث تغيرات وتبديلات معمارية فيها، وكان من أمثلة الأبنية الأثرية التى حولها إلى قلاع بهذه الصفات الخانقاة النظامية وقربة تنكربغا ومسجد أذمر وسبيل الومية وقبة نمر باى الحسينى وغيرها.

ولم يقف الأمر بالنسبة لهذه الخانقاة على أعمال التخريب التى أحدثها الفرنسيون بها، بل لقد ظلت عرضه للكثير من أعمال العبث خلال السنوات التالية، فزالت أسقفها الخشبية كلية واختفت فوهة الصهريج بداخل الخانقاة بعد أن ردم وتهدمت غالبية أجزئها ولم يعد باقيا منها حتى الآن إلا المدخل وبعض حوائط الخلوات التى كانت تجاوره، بالإضافة الى ضريح المنشئ.

أما فيما يتعلق بأوقاف هذه الخانقاة فبدل عليها أولا ما ذكره ابن بردى فيما سبقت الإشارة إليه عن اتساع مال منشئها وعمارته لها الأوقاف عليها (٦٥٩)، وبدل عليه ثانيا ما ورد فى بعض الدراسات الوثائقية الحديثة التى نشرت فى ملحق الحوليات الإسلامية التى تصدر عن المعهد العلمى الفرنسى للدراسات الشرقية بالقاهرة من نشر لحة من الحجج المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقلعة باسم ابو زكريا يحيى بن جمال الدين عبد الله بن شرف الدين موسى رئيس المجبرين والجراحين بالخدمة الشريفة والبيمارستان المنصورى (نسبة الى المنصور قلاوون) وهى حجة أوقف صاحبها وحبس وسبل جميع البناء القائم على الأرض المحتكرة ملكه بجهة القاهرة على الخانقاة النظامية وشرط على الواقف بعده أن يتولى عمارة العين الموقوف عليها ومرمتها وما فيه البقاء لعينها والدوام

لتنفعتهما، ولو أنفق في ذلك جميع غلتها ومتحصلاتها. (٦٦٠)

٢ - منشئ الخانقاة :

لم نعر - فيما أمكن الاطلاع عليه من المصادر العربية - على كثير من المعلومات المتعلقة بترجمة منشئ هذه الخانقاة، وكل ما وصل إلينا عنه ورد ذكره في مصدر واحد ومرجع واحد فقط، أما المصدر فهو المنهل الصافي وقد ورد فيه أن إسحق بن عاصم بن محمد العلامة شيخ الشيوخ نظام الدين بن الشيخ مجير الدين بن سعد الدين الأصبهاني الحنفي، قدم إلى القاهرة بعد أن برع في عدة علوم وصار معدودا من الفضلاء، فولى مشيخة خانقاة سرياقوس ووصف بشيخ مشايخ الإسلام، ثم توجه في الرسالة إلى بلاد الهند وعاد وقد كثر ماله حتى أنه أهدى الذهب في الأطباق إلى عظماء الدولة. (٦٦١)

أما المرجع الذي أشار إلى منشئ هذه الخانقاة فهو كتاب «جامع الكتابات العربية» وقد ورد فيه أن شيخ الشيوخ نظام الدين إسحق بن الشيخ مجير الدين عاصم بن الشيخ سعد الدين محمد الأصفهاني الحنفي توفي في ليلة الأحد ثالث عشر ربيع الآخر سنة (٧٨٣هـ / ١٣٨١م) وتولى بعده ولده جلال الدين مشيخة خانقاة سرياقوس وتلقب بشيخ الشيوخ مثل والده. (٦٦٢)

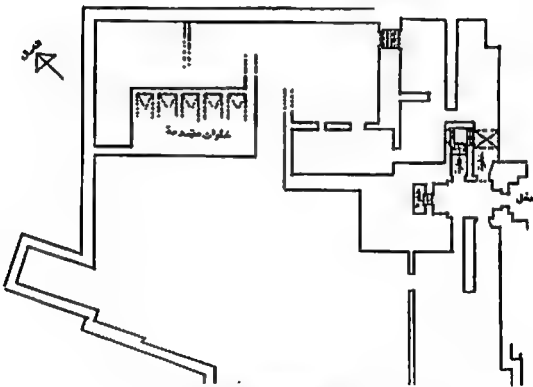
ومن هذا يتضح أن منشئ النظامية هو الشيخ نظام الدين إسحق بن الشيخ مجير الدين

عاصم بن الشيخ سعد الدين محمد الأصفهاني الحنفي المتوفى في ثالث عشر من ربيع الآخر سنة (٧٨٣هـ / ١٣٨١م).

٣ - وصف الخانقاة :

(أنظر لوحة : ١٥ وشكلي ٢٨، ٢٩)

تقع هذه الخانقاة - كما قلنا -



لوحة ١٥ : بقايا الخانقاة النظامية - أثر رقم ١٤٠
(٧٥٧هـ / ١٣٥٦م) - مسقط اقي



شكل ٢٨: بقايا الخانقاة النظامية - أثر رقم ١٤٠ (١٣٥٧هـ / ١٣٥٦م)
جزء من سور القاهرة القديم ومعه بقايا الخانقاة

على قمة تل تجاه القلعة رافة باب الوداع من ناحية الشمال، ويشرف على جبل المقطم من ناحية الشرق وعلى الدحديرة من ناحية الغرب، ويتوصل إليها حالياً عن طريقين، أحدهما من شارع باب الوداع المتفرع من شارع الباب الجديد، والآخر عن طريق صلاح سالم.



شكل ٢٩: بقايا الخانقاة النظامية - منظر من الخارج

وكان لما أحدثه الفرنسيون بها - فيما سبقت الإشارة إليه - وما أقيم على جزء من أطلالها من مدرسة حديثة في الخمسينيات أسوأ الأثر في تخریب هذه الخانقاة وتدميرها، ونتيجة لهذا وذاك لم يبق منها إلا أطلال وأنقاض تستدعي القيام بعمل ترميمى كبير يعيدها إلى ما كانت عليه.

والواقع أن هذه الخانقاة - كغيرها من الخانقاوات المصرية - كانت تشتمل على العديد من المكونات المعمارية التي عرفت عن هذه الخانقاوات، ولكن الدمار الذى أصابها لم يبق منها إلا ما يلي:

أ - الواجهة الرئيسية :

تقع هذه الواجهة فى الناحية الشمالية الغربية وتشرف - كم قلنا - على مقابر باب الوداع من الشمال وتمتد بطول (٢٧,١٠) متر وهى مقسمة إلى أربع دخلات رأسية احتوت لوسطى منها على المدخل الرئيسى، وترتفع هذه الواجهة حسب ما بقى منها الآن بمقدار (٩,٨٠) متر، أما

بالنسبة للدخلات الثلاث الباقية فتوجد أولاها على يمين المدخل من الناحية الشمالية الغربية واتساعها (١١٦٥ ر) متر وتقل في العمق عن سمت الواجهة بمقدار (٩١ ر) متر، أما لدخلتان الأخريان على يسار المدخل من الناحية الشمالية الشرقية، فأحدهما تجاور دخلة المدخل وتقع على يساره اتساعها (٤٣٥ ر) متر والأخرى في الزاوية الشمالية الشرقية واتساعها (٦٥ ر) متر وهما يرتدان عن سمت الواجهة إلى عمق (٨٨ ر) متر، ويفصل بين هاتين الدخلتين سمت الجدار بمسافة (٢٤٥ ر) متر، كم يوجد في أعلا هذه الدخلات الثلاث ثلاث فتحات شبايك مستطيلة ذات أعتاب حجرية بواقع فتحة شباك أعلى كل دخلة، ولكنها سد متحديتا، ويرى في أعلى الواجهة صف من الكواويل الحجرية العارية من الزخارف كانت تحمل الطابق الثاني الذي لم يبق منه سوى بعض الجدران أعلى الواجهة الرئيسية.

ب - المدخل الرئيسى :

يرتفع هذا المدخل عن مستوى التل المقام عليه الخانقاة بحوالى (٢٤٥ ر) متر وكان يؤدى إليه سلم غير موجود حاليا، وهو يقع داخل دخلة عمقها (١) متر وارتفاعها (٤٥٠ ر) متر غير أن ربع القبة وبقية المدخل من أعلا غير موجود الآن ولم يبق منه سوى حطتين ونصف من المقرنصات الحاملة لها بارتفاع (٩٧ ر) متر، ويكتنف هذا المدخل مكسلتان حجريتان عرض كل منهما (٥٥ ر) متر وارتفاعها (٧٥ ر) متر وطولها (٧٦ ر) متر، أما فتحة المدخل فعمقها (٣٠ ر) متر واتساعها (١٤٥ ر) متر وارتفاعها (٢٦٣ ر) متر يغطيها عتب من الحجر لوردي على شكل هرمى فى قمته دائرة رنك محو، وفى أعلاه فتحة شباك مستطيلة كانت تقع أسفل الطاقية التى أزيلت، كما يوجد على جانبيه هذا المدخل بارتفاع (١٣٤ ر) متر من المكسلتين شريط كتابى فى إزار عرضه (٢٩ ر) متر نص الباقي من كتابى :

«أمر بإنشاء هذه الخانقاة المسمى بالنظامية العبد الفقير إلى الله تعالى الجناب الكريم العلى المولوى نظام الملك^(٦٦٣) والدين اسحق القرشى الأصفهاني نفع الله تعالى ببركته شيخ الشيوخ بالديار المصرية والبلاد الشامية وسائر المملكة الاسلامية من ولد الظهر والبطن سنة سبع وخمسين وسبعمئة».

ج - دركاة المدخل وأبوابها :

يؤدى المدخل الرئيسى لهذه الخانقاة إلى دركاة عبارة عن مساحة مستطيلة طولها (٤١٠) متر وعرضها (٣٥٦) متر وترتفع عن مستوى الأنقاض حتى أعلى جزء فيها حاليا بمقدار (٤٧٥) متر وتشتمل هذه الدركاة على أربع مداخل (اثنان منها على اليمين فى الجدار الغربى واثنان على اليسار فى الجدار الشرقى) وكانت تفضى إلى الملحقات المختلفة للخانقاة، وفيما يلى وصف لكل منها :

المدخل الأول :

يقع هذا المدخل فى الجدار الغربى للدركاة على يمين الداخل إليها واتساعه (١٢٠) متر وعمقه (٣٠) متر وسقفه عبارة عن عقد من صحنجات معشقة قمته مدببة وأحجاره مشهرة أعلاه فتحة شبك مستطيلة عرضها (٤٩) متر وطولها (٩٠) متر، ويوصلنا هذا المدخل إلى دهليز طوله (٤٣٥) متر وعرضه (٢٦٠) متر سقفه مكون من مستويين أولهما علوى يلى فتحة المدخل مباشرة وهو عبارة عن جذوع أشجار مستحدثة وثانيهما سفلى عبارة عن قبو مدبب عرضه (١٧٩) متر يشرف على قاعة مستطيلة طولها (٨٣٠) وعرضها (٤٢٥) متر فى صدرها دخلة أخرى عرضها (٢٨٥) متر وعمقها (١٤٧) متر ويوجد بهذه القاعة ثلاث فتحات مستطيلة مسدودة من الخلف ربما كانت خزائن حائطية طول الواحدة منها (٢١٩٠) متر وعرضها (٨٩) متر مقوفها غير موجودة حاليا وقاعها ملئ بالأنقاض إلى منتصفها، وعلى يسار الخزانة الموجودة فى الجدار الشرقى فتحة باب مستطيلة عمقها (٥٠) متر وعرضها (١٢٥) متر سقف بجذوع من الأشجار وسدت بالأنقاض لأعلى من منتصفها، وتوصلنا هذه الفتحة إلى منطقة مستطيلة تملؤها الأنقاض إلى أعلى جزء باق منها، وعلى يمين الخارج من الباب المشار إليه نجد فى الجدار الغربى مدخل مستطيل عرضه (٨٥) متر وعمقه (١١٠) متر يوصلنا إلى قاعة أخرى مستطيلة موازية للقاعة السالفة الذكر طولها (٧١٠) متر وعرضها (٤٢٦) متر، فى أرضيتها مستطيل محاط بجدران من الجهات الجنوبية والشرقية والشمالية غير جدران القاعة وينخفض هذا المستطيل عن مستوى أرضية القاعة بحوالى (١٣٥) متر، كما يوجد بهذه القاعة شبك بنفس الجدار الشرقى الموجود به المدخل اتساعه (٦٣) متر وارتفاعه (١) متر وعمقه (٧٣) متر، وفى

الجدار الجنوبي لهذه القاعة يوجد مدخل آخر به درجات سلم ربما كانت توصيل إلى طباق الصوفية، وهذا المدخل ارتفاعه (٢٤١) متر وعمقه (٨٧) متر وسقفه عبارة عن عتب مسطح، وما تجب الإشارة إليه أن سقف هذه لقاعة غير موجود حالياً وصدرها هو نفسه السور الخارجى للخانقاة من الناحية الشمالية الغربية، والناظر لهذا الجدار من داخل القاعة يجد انه كانت به فتحة مستطيلة أسفلها لوح من الرخام فى وضع أفقى يبرز عن سمت الجدار بحوالى (٣٥) متر سمكه (١٥) متر ومن المرجح أن هذه القاعة كانت سيلا ملحقا بالخانقاة.

المدخل الثانى :

يقع هذا المدخل فى نفس الجدار الغربى للدركاة على يمين الداخل إليها وهو يلى المدخل السابق وعمقه (٣٠) متر واتساعه (١٩) متر يعلوه عتب مكون من صنجات معشقة ذات أحجار مشهرة، ويوصلنا هذ المدخل إلى دهليز طوله (٢٧٥) متر واتساعه (٥٠) ، تنصدره ٥ درجات سلم تنكسر إلى اليمين اتساعها (٢٣) متر كانت توصل إلى الطبق الثانى من طباق الصوفية المندثرة حالياً يبق منها سوى أربع صفوف من المداميك الحجرية المشكلة لجدار الواجهة الرئيسية.

والى يسار القادم من دهليز نجد فتحة شبك اتساعها (٨٧) متر وعمقها (٦٢) متر سقفها غير موجود أيضاً.

المدخل الثالث :

هو أول المدخلين الموجودين بالجدار الشرقى للدركاة اتساعه (١٩) متر وعمقه (٣٠) متر يتشابه مع المدخل المقابل له فى الجدار الغربى للدركاة فى طريقة التسقيف حيث أن سقفه عبارة عن عقد مديب من أحجار مشهرة ولكن فى قمته صنجة مفتاحية للعقد، وأعلاه فتحة شبك مستطيلة عرضها (٤٩) متر وطولها (١٣٩٢) متر وعرضها تشتمل على ثلاثة مستويات أولها

طوله (٥٧١) متر، وعرضه (٢٦٨) متر وثانيها يرتد إلى الخلف قليلاً بعرض (٣١٢) متر وطول (٢٦٠) متر، وثالثها يرتد إلى الخلف أيضاً بعرض (٤٧٤) متر وطول (٥٤١) متر، ونجد من خلال الانقراض التى تملأ هذه القاعة الطويلة بقايا جدران كانت تقسمها إلى هذه المستويات الثلاث السابقة ولكننا لا نستطيع أن نتبين الوسيلة التى كان يتوصل بها من المستوى السفلى إلى المستوى العلوى للقاعة كما أننا لا نستطيع القول بأنها كانت تفتح على ملحقات أخرى أم لا.

المدخل الرابع :

يتشابه هذا المدخل مع المدخل المقابل له فى الجدار لغربى للدركاة من حيث الاتساع (١١٩) متر والعمق (٣٠) متر ومن حيث التسقيف الذى يتكون من عتب مؤلف من صنجات معشقة ذات أحجار مشهرة، وتعلوه فتحة شباك مستطيلة عرضها (٤٩) مترو طوله (٩٠) متر ويوصلنا هذا المدخل إلى دهليز طوله (٥١٣) متر وعرضه (١٤١) متر، قبل نهايته من جهة اليمين فى الجدار الجنوبي نجد فتحة مدخل اتساعها (١٢٠) متر وعمقها (٣٠) متر سقفها غير موجود، غير أن البلاط الذى كان يكسو جدار هذا الدهليز مازال موجوداً، وينكسر الدهليز عند نهايته بزاوية قائمة إلى الناحية الجنوبية ليوصلنا إلى دهليز آخر طوله (٤٧٤) متر وعرضه (١٤٠) متر، والواقع أننا لا نستطيع تحديد اتصالات هذه الدهاليز لأن الانقراض تغمرها عن آخرها ولا سيما الدهليز الثانى، إلا أنه من المعتقد أن هذا الدهليز المنكسر هو الذى كان يتوصل منه إلى (صحن) لخانقاة المملوء خالياً بالانقراض (أنظر شكل : ٣١).

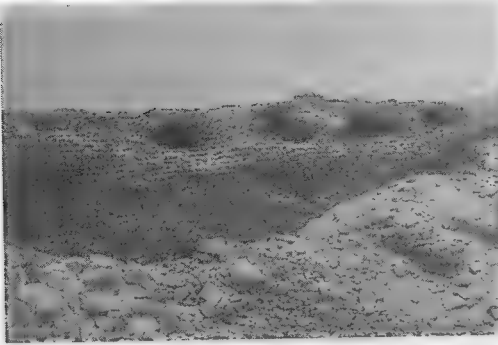


شكل ٣١: بقايا الخانقاة النظامية - منظر داخلى

وفى صدور دركاة المدخل نجد دخلة مستطيلة اتساعها (٢٦٠) متر وعمقها (١٦٣) متر فى صدرها فتحة طولها (١٤٧) متر وعرضها (٧١) متر بها درجات سلم كانت توصل إلى طباق الصوفية بالدور الثانى غير أن الانقراض تملأ هذه الدركاة وتصل إلى مستوى هذه الفتحة التى تعلو مستوى أرضية الدخلة.



شكل ٣٢: بقايا الخانقاة النظامية - مدخل خلوات الصوفية



شكل ٣٣: بقايا الخانقاة النظامية - بقايا خلوات الصوفية

د - خلوات الصوفية الثاني :
(أنظر شكل ٣٢، ٣٣)

لم يبق من خاوات الصوفية هذا الطابق سوى أجزاء من السور الخارجى للواجهة الرئيسية (الشمالية الغربية) بارتفاع (٢٥٠) متر بها دخلة مستطيلة عمقها (١٢٧) واتساعها (١٢٩) متر فى أركانها وصدرها ثلاث مزاغل لمراقبة الجهات الثلاث الشمالية والشرقية والغربية، كما توجد مزاغلة أخرى فى الركن الشمالى الشرقى، أما الجدار لشمالى الغربى للخانقاة فلا تزال فيه ست مزاغل مستطيلة طول الواحدة منها (١١٩) متر واتساعها (٤٢) متر وعمقها (٧٩) متر،

يفصل بين جدار الطبق الأول والجزء الباقى من جدار الطابق الثانى فلوq من جذوع النخل المستحدثة.

ومن بين المكونات العلوية التى قاومت عوامل الدمار والخراب الذى أصاب هذه الخانقاة ومازالت موجودة فى الطابق الثانى قاعة مستطيلة تلى الدهليز الذى يتوصل إليه من فتحة السلم القائم فى مواجهة الدخلة الموجودة فى صدر الدركاة، وتطل هذه القاعة على الدهليز عن طريق جدار ارتفاعه من مستوى سقف الطابق الأول حتى أعلى جزء باق فيه (٤٣٥) متر، ويضم هذا السور قاعة مستطيلة تمتد ناحية الصحن فى الاتجاه الجنوبى بعد دركاة المدخل طولها (١٢٦٨) متر وعرضها (٤٣٨) متر، وسمك هذا الجدار (٦٨) متر والجدار الغربى لهذه القاعة مزود بثلاث فتحات من المزاغل وهو يرتد عن السور الشمالى الغربى للخانقاة بما يدل على أن الواجهة

الشمالية الغربية لم تكن على ارتفاع واحد من مستوى الأرض المقامة عليها الخانقاة.

هـ - قاعة الشيخ ،

في الجدار الشمالى الشرقى للقاعة المستطيلة المشار إليها يصعد إلى سلم سقطت درجاته يؤدي إلى فتحة عرضها (٨٤ر) متر وعمقها (٥٣ر) متر وارتفاعها (٨٣ر) متر ذات سقف خشبي توصلنا إلى غرفة مستطيلة طولها (٤٣٢) متر وعرضها (٥٨٨ر) متر غطيت جدرانها بملاط حديث وترتفع أرضيتها عن أرضيتها عن أرضية القاعة المستطيلة بحوالى (٦٧ر) متر، وكنت هذه الأرضية مفروشة ببلاط حجازى فى أحد أركانها لوح حجرى مسجل عليه تاريخ «أربع وستين وسبعمائة» يغلب على البطن أنه يعبر عن ستكمالت تمت بهذه الخانقاة بعد بنائها بسبع سنين، وفى وسط هذه الأرضية فتحة مستحدثة عبارة عن ثقب أطوله (٤٥٣٧ر) متر مفتوح فى قبو كان يغطى قاعة أخرى أسفل القاعة التى بين أيدينا.

و- الخلوات الخلفية :

تقع هذه الخلوات فى جهة الخلفية من الخانقاة ورغم أنها مليئة بالأنقاض إلا أنه يمكن القول أن أبعاد كل منها كانت (٣٩ر) متر طولاً، (٥٦ر) متر عرضاً بالجدار الشرقى لكل منها مدخل عرضه (٨٥ر) متر وكان مرسوماً على الجدار الجنوبي الشرقى لكل منها محراب بسيط يؤكد أنها كانت فعلاً تمثل الخلوات التى استحدثت سنة (٧٦٤هـ) للصوفية الذين قرروهم المنشئ فيها.

٤ - ترميمات الخانقاة :

لم تكن ترميمات الخانقاة أحسن حالا من مادتها التاريخية والأثرية، فلم نعر فيها يتعلق بهذه الترميمات فى كراسات لجنة حفظ الآثار العربية (على كثرتها بدءاً من الكراسة الأولى سنة ١٨٨٢م) وانتهاء بالكراسة الحادية والأربعين سنة (١٩٥٦م) على شئ يشير إلى أن هذه اللجنة كانت قد أولت تلك الخانقاة رعاية فى أعمال الترميم الكثيرة التى قامت بها فى العديد من الأبنية الأثرية الأخرى، وربما كان السبب فى ذلك أنه كان على رأس هذه اللجنة وفى عضويتها

شخصيات فرنسية لم يكن يعينها في هذا الوقت أن تنازع جيش وطنها الذي كان قد استولى عليها وحولها - كما قلنا - إلى قلعة عسكرية تشرف على القاهرة من ناحية الشرق، يدل على ذلك أنه لم يرد في كراسات هذه اللجنة إلا ذكر لطلب «للبناء بداخل جامع نظام الدين الكائن بالحطابة»^(٦٦٤) وربما كانت ترميمات الدبش البلدى ذو المداميك الكائنة فى أعلاها ونجاء واجهتها، ربما كانت بعض هذه الترميمات من أعمال الحملة الفرنسية ولا سيما مباني الدبش الكائنة أعلى جدران الخانقاة ذات المزاغل الرفيعة البارزة، وربما كان بعضها الآخر لحماية مدخل الخانقاة إبقاء عليه من الضياع والإندثار.

وصفوة القول أن هذه الخانقاة لا زالت فى حاجة ماسة إلى مشروع متكامل تزال فيه أول طبقات الأتربة والأنقاض التى لا زالت تغطى كثيرا من أجزائها ويكشف ثانيا عن كافة أطلالها المنثرة، ويعاد فيه ثالثا بناء كافة الأجزاء المتهدمة منها ليعود للخامقاة سابق عهدا الذى كانت عليه عند بنائها.

جواشي وتحليقات فصول

خانقاوات الأيوبيين والمماليك البحرية

حواشى وتعليقات فصول

خانقاوات الأيوبيين والمماليك البحرية

- ١- المقرئى : الخطط جـ٢ ص ٤١٤ وراجع أيضا : ابن ظهيرة : الفضائل اباهرة ص ١٨٨ ح ٤ ، على باشا مبارك : الخطط التوفيقية : جـ٤ ص ٢١١ .
- ٢- المقرئى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٤١٤ وانظر أيضا : فتحى الحديدى : حى الجمالية ص ١٣٠ .
- ٣- ابن تغرى بردى : المنهل الصافى : جـ١ ص ١٧٩ ج ٧ ، السيد الباز العربى : مصر فى عصر الأيوبيين : ص ٢١٧ .
- ٤- السيرطى : حسن المحاضرة : جـ٢ ص ٢٥٦ .
- ٥- نفس المصدر : جـ٢ ص ٢٥٧ .
- ٦- نفس المصدر : جـ٢ ص ٢٦٠ .
- ٧- المقرئى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٤١٤ ، ابن تغرى بردى : المصدر السابق : جـ١ ص ١٧٩ ح ٧ ، ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة : ص ١٨٨ ح ٤ ، على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٥ ص ٥٠ .
- ٨- على باشا مبارك : نفس المصدر : جـ٤ ص ٢١١ - ٢١٢ ، جـ٥ ص ٥٠ ، جـ٦ ص ٥٠ .
- ٩- كمال سامح : العمارة الإسلامية فى مصر : ص ٣٣ .
- ١٠- صالح لمى مصطفى : التراث المعمارى الإسلامى فى مصر : ص ٢٤ - ٢٥ .
- ١١- ابن حجر : الدرر الكامنة فى أعلام المائة الثامنة : جـ٤ ص ٦٧ .
- ١٢- القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا : جـ ١٢ ص ١٠٥ .

١٣ - القاضي مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل : ج٢ ص ص ٤٧٤١.

١٤ - عبد الجليل عبد المهدي : المدارس في بيت المقدس : ج١ ص ٤٠٣.

١٥ - الحنبلي : المصدر السابق : ج٢ ص ٢٩٦.

١٦ - القلقشندي : المصدر السابق : ج١٢ ص ١٠٥.

١٧ - عبد الجليل عبد لمهدي : المرجع السابق : ج١ صص ٤٠٥ - ٤٠٦.

١٨ - ابن الجيعان : لتحفة السنية بأسماء البلاد المصرية : ص ١٣٩.

١٩ - نفس المصدر : ص ١٣٩.

٢٠ - نفس المصدر : ص ١٥٢.

٢١ - نفس المصدر : ص ١٥٩.

٢٢ - نفس المصدر : ص ١٦٦.

٢٣ - نفس المصدر : ص ١٧٣.

٢٤ - المقرئزي : المصدر السابق : ج٢ ص ص ٤١٤ - ٤١٥.

٢٥ - ابن دقماق : الإقتصار لواسطة عقد الأمصار : ج٢ ص ٨.

٢٦ - نفس المصدر : ج٢ ص ١٢٨.

٢٧ - راجع : وقفية أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن موسى رئيس المجبرين والجرانحين رقم (١٥٤)

/ ٢٤) تاريخها ٢٢ ذو الحجة سنة (٨٧١ هـ) بدار الوثائق القومية وانظر عنها أيضاً ك

محمد أمين : فهرست وثائق القاهرة : ص ٧٣،

Doris Behrens Abouseif : Fath'Allah and Abu Zakariyya,

phhysicians under Mamluks, I.F.A.O.Le caire 1987, PP.45-52

- ٢٨ - على باشا مبارك : المصدر السابق : ج٦ ص ٢١ .
- ٢٩ - متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، رقم سجل ٣٠ صالة ٥ وراجع عنه ايضاً :
- Van Berchem (M.):corp. Inscript. Arab. tome, xix, Fascv, P.645.
- ٣٠ - ابن حجر : المصدر السابق : ج٢ ص ٢٠٥ .
- ٣١ - ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : ج٥ ص ١٣٩ .
- ٣٢ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة : ج٦ ص ص ٣-٦ .
- ٣٣ - ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور : ج١ ص ص ٦٩ - ٧٣ ،
- ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ٤٢ ،
- زامبور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى : ص ٥٠ .
- ٣٤ - الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار : ج١ ص ص ١٤ - ١٥ .
- ٣٥ - ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول : ص ٢٢٣ .
- ٣٦ - المقرئى : المصدر السابق : ج٢ ص ٤١٤ .
- ٣٧ - ابن حجر : المصدر السابق : ج٢ ص ٣٩٧ ترجمة رقم ٢٤٨٠ وراجع ايضاً :
- ابن تغرى بردى : المنهل الصافى : ج٢ ص ٨٠ .
- ٣٨ - ابن حجر : المصدر السابق : ج٤ ص ص ٢٥٦ - ٢٥٧ ترجمة رقم ٧٠٩ .
- ٣٩ - نفس المصدر : ج٣ ص ٢٨٦ ترجمة رقم ٧٥٦ .
- ٤٠ - نفس المصدر : ج٣ ص ١٩٨ ترجمة رقم ٤٧٨ .
- ٤١ - نفس المصدر : ج٣ ص ترجمة رقم ٥٤ .

- ٤٢ - نفس المصدر : جـ٢ ص ص ٢٠ - ٢١ ترجمة رقم ١٥٢٥ .
- ٤٣ - ابن تغرى : المنهل الصافى : جـ١ ص ص ١٧٨ - ١٧٩ .
- ٤٤ - نفس المصدر : جـ٢ ص ١٤٦ .
- ٤٥ - ابن الصيرفى : إنباء الهصر بأبناء العصر : ص ص ١٠٣ - ١٠٤ .
- ٤٦ - السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : جـ٢ ص ٨٣ ترجمة رقم ٢٤٧ .
- ٤٧ - نفس المصدر : جـ٢ ص ص ٢٥٧ - ٢٥٨ ترجمة رقم ٧٤١ .
- ٤٨ - نفس المصدر : جـ٣ ص ص ٧٠ - ٧١ ترجمة رقم ٦٥٦ .
- ٤٩ - نفس المصدر : جـ٤ ص ص ١١٥ - ١١٧ ترجمة رقم ٣٠٩ .
- ٥٠ - نفس المصدر : جـ٦ ص ص ٨١ - ٨٣ ترجمة رقم ٢٧٨ .
- ٥١ - نفس المصدر : جـ٣ ص ١٨١ ترجمة رقم ٧٠٤ .
- ٥٢ - نفس المصدر : جـ٤ ص ص ٤٦ - ٤٨ ترجمة رقم ٢٤٨ .
- ٥٣ - المقرئى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٤١٤ .
- ٥٤ - السيوطى : المصدر السابق : جـ٢ ص ١٤٢ .
- ٥٥ - نفس المصدر : جـ٢ ص ص ٢٥٧ - ٢٦١ .
- ٥٦ - السخاوى : المصدر السابق : جـ١ ص ٤٠ .
- ٥٧ - نفس المصدر : جـ١ ص ص ١٧٥ - ١٧٨ .
- ٥٨ - نفس المصدر : جـ٢ ص ص ٣٦ - ٤٠ ترجمة رقم ١٠٤ .
- ٥٩ - نفس المصدر : جـ٢ ص ص ٦٠ - ٦١ ترجمة رقم ١٨٠ .

- ٦٠ - نفس المصدر : جـ٢ ص ١٨٥ ترجمة رقم ٥١٠ .
- ٦١ - نفس المصدر : جـ٥ ص ١٦١ - ١٦٣ ترجمة رقم ٥٥٧ .
- ٦٢ - نفس المصدر : جـ١ ص ٧ - ٨ .
- ٦٣ - نفس المصدر : جـ١ ص ٣٢٢ .
- ٦٤ - نفس المصدر : جـ٢ ص ١٥٥ ترجمة رقم ١٤٤٣ .
- ٦٥ - المقرئى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٤١٤ - ٤١٥ .
- ٦٦ - نفس المصدر : جـ٢ ص ٤١٥ .
- ٦٧ - السيوطى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٥٧ .
- ٦٨ - السخاوى : المصدر : جـ٣ ص ١٩٢ - ١٩٣ ترجمة رقم ٧٣٥ .
- ٦٩ - المقرئى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٤١٤ وأنظر أيضا :
- السيد الباز العرينى : مصر فى عصر الأيوبيين : ص ٢١٧ .
- ٧٠ - المقرئى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٤١٥ ،
- على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٤ ص ٢١١ ،
- السيد الباز العرينى : المرجع السابق : ص ٢١٧ .
- ٧١ - المقرئى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٤١٤ .
- ٧٢ - على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٤ ص ٢١١ .
- ٧٣ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ١٨٨ - ١٨٩ .
- ٧٤ - ابن حجر : المصدر السابق : جـ١ ص ١١٦ ترجمة رقم ٣٢٣ .

- ٧٥ - نفس المصدر : جـ٣ ص ٣٨٥ ترجمة رقم ١٠١٧ .
- ٧٦ - نفس المصدر : جـ٣ ص ٣٨٧ - ٣٨٨ ترجمة رقم ١٠٢٥ .
- ٧٧ - السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٥ ترجمة رقم ١٣ .
- ٧٨ - نفس المصدر : جـ٢ ص ١٦ ترجمة رقم ٤٨ .
- ٧٩ - نفس المصدر : جـ٢ ص ٢٧ ترجمة رقم ٧٤ .
- ٨٠ - نفس المصدر : جـ٢ ص ١١٧ - ١١٨ ترجمة رقم ٣٤٧ .
- ٨١ - نفس المصدر : جـ٢ ص ٢٦٣ ترجمة رقم ٧٨٩ .
- ٨٢ - نفس المصدر : جـ٣ ص ٢٢٩ رقم ٨٥٨ .
- ٨٣ - نفس المصدر : جـ٤ ص ٤٣ ترجمة رقم ١٣٩ .
- ٨٤ - نفس المصدر : جـ٤ ص ١٤٢ ترجمة رقم ٣٧٣ .
- ٨٥ - ابن حجر : المصدر السابق : جـ٤ ص ١٢٥ ترجمة رقم ٣٢٥ .
- ٨٦ - ابن تفرى بردى : المنهل الصافى : جـ٢ ص ١٩٢ ترجمة رقم ٣٠٨ .
- ٨٧ - ابن حجر : المصدر : جـ١ ص ٢٤٣ ترجمة رقم ٦٢٩ .
- ٨٨ - السخاوى : المصدر السابق : جـ١ ص ١٧ .
- ٨٩ - نفس المصدر : جـ١ ص ٤١ .
- ٩٠ - نفس المصدر : جـ١ ص ٨٨ .
- ٩١ - نفس المصدر : جـ١ ص ٢٢٥ .
- ٩٢ - نفس المصدر : جـ١ ص ٣٥٠ .

- ٩٣ - نفس المصدر : جـ٢ ص ٩٩ ترجمة رقم ٢٩٩ .
- ٩٤ - نفس المصدر : جـ٢ ص ١٢٦ - ١٢٨ ترجمة رقم ٣٧٩ .
- ٩٥ - نفس المصدر : جـ١ ص ٢٨٨ - ٢٨٩ ترجمة رقم ٩٠١ .
- ٩٦ - نفس المصدر : جـ٣ ص ٥٢ ترجمة رقم ٢٠٣ .
- ٩٧ - نفس المصدر : جـ٣ ص ٩٣ ترجمة رقم ٣٧٦ .
- ٩٨ - نفس المصدر : جـ٣ ص ١٠٦ ترجمة رقم ٤٢٢ .
- ٩٩ - نفس المصدر : جـ٥ ص ٢٢١ ترجمة رقم ٧٤٩ .
- ١٠٠ - الجبرتي : المصدر السابق : جـ٢ ص ٨٧ .
- ١٠١ - ابن تفرى يردى : المنهل الصافى : جـ١ ص ٢٠٦ .
- ١٠٢ - السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٦٧ ترجمة رقم ٢٠٣ .
- ١٠٣ - نفس المصدر : جـ٣ ص ٦٧ - ٦٩ ترجمة رقم ٢٧٨ .
- ١٠٤ - نفس المصدر : جـ٥ ص ٣٢١ ترجمة رقم ١٠٦٤ .
- ١٠٥ - نفس المصدر : جـ٥ ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ترجمة رقم ٩٤٤ .
- ١٠٦ - نفس المصدر : جـ٢ ص ١٨٦ ترجمة رقم ٥١٥ .
- ١٠٧ - نفس المصدر : جـ٤ ص ١٩٣ ترجمة رقم ٤٨٨ .
- ١٠٨ - نفس المصدر : جـ٤ ص ١١٥ ترجمة رقم ٣١٤ .
- ١٠٩ - نفس المصدر : جـ٦ ص ٤٤ رقم ١٢٤ .
- ١١٠ - دولت عبد الله : معاهد تزكية النفوس فى مصر : ص ٣٢٥ .

- ١١١ - المقرئى: المصدر السابق : جـ ٢ ص ٤١٥ .
- ١١٢ - على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ ٤ ص ١٠٢ - ١٠٣، ٣١١ - ٣١٣ .
- ١١٣ - دولت عبد الله : المرجع السابق : ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .
- ١١٤ - المقرئى: المصدر السابق : جـ ٢ ص ٤١٩ .
- ١١٥ - على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٤٥ .
- ١١٦ - نفس المصدر : جـ ٦ ص ٤٩ - ٥٠ .
- ١١٧ - لين بول : سر القاهرة : ص ٢٥٥ .
- ١١٨ - صالح لمى مصطفى : المرجع السابق : ص ٣١ .
- ١١٩ - المقرئى : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٤١٩ - ٤٢٠ .
- ١٢٠ - ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة : جـ ٧ ص ١٠٧ .
- ١٢١ - المقرئى: السلوك لمعرفة دول الملوك : جـ ١ ص ٥٣٣ .
- ١٢٢ - أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين : ص ٥٥ .
- ١٢٣ - المقرئى: الخطط : جـ ٢ ص ٣٩٤، السلوك جـ ١ ص ٤٠٢ .
- ١٢٤ - ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة : جـ ٧ ص ٣٦٧ .
- ١٢٥ - عل باشا مبارك : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٥ .
- ١٢٦ - سرد شرح هذه الألقاب عند الحديث عن وصف الخانقاة كل فى موضعه من هذا الوصف .

١٢٧ - راجع : Lamm : Mittelaterliche Glaser, P. 427

وأنظر أيضاً سعاد ماهر : مساجد مصر وأرليائها الصالحون : جـ ٣ ص ٥٩ .

١٢٨ - السخار : المصدر السابق : ج٥ ص ١٦٥ ترجمة رقم ٥٦٢.

١٢٩ - ابن الغزى : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة : ج٣ ص ٦.

١٣٠ - نفس المصدر : ج٣ ص ٧٦.

١٣١ - نفس المصدر : ج١ ص ٢٤١١ - ٢٤٢.

١٣٢ - سورة البقرة : آية ٢٥٥.

١٣٣- الجناب لغة هو الفناء أو ما يقرب من محلة القوم ويجمع على أجنبية وجنابات، وهو من اللقب الأصول التى كانت تعبر عن الرجل بفنائه أو م يقرب من محلته من باب التعظيم، وأقدم من ت لقب بهذا اللقب هو السلطان سنجر لسلجوقى لذى لقب «بالجناب العالى الشاهنشاه الأعظمى» وانتقل استعمال هذا اللقب إلى الأيوبيين إلا أنه لم يستعمل للسلطين وإنما استعمال للوزراء حيث ت لقب به القاضى الفاضل، وتدرج لقب الجناب فى عصر المماليك البحرية إلى عدة مراتب منها «الجناب الكريم العلى» ودونه «الجناب لعالى» ثم «مجلس العلى» إلى أن زاد الكتاب درجاته فكانت «الجناب الشريف العالى» و«الجناب الكريم العالى» و «الجناب العالى» وأورد القلقشندى أنه كان أرفع الألقاب بالنسبة لطبقة العلماء والقضاة، ولم يختلف المصطلح كثيراً فى عصر المماليك البرجية عنه فى عصر المماليك البحرية باستثناء ما استجد من الوظائف لجديدة التى استدعت استحداث ألقاب جديدة قللت من قيمة هذا اللقب.

- راجع : القلقشندى : صبح الأعشى : ج٥ ص ٤٩٩، ج٧ ص ٨٥،

- ابن منظور : لسان العرب : ج١ ص ٢٦٧ وأنظر أيضاً،

- حسن الباشا : الألقاب الإسلامية : ص ص ٢٤١ - ٢٤٧،

- محمد أمين : فهرست وثائق القاهرة : ص ٢٣٦.

١٣٤- كان لقب العالى فى عصر المماليك من الألقاب الفروع التى وصفت كل الألقاب الأصول تقريباً، وكانت رتبة أعلى درجة من السامى وربما سبق بلقب تابع مثل الأشراف

والكريم فقيل «المقر الأشرف العالي» و«المقر الكريم العالي» وربما اقتصر التلقب عليه وحده فقيل «المقام العالي» و«المقر العالي» و«الجانب العالي» و«المجلس العالي»، وجرى هذا اللقب في عصر المماليك البحرية محرى التشريف لغير الإنسان فأطلق على متعلقات النائب الكافل، على حين أطلق الشريف على متعلقات السلطان، أما في عصر المماليك البرجية فقد استقر الحال على استعمال اللقبين (العالي والشريف) لكل من السلطان ونوابه فقيل في حالة توقيع النائب «رسم بالأمر الشريف العالي» وفي حالة توقيع السلطان «امثل الأمر العالي» كذلك كان يرد هذا اللقب على صيغة التفضيل «الأعلى» ضمن ألقاب ملوك المغرب.

- راجع: القلقشندي: المصدر السابق: ج ٦ ص ص ١١٥-١١٦، ١٨٨ وأنظر أيضاً،

- حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص ٣٩٠ - ٣٩٢.

١٣٥- الأجل هو أقبل التفضيل من الجليل «العظيم»، وهو لقب شاع استعماله في العالم الإسلامي كله، إلا أنه لم يكن يطلق في عصوره الأولى إلا على أصحاب لنفوذ من رجال الدولة الذين كانوا يتمتعون بسلطان واسع في الحكم المدني مثل الأمير سيف للدولة الحمداني صاحب حلب والأمير بدر بن حسنيو صاحب كرديسان، وكان يلحق أيضاً بالقباء الوزراء الذين فوضت إليهم سلطات الأشرف على سياسة الدولة وتدير أمورها مثلما حدث مع الوزير يعقوب بن كلس على عهد العزيز القاطمي الذي لقبه «بالوزير الأجل» وحتم مخاطبته بهذا اللقب، فلما تعطلت الوزارة بعد موت ابن كلس اختفى هذا اللقب ولم يعد إلا بظهورها من جديد سنة (٤١٨هـ) حين أسندها الظاهر إلى وزيره الجرجرائي فلقبه «بالوزير الأجل» ثم أصبح هذا اللقب بعد منحه لبدر الجمالي في عهد المتنصر لقب عاما لكل من جاء بعده من أمراء لجيوش حتى نهاية العصر القاطمي، وحين انتهى لقب الأجل، إلى الدولة الأيوبية كان قد عم استعماله في طبقات مختلفة شملت من السلاطين إلى التجار حتى أنه أصبح يتفرع على ألقاب كثيرة لكل هؤلاء، أما في عصر المماليك فقد تعرض هذا اللقب لكثير من التصنيف والتبويب كما حدث للكثير من الألقاب المستعملة في هذا العصر، واستمر يطلق على السلاطين منذ البداية كما حدث بالنسبة لبيبرس والأشرف خليل وحتى النهاية كما حدث بالنسبة لبرسباى وقايتباى، إلا أنه لم يطلق فقط

على السلاطين وإنما أطلق على أمراء الجند كما حدث بالنسبة للأمير شمس الدين سنقر السعدى فى نص إنشاء بضريحه (١٧٥ هـ)، والأمير يشبك فى نقش بحوش بردق تاريخه (٨٨٠ هـ)، ورغم أن هذا اللقب كان قد استخدم لكثير من الطبقات الدنيا إلا أنه ظل يطلق على السلاطين مما يشير إلى احتفاظه بمدلوله القديم.

- راجع : ابن الصيرفى : الإشارة إلى من نال الوزارة : ص ٢١، ٣٥،

- المقرئى : الخطط : ج ٢ ص ٦،

- القلقشندى : المصدر السابق : ج ١٠ ص ١٤٥، ١٦٠ وانظر أيضاً،

- حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص ١٢٦ - ١٣٤.

١٣٦- المولى لغة هو لقب يطلق على السيد وعلى المملوك وعلى العتيق وعلى المنتسب إلى قبيلة، وقد استعمل كلقب بمعنى السيادة أحياناً وبمعنى الإنماء أحياناً أخرى، وكان فى كلتا الحالتين مشتقاً من المعنى الأصلى للكلمة على سبيل الكتابة، أما فى عصر الماليك فقد صار لقب المولى فضلاً عن استعماله للسلاطين يرد ضمن ألقاب رجال الدولة من الأمراء والمدنيين، ولو أنه لم يكن يخاطب به أحد منهم عن السلطان، وقد اصطلاح كتاب هذا العصر على وضع لقب «المولى» فى سلسلة الألقاب قبل اللقب الدال على الوضع دلالة خاصة كالأمير والقاضى فقيل «المقر الشريف العلى المولى الأمير» وكان هذا اللقب أيضاً يدخل فى تكوين بعض الألقاب المركبة مثل «مولولى العرب والعجم» و «مولولى ملوك الترك والعرب والعجم» ونحوها.

- راجع القلقشندى : المصدر السابق : ج ٦ ص ص ٣١، ١١١ وأنظر أيضاً:

- حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص ٥١٦ - ٥١٩.

١٣٧- المالك خلاف المملوك وهو من الألقاب الملكية فى العصر الإسلامى وقد شاع استعماله فى عصر الماليك فورد مثلاً ضمن ألقاب الأشراف شعبان والأشراف قايتبى وقانصوة الغورى وغيرهم، كما استعمل مضافاً إلى ياء النسب «المالكي» فى نفس العصر المشار إليه وورد ضمن ألقاب أكابر العسكريين لأنه لم يكن يكتب بهذه الصيغة عن السلطان لأحد، مثال ذلك ما ورد فى ألقاب الأمير سيف الدين صرغتمش رأس نوبة الملك الناصر فى نص

على ممسكة صنعت لمدرسته سنة (٧٥٦هـ)، كما أضيفت إليه بعض كلمات لتكوين لقب مركب منه «مالك البحرين» و «مالك بلاد الله».

- راجع القلقشندي : المصدر السابق : ج٦ ص ٢٥ وانظر أيضا،

- حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص ٤٤٤ - ٤٤٦.

١٣٨- الكبير لغة خلاف الصغير ويقصد به رفيع الرتبة والقدر، وغلبا ما سبق هذا اللقب بلقب الأمير حتى اعتبر بعض الكتاب اللقبين وحدة لقبية فخرية واحدة، وقد استعمل لقب «الكبير» مضافا إلى ياء النسب فقبل «الكبير» وكان حكمها حكم اللقب المجرد، وقد وضعه كتاب هذ لعصر بعد لقب التمييز الدال على الوظيفة فقبل «المقر العالي الأمير الكبير» أو «الجناب العالي القاضى الكبير» أو «المجلس العالي الشيخى الكبير»، كذلك فقد استعملت الصفة المؤنثة من هذا اللقب «الكبيرة» ضمن ألقاب النساء كما حدث مثلاً لأم الرشيد بن المعتمد على الله فى نص إنشاء تاريخه سنة ٤٧٨هـ بأشبيلية،

- راجع : القلقشندي : المصدر السابق : ج٦ ص ١١٧،

Sauvaget, Combe et Wiet, Repertoire Chronologique d'Epigraphie

Arabe, vii No2750,

- حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص ٤٣٦ - ٤٣٧.

١٣٩- نحتت كلمة استفهلال من مقطعين أحدهما فارسى هو «أسفه» ومعناه المقدم والآخر تركى هو «سلار» ومعناه العسكر، وبذلك تكون الكلمة دالة على «مقدم العسكر» أو قائد الجيش وهذا اللقب هو أحد الألقاب التى استعملت فى عصر الدولة الفارسية ثم انتقل إلى عصر لدولة العباسية فى بغداد بعد كثرة الاعتماد على العنصر الفارسى، ثم انتقل إلى الدولة الفاطمية وكان يلى فى الرتبة «صاحب الباب» ثم انتقل عن طريق الدولتين الفاطمية والتورية إلى العصر لأيوبي فكان قراقوش يلقب به، أما فى عصر المماليك فقد ورد أن هذا اللقب كان يختص بأمرأء الطلبخانة، ثم ترك استعماله لهم فى أوائل القرن (٩هـ / ١٥م) حين صار لقباً عاما للعسكريين، واستعمل اللقب مضافا إلى ياء النسبة «سفهلالرى» كغيره

من الألقاب التى استعملت فى هذ العصر، وربما كان أقدم مثال له م ورد على مبخرة من النحاس من مصر ترجع إلى سنة (٦٧٥هـ) باسم الأميرى بيسرى الظاهرى محفوظة فى التحف البريطانية بلندن.

- راجع : القلقشندى : المصدر السابق : ج٣ ص ٤٨٣ ،

- وانظر أيضاً : Saubaget, Combe et Wiet: OP. cit. x1 No4725.

- حسن الباشا : المرجع السابق : ص ١٥٧ .

١٤٠- العضد لغة اسم للمساعد الذى يقوم بالمساعدة مقام العضد الحقيقى للإنسان، ومنه قوله تعالى لموسى عليه سلام «سنشد عضدك بأخيك» وقد استعمل اللقب مضافا إليه ياء النسبة فقل «العضدى» كما استعمل مضافا إليه كلمات أخرى لتوین لقب مركب فقل «عضد الدولة»، «عضد أمير المؤمنين» ونحوهما.

- أنظر : حسن باشا : المرجع السابق : ص ٤٠٣ - ٤٠٤ .

١٤١- كان النصيرى فى عصر المماليك لقبا من ألقاب العسكريين من درجة المجلس السامى، وكانت تضاف إليه أحيانا بعض الألفاظ الأخرى لتكوين ألقاب مركبة مثل «نصر لدين»، «نصير الحق بالبراهين» ونحوهما.

- أنظر : حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٥٣٣٤ .

١٤٢- سورة الرحمن : آية ٢٧ .

١٤٣- سورة الفتح : آية ١ - ٢ .

١٤٤- سورة الأعراف : آية ٤٣ .

١٤٥- المقر لغة هو موضع لاستقرار ، وقد استخدم فى المكائبات للإشارة إلى صاحب المكان تعظيما له عن التفوه باسمه، وقد كان فى عصر المماليك أحد الألقاب الأصول ولى فى المرتبة لقب «المقام»، ومع أنه كان ضمن ألقاب المنصور قلاوون فى عهد السلطنة الذى

صبيخ له سنة (٦٧٨هـ) بمعرفة القاضى محى الدين عبد الظاهر إلا أنه لم يحتفظ طويلا بمكانته السلطانية بل أطلق على كبار الأمراء من العسكريين طوال القرن الثامن وحتى منتصف القرن التاسع مثلما حدث بالنسبة للأمير سيف الدين قوصون ولأمير إينال العلائى وغيرهما، ليس هذا فقط بل إنه فى ربيع الأول سنة (٨٦٠هـ) أطلق على أحد رجال الدولة من المدنيين كم حدث بالنسبة للقاضى جمال الدين يوسف الذى لقب «بالمقر الأشرف» ولو أن استخدامه لأكابر الأمراء من العسكريين ظل قائماً حتى عصر المماليك.

- راجع: القلقشنذى: المصدر السابق: ج١ ص ١١٦-١١٧

Van Berchem (M.), Corpus Inscriptiunm, Tome, I, Nos. a121, 272, 278.

- وانظر أيضاً:

- حسن لباشا: المرجع السابق: ص ص ٤٨٩ - ٤٩٤،

- محمد أمين: المرجع السابق: ص ٣٥٦.

١٤٦- الأشرف هو أفعل التفضيل من «شريف» وهو لقب من الألقاب التوابع التى كانت تتفرغ على الألقاب الأصول مثل المقام والمقر اللذان كانا يستعملان للسلطين والملوك، ولقب الأشرف هو أعلى الألقاب التوابع رتبة، ودونه «الشريف» ثم «الكريم» ثم «العالى» ثم «السامى»، واستعمل هذا اللقب لكثير من الملوك منهم موسى بن العادل، محمد بن صلاح الدين و خليل بن قلاوون وغيرهم، ويشير إقبال السلطين والملوك فى عصر المماليك على التقلب به إلى أنه كان لقباً رفيع القدر،

- راجع: القلقشنذى: المصدر السابق: ج١ ص ٩٨،

: ابو شامة: الروضتين فى أخبار الدولتين: ج١ ص ٢٧٦ - ٢٧٧،

: ابن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور: ج١ ص ١١٩ وانظر أيضاً،

: حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص: ٦٢٠ - ١٦١.

١٤٧- الصلح صفة من صفات أهل الصلاح من رجال العلم والدين وغيرهم، ولعل إطلاقه

على دى التون ابراهيم بن المصرى فى نص جنتاى تاريخه سنة (٢٥هـ) من الفسطاط هوخير شاهد على ذلك وقد عرف هذا اللقب كتعت خاص لبعض الملوك والأمراء، وكان أول من تلقب به هو الملك الصالح طلائع بن رزىك فى عصر الفائز، كما تلقب به الصالح إسماعيل بن نور الدين، ثم الصالح أيوب ثم المنصور حاجى بن الأشرف شعبان وغيرهم، وقد أضيف اللقب إلى ياء النسبة فقيل «الصالحى»

- راجع: Sauvaget, Combe et Wiet.: Op.cit: Tom. II, No440.

- المقرئى: المصدر السابق: جـ ١ ص ٣٥٧، جـ ٢ ص ٢٩ وانظر أيضا:

- حسن الباشا: المرجع السابق: ص ٣٧٧.

١٤٨ - الأمير لغة هو صاحب الأمر والتسلط وهو لقب من ألقاب الوظائف ويرجع استخدامه إلى عصر الرسول (ص) حين كان يقصد به الولاية على الحكم أو رئاسة الجيش أو نحو ذلك، وتشير أقدم النصوص المعروفة إلى أنه أطلق على عبد العزيز بن مروان فى نقش تاريخه سنة (٦٩هـ) على إحدى القناطر بالفسطاط ورد فيه «عبد العزيز بن مروان الأمير» كما استعمل هذا اللقب أيضا بمعنى لوالى خلال حكم الدولة الفاطمية فأطلق على أنوشكين الدزبرى حين كان وليا على الشام، وقد عم إطلاق هذا القب على عهد الدولة المشار إليها على أبناء الخلفاء مثلما حدث بالنسبة لحسن بن الحافظ وأبى الفتوح بن العاضد، كما أطلق أيضا على بعض رجال الدولة المقرئين مثلما حدث بالنسبة للأمير المختار المسبحى والأمير أبى الحسين عمار بن محمد، كذلك فقد أطلق هذا اللقب على أفراد الأسرة الأيوبية كما حدث بالنسبة للأمير شمس الدولة توران شاه أخو السلطان صلاح الدين، وقد أشاع استخدام هذا اللقب مضافا إلى ياء النسبة فى عصر المماليك البحرية كما حدث بالنسبة للنائب الكافل من العسكريين ولتقيب الأشراف من المدنيين، أما فى عصر المماليك البرجية فقد عمم القلقشندى استعماله للعسكريين فقط.

- راجع: Sauvaget, Combe et Wiet : Op.cit. Tome. I, No8.

- ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق: ص ٧١،

- المقرئى: المصدر السابق: ج ٢ ص ١٧،

- ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان: ج ١ ص ٦٥٣،

- ابن الصيرفى: المصدر السابق ص ٣٣،

- ابن العمرى: التعريف بالمصطلح الشريف: ص ٦٦،

- القلقشندي: المصدر السابق: ج ١١ ص ١٦٢ - ١٦٣ وانظر أيضاً،

- حسن الباشا: المرجع السابق: ص ١٧٩ - ٢١٤.

١٤٩ - المخدم لقب من الألقاب الدالة على أن الملقب به كان في درجة تؤهله لأن يكون مخدوماً لعلو رتبته وسمو محله، ونظر لإشارته إلى أن الكاتب له هو خادم للمكاتب إليه فإنه لم يستخدم فى المكاتبات التى كانت تصدر عن السلطان واختص من ثم بالمكاتبات التى كانت تصدر عن الأمراء، ومن هنا كان هذا اللقب غالب الظهور فى مكاتبات الأمراء، واستخدم فى هذه الحالة مضافاً إليه ياء النسبة فقيل «المخدومى».

- راجع : حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٤٦٤،

- محمد أمين : المرجع السابق : ص ٣٥٦.

١٥٠ - الملك لغة هو الرئيس الأعلى للسلطة الزمنية فى الدولة، وهو لقب عرفته اللغات السامية وورد ذكره فى النقوش العربية القديمة ولا سيما نقش صرواح الذى تركه «ركب آل وتر» ملك سبأ، أما فى العصر الإسلامى فإن لقب الملك لم يعرف صدر الإسلام ولا حتى فى عهد الدولة الأموية حيث اقتصر تلقب الولي الأعلى حينذاك بالخليفة أحياناً وبأمير المؤمنين أحياناً أخرى، بينما تلقب الولاة الفرعيين لالعمال والأمراء، ولكن عندما أخذ بعض الولاة يستقلون عن مركز الخلافة فى العصر العباسى، وعندما استبد بعضهم بالسلطة السياسية دون الخليفة ظهر لقب لملك الذى حمل فى طياته معنى السيادة العليا، يدل على ذلك أنه أطلق على أمراء بنى سامان وبنى بوية والسلاجقة، وتلقب به فى العصر الفاطمى رضوان

بن ولخشي عندما وزر للحافظ سنة (٥٣٠هـ) وقيل له «السيد الأجل الملك الأفضل» واحتفظت الدولة الأيوبية عندما جاءت بنفس اللقب كما حدث بالنسبة لصالح الدين أول الأمر، ثم أطلق هذا اللقب بعد ذلك على ولاية هذه الدولة من الأمراء وانفرد رب الأسرة الأكبر بلقب السلطان مثلما حدث بالنسبة للسلاجقة، أما في عصر المماليك فقد استمر إطلاق هذا اللقب بمدلولاته المختلفة التي عرفت عنه في الأيوبيين فصار يطلق إلى جانب لقب «السلطان» كتمت خاص لرئيس الدولة مثلما حدث بالنسبة لأليك وقنظر وبيبرس وغيرهم وقد استعمل اللقب ولا سيما بالنسبة للأمراء مضافاً إلى باء النسب فقيل «الملكي».

١٥١- المنصور لغة هو لقب يشير إلى أن صاحبه مؤيد من الله سبحانه وتعالى لأن النصر هو من عند الله وقد وردت في ذلك آيات كثيرة منها «ولينصرن الله من ينصره»، «ولقد نصركم الله وأنتم أدلة»، «وإن تنصروا الله» وقد استعمل هذا اللقب في عصر المماليك كإحدى لصفات الجارية مجرى التفضيل قليل «لجيوش المنصورة» و «العسكر المنصورة» و «القلع المنصورة» و «البريد المنصور» ونحو ذلك فيما بأشرف متعلقات هذه الأشياء وهو النصر على الأعداء، وكان أول من تلقب بهذا اللقب هو الخليفة أبي جعفر (المنصور) ثاني خلفاء بني لعباس، ثم نعت ذلك كثيرون مثلما حدث بالنسبة لعضد الدولة أبي شجاع فناخسرو والخليفة عبد الله بن هشام وغيرهما، واستمر استعمال هذا اللقب في عصر المماليك، كما استعمل مضافاً إلى باء لنسب ولا سيما بالنسبة للأمراء قليل المنصورى.

- راجع القلقشندي: المصدر السابق: ج٦ ص ص ١٨٣ - ١٨٤،

Sauvget, Combe et Wiet, Op. cit. Tome, V, No.20991

- وانظر أيضاً:

- حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص ٥١٢ - ٥١٣.

١٥٢ - سورة البقرة: آية: ٢٥٥.

١٥٣ - آل عمران: آية ١٨٥.

١٥٤ - أطلق لقب «العبد الفقير» أصلاً كنوع من التواضع والتذلل لله تعالى واستوى في ذلك السلاطين والأمراء وكان بهذا المدلول غالب ورود في النصوص الجنائزية، إذا لم يعثر على أنه كان قد ورد بهذه الصفة ضمن ألقاب سلطان أو أمير قائم، ومن ذلك وروده في نقش على مشكاة زجاجية كانت قد عملت برسم تربة نائب السلطنة الأمير سيف الدين سار، ومع ذلك فقد ورد هذا اللقب أيضاً بصيغة «الفقير إلى رحمة ربه» كترجمة عن صلاح الدين عندما بعث إلى صاحب المغرب، أما في عصر المماليك فإنه لم يستعمل - كما قلنا - ضمن ألقاب سلطان أو أمير قائم.

- راجع: Van Berchem (M.); OP. cit, I, Nos. 465,336.

- أبو شامة: المصدر السابق : جـ ٢ ص ١٧١ - ١٧٤ وأنظر أيضاً:

- محمد أمين : المرجع السابق : ص ٣٧.

١٥٥ - ورد لقب «علاء الدين» في عصر المماليك ضمن القاب العسكريين سواء كانوا من الترك أو من المولدين، وكان يختص في حالة الجماعة الأولى ببعض الأسماء ولا سيما طبيغا والطبغا وقرباغا كما ورد بالنسبة للأمير طبيغا الطويل في نقوش ضريحه، بينما اختص في حالة الجماعة الثانية بالإسم «على» كما ورد بالنسبة للأمير أيذكين البندقدار.

- راجع: Van Berchem (M.), OP. cit, Tome, I, P.175.

- القلقشندي : المصدر السابق : جـ ٥ ص ٨٨.

١٥٦ - مجموعة ١٨ عن سنة ١٩٠١ ص ١١١.

١٥٧ - المجاهد لغة هو اسم الفاعل من الجهاد الذي ورد ذكره كثيراً في القرآن الكريم ومنه قوله تعالى «فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً»، وقد أطلق هذا اللقب على

سلاطين المماليك كما حدث بالنسبة للناصر محمد بن قلاوون كما أطلق على صغار الأمراء ممن كانوا يخاطبون «بالمجلس السامي» من غير ياء النسب، أما في حالة استخدامه مضافاً إلى ياء النسبة فإنه كان يعنى أكابر العسكريين كنواب السلطنة ونحوهم، واللقب في أى من هذه الحالات هو اختصار «للمجاهد في سبيل الله» أو «المجاهد في الله» وما إلى ذلك،

- راجع: سورة النساء: الآيتان: ٩٥ - ٩٦،

- القلقشندي: المصدر السابق: ج٦ ص ٢٦ وأنظر أيضاً،

- حسن الباشا: المرجع السابق: ص ٤٥١.

١٥٨ - محمود أحمد: دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة: ص ٥ - ٦.

١٥٩ - مجموعة ١٨ عن سنة (١٩٠١) ت. ق. هـ. رقم (٢٩٢) محضر جلسة رقم ١٠٩.

١٦٠ - مجموعة ٢٦ سنة (١٩٠٩) ص ٥٠.

١٦١ - المقرئى: الخطط: ج٢ ص ٤٢٠.

١٦٢ - على باشا مبارك: المصدر السابق: ج٦ ص ٥٠.

١٦٣ - عبد الرحمن زكى: القاهرة (تاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتي المؤرخ: ص ١٣.

١٦٤ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة: ج٨ ص ٢٧٧، ج٩ ص ٣٢٥.

١٦٥ - الحنبلى: المصدر السابق: ج٢ ص ٣٨.

١٦٦ - ابن حجر: المصدر السابق: ج٢ ص ٢٦٧.

١٦٧ - نفس المصدر: ج٢ ص ٢٦٨،

- القلقشندي: المصدر السابق: ج٣ ص ٤٣٢، ج١٣ ص ١٨١.

١٦٨ - السخاوي : المصدر السابق : جـ ٣ ص ٨ - ١٠ .

- المقرئى : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٢٤٢ ،

- الحنبلى : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٢٧٤ .

١٦٩ - عبد الجليل المهدي : المرجع السابق : جـ ٢ ص ٢١ .

١٧٠ - على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ ٤ ص ٧٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ .

١٧١ - Van Berchem (M.) Op. cit Tome: xix Fasc. III PP. 518-519, Text.344.

١٧٢ - ابن حجر : المصدر السابق : جـ ٢ ص ١٧٩ - ١٨٢ ، ٢٧٧ - ٢٧٨ ،

- محمود أحمد : المرجع السابق : ص ١١٣ ح ١ .

١٧٣ - ابن تفرى بردى : المصدر السابق : جـ ٨ ص ٢٢٠ - ٢٢٢ .

١٧٤ - ابن دقماق : المصدر السابق : ق ١ ص ٧١ .

١٧٥ - الجبرتي : المصدر السابق : جـ ١ ص ١٨ .

١٧٦ - على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ ٤ ص ٧٥ ، ١٥٧ - ١٥٨ .

١٧٧ - محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون في مصر: ص ٣٨ .

١٧٨ - حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية: جـ ٢ ص ١٢٥ وانظر أيضا:

- ترجمة أخرى مطولة للأمير سلار فى،

- سعاد ماهر : مساجد مصر : جـ ٣ ص ١٤٠ - ١٤٢ .

١٧٩ - حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ ٢ ص ١٢٥ .

١٨٠ - ابن حجر : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٢٦٦ .

- ١٨١ - نفس المصدر : جـ ٢ ص ١٧٠ - ١٧٢ .
- ١٨٢ - نفس المصدر : جـ ٢ ص ٢٦٧ .
- ١٨٣ - ابن تفرى بردى : المصدر السابق : جـ ٨ ص ١٩٧ - ١٩٨ .
- ١٨٤ - الحنبلى المصدر السابق : جـ ٢ ص ٣٨ ، ٢٧١ - ٢٧٢ ،
- ولمعلومات أخرى أكثر تفصيلا عن صاحب هذه الترجمة ينظر :
- الأستوى : طبقات الشافعية الكبرى : جـ ١٠ ص ١ ،
- المقرئى : السلوك : جـ ٢ ق ٣ ص ١٧٤ ،
- السيوطى : المصدر السابق : جـ ١ ص ٣٩٥ ،
- ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب : جـ ٦ ص ١٤٤ ،
- المقرئى : خطط : جـ ٢ ص ٣٩٨ .
- ١٨٥ - على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ ٤ ص ٧٤ - ٧٥ ص ١٥٦ - ١٥٧ .
- ١٨٦ - محمود أحمد : المرجع السابق : ص ١١٣ ،
- حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ ١ ص ١٢٤ - ١٣٠ ،
- عبد الرحمن زكى : المرجع السابق : ص ٢٣٠ ،
- وزارة الأوقاف : مساجد مصر : جـ ١ ص ٤٩ - ٥٢ ،
- سنية قراة : مساجد ودول : ص ١٨٧ ،
- عبد المهدى : المرجع السابق : جـ ٢ ص ١٩ - ٢١ .

- سعاد ماهر : مساجد مصر : جـ ٣ ص ١٤٣ - ١٤٤ .
- ١٨٧ - ابن حجر : المصدر السابق : جـ ١ ص ٢٤٠ - ٢٤١ ترجمة رقم ٦١٤ .
- ١٨٨ - نفس المصدر : جـ ١ ص ٥٣٢ ترجمة رقم ١٤٣٥ .
- ١٨٩ - السخاوي : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٩٩ - ١٠١ ترجمة رقم ٣٠٤ .
- ١٩٠ نفس المصدر : جـ ١ ص ٣٨٠ .
- ١٩١ - نفس المصدر : جـ ٥ ص ١٦٩ - ١٧١ ترجمة رقم ٥٨٩ .
- ١٩٢ - نفس المصدر : جـ ٢ ص ٩٩ - ١٠١ ترجمة رقم ٣٠٤ .
- ١٩٣ - نفس المصدر : جـ ٢ ص ٩٩ - ١٠١ ترجمة رقم ٣٠٤ .
- ١٩٤ - نفس المصدر : جـ ٥ ص ٧٦ ترجمة رقم ٢٨١ .
- ١٩٥ - المقرئ : خطط : جـ ٢ ص ٤٢١ ،
- حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ ١ ص ١٢٥ ،
- لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ٩ عن سنة (١٨٩٢م) ص ٤١ .
- ١٩٦ - كمال سامح : المرجع السابق : ص ٤٠ ،
- حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ ١ ص ١٢٥ ،
- سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ ٣ ص ١٤٥ .
- ١٩٧ - سورة التوبة : آية : ١٨ .
- ١٩٨ - Van Berchem (M.) Op. cit. Tome, II, P. P. 156-7, Text, 105, -
- علي باننا مبارك : المصدر السابق : جـ ٤ ص ١٥٥ ،

- محمود أحمد : المرجع السابق : ص ١٠٩ ،
- حسن عبد الوهاب : المرجع السابق جـ ١ ص ١٢٧ ،
- دولت عبد الله : المرجع السابق : ص ٥١ ،
- لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ٩ عن سنة (١٨٩٢م) ت : ١٣٠ ص ص ٤١ - ٤٣ .

١٩٩ - محمود أحمد : المرجع السابق : ص ص ١١٣ - ١١٤ .

٢٠٠ - سورة الرحمن : الآيتان : ٢٦ - ٢٧ .

٢٠١ - كان سيف الدين هو أشهر الألقاب التى أضيفت إلى «الدين» وقد نعت به كثير من رجال الدولة كما حدث بالنسبة لغازى بن عماد الدين زنكى صاحب الموصل والعاقل أبى بكر بن أبوب الذى ورد اسمه مقرونا بهذا اللقب فى نقش تاريخه سنة (٦١٥هـ) على تحفة من النحاس فى متحف بناكى فى أثينا، وقد ذكر القلقشندى لمناسبتة لحالهم من حيث رغبتهم فى الانتساب إلى القوة والشدة، وقد ورد ذلك فى عصر المماليك البحرية مع كثير من أسماء العسكريين الأتراك ولا سيما يلبغا ومنكلى بغا وتغرى بردى وتغرى برمش وغيرهم، كما ورد مع كثير من أسماء العسكريين المولدين ولا سيما من تسمى منهم بأبى بكر واقتصر هذا اللقب فى عصر المماليك البرجية على رجال الطوائف العسكرية، يدل على ذلك أن عشرة من سلاطين هذه الدولة السبعة عشر (وجميعهم كانوا من العسكريين) كانوا يلقبون بسيف الدين

- راجع : أبو شامه : المصدر السابق : جـ ١ ص ٦٥ ،

Sauvaget, Combe et Wiet. Op. cit, Tome, x, No 3815,

- القلقشندى : المصدر السابق : جـ ٥ ص ٤٨٨ وأنظر أيضاً :

- حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص ٣٤٣ - ٣٤٥ .

٢٠٢ - المعظم لقب من ألقاب السلاطين والملوك وقد أطلق على السلطان ألب أرسلان فى نقش تاريخه سنة (٤٥٩هـ) على صينية فضية من إيران واستعمله ديوان الإنشاء فى عصر المماليك كلقب لمن كاتبهم سلاطين هذا العصر من ملوك الدول غير الإسلامية، أما صيغة المؤنث منه «المعظمة» فكانت لقبا من ألقاب نائب السلطنة المملوكية الذى قيل عنه نائب السلطنة «المعظمة الملكى الناصرى»

- راجع : Sauvaget, Combe et Wiet. Op. cit, Tome, VII, No 2661

- القلقشندي : ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المشر : ص ٣٦٠ وانظر أيضاً :

- حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٨٧ - ٨٨.

٢٠٣ - الناصر لغة هو اسم الفاعل من «نصر» وكان يقصد به «الناصر لدين الله» واتخذ بعض الولاة بهذه الصفة نعتاً خاصاً يميّز بالانتصار للحق الذى جاء به دين الله الإسلام، وقد ورد هذا اللقب ضمن الألقاب التى أضفاها الخليفة العاضد على الناصر صلاح الدين حين عهد إليه بالوزارة، كما ورد ضمن ألقاب بعض سلاطين المماليك ولا سما الناصر محمد بن قلاوون، وقد دخل لفظ «الناصر» فى تكوين كثير من الألقاب المركبة مثل «ناصر الاسلام» و«ناصر الإمام» و«ناصر أمير المؤمنين» ونحو ذلك، كما استعمل اللقب مضافاً إلى ياء النسب ولا سيما بالنسبة للأمرء قليل الناصرى.

- راجع : القلقشندي : صبح الأعشى : ج ٥ ص ٤٨٨،

- وانظر أيضاً : Van Berchem (M.): Op. cit, Tome, I, P-317

- حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٥٢٥.

٢٠٤ - Van Berchem (M.): Op. cit, Tome, II, P-157, text, 106,

- على باشا مبارك : المصدر السابق : ج ٤ ص ٧٤، ١٥٥،

- حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : ج ١ ص ١٢٨،

- سعاد ماهر : المرجع السابق : ج٣ ص ١٤٨.

٢٠٥ - سورة الحج : آية ٤١.

٢٠٦ - سورة الأعراف : آية ٥٤.

٢٠٧ - حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : ج١ ص ١٢٨.

٢٠٨ - سورة البقرة : آية ٢٥٥.

٢٠٩ - سورة آل عمران : الآيات : ١٩٠ - ١٩٥ وانظر أيضا:

- علي باشا مبارك : المصدر السابق : ج٤ ص ١٥٦.

٢١٠ - سورة القصص : آية ٧٧.

٢١١ - سورة الرحمن : آية ٢٧.

٢١٢ - الأصل في الأستاذ أنه لقب من الألقاب العامة التي استعملت منذ العصر العباسي حيث كان يطلق على الخصيان من القلمان الذين سموا في عصر الماليك بالطواشي، واستمر استخدام هذا اللقب خلال عصر الدولة الفاطمية وكان أبرز من تلقب به هو «الأستاذ برجوان» الذي كان وصيا على الحاكم، أما في عصر الماليك فقد استعمل هذا اللقب للإشارة إلى رب النعمة من الجلاب أو المربين أو المحررين، كما استعمل أيضا للإشارة إلى معلم الصنعة، وقد ورد بهذه الصفة في نقش تاريخه سنة (٧٩٨هـ) على كرسي من النحاس المكفت كان في يمارستان المنصور قلاوون من صناعة «الأستاذ محمد بن سنقر الأستاذين» وقد لقب به «غبين» قائد القواد في العصر الفاطمي، ومنه «أستاذ الدار» وهو لقب من أسندت إليه أمور البيوت السلطانية كلها من المصالح والنفقات والكساوى وما يجرى مجرى ذلك وهو من أمراء المثين.

- راجع : القلقشندي : المصدر السابق : ج٥ ص ٤٨٩،

- ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ج٩ ص ٢٥٠،

- ابن خلكان : المصدر السابق : ج ١ ص ١١ ، ١١٠ ،
 - ابن الصيرفي : المصدر السابق : ص ١٣٥ ،
 - المقرئى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٩٧ ،
 - السيوطي : حسن المحاضرة في ملوك مصر والقاهرة : ج ٢ ص ١٣٠ - ١٣٢ ،
 - وانظر أيضا : زكى حسن : أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية : ص ٤٦٣ ،
 - حسن الباشا : المرجع السابق : ص ١٣٩ - ١٤٠ .
- ٢١٣ - Van Berchem (M.): Op. cit, Tome, II, P-157, text, 107, -
- على باشا مبارك : المصدر السابق : ج ٤ ص ٧٤ ، د ١١٥ ،
 - حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : ج ١ ص ١٢٨ .
- ٢١٤ - سورة الدخان : الآيات : ٥١ - ٥٨ .
- ٢١٥ - سورة البقرة : الآيات : ٢٨٤ - ٢٨٦ .
- ٢١٦ - كمال سامح : المرجع السابق : ص ٤٠ .
- ٢١٧ - وزارة الأوقاف : المرجع السابق ج ١ ص ٤٩ - ٥٢ ،
- لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ٩ عن سنة (١٨٩٢م) ص ٤٢ .
- ٢١٨ - سورة الحج : آية ٧٧ .
- ٢١٩ - سورة آل عمران : آية ١٥٨ .
- ٢٢٠ - دولت عبد الله : المرجع السابق : ص ٢٣٥ ، ٢٣٩ .

- ٢٢١ - سعاد ماهر : المرجع السابق : ج٣ ص ١٤٨ ،
- دولت عبد الله : المرجع السابق : ص ص ٥٥ - ٥٦ .
- ٢٢٢ - سورة النور : الآيات : ٣٦ - ٣٨ .
- ٢٢٣ - لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ٩ عن سنة (١٨٩٢م) ص ٤٣ ،
- سعاد ماهر : المرجع السابق : ج٣ ص ١٥١ .
- ٢٢٤ - حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : ج١ ص ١٢٧ ،
- محمود أحمد : المرجع السابق : ص ١١٠ ،
- وزارة الأوقاف : المرجع السابق : ج١ ص ٥٠ ،
- دल्ली : العمارة العربية : ص ١٦٤ .
- ٢٢٥ - عبد العزيز سالم : المآذن المصرية ص ٢٦ ،
- كمال سامح : المرجع السابق : ص ٤٠ .
- ٢٢٦ - عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ص ٢٦ ،
- مارتن برجس : تراث الإسلام (مقال عن الهندسة المعمارية) ص ص ٢٢٧ - ٢٥٨ .
- ٢٢٧ - حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : ج١ ص ١٢٧ .
- ٢٢٨ - سورة الأنبياء : الآيات : ١٠١ - ١٠٣ .
- ٢٢٩ - سورة آل عمران : الآيتان : ١٣٥ - ١٣٦ وانظر أيضا :
- دولت عبد الله : المرجع السابق : ص ٥٩ ،
- سعاد ماهر : المرجع السابق : ج٣ ص ١٥٠ .

- ٢٣٠ - محمود أحمد : المرجع السابق : ص ١١٣ ،
- على باشا مبارك : المصدر السابق : ج ٤ ص ١٥٦ ، ٧ ،
- حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : ج ١ ص ١٢٨ ،
- وزارة الأوقاف : المرجع السابق : ج ١ ص ٤٩ .
- ٢٣١ - محمود أحمد : المرجع السابق : ص ٥ - ٦ .
- ٢٣٢ - كمال سامح : المرجع السابق : ص ١٠٦ ،
- إرنست كونل : الفن الإسلامي : ص ١٧١ .
- ٢٣٣ - حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : ج ١ ص ١٢٦ - ١٢٧ .
- ٢٣٤ - سورة آل عمران : آية : ١٨٥ .
- ٢٣٥ - حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : ج ١ ص ١٢٩ .
- ٢٣٦ - لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ٩ عن سنة (١٨٩٢م) ص ٤٢ .
- ٢٣٧ - سورة الشعراء : الآيات : ٦١ - ٧٠ .
- ٢٣٨ - سورة الأحزاب : آة ٥٦ .
- ٢٣٩ - محمود أحمد : المرجع السابق : ص ١١٠ ،
- حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : ج ١ ص ١٣٠ ،
- لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ٩ عن سنة (١٨٩٢م) ص ٤١ .
- ٢٤٠ - لجنة حفظ الآثار العربية : نفس المجموعة : ص ٤٣ .
- ٢٤١ - لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ١٠ عن سنة (١٨٩٢م) ص ٤٧ بند اولاً .

- ٢٤٢ - لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ١١ عن سنة (١٨٩٤م) ص ٧٥.
- ٢٤٣ - لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ١٢ عن سنة (١٨٩٥م) ص ص ٢٤ - ٢٥.
- ٢٤٤ - لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ١٤ عن سنة (١٨٩٧م) ص ٢٣.
- ٢٤٥ - Van Berchem (M.): op.cit. tome XIX, Fasc.iv,p.653 Tex.465
- ٢٤٦ - لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ٨ عن سنة (١٨٩١م) ص ٤٥.
- ٢٤٧ - لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ١١ عن سنة (١٨٩٤م) ص ١١٧.
- ٢٤٨ - لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ١٢ عن سنة (١٨٩٥م) ص ٧٧.
- ٢٤٩ - لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ١٤ عن سنة (١٨٩٧م) ص ١٦٠.
- ٢٥٠ - لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ١٦ عن سنة (١٨٩٩م) ص ص ٢٨ - ٢٩.
- ٢٥١ - لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ٤١ عن سنة (١٩٥٤ - ١٩٦١م) ص ٧٢.
- ٢٥٢ - المقرئى: الخطط: ج٢ ص ٤١٥ وانظر ايضا:
- حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: ج١ ص ١٣١.
- ٢٥٣ - المقرئى : المصدر السابق : ج٢ ص ٤١٥.
- ٢٥٤ - حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : ج١ ص ١٣٣.
- ٢٥٥ - على باشا مبارك : المصدر السابق : ج٢ ص ٦٨.
- ٢٥٦ - المقرئى : المصدر السابق : ج٢ ص ص ٤١٥ - ٤١٦.
- ٢٥٧ - نفس المصدر : ج٢ ص ٤١٦ وراجع أيضا :
- ابن تفرى بردى : المنهل الصافى : ج٢ ص ص ١٩ - ٢٠.
- ٢٥٨ - السيوطى : المصدر السابق : ج٢ ص ص ١٥ ، ٢٦٥.
- ٢٥٩ - على باشا مبارك : المصدر السابق : ج٢ ص ٦٨ ، ج٦ ص ٥٠.
- ٢٦٠ - نفس المصدر : ج٤ ص ١٤٣.
- ٢٦١ - راجع فى ذلك : حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : ج١ ص ١٣٢ ،

- عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبي والمملوكى : جـ ١ ص ١٠٨ ،

- فتحى الحديدى : المرجع السابق : ص ١٢٦ ،

- صالح لمعى : المرجع السابق : ص ٢٥ .

٢٦٢ - السخاوى : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٢٥٦ ترجمة رقم ٧٢٦ .

٢٦٣ - عبد الرحمن زكى : المرجع السابق : ص ١٦٨ .

٢٦٤ - لهذه الخانقاة وثيقتان تكمل إحداهما الأخرى بدار الوثائق القومية بالقلعة، أولاهما برقم (٤/٢٢) تاريخها ٢٦ شوال سنة (٧٠٧هـ) والأخرى برقم (٤/٢٣) وينفس التاريخ وهى حجة ممزقة طولها (١٩) مترا، فاقد جزء من أولها وأطرافها وتشتمل على وصف للخانقاة والرباط والقبّة، مع ذكر أوقافها التى نصت الوثيقة على أنها كانت وفقا شرعيا على الصوفية والمتصوفة الشيوخ والكهول والشبان العرب منهم والعجم على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم الملتزمين بأدابهم وطرائقهم المقيم منهم بهذا المكان المذكور، وإلى أن يكون هذا المكان خانقاة للصوفية المشار إليهم ومسكناً لمن يختار سكنا به، ثم أوردت الوثيقة أوجه الصرف بالخانقاة ولاسيما شروط الأكل ورواتب وجرايات الصوفية وخادهم ومشرف المطبخ والطباخ والكحال والمغسل والمبلغ وإمام الرباط وشيخه وفراشه وعامل الوقود بالحمام والبواب والرشاش والوازن، وغيرهم مما سيرد ذكره عند الحديث عن وظائف الخانقاة، أنظر عن هذه الوثيقة أيضاً :

- ابن تغرى بردى : المنهل الصافى : جـ ٢ ص ١٩ - ٢٠ حاشية ٩ ،

- محمد أمين: فهرست وثائق القاهرة: ص: ٨ - ٩ مسلسل (٢٥ - ٢٦ - ٢٧) .

٢٦٥ - ابن الجيعان : المصدر السابق : ص ٦٢ .

٢٦٦ - نفس المصدر : ص ١٤٥ .

٢٦٧ - المقرئى : خطط : جـ ٢ ص ٤٩٦ ،

- ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة: جـ١ ص ٥٠٧.

٢٦٨ - على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٤ ص ص ٦٨، ١٤٢ - ١٤٤٣.

٢٦٩ - كلمة جاشنكير كانت تعنى الأمين على تذوق لأطعمة قبل تقديمها إلى السلطان للتحقق من سلامتها.

أنظر: حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص ١٣٦ ولنفس المؤلف:

- مجلة العمارة سنة ١٩٤٢ عدد (٢٢١) ص ٥٩.

٢٧٠ - كانت وظيفة الأستادار تعنى الإشراف على الشؤون المالية لخاصة بالسلطان أو الملك، فكان الأستادار فى الدولة المملوكية من ثم هو ناظر الخاصة أو وكيل الخراج والمؤونة، وهى بصفة عامة وظيفة من وظائف أرباب السيوف، وموضعها التحدث فى أمر البيوت السلطانية، ولصاحبها حديث مطلق ونصرف تام فى استدعاء كل ما يحتاجه كل من فى بيوت السلطان من النفقات والكسارى وما يجرى مجرى للممالك وغيرهم.

راجع:

- القلقشندى: المصدر السابق: جـ٤ ص ٢٠،

- حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية: جـ١ ص ١٣١،

- سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٣ ص ١٦٢ حاشية ١.

٢٧١ - ابن حجر: المصدر السابق: جـ١ ص ٥٠٢، جـ٢ ص ٠،

سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٣ ص ١٦٢.

٢٧٢ - ابن إياس: المصدر السابق: جـ١ ص ١٥٠،

- الجبرتي: المصدر السابق: جـ١ ص ١٨،

- علي باشا مبارك: المصدر السابق: ج ١ ص ٩١-٩٢، ج ٤ ص ٦٨ - ٦٩،

١٤٣ - ١٤٤

- محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق: ص ٤٤،

- سعاد ماهر: المرجع السابق: ج ٣ ص ١٦٢.

٢٧٣ - ابن عباس: المصدر السابق: ج ١ ص ١٥٠

- حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: ج ١ ص ١٣١.

٢٧٤ - ابن حجر: المصدر السابق: ج ١ ص ٥٠٢ - ٥٠٧ ترجمة رقم ١٣٧٣،

- علي باشا مبارك: المصدر السابق: ج ١ ص ٩٢،

- زامبور: المرجع السابق: ج ١ ص ٥٣.

- وزارة الأوقاف: المرجع السابق: ج ١ ص ٥٣.

٢٧٥ - المقرئ: خطط: ج ٢ ص ٤١٦،

- علي باشا مبارك: المصدر السابق: ج ١ ص ٩١،

- حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: ج ١ ص ١٣١.

٢٧٦ - المقرئ: المصدر السابق: ج ٢ ص ٤١٦ - ٤١٧،

- حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: ج ١ ص ١٣١ - ١٣٢ ولتفس المؤلف:

- مجلة العمارة: سنة (١٩٢٢م) عدد (٢٢١) ص ٥٩.

٢٧٧ - المقرئ: المصدر السابق: ج ٢ ص ٤١٧.

٢٧٨ - نفس المصدر: ج ٢ ص ٤١٦ - ١٧،

- ابن تغرى بردى: النجوم الزهرة: ج ٨ ص ٢٤٣،
- على باشا مبارك: المصدر السابق: ج ١ ص ٩١ - ٩٢،
- سعاد ماهر: المرجع السابق: ج ٣ ص ١٦٣.
- ٢٧٩ - ابن تغرى بردى: المصدر السابق: ج ٨ ص ٢٣٢ - ٢٣٣،
- ابن إياس: المصدر السابق: ج ١ ص ١٤٩، ١٥٤،
- ابن ظهيرة: المصدر السابق: ج ١ ص ١٨.
- ٢٨٠ - حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: ج ١ ص ١٣١ - ١٣٥ ولنفس المؤلف :
- مجلة العمارة: سنة (١٩٤٢م) عدد (٢٢١) ص ٥٩،
- محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق: ص ٤٤،
- محمود أحمد: المرجع السابق: ص ٩٨،
- زامبور: المرجع السابق: ص ١٦٢،
- وزارة الأوقاف: المرجع السابق: ج ١ ص ١٧٢ - ١٨٩.
- ٢٨١ - ابن حجر: المصدر السابق: ج ١ ص ٤٤١ ترجمة رقم ١١٦٨،
- الإسئوى: المصدر السابق: ج ١ ص ١٧ - ١٨.
- ٢٨٢ - ابن حجر: المصدر السابق: ج ٢ ص ٢٠٩ - ٢١٠ ترجمة رقم ١٩٨٨.
- ٢٨٣ - نفس المصدر: ج ٢ ٤٤٠ ترجمة رقم ٢٥٨٠.

٢٨٤ - ابن تغرى بردى: المنهل الصافي : جـ٢ ص ص ١٩ - ٢٠ ترجمة رقم ٢٢٣،

- السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ص ٣٦ - ٤٠ ترجمة رقم ١٠٤،

- فتحى الحديدى : المرجع السابق : ١٢٦.

٢٨٥ - ابن الصيرفى : إنباء الهمصر ص ص ١٩٤ - ١٩٥.

٢٨٦ - السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ص ١٥٣ - ١٥٤ ترجمة رقم ٤٣٥.

٢٨٧ - نفس المصدر : جـ٣ ص ص ١٢٣ - ١٢٤ ترجمة رقم ٤٧٤.

٢٨٨ - نفس المصدر : جـ٤ ص ص ١٤٥ - ١٤٩ ترجمة رقم ٣٨٧.

٢٨٩ - نفس المصدر : جـ٣ ص ص ١٢١ - ١٢٢ ترجمة رقم ٤٧٢.

٢٩٠ - نفس المصدر : جـ١ ص ٣٢٢.

٢٩١ - ابن حجر المصدر السابق : جـ٣ ص ٣٤٩ ترجمة رقم ٩٢٦.

٢٩٢ - نفس المصدر : جـ٤ ص ص ٢٤ - ٢٥ ترجمة رقم ٦٨.

٢٩٣ - السخاوى : المصدر السابق : جـ١ ص ص ٢٣٦ - ٢٣٧.

٢٩٤ - نفس المصدر : جـ٣ ص ٢٣٧ ترجمة رقم ٨٠٦،

- ابن العماد : المصدر السابق : جـ٧ ص ١٠٣.

٢٩٥ - السخاوى : المصدر السابق : جـ٤ ص ص ٣٧ - ٣٩ ترجمة رقم ١١٧.

٢٩٦ - ابن حجر : المصدر السابق : جـ١ ص ٤٧٠ ترجمة رقم ١٢٦٥.

٢٩٧ - السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ص ١٤٧ - ١٤٨ ترجمة رقم ٤١٦.

٢٩٨ - نفس المصدر : جـ٢ ص ٣١٠ ترجمة رقم ٩٧٠.

- ٢٩٩ - نفس المصدر : جـ ١ ص ٥٢ .
- ٣٠٠ - نفس المصدر : جـ ١ ص ٨٤ - ٨٥ .
- ٣٠١ - نفس المصدر : جـ ١ ص ١٤ .
- ٣٠٢ - نفس المصدر : جـ ٤ ص ٥٢ ترجمة رقم ١٥٨ .
- ٣٠٣ - نفس المصدر : جـ ٥ ص ٨٣ ترجمة رقم ٣١٢ .
- ٣٠٤ - ابن حجر : المصدر السابق : جـ ٤ ص ٥٣ ترجمة رقم ١٥٠ .
- ٣٠٥ - السخاوي : المصدر السابق : جـ ١ ص ١٩٤ .
- ٣٠٦ - نفس المصدر : جـ ٢ ص ٩٢ ترجمة رقم ٢٧٦ .
- ٣٠٧ - نفس المصدر : جـ ٢ ص ٢٩٩ - ٣٠٠ ترجمة رقم ٩٢٣ .
- ٣٠٨ - نفس المصدر : جـ ٦ ص ٢٤٧ ترجمة رقم ٨٥٩ .
- ٣٠٩ - المقرئ : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٤١٦ .
- ٤١٠ - علي باشا مبارك : المصدر السابق : جـ ٤ ص ٦٨ ، ١٤٢ - ١٤٣ .
- ٣١١ - السخاوي : المصدر السابق : جـ ١ ص ٧٠ - ٧١ ، ١٥١ - ١٥٢ .
- ٣١٢ - نفس المصدر : جـ ١ ص ١٥١ .
- ٣١٣ - نفس المصدر : جـ ٢ ص ٦٥ - ٦٧ ترجمة رقم ٢٠٢ .
- ٣١٤ - نفس المصدر : جـ ٢ ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ترجمة رقم ٥٣٩ .
- ٣١٥ - نفس المصدر : جـ ٢ ص ٣١٠ ترجمة رقم ٩٧٢ .
- ٣١٦ - نفس المصدر : جـ ٣ ص ١١٧ ترجمة رقم ٤٥٠ .

٣١٧ - نفس المصدر : جـ ٣ ص ٢١٥ - ٢١٦ ترجمة رقم ٨٠٦.

٣١٨ - نفس المصدر : جـ ٢ ص ١٢٠ - ١٢١ ترجمة رقم ٣٦٠.

٣١٩ - فتحى الحديدى : المرجع السابق : ص ١٢٦.

٣٢٠ - السخاوى : المصدر السابق : جـ ١ ص ٣٣٠.

٣٢١ - نفس المصدر : جـ ٢ ص ٧٣ - ٧٤ ترجمة رقم ٢١٩.

٣٢٢ - نفس المصدر : جـ ٥ ص ١٢٨ ترجمة رقم ٤٤٥٨.

٣٢٣ - نفس المصدر : جـ ١ ص ٢٥٣.

٣٢٤ - نفس المصدر : جـ ١ ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

٣٢٥ - نفس المصدر : جـ ٢ ص ١ ترجمة رقم ١.

٣٢٦ - أنظر أيضا عن هذا النص :

- سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ ٣ ص ١٦٧،

- سعد زغلول عبد لحמיד - العمارة والفنون فى دولة الإسلام: ص ٤٧٨ - ٤٨٠،

- كمال سامح : المرجع السابق : ص ٤١،

- حسن باشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية : ص ١٧٦.

٣٢٧ - سورة النور : الآيات : ٣٦ - ٣٧.

٣٢٨ - سورة الحجر : الآيات ٦ - ٨.

٣٢٩ - سورة النور : الآيات : ٣٦ - ٣٨.

٣٣٠ - كان أول استعمال للقب «ركن الدين» خاص برجال الدين، وكان أول من أطلق عليه

هو أبو إسحاق الأسفرايينى الذى توفى سنة (٤١٨هـ) ثم أطلق على رشيد الدين عزيزى الزينجاني التاجر فى نقش تاريخه سنة (٥٥٩هـ) على سطل من البرونز المكفت من إيران، أما فى عصر المماليك فقد أطلق على الظاهر بيبرس، وكانت العادة قد جرت حيثذ على ألا يطلق هذا اللقب على السلطان متوفى أو على حاكم غير شرعى، وقد اختص «ركن الدين» زمن القلقشندى فى حالة استعماله لطائفة العسكرين من المولدين بالإسم «عمر».

راجع : Sauvaget, Combe et Wiet: Op. cit. ix, No 3260, Van Berchem (M.): Op. cit. Tome, I, No 74,

- القلقشندى : المصدر السابق : جـ ٥ ص ٤٨٨ وأنظر أيضاً،

- حسن باشا : المرجع السابق : ص ٣٠٦ - ٣٠٧.

٣٣١ - حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ ١ ص ١٣٣ وراجع أيضاً

Van Berchem (M.): Op. cit. II, P. 126 text. 108, XIX, Fasc. IV, P. 731. text, 108 bis,

- كراسة لجنة حفظ الآثار العربية رقم (١٢) لوحة ١٠،

- سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ ٣ ص ١٦٦،

- حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية: ص ١٧٥.

٣٣٢ - سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ ٣ ص ١٦٧ - ١٦٨،

- كمال سامح: المرجع السابق: ص ١،

- وزارة الأوقاف: المرجع السابق: جـ ١ ص ٥٣ - ٥٤.

- ٣٣٣ - سورة الدخان: الآيات: ٥١ - ٥٩.
- ٣٣٤ - دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٣١،
- صالح لمعى: المرجع السابق: ص ٣١،
- حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: ج ١ ص ١٣٢.
- ٣٣٥ - سورة البقرة: الآية: ٢٩ وأنظر أيضاً:
- سعاد ماهر: المرجع السابق: ج ٣ ص ١٧١.
- ٣٣٦ - حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: ج ١ ص ١٣.
- ٣٣٧ - سورة الملك: الآيات: ١-١٣.
- ٣٣٨ - محمود أحمد: المرجع السابق: ص ٧،
- حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: ج ١ ص ١٣٣،
- وزارة الأوقاف: المرجع السابق: ج ١ ص ٥٤ وأنظر أيضاً:
- سعاد ماهر: المرجع السابق: ج ٣ ص ١٧١-١٧٢،
- دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ١٠٨ - ١١٠ حيث ورد فيهما وصف يختلف مع الحقيقة تماماً.
- ٣٣٩ - المجموعة (٨) عن سنة (١٨٩١م) ص ٣٦.
- ٤٣٠ - المجموعة (٩) عن سنة (١٨٩٢م) ص ٢٧.
- ٣٤١ - نفس المجموعة: ص ٧٢-٧٤.
- ٣٤٢ - المجموعة (١١) عن سنة (١٨٩٤م) ص ١٧، ٩١.

- ٣٤٣ - نفس المجموعة: ص ص ١١٧، ١٢٦.
- ٣٤٤ - المجموعة (١٣) عن سنة (١٨٩٦ م) ١١٧.
- ٤٣٥ - المجموعة (١٥) عن سنة (١٨٩٨ م) ص ٧٨.
- ٣٤٦ - المجموعة (١٦) عن سنة (١٨٩٩ م) ص ١٧.
- ٣٤٧ - نفس المجموعة: ص ص ٢٨ - ٢٩.
- ٣٤٨ - المجموعة (٢٥) عن سنة (١٩٠٨ م) ص ص ١١ - ١٢، ٣٠، ١١٠ - ١١١.
- ٣٤٩ - المجموعة (٢٦) عن سنة (١٩٠٩ م) ص ص ١٣٣ - ١٣٤.
- ٣٥٠ - المقرئى: الخطط: جـ ٢ ص ص ٣٩٨، ٤١٧.
- ٣٥١ - على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ ٢ ص ١٠١، جـ ٦ ص ص ٤٤، ٥١.
- ٣٥٢ - ابن حجر: المصدر السابق: جـ ١ ص ٨١.
- ٣٥٣ - السخاوى: المصدر السابق: جـ ١ ص ١٢٦.
- ٣٥٤ - نفس المصدر: جـ ١ ص ص ١٥٩ - ١٦١.
- ٣٥٥ - نفس المصدر: جـ ٥ ص ٢٢٩ ترجمة رقم ٧٦٥.
- ٣٥٦ - سورة البقرة: آية ٢٥٥.
- ٣٥٧ - كان المهتمدار لقباً من ألقاب الوظائف المملوكية التى أختص متوليها بتلقى الرسل والعربان الواردين على السلطان وإنزالهم دار الضيافة والتحدث فى كافة الأمور المتعلقة بهم.

راجع: السيوطى: المصدر السابق: جـ ٢ ص ١٣٠ حاشية ٣.

٣٥٨ - سورة النور: الآيات: ٣٦ - ٣٨ وانظر أيضاً:

— دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ص ٧٢ - ٧٣،

Van Berchem (M.): Op. cit. II, P. 172, text, 116.

٣٥٩ - سورة التوبة: آية ١٨.

٦٣٠ - سورة البقرة: آية ٢٥٥.

٣٦١ - سورة آل عمران: آية ١٨٥.

٣٦٢ - سورة الفتح: الآيات ١-٣.

٣٦٣ - الكراسة الثانية عن سنة (١٨٨٤م) ص ١٣ بند ٤، ص ٤٢ بنود أ، ب، ج.

٣٦٤ - الكراسة الرابعة عن سنة (١٨٨٦م) ص ١٣.

٣٦٥ - الكراسة الخامسة عن سنة (١٨٨٨ / ٨٧م) ص ص ٧، ٣٤.

٣٦٦ - نفس الكراسة: ص ٤١.

٣٦٧ - الكراسة السادسة عن سنة (١٨٨٩م) ص ٦٥.

٣٦٨ - الكراسة السابعة عن سنة (١٨٩٠م) ص ١١٢.

٣٦٩ - الكراسة التاسعة عن سنة (١٨٩٢م) ص ١٠.

٣٧٠ - نفس الكراسة: ص ١٠١.

٣٧١ - نفس المصدر: ص ص ٢٨، ٩٦.

٣٧٢ - الكراسة (١١) عن سنة (١٨٩٤م) ص ٥٠.

٣٧٣ - الكراسة (١٤) عن سنة (١٨٩٧م) ص ١٧.

٣٧٤ - الكراسة (١٦) عن سنة (١٨٩٩م) ص ٨٦.

- ٣٧٥ - المقرئى: المصدر السابق: ج٢ ص ٤١٧.
- ٣٧٦ - أنظر: معاد ماهر: مساجد مصر: ج٣ ص ١٨٠،
- دولت عبد الله: المرجع السابق: ج٢ ص ٤١٧،
- عبد الرحمن زكى: المرجع السابق: ص ١٣٠.
- ٣٧٧ - راجع المقرئى: المصدر السابق: ج٢ ص ٤١٧،
- على باشا: المصدر السابق: ج٦ ص ٥٠.
- ٣٧٨ - أنظر: فتحى الحديدى: المرجع السابق: ص ١٣٠،
- عبد الرحمن زكى: المرجع السابق: ص ١٦٨.
- ٣٧٩ - أنظر لين بول: المرجع السابق: ص ٢٥٥.
- ٣٨٠ - المقرئى: المصدر السابق: ج٢ ص ٤١٧.
- ٣٨١ - على باشا مبارك: المصدر السابق: ج٢ ص ٧٥.
- ٣٨٢ - نفس المصدر: ج٦ ص ٥٠.
- ٣٨٣ - فتحى الحديدى: المصدر السابق: ص ١٣٠.
- ٣٨٤ - أنظر: محمد أمين: فهرست وثائق القاهرة: ص ١٣.
- ٣٨٥ - أنظر أيضاً: سعيد عاشور: المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك: ص ١٥١.
- ٣٨٦ - المقرئى: المصدر السابق: ج٢ ص ٢٩١.
- ٣٨٧ - ابن الجيمان: المصدر السابق: ص ٤٠ - ٤١.
- ٣٨٨ - نفس المصدر: ص ٩١.

- ٣٨٩ - نفس المصدر: ص ١١٨.
- ٣٩٠ - نفس المصدر: ص ١٣٣.
- ٣٩١ - نفس المصدر: ص ١٥٣.
- ٣٩٢ - نفس المصدر: ص ١٩٠.
- ٣٩٣ - ابن دقماق: المصدر السابق: ق ٢ ص ٦.
- ٣٩٤ - نفس المصدر: ق ٢ ص ١٠.
- ٣٩٥ - نفس المصدر: ق ٢ ص ١١.
- ٣٩٦ - نفس المصدر: ق ٢ ص ١٦.
- ٣٩٧ - نفس المصدر: ق ٢ ص ١٧.
- ٣٩٨ - نفس المصدر: ق ٢ ص ١٨.
- ٣٩٩ - نفس المصدر: ق ٢ ص ٩٤.
- ٤٠٠ - أنظر: عبد الله اللطيف إبراهيم: دراسات فى الكتب والمكتبات الإسلامية ص ص ٢٧ - ٢٨.
- عبد الرحمن زكى: المرجع السابق: ص ١٦٨،
- فتحى الحديدى: المرجع السابق: ص ١٦٨،
- ٤٠١ - عبد الرحمن زكى: المرجع السابق: ص ١٦٩.
- ٤٠٢ - نفس المرجع: ص ١٦٩.
- ٤٠٣ - المقرئى: المصدر السابق: ج ٢ ص ص ٢٩١ - ٢٩٢ وانظر أيضاً:

- سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ ٣ ص ١٨٠ - ١٨١.

٤٠٤ - السخاوى: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: جـ ٥ ص ٢٥٧ ترجمة رقم ٨٦١.

٤٠٥ - المقرئى: المصدر السابق: ج ٢ ص ٤١٧.

٤٠٦ - ابن الصيرفى : إنباء الهصر: ص ص ١٩٤ - ١٩٥.

٤٠٧ - السخاوى: المصدر السابق: جـ ١ ص ص ٨٨ - ٩٩.

٤٠٨ - نفس المصدر: جـ ٤ ص ص ١١٥ - ١١٧ ترجمة رقم ٣٠٩.

٤٠٩ - نفس المصدر: جـ ٦ ص ص ٨١ - ٨٣ ترجمة رقم ٢٧٨.

٤١٠ - نفس المصدر: جـ ٥ ص ٢٥٧ ترجمة رقم ٨٦١.

٤١١ - نفس المصدر: جـ ٢ ص ١١٠ ترجمة رقم ٣٣٢.

٤١٢ - نفس المصدر: جـ ٢ ص ص ٣٦ - ٤٠ ترجمة رقم ١٠٤.

٤١٣ - ابن الصيرفى: المصدر السابق: ص ٢٧٦.

٤١٤ - السخاوى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ٦٣ ترجمة رقم ٤٢٥.

٤١٥ - المقرئى: المصدر السابق: جـ ٢ ص ٢٩١.

٤١٦ - السخاوى: المصدر السابق: جـ ١ ص ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

٤١٧ - نفس المصدر: جـ ١ ص ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

٤١٨ - نفس المصدر: جـ ٤ ص ص ٢٠٣ - ٢٠٦. ترجمة رقم ٥١٤.

٤١٩ - نفس المصدر : جـ ٤ ص ص ٢٨٠ - ٢٨١ ترجمة رقم ٧٤٤.

٤٢٠ - نفس لامصدر : جـ ٤ ص ص ٤٦ - ٤٨ ترجمة رقم ١٤٨.

٤٢١ - نفس المصدر : جـ٤ ص ٣٣ - ٣٥ ترجمة رقم ١٠٢ .

٤٢٢ - نفس المصدر : جـ٤ ص ٥ - ٦ ترجمة رقم ١٢ .

٤٢٣ - نفس المصدر : جـ٣ ص ١٧٩ - ١٨٠ ترجمة رقم ٦٩٨ .

٤٢٤ - نفس المصدر : جـ١ ص ١٠ .

٤٢٥ - نفس المصدر : جـ١ ص ١٣ .

٤٢٦ - نفس المصدر : جـ٢ ص ٢١٦ ترجمة رقم ٥٩٦ .

٤٢٧ - نفس المصدر : جـ٢ ص ١٧٦ - ١٨٠ ترجمة رقم ٥١ .

٤٢٨ - نفس المصدر : جـ٢ ص ١٦٦ ترجمة رقم ٤٧٢ .

٤٢٩ - سورة النور : الآيات ٣٦ - ٣٨ .

٤٣٠ - الكريم لغة هو الخالص من اللؤم، وكان يطلق كلقب فخري على العسكريين والمدنيين على السواء وجرى العرف في عصر المماليك أن يكون هذا اللقب هو أحد التوابع المباشرة للألقاب الأصول ولا سيما «المقر» و«الجناب»، وعلى الرغم من استعماله في وصف «القرآن الكريم» فقد اصطلاح كتاب هذا العصر على أن يجعلوه أقل مرتبة من «الشريف» حين وصفوا متعلقات السلطان بالشريف ومتعلقات من هم دون السلطان رتبة بالكريم فقالوا «مرسوم كريم» و«توقيع كريم» و«مكاتبة كريم» ونحو ذلك عملاً - على ما يبدوا - بما ورد في قوله تعالى على لسان بلقيس ملكة سبأ تعليقاً على رسالة سليمان عليه السلم «إني ألقى إلى كتاب كريم».

- راجع : القلقشندي : المصدر السابق : جـ٦ ص ٢٤٠٢٤ وأنظر أيضاً:

- حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٤٣٧ - ٤٣٨ .

٤٣١ - المجير لغة هو المنتخذ والمغيث، وقد أضيفت إليه بعض الكلمات لتكوين لقب مركب منه

فقيل «مجير الدين» و «مجير العباد» ونحو ذلك، كما استخدم اللقب في عصر المماليك مضافا إلى ياء النسب بالنسبة للأمراء فقول «المجير».

- راجع : حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٤٦٠ .

٤٣٢ - العمدة لغة هو ما يعتمد عليه وقد استعمل في عصر المماليك مضافا إلى بعض كلمات لتكوين لقب مركب فقيل «عمدة الأحكام» و «عمدة الإمام» و «عمدة الأنام» و «عمدة الملوك» و «عمدة الملوك والسلطين» وقد ورد لقب «عمدة الملوك» مثلا ضمن ألقاب الأمير طيغنا في نقش في ضريحه تاريخه سنة (٧٦٤ - ٧٦٨هـ).

- راجع : Van Berchem (M.): OP. cit. Tome, I, No157.

- حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٤٠٨ - ٤٠٩ .

٤٣٣ - راجع : سعاد ماهر : المرجع السابق : ج٣ ص ١٨٢ حيث أوردت النص كاملاً من أوله إلى آخره رغم أن الآيات في بداية النص بعد البسملة من قوله تعالى «ففي بيوت أذن الله أن ترفع» إلى قوله تعالى «يخافون» غير موجود في الأصل ورغم أن التاريخ في نهاية النص غير موجود أيضاً.

٤٣٤ - يبدو أن هذه لخانقاة كانت تشتمل على بعض التفاصيل المعمارية الأخرى حتى وقت قريب، لأن الوصف الذى أوردته الأستاذة الدكتورة سعاد ماهر يشير إلى أن المدخل الرئيسى يفضى إلى دهليز يؤدي إلى صحن مربع طول ضلعه (١٤ر٥) متر يحتوى ضلعه الشمالى على مثذنة وحاصلين مساحة أحدهما (٢ر٦٠ x ٢ر٣٠) متر ومساحة الآخر (٢٨٢٢ر٧٠) متر، وبالجهة الجنوبية بقايا مسكن شيخ الخانقاة وقد أصبح شبيهاً بحواصل ثلاثة سقوفها مقببة بلطوب تبلغ مساحة أحدهما (٢ر٢٥ x ٢) متر ومساحة الآخرين متساوية، كل منهما مربع طول ضلعه (٢ر٢٥) متر ثم تشير إلى إيوان القبلة فى الضلع الشرقى للصحن وإلى بقايا مساكن الصوفية وغير ذلك من التفاصيل التى أكدتها وثيقة الخانقاة المحفوظة بأرشيف وزارة الأوقاف تحت رقم (١٦٦٦) باسم مغلطى الجمالى، ومنها يتضح أن الخانقاة كانت تشتمل على قبة وفسقية لدفن الواقف وأولاده وإيوان كبير

للمصلاة وقاعة الشيخ الصوفية وخزائن كتب لحفظ الكتب والمصاحف ومعدنة وميضأة
ومطبخ ومكتب للأيتام. راجع : سعاد ماهر : المرجع السابق : ج ٣ ص ١٨٢ - ١٨٣
وأنظر أيضا : - دولت عبد الله : المرجع السابق : ص ٧٧، ١١١، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٠.

٤٣٥ - سورة الحجر : الآيات ٤٦ - ٤٩.

٤٣٦ - سورة البقرة : آية ٢٥٥.

٤٣٧ - راجع مجموعة (٢) عن سنة (١٨٨٤م) ص ٣٢.

٤٣٨ - مجموعة (٨) عن سنة (١٨٩١م) ص ٧١، ٧٤.

- ٤٣٩ - مجموعة (٩) عن سنة (٢٨٩٢م) ص ٢٢.
- ٤٤٠ - مجموعة (١٠) عن سنة (١٨٩٣م) ص ٢٩، ٤٣، ٥٣.
- ٤٤١ - مجموعة (٢٠) عن سنة (١٩٠٣م) ص ٣٤.
- ٤٤٢ - مجموعة (٢٠) عن سنة (١٩٠٣م) ص ٣٤.
- ٤٤٣ - المقرئى: المصدر السابق : ج٢ ص ٤٢٤.
- ٤٤٤ - ابن تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى : ج١ ص ٣٣٧ ح ٧.
- ٤٤٥ - السيوطى : المصدر السابق : ج٢ ص ١٤٥، ٢٦٦ وأنظر ايضا :
- عبد اللطيف حمزة : المرجع السابق : ج١ ص ١٠٩.
- ٤٤٦ - على باشا مبارك : المصدر السابق : ج١ ص ٥١.
- ٤٤٧ - نفس المصدر: ج٢ ص ١٠٣.
- ٤٤٨ - أنظر أيضاً : عبد العزيز سالم: المآذن المصرية: ص ٢٥.
- ٤٤٩ - ابن الجيعان: المصدر السابق: ص ٦.
- ٤٥٠ - نفس المصدر: ص ١٥٠.
- ٤٥١ - ابن دقماق: المصدر السابق: ق ٢ ص ١٣٦.
- ٤٥٢ - ابن الجيعان: المصدر السابق: ص ١٥٢.
- ٤٥٣ - نفس المصدر: ص ١٥٧.
- ٤٥٤ - ابن حجر: المصدر السابق: ج٣ ص ٢٥٧ - ٢٥٨ ترجمة رقم ٦٦٣.
- ٤٥٥ - وهى قرية من قرى بخارى: راجع: ياقوت: معجم البلدان: ج٢ ص ١٤٩.

- ٤٥٦ - المقرئى: المصدر السابق: ج١ ص ١٣٩.
- ٤٥٧ - حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: ج١ ص ١٣٩.
- ٤٥٨ - ابن حجر: المصدر السابق: ج٤ ص ٣٢٧ - ٣٢٨ ترجمة رقم ٨٩١.
- ٤٥٩ - المقرئى: المصدر السابق: ج٢ ص ٤٢٤ وراجع ايضا.
- السيوطى: المصدر السابق: ج٢ ص ١٤٥، ٢٦٦ وأنظر:
- عبد اللطيف حمزة السابق: ج١ ص ١٠٩.
- ٤٦٠ - ابن تفرى بردى: المنهل الصافى: ج١ ص ٢٣٦ - ٢٣٧.
- ٤٦١ - السخاوى: المصدر السابق: ج١ ص ٢٢٦ - ٢٢٧.
- ٤٦٢ - ابن تفرى بردى: المصدر السابق: ج١ ص ٢٣٧ ح ٨.
- ٤٦٣ - السخاوى: المصدر السابق: ج٥ ص ٢٩٢ - ٢٩٣ ترجمة رقم ٩٨٧.
- ٤٦٤ - نفس المصدر: ج٥ ص ٦٥ ترجمة رقم ٢٣٦.
- ٤٦٥ - ابن حجر: المصدر السابق: ج١ ص ٣٠٤.
- ٤٦٦ - الجبرتى: المصدر السابق: ج١ ص ٣٠٤.
- ٤٦٧ - المقرئى: المصدر السابق: ج٢ ص ٤٢٤.
- ٤٦٨ - السخاوى: المصدر السابق: ج٥ ص ٦٥ ترجمة رقم ٢٣٦.
- ٤٦٩ - نفس المصدر ج٤ ص ٩٢ ترجمة رقم ٢٧٢.
- ٤٧٠ - نفس المصدر: ج٣ ص ١٠٧ - ١٠٨ ترجمة رقم ٤٢٧.
- ٤٧١ - نفس المصدر: ج٣ ص ٢٠٠ ترجمة رقم ٧٥٨.

٤٧٢ - ابن الغزى: المصدر السابق: جـ ١ ص ٢٢٦ - ٢٣١.

٤٧٣ - السخاوى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ١٥٢ - ١٥٣ ترجمة رقم ٣٩٤.

٤٧٤ - سورة البقرة: آية: ١٤٤.

٤٧٥ - سورة يس: الآيات: ١٣ - ١٥.

٤٧٦ - سورة الحج: آية: ٤١.

٤٧٧ - سورة الأحزاب: الآيات: ٤١ - ٤٤.

٤٧٨ - سورة التوبة: آية: ١٨.

٤٧٩ - سورة الأحزاب: آية: ٤٥.

٤٨٠ - مجموعة (٧) عن سنة (١٨٩٠م) ص ١٠٨.

٤٨١ - مجموعة (٩) عن سنة (١٩٠٢م) ص ٥٦، ٦١، ٧٥.

٤٨٢ - ابن حجر: المصدر السابق: جـ ٢ ص ٢٢١.

٤٨٣ - المقرئى: المصدر السابق: جـ ٢ ص ٤٢٤.

٤٨٤ - الجبرئى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ١٦٢.

٤٨٥ - المقرئى: المصدر السابق: جـ ٢ ص ٤٢٤ وأنظر أيضاً:

- لين بول: المرجع السابق: ص ٣٥٧،

- صالح لمى: المرجع السابق: ص ٢٥.

٤٨٦ - الجبرئى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ١٦٢.

٤٨٧ - نفس المصدر: جـ ٤ ص ١٦٢.

٤٨٨ - نفس المصدر: جـ ٤ ص ١٦٢.

٤٨٩ - على باشا مبارك: المصدر السابق: ج٦ ص ٤٩.

٤٩٠ - نفس المصدر: ج٦ ص ٤٩.

٤٩١ - المقرئى: المصدر السابق: ج٢ ص ٤٢٤.

٤٩٢ - الجبرئى: المصدر السابق: ج٤ ص ١٦٢.

٤٩٣ - على باشا مبارك: المصدر السابق: ج٤ ص ٤٩.

٤٩٤ - ابن الجيعان: المصدر السابق: ص ٧٠.

٤٩٥ - نفس المصدر: ص ٧٦.

٤٩٦ - نفس المصدر: ص ٧٩.

٤٩٧ - نفس المصدر: ص ١٠٧.

٤٩٨ - نفس المصدر: ص ١٤٨.

٤٩٩ - نفس المصدر: ص ١٦٣.

٥٠٠ - نفس المصدر: ص ١٦٦.

٥٠١ - الخوند لفظة فارسية أصلها «خدا وند» ومعناها السيد أو الأمير، وقد خطوب بها الذكور والإناث على السواء، ثم انتشر هذا اللقب عند المسلمين بمعنى السيدة أو الأميرة، وأضيفت إليه في هذه الحالة (تاء التأنيث) فقل «خونده»، أما في عصر المماليك فقد تم استعمال لقب خوند كلقب من ألقاب النساء التى تتفرغ عن الأصول المؤنثة تأنيثاً حقيقياً وأطلق كذلك على زوجة السلطان.

راجع: القلقشندي: المصدر السابق: ج٦ ص ٧٨،

المقرئى: المصدر السابق: ج٢ ص ٤٢٦،

خليل الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك: ص ٢٦ - ٢٧،

حسن الباشا: المرجع السابق: ص: ٢٨٠ - ٢٨١،

سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون: ج٣ ص ٢٤٢.

٢٠٥ - ابن حجر: المصدر السابق: ج٢ ص ٢٢١ ترجمة رقم ٢٠٢٥.

٤٠٣ - المقرئ: المصدر السابق: ج٢ ص ٤٢٥ وأنظر أيضا:

- سعاد ماهر: المرجع السابق: ج٣ ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

٥٠٤ - ابن تغرى يردى: النجوم الزاهرة: ج١٠ ص ٢٣٨.

٥٠٥ - على باشا مبارك: المصدر السابق: ج٦ ص ٤٩.

٥٠٦ - الجبرتي: المصدر السابق: ج٤ ص ١٦٢.

٥٠٧ - على باشا مبارك: المصدر السابق: ج٦ ص ٤٩.

٥٠٨ - الجبرتي: المصدر السابق: ج٤ ص ١٦٢.

٥٠٩ - على باشا مبارك: المصدر السابق: ج٦ ص ٤٩.

٥١٠ - الجبرتي: المصدر السابق: ج٤ ص ١٦٢.

٥١١ - سورة البقرة: آية: ٢٥٥.

٥١٢ - سورة الإخلاص: الآيات: ١ - ٤.

٥١٣ - أنظر أيضاً: محمود أحمد: المرجع السابق: ص ٥ - ٦،

- سعاد ماهر: المرجع السابق ج٣ ص ٢٤٦.

٥١٤ - الجبرتي: المصدر السابق: ج٤ ص ١٦٢.

- ٥١٥ - سورة الدخان : الآيات : ٥١ - ٥٣ .
- ٥١٦ - أنظر أيضا: دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ١٢٣ .
- ٥١٧ - سورة يس: الآيات : ١ - ١٧ .
- ٥١٨ - مجموعة (٥) عن سنة (١٨٨٨ / ٨٧ م) ص ٥ .
- ٥١٩ - مجموعة (١٥) عن سنة (١٩٠٨ م) ص ١١ - ١٣ .
- ٥٢٠ - المقرئى : المصدر السابق: ج٢ ص ٤٢٥ .
- ٥٢١ - على باشا مبارك : المصدر السابق: ج٢ ص ٣٤ .
- ٥٢٢ - نفس المصدر: ج٦ ص ٤٥ .
- ٥٢٣ - نفس المصدر: ج٦ ص ٥٢ .
- ٥٢٤ - ابن الجيعان: المصدر السابق: ص ٤٩ .
- ٥٢٥ - نفس المصدر: ص ١٣٠ .
- ٥٢٦ - نفس المصدر: ١٣٠ .
- ٥٢٧ - المقرئى : المصدر السابق : ج٢ ص ٤٢٥ .
- ٥٢٨ - نفس المصدر : ج٢ ص ٤٢٥ .
- ٥٢٩ - نفس المصدر : ج٢ ص ٤٢٥ .
- ٥٣٠ - على باشا مبارك : المرجع السابق : ج٦ ص ٥١ - ٥٢ .
- ٥٣١ - ابن حجر : المصدر السابق : ص ٣٢٨ - ٨٣٩ .
- ٥٣٢ - السخاوى : المصدر السابق : ج٤ ص ٥٤ - ٥٥ ترجمة رقم ١٦٩ .

٥٣٣ - الشرف لغة هو علو المكانة وسمو الرتبة، وقد استخدم هذا اللفظ في عصر المماليك مضافا إلى بعض الكلمات الأخرى لتكوين بعض الألقاب المركبة فقبيل «شرف الملوك والسلطين»، وكان ذلك لقبا من الألقاب الملكية، كما قيل «شرف الدولة» لكبار رجالها و«شرف الرؤساء» لأكابر الموظفين المدنيين و«شرف العلماء» لقضاة القضاة ونحوهم و«شرف الأصفياء لكبار التجار». راجع : القلقشندي : المصدر السابق : ج٦ ص ٥٥-٥٦،

حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٣٥٥.

٥٣٤ - كان لاستعمال لقب «السيفى» وترتيبه مع الإسم الملقب به دلالة على معان اصطلاحية ثلاثة: فإذا جاء أول الإسم مثلا كأن يقال «السيفى يلبغا» كان معناه أن لقب هذا الأمير سيف الدين، وإذا جاء بين اسمين كأن يقال «أرغون السيفى دمرداش» كان معناه أن ارغون هذا من مماليك الدمرداش، وإذا جاء آخر الإسم كأن يقال «أيدمر السيفى» كان معناه أن صاحب هذا اللقب مات عنه سيده أو أستاذه ونقل إلى ديوان السلطان فصار ضمن المماليك السيفية. راجع : المقرئى: السلوك لمعرفة دول الملوك : ج١ ص ٧٣٦ حاشية ٦،

محمد أمين : المرجع السابق : ص ٣٣٦.

٥٣٥ - تتكون كلمة أتابك من مقطعين تركيين أولهما «أطا» بمعنى أب وثانيهما «بك» بمعنى أمير، وبذلك يكون معناها هو «الأب الأمير» أو «القائد الأمير» وغالب الظن أن هذا اللقب كان أحد الموروثات التركمانية التى أحيهاها السلاجقة عندما ورد ضمن ألقاب نظام الملك فى نقش تاريخه سنة (٤٧٥هـ) بالجامع الأموى بدمشق، وكانت العادة أنه إذا منح هذ اللقب لأمر فانه يكتسب صفة الدوام حتى وإن انقطع صاحبه من الوظيفة التى كانت سببا فى منحه إياه، وكانت مهمة الأتابك فى نشأتها هى الوصاية على الأمير القاصر الذى أُسند إليه السلطان السلجوقى حكم ولاية من ولايات الدولة وتعهد تربيته وتعليمه حتى يكون عينا للسلطان عليه يحول بيته وبين الاستقلال عنه، وكثيرا ما تزوج

هذا الأتابك بأم هذا الأمير لايجاد سند شرعى له فى الاستحواذ على سلطة هذه الولاية، وبذلك انقسمت الدولة السلجوقية إلى وحدات إقليمية خضعت لسيطرة هؤلاء الأوصياء، وانتقل لقب «الأتابكية» من السلاجقة إلى المماليك وأطلق على القائد العام للجيش فسمى «أتابك العسكر» ثم أضيفت إليه صلاحيات النائب الكافل منذ سنة (١٣٤١م) وبذلك أصبح أتابك العسكر هو الرجل الأول فى الدولة بعد السلطان وكثيرا ما كان وصيا على العرش وكثيرا ما أطاح بالسلطان الصغير وتسلطن مكانه.

راجع : القلقشندي: المصدر السابق : جـ ٤ ص ١٨ ،

Sauvaget, Combe et wiet: OP. cit. tome, VII, P. 214,

حسن الباشا: المرجع السابق: ص ١٣٣ - ١٣٥ .

خليل ضومط: الدولة المملوكية: ص ٦٩ .

٥٣٦ - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : المعالم الأثرية فى البلاد العربية جـ ٣ ص ٦٥ .

٥٣٧ - المقرئى: المصدر السابق : جـ ٢ ص ٤٢٠ وأنظر أيضا:

- سعاد ماهر: المرجع السابق : جـ ٣ ص ٢٥٩ ، ولم يخرج عن هذه المعلومات ذلك التعليق الذى أورده محقق المنهل الصافى لابن تغرى بردى عند ذكر المؤلف لهذه الخانقاة راجع:

- ابن تغرى بردى: المصدر السابق : جـ ١ ص ٢١٧ حثية: ٨ .

٥٣٨ - السيوطى: المصدر السابق: جـ ٢ ص ١٤٥ ويتضح من نص إنشاء هذه الخانقاة الذى يقول «وكان ابتداء الشروع فيه فى شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين وسبعمئة والفراغ منه وبما حواه فى شهر شوال من السنة المذكورة» أن الصواب كان قد جانب السيوطى فى قوله أن الفراغ منهما كان سنة (٧٥٧هـ) .

٥٣٩ - السيوطى : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

- ٥٤٠ - على باشا مبارك : المصدر السابق : ج٥ ص ٣٤ - ٣٥.
- ٥٤١ - نفس المصدر : ج٦ ص ٥٢.
- ٥٤٢ - أنظر : عبد اللطيف حمزة : المرجع السابق : ج١ ص ١٠٩ ،
- لين بول : المرجع السابق : ص ٢٥٧ ،
- صالح لمى : المرجع السابق : ص ٢٦ .
- ٥٤٣ - محمد امين : المرجع السابق : ص ٤٨٦ حاشية ٣ .
- ٥٤٤ - القاضي مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل : ج٢ ص ٤١ - ٤٢ .
- ٥٤٥ - المقرئى : المصدر السابق : ج٢ ص ٤٢٠ .
- ٥٤٦ - ابن الجيعان : المصدر السابق : ص ٣٦ .
- ٥٤٧ - نفس المصدر : ص ٦٨ .
- ٥٤٨ - نفس المصدر : ص ٧٣ .
- ٥٤٩ - نفس المصدر : ص ٧٥ .
- ٥٥٠ - نفس المصدر : ص ١٣٧ .
- ٥٥١ - نفس المصدر : ص ١٧٦ .
- ٥٥٢ - نفس المصدر : ص ١٨٢ .
- ٥٥٣ - على باشا مبارك : المصدر السابق : ج٥ ص ٣٥ ، ٨٦ .
- ٥٥٤ - نفس المصدر : ج٥ ص ٨٦ ولهذه الخانقاه حجة لا تزال محفوظة في أرشيف وزارة الأوقاف تحت رقم (١٢٧٩) باسم شيخو العمرى .

- ٥٥٥ - الحنبلى : المصدر السابق : ج٢ ص ١٩٦، ٢٩٣.
- ٥٥٦ - ابن حجر : المصدر السابق : ج٢ ص ٣١٢.
- ٥٥٨ - نفس المصدر : ج٢ ص ٣١٣ وراجع أيضا:
- ابن العماد : المصدر السابق : ج٢ ص ١٨٤.
- ٥٥٩ - المقرئى : المصدر السابق : ج٢ ص ٣١٣.
- ٥٦٠ - ابن تفرى بردى : المصدر السابق : ج١ ص ٣٢٤ - ٣٢٥.
- ٥٦١ - على باشا مبارك : المصدر السابق : ج٥ ص ٣٥.
- ٥٦٢ - أنظر أيضا: حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : ج١ ص ١٥٦،
- معاد ماهر : القاهرة القديمة : ص ٤٩ - ٥٠.
- ٥٦٣ - معاد حسين : أعمال الأمير شيخو، رسالة ما جستير كلية الآداب، ج القاهرة ١٩٧٧ م.
- ٥٦٤ - راجع: ابن حجر : المصدر السابق : ج٤ ص ٢٥٠ - ٢٥١ ترجمة رقم ٦٨٦،
- المقرئى: المصدر السابق : ج٢ ص ٤٢٠،
- السيوطى : المصدر السابق: ج٢ ص ١٤٥، ٢٦٦ - ٢٦٧ وانظر أيضا،
- عبد اللطيف حمزة : المرجع السابق : ج١ ص ١٠٩،
- على باشا مبارك : المصدر السابق : ج٥ ص ٣٥.
- ٥٦٥ - ابن حجر : المصدر السابق : ج٤ ص ٣٣٦ - ٣٣٧ ترجمة رقم ٩١٧.
- ٥٦٦ - ابن تفرى بردى : المنهل الصافى : ج٢ ص ٢١٢ ترجمة رقم ٣١١،
- السخاوى : المصدر السابق : ج٢ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ترجمة رقم ٦٢٣.

- ٥٦٧ - السيوطي: المصدر السابق: ج٢ ص ٢٦٧.
- ٥٦٨ - السخاوي: المصدر السابق: ج٢ ص ٢٢٣ ٢٢٤ ترجمة رقم ٦٢٣.
- ٥٦٩ - نفس المصدر: ج٣ ص ٩٦ - ٩٧ ترجمة رقم ٣٨٩.
- ٥٧٠ - نفس المصدر: ج٣ ص ٢٣١ - ٢٣٢ ترجمة رقم ٨٨٢.
- ٥٧١ - نفس المصدر: ج٤ ص ٣٣ - ٣٥ ترجمة رقم ١٠٢ وراجع أيضا:
- ابن الغزى: المصدر السابق ج١ ص ٢١٩ - ٢٢١،
- ابن العماد: المصدر السابق: ج٨ ص ٩٨.
- ٥٧٢ - محمد أمين: المرجع السابق: ص ٤٨٦ والوثيقة المشار إليه محفوظة في أرشيف وزارة الأوقاف تحت رقم (١٢٧٩) راجع أيضا:
- السخاوي: المصدر السابق: ج٩ ص ٢٩٥ ترجمة رقم ٧٥٥، ج ١٠ ص ٣ ترجمة رقم ٥،
- ابن العماد: المصدر السابق: ج٧ ص ١١٣، ٣٤٩.
- ٥٧٣ - السخاوي: المصدر السابق: ج٤ ص ١٢٤ ترجمة رقم ٣٣٠.
- ٥٧٤ - نفس المصدر: ج٥ ص ١٠٦ - ١٠٧ ترجمة رقم ٣٩٣.
- ٥٧٥ - نفس المصدر: ج٦ ص ١٠٩ - ١١٠ ترجمة رقم ٣٤٤.
- ٥٧٦ - ابن العماد: المصدر السابق: ج٧ ص ٨٨.
- ٥٧٧ - على باشا مبارك: المصدر لسابق: ج٣ ص ٣٥ وأنظر أيضا:
- معاد ماهر: مساجد مصر: ج٣ ص ٢٥٩.
- ٥٧٨ - ابن حجر المصدر السابق: ج٢ ص ٢٠٩ - ٢١٠ ترجمة رقم ١٩٨٨.

- ٥٧٩ - المقرئى : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٤٢٠.
- ٥٨٠ - السخاوى : المصدر السابق : جـ ٢ ص ١٤٢ - ١٤٣ ترجمة رقم ٤٠٨.
- ٥٨١ - نفس المصدر : جـ ٤ ص ٤٦ - ٤٨ ترجمة رقم ١٤٨.
- ٥٨٢ - نفس المصدر : جـ ٤ ص ١١٩ - ١٢١ ترجمة رقم ٣٢٠.
- ٥٨٣ - نفس المصدر : جـ ٥ ص ١٦١ - ١٦٣ ترجمة رقم ٥٥٧.
- ٥٨٤ - ابن طهيرة : المصدر السابق : ص ١٨٨ ، حاشية ٣ بنفس الصفحة.
- ٥٨٥ - ابن العماد : المصدر السابق : جـ ٧ ص ٣٤.
- ٥٨٦ - نفس المصدر : جـ ٧ ص ٢٦٨.
- ٥٨٧ - على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ ٥ ص ٣٥.
- ٥٨٨ - نفس المصدر : جـ ٥ ص ٣٥.
- ٥٨٩ - ابن حجر المصدر السابق : جـ ١ ص ١٦٨ ترجمة رقم ٤٢٧.
- ٥٩٠ - نفس المصدر : جـ ٢ ص ٨٦ ترجمة رقم ١٦٥٣.
- ٥٩١ - المقرئى : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٤٢٠.
- ٥٩٢ - على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ ٥ ص ٣٥ ، ٨٣.
- ٥٩٣ - على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٧٨ - ٨٠ ترجمة رقم ٢٣٦.
- ٥٩٤ - نفس المصدر : جـ ٤ ص ١٦ - ١٧ ترجمة رقم ٦٦.
- ٥٩٥ - ابن العماد : المصدر السابق : جـ ٧ ص ٢٤٥.
- ٥٩٦ - ابن الصيرفى : إنباء الهصر ص ٤١٥.

- ٥٩٧ - المقرئى: المصدر السابق : جـ ٢ ص ٤٢٠ .
- ٥٩٨ - على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ ٥ ص ٨٣، ٣٥ .
- ٥٩٩ - السخاوى : المصدر السابق : جـ ٤ ص ١٣٦ - ١٣٧ ترجمة رقم ٣٥٧ .
- ٦٠٠ - نفس المصدر : جـ ٢ ص ٢٣٣ - ٢٣٩ ترجمة رقم ٦٥٦ .
- ٦٠١ - ابن حجر : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٨٩ - ٩٠ ترجمة رقم ١٦٦٢ .
- ٦٠٢ - نفس المصدر : جـ ٢ ص ٣١١ - ٣١٢ ترجمة رقم ٢٢٥٣ راجع أيضا:
- السيوطى : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٢٦٧ .
- ٦٠٣ - نفس المصدر : جـ ٤ ص ١٥ ترجمة رقم ٣١ .
- ٦٠٤ - السخاوى : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٦٧ - ٦٨ ترجمة رقم ٢٠٥ .
- ٦٠٥ - نفس المصدر : جـ ٤ ص ٦٥ - ٧١ ترجمة رقم ٢٠٣ .
- ٦٠٦ - نفس المصدر : جـ ٥ ص ١٣١ - ١٣٢ ترجمة رقم ٤٦٤ .
- ٦٠٧ - السخاوى : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٣٦ - ٤٠ ترجمة رقم ١٠٤ .
- ٦٠٨ - نفس المصدر : جـ ٣ ص ٨٨ - ٨٩ ترجمة رقم ١٠٤ .
- ٦٠٩ - ابن حجر : المصدر السابق : جـ ٣ ص ٧٠ - ٧١ ترجمة رقم ٢٠٧ .
- ٦١٠ - السخاوى : المصدر السابق : جـ ٣ ص ٢٢٦ - ٢٢٩ ترجمة رقم ٨٥٥ .
- ٦١١ - نفس المصدر : جـ ٤ ص ٧٨ - ٧٩ ترجمة رقم ٢٢٧ .
- ٦١٢ - نفس المصدر : جـ ٢ ص ٢٠٩ ترجمة رقم ٥٦٣ .
- ٦١٣ - نفس المصدر : جـ ٤ ص ٣٩ ترجمة رقم ٨١ .

- ٦١٤ - علي باشا مبارك : المصدر السابق : جـ ٥ ص ٣٥ .
- ٦١٥ - السخاوي : المصدر السابق : جـ ٣ ص ١١٦ ترجمة رقم ٤٤٨ .
- ٦١٦ - نفس المصدر : جـ ١ ص ٢٤٧ .
- ٦١٧ - نفس المصدر : جـ ٣ ص ٢٣١ ترجمة رقم ٨٧٨ .
- ٦١٨ - علي باشا مبارك : المصدر السابق : جـ ٥ ص ٨٦ ، جـ ٦ ص ٥١ . وأنظر أيضا :
- حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ ١ ص ٥٧ ،
- معاد ماهر : المرجع السابق : جـ ٣ ص ٢٥٩ .
- ٦١٩ - السخاوي : المصدر السابق : جـ ٢ ص ترجمة رقم ٢٦٤ .
- ٦٢٠ - نفس المصدر : جـ ٤ ص ١٩٢ ترجمة رقم ٣٥٠ .
- ٦٢١ - نفس المصدر : جـ ٦ ص ١١١ ترجمة رقم ٤٨٧ .
- ٦٢٢ - ابن حجر : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٨ ترجمة رقم ١٤٨٥ .
- ٦٢٣ - السخاوي : المصدر السابق : جـ ٤ ص ٢٤ - ٢٨ ترجمة رقم ٨١ .
- ٦٢٤ - نفس المصدر : جـ ٤ ص ٩٨ - ١٠٠ ترجمة رقم ٢٨٥ .
- ٦٢٥ - علي باشا مبارك : المصدر السابق : جـ ٥ ص ٣٥ .
- ٦٢٦ - السخاوي : المصدر السابق : جـ ٥ ص ٢٠٠ - ٢٠١ .
- ٦٢٧ - نفس المصدر : جـ ١ ص ٢٥١ - ٢٥٢ .
- ٦٢٨ - نفس المصدر : جـ ١ ص ٣٧٧٠ .
- ٦٢٩ - نفس المصدر : جـ ٢ ص ١١٥ ترجمة رقم ٣٤٤ .

- ٦٣٠ - نفس المصدر : جـ٢ ص ١٥٠ - ١٥١ ترجمة رقم ٤٢٧.
- ٦٣١ - نفس المصدر : جـ٢ ص ٢١٢ ترجمة رقم ٥٧٣.
- ٦٣٢ - نفس المصدر : جـ٣ ص ١٤٤ ترجمة رقم ٥٥٥.
- ٦٣٣ - ابن تغرى بردى : المنهل الصافى : جـ١ ص ٢١٧ - ٢٠ ترجمة رقم ١١١.
- ٦٣٤ - الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار : جـ٣ ص ٢٤٨.
- ٦٣٥ - أنظر أيضا: سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ٣ ص ٢٦١ - ٢٦٢.
- ٦٣٦ - سورة النور : الآيتان : ٣٦ - ٣٧.
- ٦٣٧ - راجع قراءات هذه اللوحة أيضا فى:
- على باشا مبارك: المصدر السابق : جـ٥ ص ٣٦ والتصحيح الذى عمله عليه بخطه فى هامش الصحيفة المرحوم يوسف أحمد بتاريخ ١٤ أكتوبر (١٩٠٠م) وانظر أيضا:
- سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ٣ ص ٢٦٢ - ٢٦٣،

Van Berchem (M.): OP. cit. II, P 233, text, 158.

- ٦٣٨ - سورة الحجر : الآيات : ٤٥ - ٤٩.
- ٦٣٩ - سورة البقرة : الآيات : ٢٥٥ - ٢٥٧.
- ٦٤٠ - سورة البقرة الآيات : ٢٨٤ - ٢٨٦.
- ٦٤١ - سورة النور : الآيات : ٣٥ - ٣٧.
- ٦٤٢ - سورة الحج : الآيتان : ٢٧ - ٢٨.
- ٦٤٣ - سورة الانسان الآيات : ٥ - ١٢.

٦٤٤ - ابن اياس : المصدر السابق : ج١ ص ٣٢١.

٦٤٥ - سورة الإنسان : الآيات ٥ - ١٠ ، وقد ذكر على باشا مبارك أن هذا إلزار الخشبي كان في باب من الخشب بداخل الخانقاة ، وبذلك يكون هذا إلزار قد نقل من الباب الذى كان فيه إلى هذا المكان بالإيوان الشمالى فى عملية ترميمية لاحقة لعلها العملية التى أجراها التاجر بلال أغا دار السعادة سنة (١٠٩٥هـ) ، أنظر أيضا على باشا مبارك : المصدر السابق : ج٥ ص ٣٦.

٦٤٦ - Van Berchem (M.): OP. cit. XIX, Fasc. IV, P. 662.

٦٤٧ - مجموعة (٢) عن سنة (١٨٨٤م) ص ١٣.

٦٤٨ - مجموعة (١٢) عن سنة (١٨٩٥م) ص ٦ ، ٣١.

٦٤٩ - مجموعة (١٣) عن سنة (١٨٩٦م) ص ١٠١.

٦٥٠ - مجموعة (١٦) عن سنة (١٨٩٩م) ص ١٢٣.

٦٥١ - مجموعة (١٧) عن سنة (١٩٠٠م) ص ٨٦.

٦٥٢ - مجموعة (١٩) عن سنة (١٩٠٢م) ص ٥١ - ٥٢ ، ١٣٥.

٦٥٣ - نفس المجموعة : ص ٥٦.

٦٥٤ - مجموعة (٢٦) عن سنة (١٩٠٩م) ص ١٠٨ ، ١٣٤.

٦٥٥ - ابن تفرى يردى : المصدر السابق : ج٢ ص ٣٦٢.

٦٥٦ - Van Berchem (M.): OP. cit. II. P.245, interpr.2.

٦٥٧ - ibd: II, P. 252, text, 163.

٦٥٨ - الجبرتي : المصدر السابق : ج٤ ص ٤٢٠١.

٦٥٩ - ابن تغرى بردى : المصدر : السابق ج٢ ص ٣٦٢.

٦٦٠ - هذه الحجة محفوظة بدار الوثائق القومية تحت رقم (٢٠٠ / ٣٢) وهى باسم أبو زكريا يحيى بن جمال الدين عبد الله بن شرف الدين موسى رئيس المجبرين والجرائحين فى اليمارستان المنصورى (قلاوون) ومؤرخة فى ٧ رمضان سنة (٨٩١هـ) راجع أيضا:

Fath Allah and Abu Zakariyya, physicians under Mamluks

By: Doris Behrens, Abouseif, I. F. A. O., Le caire, 1987,

Supp. aux Annales Islamologiques, cheir, No, 10, P. P. 45-57

٦٦١ - ابن تغرى بردى : المصدر السابق : ج٢ ص ٣٦٢ ترجمة رقم ٤٠٨ وانظر أيضا: ترجمة أسلم بن إسحاق بن عاصم الذى توفى سنة (٨٠٢هـ) فى :

- الدليل الشافى : ج١ ص ١١٩.

٦٦٢ - Van Brehem (M.): OP. cit. II, P. 245, interpr 2.

٦٦٣ - النظام لغة هو الإجماع والالتزام، وقد أضيفت إلى هذا اللفظ بعض الكلمات الأخرى لتكون ألقاب مركبة منه فقليل «نظام الدين» و «نظام الملك» و «نظام الدولة»، كما استعمل هذا اللقب فى عصر المماليك مضافا إلى ياء النسب فقليل «النظامى» كلقب للوزراء ومن فى معناهم.

راجع القلقشندى : المصدر السابق : ج٦ ص ٣٣،

حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٥٣٣.

٦٦٤ - مجموعة (٧) عن سنة (١٩٩٠م) ص ٨٨.

مصادر ومراجع الكتاب

مصادر ومراجع الكتاب

أولا : المصادر العربية

أ - المصادر العربية المخطوطة :

- البكري (محمد توفيق)

نشأة التصوف والصوفية

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٨٣٨ تاريخ

- الجاشنكير (السلطان بيبرس بن عبد الله)

- حجة رقم (٢٢ / ٤) ، (٢٣ / ٤)

تاريخ كل منهما ٢٦ شوال سنة (٧٠٧هـ)

دار الوثائق القومية.

- الجمالي (الأمير مغلطاي بن عبد الله)

- حجة رقم ١٦٦٦ تاريخها ٢٩ ربيع آخر سنة (٧٢٩هـ)

أرشيف وزارة الأوقاف

- العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن حجر)

إنباء الغمر بأبناء العمر

مخطوط بدار لكتب المصرية في جزأين تحت رقم ٢٤٧٦ تاريخ

ابن موسى (أبو زكريا يحيى بن عبد الله رئيس المجبرين بالمارستان المنصوري)

حجة رقم (١٥٤ / ٢٤)

تاريخها ٢٢ ذو الحجة سنة (٨٧١ هـ)

دار الوثائق القومية

(اللا) (الأمير جوهر)

حجة رقم (١٠٢١) تاريخها: (٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م)

أرشيف وزارة الأوقاف.

ب - المصادر الصوفية المطبوعة:

ابن الأثير (عز الدين)

الكامل في التاريخ. ط. بولاق (١٢٩٠ هـ)

الإسنوي (الشيخ جلال الدين)

طبقات الشافعية

تحقيق عبد الله الجبوري

مطبعة الإرشاد - بغداد (١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م)

الألباني (محمد ناصر الدين)

تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد

طبعة ثالثة - المكتب الإسلامي - دمشق وبيروت (بدون)

ابن إياس (محمد أحمد الخنفي)

بدائع الزهور في وقائع الدهور

تحقيق د. محمد مصطفى

الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة (١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م)

البخارى (الإمام أبو عبد الله بن اسماعيل بن المغيرة)

الصحيح

٩ أجزاء - طبعة بولاق (١٣١٢ هـ)

ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد إبراهيم اللواتي)

الرحلة - دار بيروت للطباعة والنشر (١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م)

البغدادى (الحافظ أبو بكر أحمد بن على الخطيب)

تاريخ بغداد أو مدينة السلام

طبعة القاهرة (١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م)

ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف)

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

تحقيق د. جمال الدين الشياك، فهميم

ثلاثون طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية سنة

(١٩٣٦ م) الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة

١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م).

- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي - جزآن

تحقيق د. محمد أمين، د. سعيد عاشور

الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٤ - ١٩٨٥ م)

الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن محبوب)

البيان والتبيين

طبعة القاهرة (١٣٣٢ هـ)

الجبرني (الشيخ عبد الرحمن)

عجائب الآثار في التراجم والأخبار - ٤ أجزاء

طبعة الشعب (مصورة عن طبعة بولاق سنة ١٢٩٧ هـ).

ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد)

الرحلة

طبعة مكتبة مصر سنة (١٩٥٥ م)

ابن الجيعان (شرف الدين يحيى بن المقر)

التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية

مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة (١٩٧٤ م)

ابن الحاج (أبو عبد الله محمد العبدري)

المدخل

دار الحديث - بيروت (١٤٠١هـ / ١٩٨١م).

الحلاج : كتاب الطواسين

مطبعة باريس سنة (١٩١٣م)

الحنبلّي (القاضي مجير الدين)

الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل - جزاءان

دار الجليل - بيروت (١٩٧٣م)

ابن خلدون (الشيخ عبد الرحمن المغربي)

المقدمة

القاهرة (١٣٢٧هـ / ١٩٠٧م).

ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد الشافعي)

فيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان

تحقيق د. إحسان عباس

(نسخة مصورة عن نسخة المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٨٩٢)

دار الثقافة - بيروت (بدون)

ابن دقماق (إبراهيم بن محمد العلائي)

الإنتصار لواسطة عقد الأمصار - القسمان الأول والثاني

(نسخة مصورة عن طبعة يولاق ١٣١٠هـ / ١٨٩٣م)

(المكتب التجارى للطباعة والنشر - بيروت (بدون)

الذهبي (الحافظ شمس الدين محمد)

تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام

طبعة القاهرة سنة (١٣٦٨هـ)

الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر)

مختار الصحاح

طبعة دار الكتب العربية - بيروت (بدون)

السبكي (أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين)

طبقات الشافعية الكبرى

٦ أجزاء طبع المطبعة الحسينية بالقاهرة

(١٣٢٤هـ/١٩٠٦م)

السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن)

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٦ أجزاء في ٣ مجلدات

دار مكتبة الحياة - بيروت (بدون)

- الذيل على رفع الإصر أو بغية العلماء والرواه

تحقيق جودة هلال، محمد محمود صبح مراجعة على البجاوي

الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة (بدون)

- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ

(نسخة مصورة عن نسخة الخزانة التيمورية نشرها القدسي)

دار الكتاب العربي - بيروت (١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م)

- التبر المسبوك في ذيل السلوك ط. بولاق (١٨٩٦م)

السخاوي (أبو الحسن نور الدين علي بن أحمد بن عمر)

تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم

والبقاع المباركات.

تحقيق محمود ربيع، حسن قاسم. القاهرة (١٩٣٧م)

السيوطي (الشيخ جلال الدين عبد الرحمن)

حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة

المطبعة الشرقية بالقاهرة (١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩م)

أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن المقدسي)

كتاب الروضتين في أخبار الدولتين جزءان

تحقيق د. محمد حلمي أحمد

القاهرة (١٩٥٦م)

الشرييني (يوسف بن محمد بن عبد الجواد)

هز القحوف في قصيد أبي شادوف

طبعة بولاق (١٨٩٠م)

الشراني (أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي)

لواقح الأنوار في طبقات السادة الأخيار المعروف

بالطبقات الكبرى - جزءان.

طبعة القاهرة (١٨٨١م)

الصيرفي (علي بن داود الجوهري)

إنباء الهصر بآبناء العصر

تحقيق حسن حبشي

دار الفكر العربي - القاهرة (١٩٧٠م)

ابن ظهيرة (أبو برهان الدين إبراهيم)

الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة

تحقيق مصطفى الشقا، كامل المهندس

مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة (١٩٦٩م)

ابن عبد الهادي (يوسف)

ثمار المقاصد في ذكر المساجد

نشر محمد أسعد أطلس الجزء الثالث من مجموعة النصوص الشرقية مطبوعات

المعهد العلمي الفرنسي - دمشق (١٩٤٣م)

ابن العبرى: غريغو ريوس الملطى

تاريخ مختصر الدول

طبعة أولى (بدون مكان ولا تاريخ)

ابن العربى (الفتوحات المكية)

طبعة بولاق (١٢٥٩هـ)

المسقلانى (شهاب الدين أحمد بن حجر)

- الدار الكامنة فى أعيان المائة الثامنة

طبعة دار الجيل - بيروت (بدون)

- فتح البارى بشرح صحيح البخارى (نسخة مصورة عن نسخة لمطبعة البهية

المصرية بالأزهر طبعة ثانية (١٤٠٢هـ)

على (جواد)

تاريخ العرب قبل الإسلام . ط. بغداد (١٩٥٢م)

ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى)

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب

دار أحياء التراث العربى - بيروت (بدون)

ابن العمري (أحمد بن يحيى الكرمانى)

التعريف بالمصطلح الشريف

طبعة القاهرة (١٣١٢هـ)

الغزالي (الإمام أبو حامد)

إحياء علوم الدين

طبعة القاهرة (١٣١٢هـ)

الغزالي (الشيخ نجم الدين)

الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ٣ أجزاء

محقق جبرائيل سليمان جبور

دار الأوقاف الجديدة - بيروت طبعة ثانية (١٩٧٩م)

القرآن الكريم

القشيري (الرسالة)

مطبعة القاهرة (١٣٤٦هـ)

ابن القلانسي (أبو يعلى حمزة)

ذيل تاريخ دمشق

طبعة بيروت (١٩٠٨م)

القلقشندي (الشيخ أبو العباس أحمد)

صبح الأعشى في صناعة الإنشا

المطبعة الأميرية بالقاهرة (١٩١٣م / ١٣٣١هـ)

الكندي (محمد شاكر بن أحمد)

فوات الوفيات

تحقيق د. إحسان عباس

دار صادر - بيروت (١٩٧٣م)

الكلايازي (محمد بن إبراهيم بن يعقوب)

العرف للذهب أهل التصوف

طبعة مصر (١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م)

الكندي (محمد بن يوسف بن يعقوب التجيبي)

الولاية والقضاء

تحقيق د. حسين نصار

دار صادر بيروت (بدون)

الكنوي (أبو الحسنات محمد بن عبد الحي)

الفوائد البهية في تراجم الحنفية

تصحيح محمد بدر الدين الغساني

مطبعة السعادة - القاهرة (١٣٢٤هـ)

مبارك (علي باشا)

الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة

طبعة مصورة عن طبعة بولاق (١٣٠٦هـ / ١٩٦٩م)

الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة (١٩٨٠م)

المقدسى (شمس الدين محمد بن أبى بكر البشارى)

أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم

طبعة ليدن سنة (١٩٠٩م)

المقرى (أحمد بن محمد بن على)

المصباح المنير

طبعة خامسة المطبعة الأميرية - القاهرة (١٩٢٢م)

المقريزى (تقى الدين أحمد بن على)

- المواعظ والاعتبار يذكر الخطط والآثار

نسخة دار التحرير للطبع والنشر فى ٣ أجزاء عن طبعة بولاق (١٢٧٠هـ)

أعدها للنشر د. محمد مصطفى زيادة. القاهرة (١٩٦٧ - ١٩٦٨م)

- السلوك لمعرفة دولة الملوك

الجزأين ١، ٢ فى ٦ مجلدات تحقيق د. محمد مصطفى زيادة القاهرة (١٩٥٨)،

الجزأين ٣، ٤ فى ٦ مجلدات تحقيق.

د. سعيد عاشور القاهرة؟ (١٩٧٠م).

الملكي (أبو طالب)

قوت القلوب

طبعة مصر سنة (١٣١٠هـ).

ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد المصري)

لسان العرب

دار صادر بيروت - (بدون)

النبهاني (يوسف إسماعيل)

كتاب جامع كرامات الأولياء وبهامشه كتاب نشر المحاسن الغالية في فضل
الشايع الصوفية للشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي

مطبعة دار الكتب العربية الكبرى (بدون)

ابن النديم (أبو الفرج محمد بن إسحاق البغدادى)

الفهرست

دار المعركة - بيروت (بدون)

التويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)

نهاية الأرب في فنون الأدب

مطبعة دار الكتب المصرية (١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م)

ياقوت (أبو عبد الله الحموى الرومى البغدادى)

معجم لبلدان

دار إحياء التراث العربي - بيروت (١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م)

اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح)

تاريخ اليعقوبي - جزآن

دار بيروت للطباعة والنشر (١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م)

ثانياً: المراجع العربية المنشورة:

إبراهيم (عبد اللطيف) - دكتور

دراسات في الكتب والمكتابات الإسلامية

وثيقة (١٨٦ / ٢٨ محكمة، ٢٧٨ / ٤٣ محكمة - القاهرة (١٩٦٢ م).

أحمد (محمود)

دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة

القاهرة (١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م)

إدارة حفظ الآثار العربية

- رسالتها في رعاية الآثار الإسلامية في القاهرة والأقاليم

دار المعارف بمصر (بدون)

- كراسات لجنة حفظ الآثار العربية

من الكراسة الأولى طبعة بولاق سنة ١٨٨٤ م

إلى الكرامة الحادية والأربعون طبعة بولاق سنة (١٩٦٣م)

الألفى (أبو صالح)

الفن الإسلامي (أصوله - فلسفته - مدارسه)

دار المعارف بمصر - طبعة ثانية - القاهرة (١٩٧٤م)

أمين (محمد محمد) - دكتور

فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك

(٢٣٩ - ٩٢٢هـ / ٨٥٣ - ١٥١٦م)

مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي - القاهرة (١٩٨١م)

الأوقاف (وزارة)

مساجد مصر (من سنة ٢١ - ١٣٦٥هـ / ٦٤١ - ١٩٤٦م)

جزءان طبع مصلحة المساحة المصرية (١٩٤٨م)

الباشا (حسن) - دكتور

- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار

مكتبة النهضة المصرية (١٩٥٧م)

- مدخل إلى الآثار الإسلامية

دار النهضة العربية (١٩٧٩م).

بليق (عز الدين)

منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين

دار الفتح للطباعة والنشر - بيروت طبعة أولى

(١٣٩٨ هـ - ١٩٧٧ م)

تيمور (أحمد باشا)

المهندسون في العصر الإسلامي

دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة (١٩٧٩ م)

الجر (خليل) - دكتور

المعجم العربي الحديث (لاروس)

مكتبة لاروس - باريس (١٩٧٣)

الحديدي (فتحي حافظ)

دراسات في مدينة القاهرة - حي الجمالية

الشركة المصرية للطباعة والنشر - القاهرة (١٩٨٢ م)

حسن (زكي محمد) دكتور

فنون الإسلام

دار الرائد العربي - بيروت (١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م)

حسين (سعاد) - دكتورة

أعمال الأمير شيخو

رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة (١٩٧٧ م)

حمادة (محمد ماهر) دكتور

المكتبات في الإسلام - نشأتها وتطورها ومصائرهما

طبعة ثالثة - بيروت (١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م).

حمزة (عبد اللطيف) - دكتور

الحركة الفكرية في مصر العنصرين الأيوبي والمملوكي الأول

طبعة ثانية - دار الفكر العربي - القاهرة (١٩٦٨ م)

دائرة المعارف الإسلامية

الطبعة الأوربية الأولى

(ماكنية ماسينون عن الزهد والتصوف في الجزء الرابع)

دراج (أحمد) - دكتور

الممالك والفرنج في القرن التاسع لهجرى

دار الفكر العربي - القاهرة (١٩٦١ م).

رزق (عاصم محمد) - دكتور

مسجد القاضي أبو بكر مزهر بالقاهر

رسالة كاجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة (١٩٧١ م)

رشدى (صبيحة رشيد)

الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية

طبعة أولى - بغداد (١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م)

الرفاعي (أنور)

تاريخ الفن عن العرب والمسلمين

طبعة ثانية - دار الفكر - دمشق ١٣٩٧ م / ١٩٧٧ م

زكي (عبد الرحمن) - دكتور

- القاهرة - تاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتي

المؤرخ (٩٦٩ - ١٨٢٥ م)

الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة (١٩٦٦ م).

- بنك القاهرة في ألف عام

المكتبة الثقافية عدد (٢٢٠) - دار الكتاب العربي

القاهرة (بدون)

زيدانا (ميجورجي)

تاريخ التمدن الإسلامي

مطبعة الهلال (١٩٣١ م)

سالم (السيد محمود عبد العزيز) دكتور

المآذن المصرية - نظرة عامة عن أصلها وتطورها من الفتح العربي حتى الفتح العثماني.

مؤسسة شباب الجامعة - الاسكندرية (بدون)

سامح (كمال الدين) - دكتور

العمارة الإسلامية في مصر

مطبعة جامعة القاهرة (١٩٧٠م)

سرور (محمد جمال الدين) - دكتور

- دولة الظاهر يبرس في مصر.

دار الفكر العربي - القاهرة (١٩٦٠م)

- دولة بني قلاوون في مصر - الحالة السياسية والاقتصادية

في عهد بوجه خاص

دار الفكر العربي - القاهرة (بدون)

مزكين (فؤاد) - دكتور

تاريخ لثرت العربي - المجلد الأول من الجزء الرابع

(العقائد والتصوف)

نقله إلى العربية د. محمود فهمي حجازي وآخرون

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

(١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م).

شافعي (فريد محمود) - دكتور

العمارة العربية الإسلامية - ماضيها - حاضرها - مستقبلها

طبعة أولى - جامعة الملك سعود الرياض (١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م)

الشافعي (ليلى كامل)

مدرسة الأمير جوهر اللالا

رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة (١٩٧٧ م)

شنا (إبراهيم الدسوقي) - دكتور

دور المتصوفة الإيرانيين في ميدان التصوف الإسلامي

بحث في كتاب :

دراسات في الحضارة الإسلامية - البقاء الثقافتين العربية

والفارسية (ص ٢٤٥ - ٢٧٠) دار الثقافة - القاهرة

(١٩٧٩ م).

الشعبي (كامل مصطفى)

الصلة بين التصوف والتشيع

طبعة ثانية - القاهرة (بدون)

ضومط (أنطوان خليل) - دكتور

الدولة المملوكية - التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري

(١٢٩٠ - ١٤٢٢ م)

طبعة أولى - دار الحديث - بيروت (١٩٨٠ م)

الطويل (توفيق)

التصوف في مصر إبان العصر العثماني

الاسكندرية (١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م)

عاشور (سعيد عبد الفتاح) - دكتور

- المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك

طبعة أولى - دار النهضة العربية - القاهرة (١٩٦٦ م)

- مصر في عصر دولة المماليك البحرية

سلسلة الألف كتاب عدد (٢٢٧) مكتبة النهضة - القاهرة (بدون)

عبد الله (دولت عبد الكريم) - دكتورة

معاهد تركية النفوس في مصر في العصرين الأيوبي والملوكي

مطبعة حسان - القاهرة (١٩٨٠ م)

عبد الحميد (سعد زغلول) - دكتور

العمارة والفنون في دولة الإسلام

طبع منشأة المعارف بالإسكندرية (١٩٨٦ م)

عبد المنعم (محمد نور الدين) - دكتور

الألفظ الفارسية في العامية المصرية

بحث في كتاب:

دراسات في الحضارة الإسلامية - التقاء الثقافتين العربية

والفارسية (ص ٢٠٧ - ٢٤٣) دار الثقافة - القاهرة (١٩٧٩م)

عبد المهدي (عبد الجليل حسن) - دكتور

المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي

جزءان، مكتبة الأقصى - عمان الأردن (١٩٨١م)

عبد الوهاب (حسن)

- تاريخ المساجد الأثرية جزاءن (نص وكتالوج)

مطبعة دار الكتب المصرية (١٩٤٦م)

- جتمع السلطان حسن وما حوله

المكتبة الثقافية عدد (٥٦) - القاهرة (١٩٦٢م)

العريني (السيد الباز) - دكتور

مصر في عصر الأيوبيين

سلسلة الألف كتاب عدد (٢٦٩)

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب القاهرة - (بدون)

عكاشة (ثروت) - دكتور

القيم الجمالية في العمارة الإسلامية

دار المعارف بمصر (١٩٨١م).

على (محمد كرد)

خطط الشام

مطبعة التركي - دمشق (١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥ م)

فكري (أحمد) دكتور

مساجد القاهرة ومدارسها (العصر الأيوبي)

دار المعارف بمصر (١٩٦٩).

قراءة (سنية)

مساجد ودول

مطابع أخبار اليوم

طبعة أولى - القاهرة (١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م)

لمعي (صالح مصطفى) دكتور

التراث المعماري الإسلامي في مصر

جامعة بيروت العربية - بيروت (١٩٧٥ م)

ماهر (سعاد محمد) دكتور

- القاهرة القديمة وأحيائها

الكتبة الثقافية عدد (٧٠) زكتوير (١٩٦٢ م)

- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون

طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

القاهرة (١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م)

مبارك (زكي)

التصرف الإسلامي في الأدب والأخلاق

جزءان - القاهرة (١٩٣٨ م)

مجلة العمارة:

سنة (١٩٤٢ م) عدد (٢٢١).

مرزوق (محمد عبد العزيز) دكتور

الناصر محمد بن قلاوون

سلسلة أعلام العرب رقم (٢٨)

مطبعة مصر - القاهرة (بدون)

مصطفى (محمد) - دكتور

دليل موجز متحف الفن الإسلامي

الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م)

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

المعالم الأثرية في البلاد العربية

جـ ٣ جمهورية مصر العربية القاهرة

(١٩٧٢م)

مؤنس (حسين) - دكتور

ابن بطوطة ورحلاته - تحقيق ودراسة وتحليل

دار المعارف بمصر (١٩٨٠م)

الموسوعة العربية الميسرة

طبعة الشعب - القاهرة (بدون)

النبراوى (فتحية) دكتورة

تاريخ النظم والحضارة الإسلامية

دار المعارف بمصر - طبعة ثانية (١٩٨١م)

وصفى (محمود) دكتور

دراسات فن الفنون والعمارة العربية الإسلامية

دار الصلاح للطباعة والنشر، لدمار بالسعودية

(١٩٧٧م).

ثالثا: المراجع الأجنبية المعربة :

آرنولد (توماس)

تراث الإسلام

تأليف جمهرة من المستشرقين.

تعريب جرجيس فتح الله المحامى

طبعة ثالثة - دار الطليعة - بيروت (١٩٧٨م).

برجز (مارتن)

بحث بعنوان «الهندسة المعمارية» فى كتاب: تراث الإسلام (ص ٢٢٧ - ٢٥٨)

الكتاب : تأليف جمهرة مستشرقين

تعريب: جرجيس فتح الله المحامى

دار الطليعة - بيروت - طبعة ثالثة (١٩٧٨م)

دلى (الفريد جوزيف)

العمارة العربية بمصر فى شرح المميزات الرئيسية للطراز

العربى فى القرن (١٤ - ١٥م)

تعريب محمود أحمد

القاهرة (١٩٢٣م)

زامبور

معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى

إخراج د. زكى حسن وآخرون

دار الرائد العربى - بيروت (١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م)

كونزل (لرنست)

الفن الإسلامي

ترجمة د. أحمد موسى

دار صادر - بيروت (١٩٦٦ م)

لين بول (ستانلي)

سيرة القاهرة

ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرون

مكتبة النهضة المصرية القاهرة (١٩٥٠ م)

ميتر (آدم)

الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة

في الإسلام. جزآن.

ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده

مكتبة الخانجي بالقاهرة طبعة رابعة (١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م)

(علوم الدين ص ٣٥١ - ٣٨٦).

رابعاً: المراجع الأجنبية :

- Abd ar - Raziq (Ahmad): (PH, D)

La femme au temps des Mamlauksen Egypt 1. F. A. O. Tome. V

Le Caire (1973)

- Berchem (M. V)

Corpus Inscriptionum Arabicarum

Tome, I, II, Egypt

(Mamluks Bahrits) Paris (1900).

- Tome XIX Fascicule IV

P aris, (1903).

- Combe (Et.), Sauvaget (J.) et Wiet (G.)

Repertoire Chronolgique d'Epigraphie

Arabe, I_ F_ A_ O.

Le Caire (1931 _ 1950).

- Hautcoeur (L.) et Wiet (G.):

Les Mosques du Caire

Paris, (1932).

- Lamm (C.J)

Mittelalterliche Glaser und Steinschnittarbeiten aus dem

Nahen Osten, 2 Vol.

Berlin (1930)

- Ritter (H.)

Studien Zur Geschichte der Islamischen Frömmigkeit,

Islam (21, 1933) P. P _ (1 _ 83)

- Supplement, aux Annales Islamologiques, Cahier No, 10,

I. F. A. O.

Le Caire, (1987). P. P. (27 - 30).

فهرس الأشكال واللوحات

١ - فهرس الأشكال

- شكل ١ - الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء) - أثر رقم ٤٨٠ (٥٦٩ هـ / ١٧٣٩ م) -
الواجهة والمدخل.
- شكل ٢ - الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء) - الإيوان الشرقي.
- شكل ٣ - الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء) - المحراب والمنبر.
- شكل ٤ - الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء) الإيوان الجنوبي.
- شكل ٥ - الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء) الإيوان الغربي.
- شكل ٦ - الخانقاة البنداقدارية أيديكن (زاوية الأبار) - أثر رقم ١٤٦ (٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م)
المحراب.
- شكل ٧ - الخانقاة البنداقدارية أيديكن (زاوية الأبار) - القبة من الخارج.
- شكل ٨ - الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر) - أثر رقم ٢٢١ (٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م) - واجهة
بحرية.
- شكل ٩ - الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر) - طاقة المدخل الرئيسى.
- شكل ١٠ - الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر) - القبتان من الخارج.
- شكل ١١ - الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر) - المئذنة.
- شكل ١٢ - الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر) محراب وكتابة بالحائط الشرقى لحوش الخانقاة.
- شكل ١٣ - الخانقاة الجاشنكيرية (بيبرس) - أثر رقم ٣٢ (٧٠٦ - ٧٠٩ هـ / ١٣٠٦ -
١٣٠٩ م) المدخل وجزء من الواجهة.

- شكل ١٤ - الخانقاة الجاشنكيرية (بيبرس) - أرضية القبة وتركيبية الضريح.
- شكل ١٥ - الخانقاة الجاشنكيرية (بيبرس) - الممثلة والقبة وجزء من الواجهة.
- شكل ١٦ - لخانقاة الجاشنكيرية (بيبرس) - حواصل مطلة على الصحن.
- شكل ١٧ - الخانقاة المهندارية (أحمد) أثر رقم ١١٥ (م ٧٢هـ / ١٣٢٤م) - الواجهة والمئذنة.
- شكل ١٨ - الخانقاة الجمالية (مغلطاي) - أثر رقم ٢٦ (٧٣٠هـ / ١٣٢٩م) - جزء من الواجهة.
- شكل ١٩ - الخانقاة الجمالية (مغلطاي) - مقرنص القبة.
- شكل ٢٠ - الخانقاة القوصونية (قبة الغفير) - أثر رقم ٢٩١ (٧٣٧هـ / ١٣٣٦م) القبتان من الخارج.
- شكل ٢١ - الخانقاة الناصرية (خوند طغاي - أم أنوك) أثر رقم ٨١ (٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) - القبة من الخارج ويظهر معها إيوان الخانقاة.
- شكل ٢٢ - الخانقاة الناصرية (خوند طغاي - أم أنوك محراب القبة).
- شكل ٢٣ - الخانقاة الناصرية (خوند طغاي - أم أنوك) زخارف جصية وكتابات لقبة.
- شكل ٢٤ - الخانقاة الدوادية (يونس) أثر رقم ١٥٧ (ح ٧٥٠هـ / ح ١٣٤٩م) - القبة من الخارج.
- شكل ٢٥ - الخانقاة الشيوخونية - أثر رقم ١٥٢ (٧٥٦هـ / ١٣٥٥م) - القبة والمئذنة.
- شكل ٢٦ - الخانقاة الشيوخونية - خلوات الصوفية.
- شكل ٢٧ - الخانقاة الشيوخونية : الصحن والسدلة الشمالية.

شكل ٢٨ - بقايا الخانقاة النظامية - أثر رقم ١٤٠ (٧٥٧هـ / ١٣٥٦م) - جزء من سور القاهرة القديم ومعه بقايا الخانقاة.

شكل ٢٩ - بقايا الخانقاة النظامية - منظر من الخارج.

شكل ٣٠ - بقايا الخانقاة النظامية - الواجهة الرئيسية والمدخل.

شكل ٣١ - بقايا الخانقاة النظامية - منظر داخلى.

شكل ٣٢ - بقايا الخانقاة النظامية - مدخل خلوات الصوفية.

شكل ٣٣ - بقايا الخانقاة النظامية - بقايا خلوات الصوفية.

٢ - فهرس اللوحات

لوحة ١ - الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء) - أثر رقم ٤٨٠ (١١٧٣ / ١٥٦٩ هـ) مسقط أفقى.

لوحة ٢ - الخانقاة البندقارية أبيديكن (زاوية الأبار) - أثر رقم ١٤٦ (٦٨٣ / ١٢٨٤ هـ) مسقط أفقى.

لوحة ٣ - الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر) - أثر رقم ٢٢١ (٧٠٣ / ١٣٠٣ هـ) مسقط أفقى (عن لجنة حفظ الآثار العربية).

لوحة ٤ - الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر) - واجهة (عن لجنة حفظ الآثار العربية).

لوحة ٥ - الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر) - قطاع رأسى للواجهة (عن لجنة حفظ الآثار العربية).

لوحة ٦ - الخانقاة الجاشنكيرية (سلاروسنجر) - قطاع أفقى للمدخل (عن لجنة حفظ الآثار العربية).

لوحة ٧ - الخانقاة الجاشنكيرية (بيبرس) - أثر رقم ٣٢ (٧٠٦ - ٧٠٩ / ١٣٠٦ - ١٣٠٩ هـ) مسقط أفقى (عن لجنة حفظ الآثار العربية).

لوحة ٨ - الخانقاة الجاشنكيرية (بيبرس) - الباب العمومى (عن لجنة حفظ الآثار العربية).

لوحة ٩ - الخانقاة المهندارية (أحمد) - أثر رقم ١١٥ (٧٢٥ / ١٣٢٤ هـ) - مسقط أفقى.

لوحة ١٠ - الخانقاة الجمالية (مغلطاي) - أثر رقم ٢٦ (٧٣٠ / ١٣٢٩ هـ) - مسقط أفقى.

لوحة ١١ - الخانقاة القوصونية (قبة الغفير) - أثر رقم ٢٩١ (٧٣٧ / ١٣٣٦ هـ) مسقط أفقى.

لوحة ١٢ - الخانقاة لناصرية (خوند مغطى - أم أنوك) - أثر رقم ٨١ (٧٤٩ / ١٣٤٨ هـ) مسقط أفقى.

لوحة ١٣ - بقايا الخانقاة الدوادارية (يونس) - أثر رقم ١٥٧ (ح ٧٥٠هـ / ح ١٣٤٩م) مسقط أفقى.

لوحة ١٤ - الخانقاة الشيوخونية - أثر رقم ١٥٢ (٧٥٦هـ / ١٣٥٥م) مسقط أفقى.

لوحة ١٥ - بقايا الخانقاة النظامية - أثر رقم ١٤٠ (٧٥٧هـ / ١٣٥٦م) - مسقط أفقى.